كاتب حقَّقت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

إن كان ينزف

IF IT BLEEDS

رواية

بيع من مؤلفاته أكثر من 350 مليون نسخة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

ساحر الكتب

إن كان ينزف

IF IT BLEEDS

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

إن كان ينزف

IF IT BLEEDS

ترجمة

أوليغ عوكي

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

هاتف السيد هاريغان

مسقط رأسي مجرد قرية تضم حوالي ستمئة نسمة (ولا تزال، رغم أنني رحلت عنها)، لكن كان لدينا اتصالٌ بالانترنت مثل المدن الكبرى تماماً، لذا بدأ البريد الشخصي الذي أستلمه وأبي يقلّ تدريجياً. كل ما يُحضِره السيد نيدو عادة هو النسخة الأسبوعية من مجلة التايم، ونشرات إعلانية مرسلة إلى *الساكن* أو *جيراننا الأعزاء*، والفواتير الشهرية. لكن بدءاً من العام 2004، وهو العام الذي بلغتُ فيه التاسعة من عمري وبدأتُ أعمل لدى السيد هاريغان الساكن في أعلى التلة، أصبح بإمكاني الاتكال على استلام أربعة مغلفات على الأقل مرسلة إليّ شخصياً كل سنة. هناك بطاقة يوم العشّاق في فبراير، وبطاقة ذكرى ولادتي في سبتمبر، وبطاقة يوم الشُكر في نوفمبر، وبطاقة احتفال الشتاء إما قبل العطلة أو بعدها مباشرة. وداخل كل بطاقة توجد تذكرة حكّ من قرعة ولاية ماين ثمنها دولار واحد، والتوقيع هو نفسه دائماً: *أطيب الأمنيات من السيد هاريغان*. جملة بسيطة ورسمية.

وكانت ردّة فعل أبي هي نفسها دائماً: يضحك ويقلب عينيه مازحاً.

"إنه بخيل"، قال أبي ذات يوم. ربما حصل ذلك عندما كنتُ في الحادية عشرة، وبعد سنتين من بدء وصول البطاقات. "يدفع لك أجراً زهيداً ويعطيك عيديةً زهيدةً - تذاكر *الشيطان المحظوظ* من متجر هَوي".

أشرتُ له أن إحدى تذاكر الحكّ الأربعة تلك تُربحني دولارين عادة، وعندما يحصل ذلك، يقبض لي الجائزة من متجر هَوي لأنه لا يحق للقاصرين أن يلعبوا القرعة حتى ولو كانت التذاكر مجانية. عندما حالفني حظ كبير ذات مرة وفزتُ بخمسة دولارات، طلبتُ منه أن يشتري لي تذاكر حكّ بكل تلك الدولارات الخمسة، لكنه رفَض قائلاً إنه إذا شجَّع إدماني على المَيسر فإن ذلك سيُقِضّ مضجع أمي في قبرها.

"ما يفعله هاريغان سيئ كفاية"، قال أبي. "كما أن عليه أن يدفع لك *سبعة* دولارات في الساعة، وربما حتى ثمانية. أظن أنه يمكنه تحمّل هذه الكلفة. قد تكون خمسة دولارات في الساعة قانونيةً بما أنك مجرد ولد، لكن البعض سيعتبرها استغلالاً للأطفال".

"يروق لي العمل لديه"، قلتُ. "وهو يروق لي يا أبي".

"أفهم ذلك"، قال، "والقراءة له وتشحيل حديقة زهوره لن يجعلاك أوليفر تويست القرن الحادي والعشرين، لكنه يظل بخيلاً. أنا متفاجئ أنه مستعد أن يدفع ثمن الطابع البريدي ليرسل لك تلك البطاقات بالبريد، في حين أن المسافة من صندوق بريده إلى صندوق بريدنا لا تتعدّى خمسمئة متر".

كنا على شرفتنا الأمامية نشرب كوبَي سبرايت عندما أجرينا هذا الحديث، وأشار أبي بإبهامه إلى طريقنا (الترابي، مثل معظم الطرقات في هارلو) نحو منزل السيد هاريغان. كان قصراً حقاً، مكتملاً بحوض سباحة داخلي، ومستنبت زجاجي، ومصعد زجاجي لطالما أحبَبتُ ركوبه، ودفيئة في الخلف حيث تواجدت فيما مضى حظيرة ألبان (قبل زمني، لكن أبي يتذكّرها جيداً).

"أنت تعرف كم سيئ التهاب المفاصل لديه"، قلتُ. "يستخدم الآن عكازَين بدلاً من واحد أحياناً. السير إلى هنا سيقتله تقريباً".

"يمكنه إذاً تسليمك بطاقات المعايدة اللعينة تلك باليد"، قال أبي. لم يكن يقصد أي أذية بكلماته بل يسجّل موقفاً فحسب، فهو والسيد هاريغان ينسجمان

بشكل جيد. أبي ينسجم بشكل جيد مع الجميع في هارلو، وأظن أن هذا ما جَعَله بائعاً جيداً. "فأنتَ تتواجد في بيته كثيراً".

"لن يكون الأمر مماثلاً"، قلتُ.

"حقاً؟ لما لا؟".

لم أستطع أن أشرح له. معجم مصطلحاتي غني بفضل كل قراءاتي تلك، لكن خبرتي في الحياة ليست غنية بنفس المقدار. عرَفتُ فقط أنني أحبّ تلقي تلك البطاقات، أو بالأحرى أتطلّع إليها، وإلى تذكرة القرعة التي أحكّها دائماً بقطعة سنتاتي العشرة الجالبة للحظ، وإلى التوقيع بخطه بأسلوب الأحرف المتصلة القديم الطراز: *أطيب الأمنيات من السيد هاريغان*. وأنا أتذكّر هذا الآن، تتبادر كلمة *احتفاليّ* إلى ذهني. الأمر مشابه للطريقة التي ارتدى بها السيد هاريغان إحدى ربطات عنقه السوداء الهزيلة دائماً عندما كان يصطحبني معه إلى البلدة، رغم أنه اكتفى في الأغلب بالجلوس خلف مِقوَد سيارته الفورد المُرهفة يقرأ الفايننشل تايمز بينما أدخل متجر إيغا وأُحضر الأشياء التي على لائحة تسوّقه. هناك دائماً علبة لحم بقر مملّح على تلك اللائحة، ودزينة بيض. أخبرني السيد هاريغان مرةً أن

الإنسان يستطيع أن يعيش عيشةً جيدةً تماماً على البيض ولحم البقر المملَّح بعدما يبلغ عمراً معيّناً. وعندما سألتُه ما هو ذلك العمر، قال الثامنة والستين.

"عندما يبلغ الرجل الثامنة والستين"، قال، "لا يعود بحاجة إلى الفيتامينات".

"حقاً؟".

"لا"، أجاب. "أقول هذا فقط لأبرِّر عاداتي السيئة في الأكل. ألم تطلب راديو قمر اصطناعي لهذه السيارة يا كريغ؟"

"بلى"، عبر حاسوب أبي المنزلي، لأن السيد هاريغان لا يملك حاسوباً.

"أين هو إذاً؟ كل ما يمكنني التقاطه هو هذا الثرثار اللعين ليمبو".

أريتُه كيف يمكنه التقاط باقة محطات XM. بقي يدير المقبض على أكثر من مئة محطة تقريباً إلى أن وجَد واحدةً متخصّصة بأغاني الريف. كانت تبث أغنية "سانِدي رَجلك".

لا تزال تلك الأغنية تسبِّب لي القشعريرة، وأظن أنها ستفعل ذلك دائماً.

في ذلك اليوم من سنتي الحادية عشرة، وبينما جلَستُ وأبي نشرب مشروبنا الغازيّ وننظر إلى المنزل الكبير (هذا بالتحديد ما يُطلقه عليه سكان هارلو: المنزل الكبير، كما لو أنه سجن شوشانك)، قلتُ، "تلقي البريد الحلزوني أمر جميل".

قلبَ أبي عينيه مرة أخرى. *"البريد الإلكتروني* جميل، وكذلك الهواتف الخلوية. هذه الأشياء تبدو كأعاجيب بالنسبة لي. أنت يافع جداً لكي تفهم. لو ترعرعتَ مع مجرد خط هاتف مشترك مع أربعة منازل أخرى - ومن بينها منزل السيدة إدلسون، التي لا تصمت أبداً - لاختلف شعورك".

"متى يمكنني الحصول على هاتف خلوي؟". هذا سؤال بقيتُ أطرحه كثيراً تلك السنة، وبتواتر أكثر بعد ظهور أوائل هواتف الآيفون في الأسواق.

"عندما أقرِّر أنك أصبحت كبيراً كفاية".

"أياً يكن يا أبي". كان دوري لأقلب عينيّ، وهذا أضحكه. ثم أصبح جدّياً.

"هل تفهم مدى غنى جون هاريغان؟".

هزَزتُ كتفيَّ. "أعرف أنه كان يملك مطاحن".

"كان يملك أكثر من مطاحن بكثير. بقي حتى تقاعده الزعيم الكبير لشركة قابضة تدعى *السنديان التجارية* تملك شركة شحن، مراكز تسوّق، سلسلة صالات سينما، شركة اتصالات، وأشياء أخرى لا أعرفها. في عالم المجالس الكبرى، كانت *السنديان* من كبرياتها.

"ما هو المجلس الكبير؟".

"البورصة. أشبه بقرعة حظ للأغنياء. عندما باع هاريغان كل أسهمه، لم يُنشَر الخبر على الصفحة التجارية لنيويورك تايمز، بل على الصفحة الأولى. ذلك الرجل الذي يقود فورد عمرها ست سنوات، ويعيش في نهاية طريق ترابي، ويدفع لك خمسة دولارات في الساعة، ويرسل لك تذكرة حكّ ثمنها دولار واحد أربع مرات في السنة ينام على أكثر من مليار دولار". ابتسم أبي. "وأسوأ بذلة لديَّ، تلك التي كانت أمك ستجبرني على التبرّع بها لجمعيةٍ خيريةٍ لو أنها لا تزال حيّة، أفضل من البذلة التي يرتديها إلى دار العبادة".

وجَدتُ كل هذا مثيراً للاهتمام، خاصة فكرة أن السيد هاريغان امتلك ذات يوم شركة اتصالات وصالات سينما رغم أنه لا يملك حاسوباً محمولاً أو حتى تلفزيوناً. أنا أكيد أنه حتى لم يذهب إلى السينما أبداً. كان ما يسمّيه

أبي رجعياً، وهذا يعني (بين أشياء أخرى) رجلاً لا يحبّ أدوات التكنولوجيا الحديثة. وراديو القمر الاصطناعي استثناءٌ لذلك، لأنه يحبّ موسيقى الريف ويكره كل الإعلانات على محطة WOXO، وهي المحطة الوحيدة للموسيقى الريفية والغربية التي يستطيع راديو سيارته التقاطها.

"هل تعرف كم هو المليار يا كريغ؟".

"مئة مليون، صح؟".

"قُل *ألف* مليون".

"مذهل"، قلتُ، لكن فقط لأن الذهول بدا لي مناسباً. أفهم خمسة دولارات، وأفهم خمسمئة، وهو سعر درّاجة رِجل مستعملة مزوَّدة بمحرِّك معروضة للبيع لطالما حلَمتُ بامتلاكها (حظاً سعيداً في تحقيق هذا الحلم)، وعندي فهم نظري لخمسة آلاف، وهو ما يجنيه أبي كل شهر كبائعٍ لدى *بارميلو للجرّارات والآلات الثقيلة* في غايتس فولز. كانت صورة أبي تُعلَّق دائماً على الجدار كأفضل بائع في الشهر، ولطالما تظاهر أنها ليست مسألة مهمة، لكنني كنتُ أعقل من ذلك. فعندما ينال لقب بائع الشهر، نذهب إلى *مارسيل* لتناول العشاء، وهو مطعم فرنسي فاخر في كاسل روك.

"أصبتَ بتعبيرك"، قال أبي وهو يحملق بالمنزل الكبير على التلة، بكل غُرفه غير المستخدَمة في الأغلب والمصعد الذي يبغضه السيد هاريغان لكنه مضطر أن يستخدمه بسبب التهاب المفاصل وعِرق النَّسا لديه. "مذهل هي الكلمة الصائبة".

قبل أن أُخبِرك عن بطاقة القرعة ذات الجائزة الكبيرة، ووفاة السيد هاريغان، والمتاعب التي عانيتُ منها مع كيني يانكو عندما كنتُ في الصف التاسع في ثانوية غايتس فولز، يجب أن أُخبِرك كيف صدفَ وذهبتُ للعمل لدى السيد هاريغان. حصل ذلك بسبب دار العبادة. أذهب وأبي إلى الدار الميثودية الأولى في هارلو، وهي الدار الميثودية *الوحيدة* في هارلو. كانت هناك دار عبادة أخرى في البلدة، لكنها احترَقت عام 1996.

"يُطلِق بعض الأشخاص ألعاباً ناريةً احتفالاً بولادة طفل جديد"، قال أبي. كان عمري لا يتجاوز الرابعة وقتها، لكنني أتذكّر الحادثة - على الأرجح لأن الألعاب النارية أثارت اهتمامي. "قلتُ وأمك تباً لهذا، وتسبَّبنا باحتراق دار عبادة للترحيب بك يا كريغستر، وكم كانت ألسنة اللهب جميلة".

"لا تقل هذا أبداً"، قالت أمي. "قد يصدِّقك ويحرق واحدةً عندما يصبح لديه ولدٌ ذات يوم".

كانا يمزحان كثيراً معاً، وكنتُ أضحك حتى عندما لا أفهم النكتة.

كنا معتادين ثلاثتنا على السير إلى دار العبادة سويةً، وأحذيتنا تسحق الثلج الكثيف في الشتاء، أو تبعثر الغبار في الصيف (الذي تمسحه أمي عنها بمنديلٍ قبل دخولنا)، وأنا أُمسك دائماً يد أبي بيساري ويد أمي بيميني.

كانت أماً طيبةً، وكنتُ لا أزال افتقدها كثيراً في العام 2004 عندما بدأتُ العمل لدى السيد هاريغان، رغم أنها ماتت قبل ذلك بثلاث سنوات. ولا أزال أفتقدها الآن بعد مرور ست عشرة سنة، رغم أن وجهها خفتَ في ذاكرتي والصور الفوتوغرافية تنعشه قليلاً فقط. ما تقوله تلك الأغنية عن الأولاد اليتيمي الأم حقيقيّ: يواجهون أوقاتاً صعبةً. كنتُ أحبّ أبي وننسجَم دائماً، لكن تلك الأغنية محقّة في نقطة أخرى أيضاً: هناك أشياء كثيرة لا يستطيع أبوك فهمها، مثل صنعها عقداً من زهور الأقحوان ووضعه على رأسي في الحقل الكبير خلف منزلنا وإعلانها أنني لست مجرد فتى صغير اليوم، بل أنا

الملك كريغ. مثل سرورها لكن دون أن تجعل منها قضية كبيرة - التفاخر وما شابه - عندما بدأتُ أقرأ قصص سوبرمان وسبايدرمان المصوَّرة في سنّ الثالثة. مثل النوم بجانبي على السرير إذا استيقظتُ في منتصف الليل من حلم مزعج يطاردني فيه الدكتور أخطبوط. مثل معانقتي وإخباري أن الأمور بخير عندما يُبرحني فتى ضخم - كيني يانكو، مثلاً - ضرباً.

لم يكن أحد تلك العناقات ليضرّني في ذلك اليوم، فعناق الأم في ذلك اليوم كان ليغيِّر أموراً كثيرةً.

عدم التبجّح أبداً من أنني قارئ مُبكر النضج هو موهبة ورثتها من والديّ، موهبة الإدراك باكراً أنك تملك ميزةً لا تجعلك أفضل من الزميل الجالس بجانبك. لكن الخبر انتشر، مثلما يحصل دائماً في البلدات الصغيرة، وعندما بلغتُ الثامنة، سألني الموقَّر مُوني خلال أحد اجتماعات يوم الأحد المخصَّص للعائلات إن كنتُ أريد قراءة درس كتاب الحكم القديمة. لا شكّ أن غرابة الفكرة هي التي أعجبته، فهو يطلب ذلك عادة من فتى أو فتاة من الثانوية. بعد القراءة خلال الخدمة ذلك الأحد، قال الموقَّر إنني أبليتُ بلاءً حسناً لدرجة أنه يمكنني أن أفعل ذلك كل أسبوع، إن أردتُ.

"قال إن ولداً صغيراً سيقودهم"، أخبَرتُ أبي. "وردَ ذلك في أحد الفصول".

نخَر أبي كما لو أن ذلك لم يؤثّر به كثيراً، ثم أومأ برأسه. "ممتاز، طالما أن تتذكّر أنك الوسيط ولستَ الرسالة".

"ماذا؟".

"كتاب الحكم القديمة ليس من تأليف كريغ، لذا لا تدع ذلك يُشعرك كما لو أنك شخص مهم".

قلتُ إنني لن أدع ذلك يحصل، وطوال السنوات العشرة التالية - إلى أن انصرَفتُ إلى الكلّية حيث تعلَّمتُ تدخين الحشيشة، وشرب شراب الشعير، ومطاردة الفتيات - بقيتُ أقرأ الدرس الأسبوعي. وفعلتُ ذلك حتى عندما كانت الأمور في أسوأ مراحلها. يعطيني الموقَّر رقم الفصل والمقطع قبل أسبوع، ثم في لقاء الشباب ليلة الخميس، أُحضِر له لائحة بالكلمات التي لم أستطع لفظها. لذا قد لا أكون الشخص الوحيد في ولاية ماين الذي يستطيع لفظ إسم نبوخذ نصَّر فحسب، بل وتهجئته أيضاً.

انتقل أحد أغنى رجال أميركا للعيش في هارلو قبل حوالي ثلاث سنوات من بدء مهمتي بقراءة نص الحكم

القديمة على مسمع المسنّين أيام الأحد. أي عند مطلع القرن، مباشرة بعد أن باع شركاته وتقاعد، وقبل أن يُنهي تشييد منزله الكبير حتى (أتى الحوض والمصعد والممر الخاص المرصوف لاحقاً). كان السيد هاريغان يحضر إلى دار العبادة كل أسبوع، مرتدياً بذلته السوداء الصدئة ذات المؤخرة المرتخية وإحدى ربطات عنقه السوداء الضيقة غير العصرية، وشعره الرمادي الخفيف ممشَّط بشكل أنيق. أما بقية الأسبوع فيتطاير ذلك الشعر في كل اتجاه، مثل آينشتاين بعد يوم حافل بفك أسرار الكون.

كان يستخدم عكازاً واحداً في تلك الأيام، فيتكئ عليه عندما ننهض لنُنشد الترانيم التي أظن أنني سأتذكَّرها حتى يوم مماتي... وذلك المقطع عن سيل الماء والدم من جنب الحكيم العظيم المجروح يسبّب لي القشعريرة دائماً، تماماً مثل المقطع الأخير من أغنية تامي واينَت "سانِدي رَجلك". على أي حال، لم يكن السيد هاريغان يُنشد في الواقع، وهذا جيد لأن صوته صدئٌ زاعقٌ نوعاً ما، لكنه يحرِّك شفتيه معنا. هذا أمرٌ مشتركٌ بينه وبين أبي.

ذات أحد في خريف 2004 (وكل الأشجار في هذا الجزء من العالم تضجّ بالألوان)، قرأتُ جزءاً من فصل صموئيل، مؤدّياً عملي الاعتيادي أمام الجماعة مع نصٍ بالكاد أفهمه لكنني أعرف أن الموقَّر مُوني سيشرحه في وعظته: "جمال البلاد ذُبح عند الهضاب المرتفعة: كيف سقط العدل! لا تُفرح أعداءك بهذا الخبر، ولا تنشر الخبر في شوارع آسكالان؛ مخافة أن يبتهج الأعداء، مخافة أن تنتصر بنات غير المختون".

عندما جلَستُ على مقعدنا الخشبي الطويل، ربَّت أبي على كتفي وهمَس في أذني *نطقتَ كلمات كبيرة*. اضطررتُ أن أغطي فمي لأُخفي ابتسامتي.

في المساء التالي، وبينما كنا نُنهي أطباق العشاء (أبي يغسلها، وأنا أجفِّفها وأضعها في مكانها)، توقفت فورد السيد هاريغان في ممرنا الخاص. دوّى عكازه على درجات فنائنا، وفتح أبي الباب قبل أن يتمكن من قرعه. رفَض السيد هاريغان غرفة الجلوس وجلس إلى طاولة المطبخ كما لو أنه من أهل المنزل تماماً. قَبِل عبوة سبرايت عندما عرضها عليه أبي، لكنه رفض كوباً. "أشرب من العبوة، مثلما كان أبي يفعل"، قال.

دخل صُلب الموضوع مباشرة، بما أنه رجل أعمال. قال السيد هاريغان إنه يريد توظيفي، إن وافقَ أبي، لأقرأ له لساعتين أو ربما ثلاث ساعات في الأسبوع. وسيدفع لي خمسة دولارات في الساعة. يمكنه دفع أجرة ثلاث ساعات عمل أخرى، قال، إن كنتُ أقبل أن أعتني بحديقته قليلاً وأؤدّي بعض الأعمال الروتينية الأخرى، مثل إزالة الثلج عن درجه في الشتاء ونفض الغبار عما يجب نفضْ الغبار عنه على مدار السنة.

خمسة وعشرون وربما ثلاثون دولاراً في الأسبوع، نصفه لمجرد القراءة، هو شيء كنتُ لأفعله مجاناً! لم أستطع تصديق ذلك. خطرت ببالي فوراً فكرة الادّخار لشراء درّاجة الرِجل ذات المحرِّك، رغم أنني لن أكون قادراً على ركوب واحدةٍ قانونياً قبل سبع سنوات أخرى.

الأمر جيد جداً ليكون صحيحاً، وخشيتُ أن يرفض أبي، لكنه قَبِل. "فقط لا تعطه أي شيء مثير للجدل"، قال أبي. "لا نصوص سياسية مجنونة، ولا عنفاً مُفرطاً. يقرأ كراشدٍ، لكنه بالكاد ولد في التاسعة".

وعَدَه السيد هاريغان بذلك، وشرِب بعض مشروبه الغازيّ، وتلمّظ شفتيه الجلديّتين. "يقرأ جيداً، نعم، لكن هذا ليس السبب الرئيسي لتوظيفي له. لا يقرأ بنبرة

رتيبة، حتى عندما لا يفهم. أجد هذا باهراً. ليس مدهشاً، لكن باهراً".

وَضَع عبوته من يده ومال إلى الأمام، وثبَّت نظرته المحدِّقة الحادّة عليَّ. غالباً ما كنتُ أرى مرحاً في تلك العينين، لكن نادراً ما رأيتُ دفءاً، وتلك الليلة من 2004 لم تكن إحداها.

"بشأن قراءتك البارحة يا كريغ. هل تعرف معنى 'بنات غير المختون'؟".

"ليس حقاً"، قلتُ.

"لم أعتقد ذلك، لكنك مع ذلك قرأتها بنبرة الغضب والرثاء الصحيحة في صوتك. بالمناسبة، هل تعرف ما هو الرثاء؟".

"البكاء وما شابه".

أومأ برأسه. "لكنك لم تبالغ به، وهذا جيد. القارئ ناقلٌ وليس الكاتب. هل يساعدك الموقَّر مُوني بألفاظك؟".

"نعم سيدي، أحياناً".

شرِب السيد هاريغان المزيد من مشروبه الغازيّ ونهض متكئاً على عكازه. "أخبِره أن الكلمة هي عسقلان وليست آسكالان. وجَدتُ هذا مضحكاً عن غير قصد،

لكن حسّ الفكاهة عندي منخفض جداً. هلاّ أجرينا تجربة يوم الأربعاء، عند الثالثة؟ هل تكون قد أنهيت المدرسة وقتها؟".

أخرج من ابتدائية هارلو عند الثانية والنصف. "نعم سيدي. الثالثة ممتاز".

"هلاّ قلنا حتى الرابعة؟ أم هذه مدة طويلة؟".

"هذا مناسب"، قال أبي. بدا مرتبكاً من الأمر بأكمله. "لا نأكل قبل السادسة. أحبّ مشاهدة نشرة الأخبار المحلية".

"ألا يُفسِد هذا عملية الهضم لديك؟".

ضحِك أبي، رغم أنني لم أعتقد حقاً أن السيد هاريغان كان يمزح. "هذا يحصل أحياناً. لستُ من أنصار السيد بُوش".

"إنه مغفَّل"، وافَقه السيد هاريغان الرأي، "لكنه على الأقل أحاط نفسه برجال يفهمون المهنة. الثالثة يوم الأربعاء يا كريغ، ولا تتأخر. لا أطيق التأخّر".

"لا شيء ماجن الإيحاء أيضاً"، قال أبي. "هناك وقت كافٍ لذلك عندما يكبُر في السنّ أكثر".

وعَدَه السيد هاريغان بذلك أيضاً، لكنني أفترض أن الرجال الذين يفهمون المهنة يفهمون أيضاً أنه من السهل عدم الإيفاء بالوعود، بما أنها تُطلَق مجاناً. بالطبع لم يكن هناك أي شيء ماجن الإيحاء في *قلب الظلام*، وهو أول كتاب قرأتُه له. عندما انتهينا، سألني السيد هاريغان إن فهِمتُه. لا أعتقد أنه كان يحاول تدريسي، بل سأل من باب الفضول فحسب.

"ليس كثيراً"، قلتُ، "لكن ذلك الرجل كورتز مجنون جداً. هذا ما فهِمتُه".

لم يكن هناك شيء ماجن الإيحاء في الكتاب التالي أيضاً - وجدتُ *سيلاس مارنر* مُملاً، برأيي المتواضع. لكن الكتاب الثالث كان *حبيب السيدة تشاترلي*، وهذا كان مثيراً للدهشة طبعاً. العام 2006 هو العام الذي تعرَّفتُ فيه على كونستانس تشاترلي وحارس طرائدها الشهواني. كنتُ في العاشرة. بعد كل تلك السنوات لا أزال أتذكَّر أبياتاً من أنشودة سيل الماء والدم، ولا أزال أتذكَّر بنفس الوضوح أيضاً الحارس ميلورز يداعب السيدة ويهمس "هذا لطيف". طريقة معاملته لها هي شيء جيد ليتعلّمه الفتيان، وليتذكّرونه أيضاً.

"هل فهِمتَ ما قرأته للتو؟"، سألني السيد هاريغان بعد مقطع حميميّ جداً. مرة أخرى، بدافع الفضول فقط.

"لا"، قلتُ، لكنني لم أكن صادقاً تماماً. فقد فهِمتُ مما كان يجري بين أولي ميلورز وكوني تشاترلي في الغابة أكثر بكثير مما كان يجري بين مارلو وكورتز هناك في الكونغو البلجيكية. الجنس أمر صعب فهمه - وهذا شيء تعلّمتُه حتى قبل أنا أدخل الكلّية - لكن الجنون أصعب حتى.

"ممتاز"، قال السيد هاريغان، "لكن إذا سألك أبوك ماذا كنا نقرأ، أقترح أن تُخبِره دومبي *وإبنه*. فهذا هو الكتاب التالي الذي سنقرأه، على أي حال".

أبي لم يسألني أبداً - بشأن ذلك الكتاب، على أي حال - وشعرتُ بالراحة عندما انتقَلنا إلى دومبي، والتي كانت أول رواية للراشدين أتذكَّر أنني أحببتُها حقاً. لم أرغب أن أكذب على أبي، فهذا كان سيُشعرني بشعور رهيب، رغم أنني متأكد أن السيد هاريغان ما كان ليجد مشكلة في ذلك.

أرادني السيد هاريغان أن أقرأ له لأن عينيه تتعبان بسهولة. ولم يحتجني أن أشحِّل زهوره على الأرجح، لأنني أعتقد أن پيت بوستويك، الذي يجزّ مَرجته التي

تبلغ مساحتها فداناً تقريباً، كان سيسرّه أن يفعل ذلك. وكان سيسرّ مدبّرة منزله إدنا غروغان أن تمسح الغبار عن تشكيلته الكبيرة من القِباب الثلجية القديمة ومُثقِّلات الورق الزجاجية، لكن هذا كان عملي. أغلب الظن أنه راق له وجودي معه فحسب. لم يخبرني بذلك أبداً إلا قبل وقت قصير من وفاته، لكنني عرَفتُ ذلك. لم أعرف السبب، ولستُ متأكداً أنني أعرفه الآن.

ذات مرة، وأثناء عودتنا من العشاء لدى مارسيل في كاسل روك، قال أبي فجأة: "هل لمسك هاريغان ولو مرةً بطريقة لا تعجبك؟".

كنتُ على بُعد سنواتٍ من حتى القدرة على نمو ظل شارب، لكنني عرَفتُ عما كان يسأل؛ بالله عليك، لقد تعلَّمنا عن "خطر الغريب" و"اللمس غير الملائم" في الصف الثالث.

"هل تعني إن كان يتلمَّسني؟ لا! يا للهول يا أبي، الرجل ليس *مثليّاً*".

"حسناً. لا تغضب من ذلك يا كريغستر. عليَّ أن أسأل لأنك تذهب إلى هناك كثيراً".

"لو كان يتلمَّسني، لأرسل لي تذاكر حكّ بدولارين على الأقل"، قلتُ وهذا أضحكَ أبي.

ثلاثون دولاراً في الأسبوع هو ما كنتُ أجنيه تقريباً، وأصَرَّ أبي أن أدّخر منها عشرين دولاراً على الأقل في حساب توفير كلّيتي. فعلتُ ذلك، رغم أنني اعتبرتُ تلك الفكرة فائقة الغباء؛ فحين تبدو المراهقة بعيدةً بأجيالٍ كاملةٍ، تبدو الكلّية وكأنها في حياة أخرى. لكن عشرة دولارات في الأسبوع لا تزال ثروةً. أنفَقتُ بعضها على البرغر والعصائر عند منضدة الغداء في متجر هَوي، ومعظمها على الكتب الورقية الغلاف القديمة في مكتبة دالي للكتب المستعملة في غايتس فولز. الكتب التي اشتريتُها لم تكن مُضجِرةً مثل الكتب التي أقرأها للسيد هاريغان (حتى *السيدة تشاترلي* مُضجِرةٌ عندما لا يملأ كونستانس وميلورز الجو ببخار العلاقة). أفضِّل روايات الجرائم والغرب الأميركي مثل معركة *بالمسدَّسات في هيلا بَند* و*قافلة الرصاص الساخن*. القراءة للسيد هاريغان وظيفةٌ. ليست وظيفة مُرهقة، لكنها وظيفة. أما كتابٌ مثل *قَتَلناهم كلهم ذات اثنين*، تأليف جون د. ماكدونالد، فهو متعة صافية. أخبَرتُ نفسي أن عليَّ أن أدّخر المال الذي لا يذهب إلى حساب الكلّية لأحد هواتف أيل الجديدة التي نزلت إلى الأسواق صيف 2007، لكنها مُكلِفة، ثمنها حوالي ستمئة دولار، وبعشرة

دولارات في الأسبوع فقط، سأحتاج إلى أكثر من سنة. وعندما تكون في الحادية عشرة وتسير نحو الثانية عشرة، ستجد أن السنة مدةٌ طويلةٌ جداً.

بالإضافة إلى ذلك، كانت تلك الكتب الورقية الغلاف القديمة وأغلفتها الغنية بالألوان تجذبني كثيراً.

صباح احتفال الشتاء عام 2007، وبعد ثلاث سنوات على بدئي العمل لدى السيد هاريغان وقبل سنتين من وفاته، وجدتُ حزمة واحدة فقط لي تحت الشجرة، وأخبَرني أبي أن أفتحها بعد أن ينتهي من فتح هداياه. لذا انتظرت أن ينتهي من إبداء إعجابه بسترة الپايزلي والخفّ والغليون التي أهديتُه إياها، ومزَّقتُ غلاف هديتي الواحدة، وزعَقتُ من البهجة عندما رأيتُ أنه أهداني الشيء الذي كنتُ أشتهيه بالضبط: آيفون يفعل أشياء مختلفة عديدة لدرجة أنه جَعَل هاتف سيارة أبي يبدو عتيقاً.

الأمور تغيَّرت كثيراً منذ ذلك الوقت. الآن الآيفون الذي أهداني إياه أبي في احتفال شتاء 2007 هو العتيق، مثل خط الهاتف المشترك بين العائلات الخمسة الذي أخبَرني عنه عندما كان ولداً. حصلت تغيُّرات كثيرة، تطوّرات كثيرة، وقد حصَلت بسرعة كبيرة.

احتوى آيفون احتفال الشتاء على ستة عشر تطبيقاً فقط، وكلها محمَّلة فيه مسبقاً. أحدها هو يوتيوب، لأن أپل ويوتيوب كانا صديقين وقتها (هذا تغيَّر). وأحدها يدعى SMS، وهو تطبيق مراسلة نصية بدائي (لا رموز إيموجي - كلمة لم تكن قد اختُرعت بعد - إلا إذا صنعتها بنفسك). وكان هناك تطبيق عن الطقس يعطي معلومات خاطئة عادة. لكن يمكنك إجراء مكالمات هاتفية من شيء صغير كفاية ليتّسع في جيبك، وحتى أفضل، كان هناك تطبيق سافاري الذي يربطك بالعالم الخارجي. عندما تترعرع في بلدة ذات طرقات ترابية خالية من أي إشارات مرور مثل هارلو، يكون العالم الخارجي مكاناً غريباً ومغرياً، وتتوق إلى لمسه بطريقة لا يستطيع تلفزيون الكبل مضاهاتها. بالنسبة لي على الأقل. كانت كل تلك الأشياء بمتناول يدي، بفضل AT&T وستيف جوبز.

كان هناك تطبيقٌ آخر أيضاً، تطبيقٌ جَعَلني أفكِّر بالسيد هاريغان حتى في ذلك الصباح الفرِح الأول. شيء أجمل بكثير من راديو القمر الاصطناعي في سيارته. على الأقل للأشخاص أمثاله.

"شكراً يا أبي"، قلتُ وعانَقتُه. "شكراً جزيلاً!".

"فقط لا تُفرِط في استخدامه. رسوم الهاتف باهظة، وسأراقب مصروفك".

"ستنخفض"، قلتُ.

كنتُ محقّاً بشأن ذلك، وأبي لم يضايقني بشأن الرسوم أبداً. لم يكن لديّ أشخاص كثُر للاتصال بهم على أي حال، لكنني أحبَبتُ فيديوهات يوتيوب تلك (أبي أحبّها أيضاً)، وأحببتُ القدرة على تصفّح ما كنا نسمّيه الواو الثلاثية: الوولد وايد ويب (أو الويب العالمية). كنتُ أتصفّح أحياناً مقالات في البراڤدا، ليس لأنني أفهم الروسية بل لمجرد أنني قادر على ذلك.

بعد أقل من شهرين، عدتُ من المدرسة إلى المنزل، وفتحتُ صندوق البريد، ووجدتُ مغلفاً معنوناً إليّ بخط يد السيد هاريغان القديم الطراز. إنها بطاقة يوم العشّاق. دخَلتُ المنزل، ورميتُ كتبي المدرسية على الطاولة، وفتحته. لم تكن البطاقة مزخرفة أو مُزدانة بالزهور، فهذا ليس أسلوب السيد هاريغان، بل تُظهِر رجلاً في بذلة سهرة يُمسك قبعة عالية سوداء وينحني في حقل زهور. قالت الرسالة العامة المطبوعة داخلها، *أتمنى لك سنة مليئة بالحبّ والصداقة*. وتحت ذلك: *أطيب الأمنيات من السيد هاريغان*. رجل منحنٍ ماسكاً

قبعته بيده، وأطيب الأمنيات، ولا أمور شخصية. هكذا كان السيد هاريغان. بالنظر إلى الوراء الآن، أتفاجأ أنه اعتبر يوم العشّاق يستحق بطاقةً من الأصل.

عام 2008، استُبدلَت تذاكر *الشيطان المحظوظ* التي ثمنها دولار واحد بتذاكر تدعى *نقود شجرة الصنوبر* عليها صورة ست أشجار صنوبر. إذا عثرتَ على نفس القيمة تحت ثلاثة منها عندما تحكّها، تفوز بذلك المبلغ. حككتُ الأشجار وحدَّقتُ بما كشَفتُه تحتها. اعتقَدتُ في البدء أنه إما خطأ أو مزحة، رغم أن السيد هاريغان لم يكن من الصنف الذي يمزح. أعدتُ النظر وأنا أمرّر أصابعي على الأرقام المكشوفة، وأُبعِد الفتات الذي يسمّيه أبي (وهو يقلب عينيه دائماً) "أوساخ الحكّ". بقيت الأرقام هي نفسها. ربما ضحِكتُ، لا يمكنني أن أتذكَّر، لكنني أتذكَّر جيداً أنني صرختُ فرحاً.

أخرجتُ هاتفي الجديد من جيبي (رافقني ذلك الهاتف إلى كل مكان) واتصلتُ ببارميلو للجرّارات. ردَّت عليَّ موظفة الاستقبال دينيز وسألتني ما الخطب عندما سمِعت كم كنتُ ألهث.

"لا شيء، لا شيء"، قلتُ، "لكن عليَّ أن أكلّم أبي الآن".

"حسناً، انتظر لحظة". ثم أضافت: "تبدو كما لو أنك تتصل من الجهة الأخرى للقمر يا كريغ".

"أتصل من هاتفي الخلوي". آه كم أحبَبتُ قول ذلك.

أصدرت دينيز صوت تأفّف. "تلك الأشياء مليئة بالإشعاعات. لن أملك واحداً منها أبداً. انتظر".

أبي أيضاً سألني ما الخطب، لأنني لم أتصل به في عمله أبداً من قبل، حتى في ذلك اليوم عندما انطلقت حافلة المدرسة من دوني.

"أبي، تلقيتُ تذكرة حكّ يوم العشّاق من السيد هاريغان -"

"إذا اتصلتَ بي لتُخبرني أنك فزت بعشرة دولارات، كان يمكنك أن تنتظر إلى أن -"

"لا يا أبي، إنها الجائزة الكبرى!". وهذه ما كانت عليه لبطاقات الحكّ وقتها. *"لقد فزتُ بثلاثة آلاف دولار!"*.

أتاني صمتٌ من الطرف الآخر للخط. اعتقَدتُ ربما أن الخط انقطع، فالمكالمات تنقطع دائماً مع الهواتف الخلوية في تلك الأيام، حتى الجديدة منها. لم تكن مابَلْ أفضل والدةٍ دائماً.

"أبي؟ هل لا تزال معي؟".

"آه نعم. هل أنت متأكد؟".

"نعم! إنني أنظر إلى المبلغ مباشرة! ثلاثة آلاف ثلاث مرات! مرة في الصف العلوي ومرتين في السف السفلي!".

صمتٌ طويلٌ آخر، ثم سمِعتُ أبي يقول لأحدهم *أعتقد أن إبني فاز ببعض المال*، ثم عاد إليّ بعد لحظة. "ضعها في مكان آمن إلى أن أصل إلى المنزل".

"أين؟".

"ما رأيك بعلبة السكر في حجرة المؤن؟".

"نعم"، قلتُ. "نعم، حسناً".

"كريغ، هل أنت متيقِّن؟ لا أريد أن يخيب أملك، لذا تحقّق مرة أخرى".

أعدتُ التحقّق، مُقتنِعاً نوعاً ما أن ارتياب أبي سيغيِّر ما رأيتُه؛ على الأقل أحد تلك الأرقام 3000$ سيصبح شيئاً آخر الآن. لكنها بقيت نفسها.

أخبَرتُه ذلك، وضحِك. "حسناً إذاً، مبروك. مارسيل هذه الليلة، وعلى حسابك".

أضحكني هذا. لا يمكنني أن أتذكّر أنني شعرتُ بهكذا فرحٍ صافٍ في أي يوم من الأيام. احتجتُ إلى الاتصال

بشخص آخر، لذا اتصلتُ بالسيد هاريغان الذي ردَّ على خطه الأرضي الرجعي.

"سيد هاريغان، شكراً على البطاقة! وشكراً على التذكرة! أنا -"

"هل تتصل من جهازك اللعبة ذاك؟"، سأل. "لا شكّ بذلك، لأنني بالكاد قادر على سماعك. تبدو كأنك على الجهة الأخرى للقمر".

"سيد هاريغان، لقد فزتُ بالجائزة الكبرى! فزتُ بثلاثة آلاف دولار! شكراً جزيلاً!".

ساد صمتٌ، لكن ليس بنفس طول صمت أبي، وعندما تكلَّم مرة أخرى، لم يسألني إن كنتُ متأكداً. فقد احترم ذكائي بهذا الخصوص. "حظك كبير"، قال. "مبروك".

"شكراً!".

"على الرحب والسعة، لكن لا داعي للشكر حقاً، فأنا أشتري تلك الأشياء باللفّة، وأرسلها إلى الأصدقاء والمعارف المهنية كنوعٍ من... ممم... بطاقة زيارة، يمكنك القول. أفعل هذا منذ سنوات. وكان لا بدّ أن تُربِح إحداها جائزة كبيرة عاجلاً أم آجلاً".

"سيجعلني أبي أضع معظمه في المصرف. أظن أنه لا بأس بذلك. هذا سيعزّز بكل تأكيد مدخراتي للكلّية".

"أعطني إياه، إن أردتَ"، قال السيد هاريغان. "دعني أستثمره لك. أعتقد أنه يمكنني أن أكفل لك عائداً أفضل من فائدة المصرف". ثم، كما لو أنه يكلِّم نفسه أكثر مما يكلّمني: "شيء آمن جداً. لن تكون هذه السنة جيدة للبورصة. أرى سُحُباً في الأفق".

"بالتأكيد!"، قلتُ ثم أعدتُ النظر بقراري. "على الأقل على الأرجح. عليَّ أن أناقش الأمر مع أبي".

"بالطبع. يجدر بك ذلك. أخبِره أنني مستعد أيضاً أن أضمن المبلغ الأساسي. هل لا تزال قادماً لتقرأ لي بعد ظهر اليوم؟ أم ستصرف النظر عن هذه المهمة بعد أن أصبحت رجلاً مقتدراً الآن؟".

"بالتأكيد، فقط عليَّ أن أغادر عندما يصل أبي إلى المنزل. سنخرج لتناول العشاء". سكتُّ لبرهة. "هل تود مرافقتنا؟".

"ليس الليلة"، قال دون تردّد. "لعِلمك، كان يمكنك أن تخبرني بكل هذا شخصياً، بما أنك قادم على أي حال. لكنك تستمتع بجهازك اللعبة، أليس كذلك؟". لم ينتظر إجابة مني على ذلك؛ لم يحتج إلى واحدةٍ. "ما رأيك لو

تستثمر مكسبك المفاجئ الصغير بأسهم أبل؟ أظن أن تلك الشركة ستكون ناجحة جداً في المستقبل. أسمع أن الآيفون سيقضي على بلاكبيري. على كل حال، لا تقرّر الآن؛ ناقش الأمر مع أبيك أولاً".

"سأفعل"، قلتُ. "وسآتي فوراً. سأركض".

"الصبا شيء مدهش"، قال السيد هاريغان. "مؤسف أنه يُهدر على الأولاد".

"ماذا؟".

"الكثُر قالوا هذا، لكن شوه أفضل مَن عبّر عنه. لا تهتمّ. اركض، مهما كلَّف الأمر. اركض مثل البرق، لأن ديكنز ينتظرنا".

ركَضتُ الخمسمئة متر إلى منزل السيد هاريغان، لكنني عدتُ سائراً، وخطرت فكرة ببالي في طريق العودة. طريقة لأشكره بها، رغم قوله إن الشكر غير ضروري. أثناء تناولنا العشاء الفاخر في مطعم مارسيل تلك الليلة، أخبَرتُ أبي عن عرض السيد هاريغان بأن يستثمر لي مكسبي المفاجئ، كما أخبَرتُه عن فكرتي لهدية شكره. اعتقَدتُ أنه سيكون لدى أبي شكوكه، وكنتُ محقّاً.

"دعه يستثمر المال مهما كلَّف الأمر. أما بالنسبة لفكرتك... تعرف رأيه بهكذا أمور. فهو ليس أغنى رجل في هارلو فحسب - بل في ولاية ماين كلها - بل هو أيضاً الشخص الوحيد الذي لا يملك تلفزيوناً".

"لديه مصعد"، قلتُ. "ويستخدمه".

"لأنه مضطر إلى ذلك". ثم ابتسم لي أبي. "لكنه مالك، وإذا كان هذا ما تريد أن تفعله بعشرين بالمئة منه، فلن أعارضك. عندما يرفضه، يمكنك أن تعطيني إياه".

"تعتقد أنه سيرفضه حقاً؟".

"أجل".

"أبي، لماذا أتى إلى هنا في المقام الأول؟ أعني، نحن مجرد بلدة صغيرة. نحن في *مكانٍ ناءٍ*".

"سؤال جيد. اسأله يوماً ما. الآن ما رأيك ببعض الحلوى أيها المُنفِق الكبير؟".

بعد حوالي شهر، أهديتُ السيد هاريغان جهاز آيفون جديداً. لم أغلّفه كهدية أو أي شيء من هذا القبيل، جزئياً لأنه لم يكن هناك عيد وجزئياً لأنني أعرف كيف يحبّ أن تتم الأمور: من دون بهرجة.

قلبَ العلبة مرة أو مرتين بيديه المُصابين بالتهاب المفاصل، وبدا مرتبكاً، ثم مدَّه إليَّ. "شكراً يا كريغ، أقدِّر مشاعرك، لكن لا. أقترح أن تعطيه لأبيك".

أخذتُ العلبة. "أخبَرني أنك ستقول هذا". خاب أملي لكنني لم أتفاجأ. ولم أكن جاهزاً لأستسلم.

"أبوك رجل حكيم". مال إلى الأمام على كرسيه وشبك يديه بين رُكبتَيه المتباعدتين. "كريغ، نادراً ما أقدِّم نصيحة لأحد، فهذه مضيعة للوقت تقريباً دائماً، لكنني سأقدِّم لك واحدةً اليوم. قال هنري ثورو إننا لا نملك الأشياء، بل الأشياء تملكنا. كل غرض جديد - سواء كان منزلاً أو سيارةً أو تلفزيوناً، أو هاتفاً فاخراً مثل هذا - هو شيء إضافي يجب أن نحمله على ظهورنا. هذا يذكّرني بجاكوب مارلي يُخبر سكرُوج، 'هذه هي السلاسل التي صنعتُها في حياتي'. لا أملك تلفزيوناً لأنني سأشاهده عندها، رغم أن كل ما يُبَثّ عليه محض هُراء تقريباً. وليس لديَّ راديو في المنزل لأنني سأستمع إليه، وبعض موسيقى الريف لكسر رتابة رحلة طويلة في السيارة هو كل ما أتطلبه حقاً. لو كان عندي هذا -"

أشار إلى العلبة التي تحتوي على الهاتف.

"- فسأستخدمه بلا شك. أتلقى اثنتَي عشرة دورية مختلفة في البريد، وهي تحتوي على كل المعلومات التي أحتاج إليها لمجاراة عالم الأعمال وعالم الأفعال الحزينة". استرخى وتنهَّد. "هاك. لم أقدِّم لك نصيحة فحسب، بل ألقيتُ خِطاباً أيضاً. الشيخوخة ماكرة".

"هل يمكنني أن أُريكَ شيئاً واحداً فقط؟ لا، شيئين".

رمقني بإحدى النظرات التي رأيتُه يرمق بها بستانيه ومدبّرة منزله، لكنه لم يرمقني بها أبداً قبل بعد ظهر ذلك اليوم: نظرة ثاقبة، مشكّكة، وبشعة نوعاً ما. أُدرِك بعد تلك السنوات أنها النظرة التي يرمقها رجلٌ فَطِنٌ وساخرٌ عندما يكون مقتنعاً أنه يمكنه رؤية نفسية معظم الأشخاص ولا يتوقع أن يجد أي شيء جيد فيها.

"هذا يبرهن فقط القول القديم إنه لا يوجد تصرّف صالح لا يُكافأ. بدأتُ أتمنى لو أن تذكرة الحكّ تلك لم تُربحك شيئاً". تنهّد مرة أخرى. "حسناً، تفضَّل، أرني ما تريد. لكنك لن تغيِّر لي رأيي".

بعد تلقي تلك النظرة غير الودّية والباردة جداً، شَعَرتُ أنه كان محقّاً. سينتهي بي المطاف بأن أعطي الهاتف إلى أبي. لكن أكملتُ بما أنني قطعتُ كل هذا الشوط. الهاتف مشحون إلى الحد الأقصى، لقد تأكدتُ من ذلك،

ويعمل بشكل ممتاز. شغّلتُه وأريتُه رمزاً في الصف الثاني فيه خطوط متعرّجة، كما لو أنه نتيجة تخطيط كهربائية القلب. "أترى هذا الرمز؟".

"نعم، وأرى ما يقوله. لكنني لا أحتاج حقاً إلى تقرير البورصة يا كريغ. أنا مشترك بوول ستريت جورنال، مثلما تعرف".

"بالتأكيد"، وافَقتُه الرأي، "لكن وول ستريت جورنال لا تستطيع أن تفعل هذا".

ضغطتُ الرمز وفتحتُ التطبيق. ظَهَر مؤشر داو جونز. لم تكن لديَّ أي فكرة عن معنى تلك الأرقام، لكن يمكنني رؤية أنها تتقلَّب. 14,720 ارتفع إلى 14,728، ثم انخفض إلى 14,704، ثم ارتفع إلى 14,716. حملَقت عينا السيد هاريغان وفغر فمه، وبدا مذهولاً كما لو أن برقاً أصابه. أخذ الهاتف وقرَّبه من وجهه، ثم نظَرَ إليَّ.

"هل هذه الأرقام *بالوقت الحقيقي*؟".

"نعم"، قلتُ. "حسناً، أظن أنها قد تكون متأخرة دقيقة أو دقيقتين، لستُ متأكداً. الهاتف يسحبها من برج الهاتف الجديد في موتون. نحن محظوظون لوجود واحد قريب إلى هذا الحدّ".

مال إلى الأمام، وارتسمت ابتسامة متردِّدة على أطراف فمه. "تباً. إنه مثل شريط البورصة الذي كان الأقطاب يملكونه في منازلهم".

"آه، أفضل منه بكثير"، قلتُ. "تتأخر أشرطة البورصة تلك بعدة *ساعات* أحياناً، هكذا قال أبي ليلة أمس. إنه مفتون بتطبيق البورصة هذا، ويأخذ هاتفي لينظر إليه دائماً. قال إن أحد أسباب انهيار البورصة عام 1929 هو أنه كلما ازداد عدد الأشخاص المتداولين، كلما تأخرت أشرطة البورصة".

"إنه محقّ"، قال السيد هاريغان. "ساءت الأمور كثيراً قبل أن يتمكن أي شخص من الدوس على الفرامل. بالطبع، شيء كهذا قد يسرِّع عمليات البيع في الواقع. من الصعب الحُكم على ذلك لأن التكنولوجيا لا تزال جديدة".

انتظَرتُ. أردتُ إخباره المزيد، أن أرغِّبه به - كنتُ مجرد ولد في النهاية - لكن شيئاً أفهمني أن الانتظار هو الخيار الأنسب. تابَع يراقب تقلّبات داو جونز الطفيفة جداً. كان يتلقى تدريباً أمام ناظريَّ مباشرة.

"لكن"، قال وهو لا يزال يحدِّق بالشاشة.

"لكن ماذا يا سيد هاريغان؟".

"بين يدَي شخص يعرف السوق فعلاً، بإمكان شيء كهذا... وربما *يفعل* ذلك من قبل...". انخفضَ صوته وراح يفكِّر. ثم قال، "كان يجب أن أعلم عن هذا من قبل. التقاعد ليس عذراً".

"إليك شيئاً آخر"، قلتُ وقد نفد صبري ولم أعد أطيق الانتظار أكثر. "أتعرف كل المجلات التي تتلقاها؟ نيوزويك وفايننشل تايمز وفوردز؟".

"فوربز"، قال وهو لا يزال يراقب الشاشة. ذكَّرني بنفسي في سنّ الرابعة وأنا أدرس الكُرة 8 العجيبة التي تلقيتُها كهدية في ذكرى ولادتي.

"نعم، تلك. هل يمكنني أن آخذ الهاتف لدقيقة؟".

أعاده لي على مضض، وكنتُ متأكداً تماماً أنني أثرت اهتمامه بالكامل. كنتُ مسروراً، لكنني خجِلتُ من نفسي قليلاً أيضاً، كما لو أنني شابٌّ ضرب سنجاباً مروَّضاً على رأسه عندما ظَهَر ليأخذ حبّة بندق من يده.

فتَحتُ سافاري. كان بدائياً أكثر بكثير مما هو عليه اليوم، لكنه عمِل بشكلٍ كافٍ. بحثتُ عن وول ستريت جورنال في حقل بحث غُوغل، وظهرت الصفحة الأولى بعد بضع ثوانٍ. قال أحد العناوين *إعلان كوفي كاو عن إيقاف أعمالها*. أريتُه إياه.

حدَّق به، ثم أخذ الصحيفة عن الطاولة التي بجانب الكرسي المريح حيث وضعتُ بريده عندما دخَلتُ. نظَرَ إلى الصفحة الأولى. "هذا ليس هنا"، قال.

"لأنها أخبار البارحة"، قلتُ. أُخرج دائماً الرسائل من صندوق بريده عندما أذهب إلى منزله، وتكون صحيفة الجورنال ملفوفة دائماً حول بقية الأمور ومثبَّتة بحزام مطاطي. "تحصل عليها متأخرة يوماً كاملاً. هذا ما يحصل مع الجميع". وخلال موسم الأعياد، تصل متأخرةً يومين وأحياناً ثلاثة. لم أحتج إلى إخباره هذا، فهو يواصل التذمُّر بشأنه طوال نوفمبر وديسمبر.

"هذه أخبار اليوم؟"، سأل وهو ينظر إلى الشاشة. ثم تحقَّق من التاريخ في أعلى الشاشة: "إنها كذلك!".

"بالتأكيد"، قلتُ. "أخبار طازجة بدلاً من أخبار بالية، صح؟".

"وفقاً لهذا، هناك خريطة للمواقع التي ستتوقف عن العمل. هل يمكنك أن تُريني كيفية الوصول إليها؟". بدا طمّاعاً، وهذا أخافني قليلاً. لقد ذكرَ سكرُوج ومارلي؛ وشَعَرتُ كما لو أنني ميكي ماوس في فيلم فانتازيا أستخدم تعويذةً لا أفهمها حقاً لإيقاظ المكانس.

"يمكنك أن تفعل ذلك بنفسك. فقط اسحب الشاشة بإصبعك، هكذا".

أريتُه الطريقة. سحبَ بقوة كبيرة في البدء وذهَب بعيداً جداً، لكنه أجاد الحركة بعد ذلك. أسرع من أبي، في الواقع. وجَد الصفحة الصحيحة. "انظر إلى هذا"، قال متعجِّباً. "ستمئة مخزن! أترى ما كنتُ أُخبِرك عن ضُعف...". انخفضَ صوته وهو يحدِّق بالخريطة الصغيرة جداً. "الجنوب. معظم عمليات توقف الأعمال تتم في الجنوب. الجنوب هو الزعيم يا كريغ، هكذا هو تقريباً دائماً... أعتقد أنني أحتاج إلى الاتصال بنيويورك. ستُغلق البورصة قريباً". بدأ ينهض لأن هاتفه العادي على الجهة الأخرى للغرفة.

"يمكنك أن تتصل من هذا"، قلتُ. "هذا هدفه الأساسي". هذا ما كان عليه وقتها، على أي حال. ضغطتُ رمز الهاتف، وظَهَرت لوحة المفاتيح. "فقط اطلب الرقم الذي تريده. اضغط المفاتيح بإصبعك".

نظَرَ إليّ بعينين زرقاوين ساطعتين تحت حاجبين بيضاوين أشعثين. "يمكنني فعل ذلك هنا في هذا المكان النائي؟".

"نعم"، قلتُ. "إشارة الاستقبال رائعة بفضل البرج الجديد. لديك أربعة أشرطة".

"أشرطة؟".

"لا تهتمّ، فقط إجرِ مكالمتك. سأتركك بمفردك بينما تفعل ذلك، فقط لوِّح لي عبر النافذة عندما -"

"لا داعي. هذا لن يستغرق وقتاً طويلاً، وما سأفعله ليس سراً".

لمَس الأرقام متردِّداً كما لو أنه توقَّع أن يتسبَّب بوقوع انفجار، ثم رفع الآيفون إلى أذنه بنفس التردّد تماماً، ونظر إليَّ للتأكيد. أومأتُ برأسي تشجيعاً. أنصتَ، وتكلَّم مع شخصٍ (بصوتٍ صاخبٍ جداً في البدء)، ثم انتظر برهةً وتكلَّم مع شخصٍ آخر. لذا كنتُ هناك قربه عندما باع السيد هاريغان كل أسهمه في شركة كوفي كاو، وهي صفقة بلغت قيمتها عدة آلاف من الدولارات لم أعرف كم هي بالضبط.

عندما انتهى، اكتشَف بمفرده كيفية العودة إلى شاشة البداية. من هناك فتَح سافاري مرة أخرى. "هل فوربز هنا؟".

تحقّقتُ. لم تكن هناك. "لكن إذا كنتَ تبحث عن مقالٍ من فوربز تعرف عنه من قبل، يمكنك إيجاده على

الأرجح، لأن شخصاً ما سيكون قد نشره".

"نشره -؟"

"أجل، وإذا أردتَ معلومات عن شيء ما، سيبحث سافاري عنها. ما عليك سوى استخدام غُوغل. انظر". اقتربتُ من كرسيه وكتبتُ كوفي *كاو* في حقل البحث. فكَّر الهاتف، ثم تقيأ عدة نتائج بحث، من بينها مقال وول ستريت جورنال الذي اتصل بسمساره بسببه.

"هلاّ نظرتَ إلى هذا؟"، قال متعجِّباً. "إنها الانترنت".

"آه، نعم"، قلتُ وأنا أفكِّر في سرّي، *وأين العجب في هذا*.

"الويب العالمية".

"نعم".

"منذ متى وهي متوفرة هكذا؟".

يجب *أن تعرف هذه الأمور*، فكَّرتُ في سرّي. *أنت رجل أعمال كبير، يجب أن تعرف هذه الأمور حتى ولو كنتَ متقاعداً، لأنك لا تزال مهتماً*.

"لا أعرف منذ متى بالضبط، لكن الناس يستخدمونها طوال الوقت. أبي، أساتذتي، الشرطة... الجميع، حقاً". وبحدّة أكبر: "بما في ذلك شركاتك يا سيد هاريغان".

"آه، لكنها لم تعد شركاتي بعد الآن. أعرف القليل يا كريغ، مثلما أعرف القليل عن مختلف البرامج التلفزيونية رغم أنني لا أشاهد التلفزيون. عندي مَيل إلى تخطي مقالات التكنولوجيا في صحفي ومجلاتي، لأنني لا أهتمّ بها. إذا أردتَ أن تتكلَّم معي عن البولينغ أو شبكات توزيع الأفلام، فهذه مسألة مختلفة. أحافظ على مستوى مهاراتي، إذا جاز التعبير".

"نعم، لكن ألا ترى... تلك الشركات تستخدم التكنولوجيا. وإذا كنتَ لا تفهمها..."

لم أعرف كيف أُنهي جملتي، على الأقل دون أن أشرد أبعد من حدود التهذيب، لكن بدا أنه عرَف كيف. "سأصبح خارج الزمن. هذا ما تقوله".

"أظن أن هذا لا يهمّ"، قلتُ. "فأنت متقاعد، في النهاية".

"لكنني لا أريد أن أُعتبر *مغفَّلاً*"، قال بحدّة. "هل تعتقد أن تشيك رافرتي تفاجأ عندما اتصلتُ به وطلبتُ منه أن يبيع أسهمي في كوفي كاو؟ على الإطلاق، لأنه بلا شك تلقى مكالمات من ستة عملاء رئيسيين آخرين ليُخبِروه أن يفعل الشيء نفسه. حصل بعضهم بلا شكّ على معلومات داخلية. لكن الآخرين صدف أنهم

يعيشون في نيويورك أو نيوجيرسي واستلموا صحيفة الجورنال في نفس يوم صدورها وهكذا عرَفوا. على عكسي، أنا المركون جانباً هنا في هذه البرية".

تساءلتُ مرة أخرى لماذا أتى إلى هنا من الأصل - فبالطبع ليس لديه أنسباء في البلدة - لكن هذا لم يبدُ الوقت المناسب لسؤاله.

"ربما كنتُ متغطرساً". أطال التفكير بهذا، ثم ابتسم في الواقع، وهذا بدا أشبه بمشاهدة الشمس تخترق غطاءً سحابيّاً سميكاً في يوم بارد. "لقد كنتُ متغطرساً". رفع الآيفون. "سأحتفظ بهذا في النهاية".

أول شيء أتى على لساني هو *شكراً*، لكن هذا كان ليبدو غريباً. لذا اكتفيتُ بقول، "جيد. أنا مسرور".

ألقى نظرة سريعة على الساعة ماركة شيث توماس على الجدار (ثم تحقّق من الوقت على الآيفون، وهذا سرّني كثيراً). "لماذا لا نقرأ فصلاً واحداً فقط اليوم، بما أننا أضعنا الكثير من الوقت في التكلّم؟".

"لا مانع عندي"، قلتُ، رغم أنني كنتُ سأبقى لمدة أطول بكل سرور واقرأ فصلين أو حتى ثلاثة فصول. كنا قد اقتربنا من نهاية *الأخطبوط* تأليف رجل يدعى فرانك نوريس، وكنتُ متحمّساً لمعرفة كيف ستتطوّر

الأحداث. صحيح أنها رواية قديمة الطراز، لكنها مليئة بأمور مشوِّقة أيضاً.

عندما انتهت الجلسة المقصَّرة، رويث نباتات السيد هاريغان القليلة التي داخل المنزل. لطالما فعلث ذلك كآخر مهمة لي في عملي اليومي، ولم تستغرق إلا بضع دقائق. بينما فعلث ذلك، رأيثه يلعب بالهاتف، فيشغّله ويُطفئه.

"أظن أنني إذا كنث سأستخدم هذا الشيء، فمن الأفضل أن تعلّمني كيفية استخدامه"، قال. "كيف أمنعه من أن ينطفئ كلياً. أرى أن الشحنة انخفضت من قبل".

"ستتمكن من اكتشاف معظم تلك الأمور من تلقاء نفسك"، قلث. "هذا سهل جداً. أما بالنسبة لشحنه، هناك سلك في العلبة. فقط اقبسه في الجدار. يمكنني أن أُريك بضعة أشياء أخرى، إذا كنت -"

"ليس اليوم"، قال. "ربما غداً".

"حسناً".

"لكن سؤالاً آخر. لماذا أمكنني قراءة ذلك المقال عن كوفي كاو، والنظر إلى تلك الخريطة المقترحة للمواقع التي ستتوقف عن العمل؟".

أول شيء تبادر إلى ذهني هو جواب هيلاري بشأن تسلّق جبل إفرست، والذي قرأنا عنه للتو في المدرسة: *لأنه هناك*. لكنه ربما كان سيعتبر هذا الجواب تذاكياً، وهو هكذا نوعاً ما. لذا قلتُ، "لم أفهمك".

"حقاً؟ فتى ذكي مثلك؟ فكِّر يا كريغ، فكِّر. لقد قرأتَ للتو شيئاً مجاناً هناك أشخاص يدفعون مالاً جيداً لقراءته. وحتى كلفة الاشتراك بصحيفة الجورنال، والتي هي أرخص بكثير من ثمن شرائها من أي كشك صحف، تجعلني أدفع تسعين سنتاً تقريباً لكل عدد. ومع ذلك فإن هذا..." رَفَع الهاتف تماماً مثلما أصبح آلاف الأولاد يرفعون هواتفهم في حفلات الروك الموسيقية بعد ذلك بسنوات قليلة. "هل تفهم الآن؟".

بالتأكيد فهمتُ قصده عندما عبَّر عنه بهذه الطريقة، لكن لم يكن عندي أي جواب. بدا لي -

"يبدو غبياً، أليس كذلك؟"، سألني إما لأنه قرأ التعبير على وجهي أو أفكاري. "إفشاء معلومات مفيدة هو أمر يتعارض مع كل شيء أفهمه عن الممارسات التجارية الناجحة".

"ربما..."

"ربما ماذا؟ فسِّر لي. وأنا لا أسخر منك الآن. من الواضح أنك تعرف عن هذا أكثر مني بكثير، لذا أخبِرني رأيك".

كنتُ أتذكَّر معرض فرايبورغ، حيث أذهب وأبي مرة أو مرتين كل أكتوبر. نأخذ عادة صديقتي مارجي، من الطرف الآخر لشارعنا. ألعب ومارجي بكل الألعاب، ثم نأكل ثلاثتنا بعض الدونات والنقانق الحلوة قبل أن يجرّنا أبي لرؤية الجرّارات الجديدة. للوصول إلى حظائر المعدّات، عليك أن تمرّ بخيمة بِينو، وهي هائلة الحجم. أخبَرتُ السيد هاريغان عن الرجل الذي يقف عند مدخلها حاملاً ميكروفوناً ليُخبر المارة أنه يمكنهم أن يلعبوا أول لعبة مجاناً دائماً.

فكَّر بهذا. "إغراء؟ أظن أن هذا منطقي إلى حدّ ما. تقول إنه يمكنك قراءة مقال واحد فقط، وربما مقالين أو ثلاثة، ثم الآلة... ماذا؟ تُغلق الباب في وجهك؟ تُخبِرك أنك إذا كنتَ تريد أن تلعب، عليك أن تدفع؟".

"لا"، أقرَّيتُ. "أظن أن الأمر لا يشبه خيمة بِينو في النهاية، لأنه يمكنك قراءة قدر ما تشاء من المقالات. على حد علمي، على الأقل".

"لكن هذا جنون. فإفشاء عيّنة مجانية يختلف كلياً عن إفشاء *المخزن*...". نخَر. "ولم تكن هناك *إعلانات* حتى، هل لاحظتَ ذلك؟ الإعلانات مصدر دخل هائل للصحف والدوريات. هائل".

رفع الهاتف، وحدَّق بانعكاس صورته على الشاشة الفارغة الآن، ثم وضعه من يده وحدَّق بي مبتسماً ابتسامة فظّة غريبة.

"ربما ننظر هنا إلى خطأ جسيم يا كريغ، خطأ ارتكبه أشخاص لا يفهمون النواحي العملانية لشيء كهذا - عواقبه - أكثر مني. هناك زلزال اقتصادي قادم نحونا على الأرجح. كل ما أعرفه هو أنه وصل إلينا من قبل. زلزال سيغيِّر طريقة حصولنا على المعلومات، ومتى نحصل عليها، وأين نحصل عليها، وبالتالي كيف ننظر إلى العالم". سكت قليلاً. "وكيف نتعاطى معه، بالطبع".

"لقد ضيّعتني"، قلتُ.

"انظر إلى الأمر من هذا المنظار. إذا حصلتَ على جروٍ، عليك أن تعلِّمه كيف يقضي حاجته في الخارج، صح؟".

"صح".

"لو كان عندك جرو غير مروّض منزلياً، هل ستعطيه أطايب لأنه تبرَّز في غرفة الجلوس؟".

"بالطبع لا"، قلتُ.

أومأ برأسه. "لأن ذلك سيعلّمه عكس ما تريد أن تعلِّمه إياه بالضبط. وعندما تتعلق المسألة بالتجارة يا كريغ، معظم الأشخاص أشبه بجراءٍ يجب ترويضها منزلياً".

لم يعجبني ذلك المفهوم كثيراً، ولا يعجبني اليوم - أعتقد أن مبدأ الثواب والعقاب يقول الكثير عن طريقة صنع السيد هاريغان لثروته - لكنني أبقيتُ فمي مغلقاً. كنتُ أراه بطريقة جديدة. بدا أشبه بمستكشِف قديم في رحلة استكشافية جديدة، والاستماع له أمرٌ فاتنٌ. لا أعتقد أيضاً أنه كان يحاول تعليمي حقاً. كان يعلِّم نفسه، ولرجلٍ في منتصف ثمانيناته، كان يتعلَّم بسرعة.

"العيّنات المجانية أمر جيد، لكن إذا أعطيتَ الناس الكثير من الأشياء المجانية، سواء كان ذلك ملابس أو طعام أو معلومات، سيتوقّعون الحصول عليها مجاناً دائماً. مثل الجراء التي تتبرَّز على الأرض، ثم تنظر إلى عينيك مباشرة، وما تفكِّر فيه هو، 'أنتَ علَّمتني أن لا بأس بهذا'. لو كنتُ وول ستريت جورنال... أو التايمز... حتى ريدرز دايجست اللعينة... لخفتُ كثيراً من هذا

الجهاز اللعبة". رَفَع الآيفون مرة أخرى، وبدا أنه غير قادر على تركه وشأنه. "إنه أشبه بأنبوب مياه رئيسي مكسور، يتقيأ معلوماتٍ بدلاً من مياه. ظننتُ أننا نتكلَّم عن مجرد هاتف، لكنني أرى الآن... أو بدأتُ أرى..."

هزَّ رأسه، كما لو أنه يصفّي ذهنه.

"كريغ، ماذا لو أن شخصاً يملك معلومات عن دواء جديد قيد التطوير قرّر أن يضع نتائج الاختبارات على هذا الشيء لكي يقرأه العالم بأسره؟ بإمكان ذلك أن يكلِّف شركة الأدوية تلك ملايين الدولارات. أو لنفترض أن شخصاً ساخطاً قرَّر أن يكشف أسراراً حكوميةً؟".

"ألن يُعتقَل؟".

"ربما. هذا مرجَّح. لكن بعدما يُعصَر معجون الأسنان إلى خارج الأنبوب، مثلما يقولون... حسناً، لا تهتمّ. من الأفضل أن تعود إلى منزلك وإلا فستتأخر على العشاء".

"حالاً".

"شكراً مرة أخرى على الهاتف. لن أستخدمه كثيراً على الأرجح، لكنني أنوي أن أفكِّر بالمسألة. سأفكِّر ملياً قدر ما أستطيع، على الأقل. لم يعد ذهني رشيقاً مثلما كان في الماضي".

"أعتقد أنه لا يزال رشيقاً كثيراً"، قلتُ، ولم أكن أتملّقه. لماذا لا توجد إعلانات إلى جانب الأخبار وفيديوهات يوتيوب؟ سيضطر الناس إلى النظر إليها، صح؟ "بالإضافة إلى ذلك، يقول أبي إن الفكر هو المهم".

"قول مأثور يقال أكثر مما يُلتزَم به في أغلب الأحيان"، قال، ثم أضاف عندما رأى الحيرة على وجهي: "لا تهتمّ. سأراك غداً يا كريغ".

أثناء عودتي نزولاً على التلة، وأنا أركل كتل أواخر ثلج تلك السنة، فكّرتُ بما قاله لي: أن الانترنت أشبه بأنبوب مياه رئيسي مكسور يتقيأ معلومات بدلاً من مياه. هذا ينطبق أيضاً على حاسوب أبي المحمول، والحواسيب التي في المدرسة، وتلك المنتشرة في كل أنحاء البلاد، أو بالأحرى العالم. رغم أن الآيفون كان لا يزال جديداً بالنسبة له لدرجة أنه بالكاد يمكنه اكتشاف كيفية تشغيله، إلا أن السيد هاريغان فهِم فوراً الحاجة إلى إصلاح الأنبوب المكسور إن كانت الأعمال التجارية - مثلما عرَفها، على أي حال - ستتواصل على سابق عهدها دائماً. لستُ متأكداً، لكنني أعتقد أنه توقَّع ظهور جدران الدفع حتى قبل سنة أو سنتين من صياغة هذا

المصطلح. بالطبع لم أكن أعرف ذلك وقتها، مثلما لم أكن أعرف كيفية خداع العمليات المحظورة - ما أصبح يسمّى *الهروب من السجن*. أتت جدران الدفع، لكن وقتها كان الناس قد اعتادوا على الحصول على الأشياء مجاناً، وامتعَضوا من اضطرارهم إلى دفع المال. لذا توجَّه الأشخاص الذين اصطدموا بجدار دفع نيويورك تايمز إلى مواقع مثل CNN أو هافينغتون بوست، رغم أن التقارير لم تكن بنفس الجودة. (إلا إذا أردتَ بالطبع أن تتعلَّم عن موضة جديدة معروفة بـ "إظهار ثديي المرأة من الجانب"). كان السيد هاريغان محقّاً تماماً بشأن ذلك.

بعد العشاء تلك الليلة، وبعدما غُسلت الأطباق ووُضعت مكانها، فتح أبي حاسوبه المحمول على الطاولة. "وجَدتُ شيئاً جديداً"، قال. "إنه موقع يدعى previews.com يتيح لك رؤية المشاهد الأولية للأفلام القادمة".

"حقاً؟ دعنا نرى بعضها!".

لذا طوال نصف الساعة التالية، شاهدنا مقتطفات من أفلام كنا سنضطر إلى الذهاب إلى صالة السينما لكي نشاهدها.

كان ذلك سيجعل السيد هاريغان يشدّ شعره. أو ما بقي منه.

أثناء العودة من منزل السيد هاريغان في ذلك اليوم من مارس 2008، كنتُ متأكداً تماماً أنه مخطئ بشأن شيء واحد. *لن أستخدمه كثيراً على الأرجح*، قال، لكنني لاحَظتُ النظرة على وجهه وهو يحدِّق بالخريطة التي تُظهِر إغلاق كوفي كاو. والسرعة الكبيرة التي استخدَم بها هاتفه الجديد ليتصل بشخص في نيويورك (محاميه ومدير أعماله في آن، حسبما عرَفتُ لاحقاً، وليس سمساره).

وكنتُ محقّاً، فقد استخدَم السيد هاريغان ذلك الهاتف كثيراً. كان مثل عمّة عجوزة عزباء تناولت على سبيل التجربة مقداراً ضئيلاً من شراب العنب بعد ستين سنة من الامتناع وأصبحت مدمنة شراب أصيلة بين ليلة وضحاها. سرعان ما اتّخذ ذلك الآيفون مكاناً دائماً له على الطاولة بجانب كرسيه المفضَّل عندما أزوره بعد الظهر. الله أعلم كم هو عدد الأشخاص الذين يتصل بهم، لكنني أعرف أنه يتصل بي كل ليلة تقريباً ليسألني سؤالاً ما عن قدرة جديدة اكتسبها. قال لي ذات مرة إن

الهاتف أشبه بمكتب قديم الطراز مليء بجوارير ومخابئ صغيرة من السهل التغاضي عنها.

وجَد معظم الجوارير والمخابئ بنفسه (بمساعدة من مصادر مختلفة على الانترنت)، لكنني ساعَدتُه - يمكنك القول إنني مكّنتُه - في البداية. عندما أخبَرني أنه يكره صوت الكسيلوفون الصغير المتزمّت الذي يصدُر عندما يتلقى اتصالاً، غيّرتُه له إلى جزء من أغنية تامي واينَت "سانِدي رَجلك". اعتقَد السيد هاريغان أنها أشبه بصيحة استهزاء. أريتُه كيف يضبط الهاتف عند الصيغة الصامتة لكي لا يزعجه عندما يأخذ قيلولته بعد الظهر، وكيف يضبط جرس المنبّه، وكيف يسجّل رسالةً عندما لا يرغب بالردّ. (كانت رسالته من الصنف الموجز: "أنا لا أردّ على هاتفي الآن. سأعاود الاتصال بك إذا بدا لي ذلك ملائماً"). بدأ ينزع سلك هاتفه الأرضي عندما يأخذ قيلولته اليومية، ولاحَظتُ أنه بدأ يتركه منزوعاً أكثر فأكثر. كان يرسل لي رسائل نصية، والتي كانت تسمّى منذ عشر سنوات *مراسلة فورية*. ويلتقط صوراً بالهاتف لحبّات فطر في الحقل الذي خلف منزله ويرسلها بالبريد الإلكتروني لكي يتعرَّف عليها. ويدوِّن ملاحظات في

تطبيق الملاحظات، كما اكتشف فيديوهات لفناني أغاني الريف المفضَّلين لديه.

"لقد ضيَّعتُ ساعةً من ضوء الصيف الجميل هذا الصباح لكي أشاهد فيديوهات جورج جونز"، أخبَرني لاحقاً تلك السنة بمزيجٍ من الخِزي ونوعٍ غريبٍ من الافتخار.

سألتُه ذات مرة لماذا لم يشترِ حاسوباً محمولاً، فهذا سيجعله قادراً على فعل كل الأشياء التي تعلَّم أن يفعلها على هاتفه، والشاشة الأكبر تمكّنه من رؤية بورتر واغونر بكل مَجده المرصَّع بالجواهر. هزَّ السيد هاريغان رأسه فحسب وضحِك. "ابعد عني يا شيطان. هذا كما لو أنك علَّمتني أن أدخِّن الماريجوانا وأستمتع بها، والآن تقول لي، 'إن أعجبك هذا المخدِّر، فسيعجبك الهيرويين *حقاً*'. لا أعتقد يا كريغ. هذا كافٍ بالنسبة لي". وربَّت على الهاتف بمَوَدّة، مثلما قد يربِّت المرء على حيوان صغير نائم. جرو، مثلاً، أصبح مروَّضاً منزلياً أخيراً.

قرأنا رواية *إنهم يقتلون الخيول، أليس كذلك؟* في خريف 2008، وعندما طلب السيد هاريغان أن نتوقف باكراً بعد ظهر أحد الأيام (قال إن كل ماراثونات الرقص تلك مُرهقة)، دخَلنا المطبخ حيث ترَكت لنا السيدة

غروغان طبق كعكات دقيق الشوفان. سار السيد هاريغان ببطء وتثاقل مستنداً على عكازه، وسرتُ خلفه على أمل أن أتمكن من التقاطه إن وَقَع.

جلَس ناخراً ومكشِّراً وأخذ إحدى الكعكات. "إدنا العزيزة"، قال. "أحبّ هذه الأشياء، وهي تدفع أمعائي إلى العمل دائماً. هلاّ أحضَرتَ كوب حليب لكل واحد منا يا كريغ؟".

بينما أحضرتُ الحليب، تذكَّرت سؤالاً بقيتُ أنسى أن أطرحه عليه. "لماذا انتقلتَ للعيش هنا يا سيد هاريغان؟ يمكنك العيش في أي مكان".

أخذ كوب حليبه وقام بإيماءة *بصحتك*، مثلما يفعل دائماً، وقمتُ بنفس الإيماءة له أيضاً، مثلما أفعل دائماً. "أين ستعيش يا كريغ؟ لو كنتَ قادراً، مثلما تقول، أن تعيش في أي مكان؟".

"لوس أنجلوس ربما، حيث يصنعون الأفلام. يمكنني البدء من معدّات الجرّ، ثم أشقّ طريقي صعوداً". ثم أخبَرتُه سراً عظيماً. "ربما يمكنني التأليف للسينما".

اعتقَدتُ أنه قد يضحك، لكنه لم يفعل ذلك. "حسناً، أظن أن أحداً يجب أن يفعل ذلك، ولما لا يكون أنت؟

ألن تشعر بالحنين إلى المنزل أبداً؟ لترى وجه أبيك، أو لتضع الزهور على قبر أمك؟".

"آه، سأعود"، قلتُ، لكن سؤاله - وذِكره أمي - جعلني أسكت.

"أردتُ تغييراً تاماً"، قال السيد هاريغان. "بصفتي شخصاً عاش حياته كلها في المدينة - ترعرعتُ في بروكلين قبل أن أصبح... لا أعرف، نوعاً من نبتة مُعلَّقة - أردتُ الابتعاد عن نيويورك في سنواتي الأخيرة. أردتُ أن أعيش في مكان ما في الريف، لكن ليس ريف السائحين، أماكن مثل كامدن وكاستين وبار هاربور. أردتُ مكاناً لا تزال الطرقات فيه غير مرصوفة".

"حسناً"، قلتُ، "أتيتَ إلى المكان الصحيح تماماً".

ضحِك وأخذ كعكة أخرى. "فكَّرتُ بولايتَي داكوتا... ونبراسكا... لكنني قرَّرتُ في نهاية المطاف ألا أبالغ إلى ذلك الحدّ. جعلتُ مساعِدي يُحضر لي صوراً لبلدات كثيرة في ماين ونيو هامبشاير وفيرمونت، وهذا هو المكان الذي اخترتُه. بسبب التلة. هناك مناظر في كل اتجاه، لكنها مناظر غير *مذهلة*. فالمناظر المذهلة قد تجذب السيّاح، وهذا بالضبط ما لم أريده. يروق لي

المكان هنا. يروق لي الهدوء، يروق لي الجيران، وأنت تروق لي يا كريغ".

هذا أسعدني.

"هناك شيء آخر. لا أعرف كم قرأتَ عن حياتي المهنية، لكن إذا كنتَ قد فعلتَ ذلك - أو ستفعل ذلك في المستقبل - ستجد الكثير من الآراء بأنني كنتُ عديم الرحمة وأنا أتسلَّق ما يسمّيه الأشخاص الحسودون والجاهلون فكرياً 'سُلّم النجاح'. تلك الآراء ليس خاطئة كلياً. لقد صنعتُ أعداءً، أُقرّ بذلك بكل صراحة. عالم الأعمال يشبه كُرة القدم يا كريغ. إذا اضطررتَ إلى إيقاع أحدهم لكي تصل إلى المرمى، من الأفضل لك أن تفعل ذلك، وإلا لا يجب أن ترتدي زيّ الفريق وتخرج إلى الملعب من الأصل. لكن عندما تنتهي المباراة - ومباراتي قد انتهت، رغم أنني أحافظ على مستوى مهاراتي بالممارسة - تخلع الزيّ وتعود إلى المنزل. هذا هو المنزل بالنسبة لي الآن. هذه الزاوية غير الباهرة من أميركا، التي تضم متجراً واحداً والتي ستُغلَق مدرستها، برأيي، قريباً. لم يعد الناس 'يأتون للزيارة من أجل شرب فنجان قهوة'. لم أعد مضطراً أن أحضر غداوات عمل مع أشخاص يريدون شيئاً *دائماً*. ولم أعد أتلقى دعوات

للمشاركة في اجتماعات مجلس الإدارة. لم أعد مضطراً أن أحضر مآدب الجمعيات الخيرية التي تُضجرني حتى الموت، ولم أعد مضطراً أن أستيقظ عند الخامسة صباحاً على صوت شاحنات النفايات في الشارع الواحد والثمانين. سأُدفَن هنا، في مقبرة الدردار بين جنود الحرب الأهلية، ولن أضطر أن أفرض سلطتي أو أرشو مُشرِفاً على القبور لكي أحصل على قطعة أرض لطيفة. هل أيٌ من هذا يشرح لك؟".

يشرح ولا يشرح. كان سراً بالنسبة لي، إلى النهاية وحتى ما بعدها. لكن ربما هذا حقيقي دائماً. أعتقد أننا نعيش لوحدنا في الأغلب. بكامل إرادتنا، مثله، أو فقط لأن هذه هي الطريقة التي يسير بها العالم. "نوعاً ما"، قلتُ. "على الأقل لم تنتقل إلى داكوتا الشمالية. أنا مسرور من ذلك".

ابتسم. "وأنا أيضاً. خذ كعكة أخرى لتأكلها في طريقك إلى المنزل، وأوصل سلامي إلى أبيك".

بوجود قاعدة ضريبية متناقِصة لم تعد قادرة على دعمها، أُغلقَت مدرسة هارلو الصغيرة ذات الغُرف الستة في يونيو 2009 فعلاً، ووجَدتُ نفسي أمام إمكانية عبور نهر أندروسكوغن لدراسة الصف الثامن في

متوسطة غايتس فولز، مع أكثر من سبعين طالباً بدلاً من مجرد اثني عشر. هذا كان الصيف الذي قبّلتُ فيه فتاةً للمرة الأولى، ليست مارجي بل أعزّ صديقاتها ريجينا. وكان أيضاً الصيف الذي مات فيه السيد هاريغان. أنا مَن عثر عليه.

عرَفتُ أنه كان يجد صعوبة أكثر فأكثر في التنقّل، وعرَفتُ أن أنفاسه تنقطع في أغلب الأحيان، ويتنفَّس أحياناً من قارورة أكسجين أخذ يُبقيها بجانب كرسيه المفضَّل، لكن ما عدا تلك الأشياء التي تقبّلتُها مرغماً، لم يكن هناك أي تحذير. اليوم الذي سبق يوم وفاته كان مثل أي يوم آخر. قرأتُ فصلين من *ماكتيغ* (لو سألتُه إن كان يمكننا قراءة كتاب آخر لفرانك نوريس، لوافق السيد هاريغان)، ورويتُ نباتاته المنزلية بينما تصفَّح السيد هاريغان رسائل بريده الإلكتروني.

رفَع نظره نحوي وقال، "بدأ الناس يُدركون".

"يُدركون ماذا؟".

رَفَع هاتفه. "فكرة هذا. معناه الحقيقي. ماذا يمكنه أن يفعل. قال أرخميدس، 'أعطوني رافعة طويلة كفاية وسأنقل العالم'. هذه هي تلك الرافعة".

"جميل"، قلتُ.

"لقد حذفتُ للتو ثلاثة إعلانات منتجات وحوالي دزينة استجداءات سياسية. ليس عندي شك أنه تم تبادل عنوان بريدي الإلكتروني، تماماً مثلما تبيع المجلات عناوين مشترِكيها".

"من الجيد أنهم لا يعرفون مَن أنت"، قلتُ. عنوان البريد الإلكتروني للسيد هاريغان (أحبَّ أن يكون لديه عنوان بريد إلكتروني) هو ملك_القراصنة1.

"إذا كان أحدهم يتعقّب عمليات بحثي، فلن يضطر إلى معرفة هويتي. سيكون قادراً على اكتشاف اهتماماتي ويستجديني وفقاً لذلك. إسمي لا يهمّهم بشيء. بل اهتماماتي".

"نعم، الدعائيات مزعجة"، قلتُ ودخَلتُ المطبخ لأفرِّغ عبوة الريّ وأضعها في غرفة الطين المخصَّصة لخلع الأحذية قبل دخول المنزل.

عندما عدتُ، وجدتُ السيد هاريغان قد وضع قناع الأكسجين على فمه وأنفه ويأخذ أنفاساً عميقةً.

"هل حصلتَ على هذا من طبيبك؟"، سألتُ. "هل وصفه لك؟".

أخفَض القناع وقال، "ليس عندي طبيب. الرجال في منتصف ثمانيناتهم يستطيعون أكل الكمية التي

يريدونها من لحم البقر المملَّح، ولن يعودوا بحاجة إلى أطباء، إلا إذا أُصيبوا بالسرطان. عندها يصبح الطبيب مفيداً ليصف دواءً للألم". شرد ذهنه إلى مكان آخر. "هل فكَّرت بأمازون يا كريغ؟ الشركة، وليس النهر".

أبي يشتري بعض الأشياء من أمازون أحياناً، لكن لا، لم أفكِّر بها أبداً في الواقع. أخبَرتُ السيد هاريغان بذلك، وسألته عن قصده.

أشار إلى نسخة المكتبة العصرية من رواية *ماكتيغ*. "هذه أتت من أمازون. طلبتُها عبر هاتفي وبطاقة إئتماني. بدأت تلك الشركة ببيع الكتب فقط. لا تزيد عن كونها شركة عائلية حقاً، لكنها قد تصبح قريباً إحدى أكبر وأقوى الشركات في أميركا. الابتسامة شعارها ستصبح موجودة في كل مكان مثل شعار شيفروليه على السيارات أو هذه على هواتفنا". رَفَع هاتفه وأراني التفاحة المقضومة. "هل الدعائيات مزعجة؟ نعم. هل تصبح صراصير التجارة الأميركية، تتكاثر وتهرول في كل الأماكن؟ نعم. لأن الدعائيات تنجح يا كريغ. تجرّ المحراث. في المستقبل غير البعيد جداً، الدعائيات قد تقرِّر نتائج الانتخابات. لو كنتُ أصغر في السنّ، لقبضتُ على مصدر الدخل الجديد هذا من منفرج ساقيه..."،

وماكتيغ على الطاولة بجانبه - استرخيتُ. إلا أن ذقنه كانت على صدره، وكان مائلاً قليلاً إلى أحد الجانبين. بدا نائماً. إذا كان الأمر كذلك، فإن هذه أول مرة يفعل فيها ذلك في هذا الوقت المتأخر من بعد الظهر. يأخذ قيلولة لساعةٍ بعد الغداء، وحين أصل، يكون نشيطاً ومتحمِّساً دائماً.

اقتربتُ منه خطوةً ورأيتُ أن عينيه غير مغمضتين كلياً. أمكنني رؤية القوس السفلي لقزحيتَيه، لكن لونهما الأزرق لم يعد صافياً. بدا ضبابياً، باهتاً. بدأتُ أشعر بالخوف.

"سيد هاريغان؟".

لا شيء. يداه الملتويتان مطويتان بشكل غير مُحكم على حُضنه. أحد عكازيه لا يزال متكئاً على الجدار، لكن الآخر مرمي على الأرض، كما لو أنه مدَّ يده إليه فأوقعه أرضاً. أدرَكتُ أنه يمكنني سماع الهسهسة الهادئة من قناع الأكسجين، لكن ليس صوت تنفّسه الخافت، وهو صوت أصبحتُ معتاداً عليه لدرجة أنني نادراً ما عدتُ ألحظه.

"سيد هاريغان، هل أنت بخير؟".

خطوتُ خطوتين أخريين ومددتُ يدي لأهزّه وأوقظه، ثم سحَبتُها. لم أر شخصاً ميتاً أبداً من قبل، لكنني شعَرتُ أنني ربما أنظر إلى واحد الآن. مددتُ يدي إليه مرة أخرى، لكنني لم أجبُن هذه المرة. أمسكتُ كتفه (كان نحيلاً بشكل رهيب تحت قميصه) وهززتُه.

"سيد هاريغان، استيقظ!".

سقطت إحدى يديه عن حُضنه وتدلّت بين رِجلَيه. مالَ قليلاً أكثر إلى أحد الجانبين، وأمكنني رؤية الأوتاد المصفَرّة لأسنانه بين شفتيه. ومع ذلك شَعَرتُ أن عليَّ أن أتأكد بشكل مُطلق أنه ليس فاقد الوعي فحسب قبل أن أنادي أي شخص. تذكَّرتُ أمي فوراً وبوضوح تام وهي تقرأ لي قصة الراعي الصغير الذي استغاث من هجوم الذئب.

دخَلتُ حمّام الرواق، ذلك الحمّام الذي تسمّيه السيدة غروغان غرفة السيدات، على ساقين خَدِرتين، وعدتُ حاملاً مرآة اليد الذي يُبقيها السيد هاريغان على الرف، ورفعتُها أمام فمه وأنفه. لم تغشّها أي أنفاس دافئة. عرَفتُ عندها (رغم أنني، الآن وأنا أتذكَّر الحادثة، كنت قد تيقَّنتُ في الواقع عندما سقطت تلك اليد عن حُضنه وتدلَّت بين رِجلَيه). أنا في غرفة الجلوس مع رجل

ميت، وماذا لو مدَّ يديه وأمسكني؟ بالطبع لن يفعل ذلك، فأنا أروق له، لكنني تذكَّرتُ النظرة في عينيه عندما قال - فقط البارحة! عندما كان حيّاً! - إنه لو كان أصغر سناً، لقبض على مصدر الدخل الجديد هذا بمنفرج ساقيه وضغط بكل قوته. وكيف أغلق يده بقبضةٍ ليوضِّح لي.

ستجد الكثير من الآراء بأنني كنتُ عديم الرحمة، قال.

الموتى لا يمدّون أيديهم ليمسِكوا بك ما عدا في أفلام الرعب، عرَفتُ ذلك، فالموتى ليسوا أشخاصاً عديمي الرحمة، ليسوا *أي شيء*، لكنني ومع ذلك ابتعَدتُ عنه بينما أخرجتُ هاتفي الخلوي من جيبي، ولم أرفع عينيَّ عنه عندما اتصلتُ بأبي.

قال أبي إنني محقّ على الأرجح، لكنه سيرسل سيارة إسعاف، من باب الاحتياط. مَن طبيب السيد هاريغان، هل أعرف؟ قلتُ إنه لم يكن لديه واحد (ونظرة واحدة إلى أسنانه تكفي لكي تعرف أنه لم يكن لديه طبيب أسنان). قلتُ إنني سأنتظر، وقد فعلتُ ذلك فعلاً. لكنني انتظرتُ في الخارج. قبل أن أخرج، فكَّرت برفْع يده المتدلّية وإعادتها إلى حُضنه. كدتُ أفعل ذلك، لكنني لم أستطع في النهاية إجبار نفسي على لمسها. ستكون باردة.

أخذتُ هاتفه الآيفون بدلاً من ذلك. ليس من باب السرقة. أعتقد أنني فعلتُ ذلك من باب الحزن، لأن خسارته بدأت تترسَّخ فيَّ. أردتُ شيئاً كان له. شيئاً كان مهماً له.

أظن أنها كانت أكبر جنازة شهدتها دار عبادتنا. وكذلك أطول موكب جنائزي إلى المقبرة، تألّف في الأغلب من سيارات مستأجرة. شارك فيها أشخاص محليون، بالطبع، من بينهم البستاني پيت بوستويك، وروني سميتس الذي أجرى معظم أعمال التصليح لمنزله (وأنا متأكد أنه اغتنى من ذلك)، ومدبّرة المنزل السيدة غروغان. كما شارك أشخاص آخرون من البلدة أيضاً، لأنه كان محبوباً جداً في هارلو، لكن معظم المشيِّعين (*لو* كانوا يشيِّعونه ولم يحضروا فقط للتأكد أنه مات حقاً) كانوا رجال أعمال من نيويورك. لم يحضر أي فرد من العائلة. أعني على الإطلاق. ولا حتى إبنة أخ أو نسيب بعيد. لم يتزوج أبداً، ولم يُرزّق بأي أولاد أبداً - وهذا على الأرجح كان أحد أسباب حذر أبي من السماح لي بالصعود إلى هناك من الأصل - وقد عاش أطول من كل الباقين. لهذا السبب الولد من أسفل الطريق، الولد الذي كان يدفع له ليأتي ويقرأ له، هو الذي عثر عليه.

لا شك أن السيد هاريغان عرَف أنه يعيش وقتاً مُستقطعاً، لأنه ترَك ورقة بخط يده على مكتبه تحدِّد تماماً كيف يريد إتمام شعائر دفنه. كانت بسيطة جداً. وقد تلقى متجر هاي وبيبودي للجنازات دفعةً نقديةً منذ العام 2004، دفعةً تكفي للاهتمام بكل شيء ويبقى منها القليل أيضاً. لم يرغب أن تكون هناك ساعات لزيارة جثمانه، لكنه أراد أن "يتم إصلاحه بشكل أنيق، إذا أمكن" لكي يمكن فتح التابوت خلال مراسم الجنازة.

أجرى الموقَّر مُوني المراسم، وطلب مني أن أقرأ من الفصل الرابع: "أحبّوا بعضكم بعضاً، احتملوا بعضكم بعضاً، سامحوا بعضكم بعضاً، لكي تنالوا الرحمة الأبدية". رأيث بعض رجال الأعمال يتبادلون النظرات كما لو أن السيد هاريغان لم يُظهِر *لهم* مقداراً كبيراً من اللطف، أو التسامح أيضاً.

أراد ثلاث أناشيد: "اِلتزم معي" و"سيل الماء والدم" و"في الحديقة". أراد ألا تطول عِظة الموقَّر مُوني أكثر من عشر دقائق، وأنهاها الموقَّر في ثماني دقائق فقط، وأظن أن هذا رقمٌ قياسيٌ شخصيٌ له. تمحورت أغلب العِظة حول ذِكر كل الأمور التي فعلها السيد هاريغان لهارلو، مثل دفعْ كلفة تجديد مزرعة غراينج وتصليح

جسر النهر المَلَكي المسقوف. كما تصدَّر حملة لجمع التبرّعات لحوض السباحة العام، حسبما قال الموقّر، لكنه رفض امتياز التسمية الذي يترافق معه.

لم يُفصح الموقَّر عن السبب، لكنني عرَفتُه. فقد قال السيد هاريغان إن السماح للناس بتسمية الأشياء بإسمائهم ليس منافياً للعقل فحسب بل مهيناً وسريع الزوال. قال إنه بعد خمسين سنة، أو حتى عشرين، ستصبح مجرد إسم على لوحة يتجاهَلها الجميع.

بعدما أنهيتُ واجبي القرائي، جلَستُ في الصف الأمامي مع أبي، ورحت أتأمل التابوت بمزهريات الزنابق عند أعلاه وأسفله. رأيتُ أن أنف السيد هاريغان ناتئ منه مثل مقدمة سفينةٍ. أخبَرتُ نفسي ألا أنظر إليه، ألا أفكِّر أنه منظر مضحك أو رهيب (أو الاثنين معاً)، بل أن أتذكّره مثلما كان. نصيحة جيدة، لكن عينيَّ بقيتا تعودان إلى هناك.

عندما أنهى الموقَّر عِظته القصيرة، رفعَ يده نحو المشيِّعين المجمَّعين وأعطاهم بَرَكته. ثم قال، "كل واحد منكم يودّ أن يقول كلمة وداعية أخيرة يمكنه أن يقترب من التابوت الآن".

سُمع حفيف ملابس وهمس أصوات بينما وَقَف بعض الأشخاص. بدأت فيرجينيا هاتلن تعزف على الأرغن بلطف شديد، وأدرَكتُ - بشعور غريب لم أستطع تسميته وقتها لكنني عرَفتُ بعد سنوات أنه يسمّى سريالية - أنه كان مزيجاً من أغاني الريف، ومن بينها "أجنحة حمامة" لفرلين هاسكي، و"غنّيتُ ديكسي" لدوايت يواكام، وبالطبع "سانِدي رَجلك". إذاً فالسيد هاريغان ترك تعليمات حتى لموسيقى الخروج، وفكَّرت في سرّي، حسناً *فعَل*. بدأ صفٌ يتشكَّل، واختلط السكان المحليون في ستراتهم الرياضية وسراويلهم الكاكيّة اللون برجال نيويورك في بذلاتهم وأحذيتهم الفاخرة.

"ماذا عنك يا كريغ؟"، همَس أبي. "هل تريد إلقاء نظرة أخيرة؟".

أردتُ أكثر من ذلك، لكنني لم أستطع إخباره. مثلما لم أستطع إخباره عن حزني العميق. أدركتُ ذلك الآن. لم يحصل بينما كنتُ أقرأ نص الحكم القديمة، مثلما قرأتُ أشياء كثيرة أخرى له، بل بينما كنتُ جالساً أنظر إلى أنفه الناتئ. إدراك أن تابوته سفينةٌ، وستأخذه في رحلته الأخيرة. رحلةٌ ذاهبةٌ نزولاً إلى الظلمة. أردتُ أن أبكي،

وقد بكيتُ *فعلاً*، لكن على انفراد لاحقاً. بالتأكيد لم أرغب أن أبكي هنا بين غرباءٍ.

"نعم، لكنني أريد أن أكون في نهاية الصف. أريد أن أكون الأخير".

الحمد لله أن أبي لم يسألني عن السبب، بل ربَّت على كتفي فحسب ووقف في الصف. عدتُ إلى الردهة، غير مرتاح قليلاً في سترة رياضية بدأت تضيق عند الكتفَين لأنني بدأتُ أنمو أخيراً. عندما أصبحت نهاية الصف عند منتصف الرِواق الرئيسي وتأكدتُ أن لا أحد آخر سينضم إليه، وقفتُ خلف رجلين يرتديان بذلتين ويتكلَّمان بصوتٍ منخفضٍ عن - نعم صحيح - أسهم أمازون.

حين وَصَلتُ إلى التابوت، توقفت الموسيقى. رأيتُ أن منبر الوعظ فارغ. الأرجح أن فيرجينيا هاتلن تسلَّلت من الخلف لتدخِّن سيجارة، وسيكون الموقَّر في حجرة الملابس يخلع رداءه ويمشِّط ما بقي من شعره. هناك بضعة أشخاص في الردهة يتهامسون بأصوات منخفضة، لكن هنا في دار العبادة لم يبقَ إلا أنا والسيد هاريغان، على غرار ما كان يحصل كثيراً في فترات بعد الظهر في منزله الكبير على التلة، بمناظره الجيدة لكن غير *السياحية*.

كان يرتدي بذلة رمادية داكنة جداً لم أرها أبداً من قبل. وقد أضاف الحانوتي بعض الأحمر إلى خدّيه لكي يبدو بصحة جيدة، لكن الأشخاص السليمين صحياً لا يضطجعون في توابيت مُغمضين عيونهم والدقائق القليلة الأخيرة من ضوء النهار يسطع على وجوههم الميتة قبل أن ينزلوا التربة إلى الأبد. يداه مطويتان، مما ذكّرني بالطريقة اللتين كانتا مطويتين بها عندما دخلتُ غرفة جلوسه قبل أيام فقط. بدا أشبه بدمية بالحجم الطبيعي، وكرِهتُ رؤيته هكذا. لم أرغب أن أبقى. أردتُ هواءً منعشاً. أردتُ أن أكون مع أبي. أردتُ أن أعود إلى المنزل. لكن هناك شيء يجب أن أفعله أولاً، وعليّ أن أفعله فوراً، لأن الموقَّر مُوني يمكن أن يعود من حجرة الملابس في أي لحظة.

مددتُ يدي إلى الجيب الداخلي لسترتي الرياضية وأخرجتُ هاتف السيد هاريغان. آخر مرة كنتُ فيها معه - أقصد حيّاً، وليس خارّاً على كرسيه أو يبدو كدمية في صندوق مُكلِف - قال إنه مسرور أنني أقنعتُه بالاحتفاظ بالهاتف. قال إنه كان أنيساً جيداً عندما لم يستطع النوم في الليل. الهاتف محميّ بكلمة مرور - مثلما قلتُ، كان شخصاً يتعلّم بسرعة حالما يستحوذ شيءٌ على اهتمامه

حقاً - لكنني عرَفتُ ما هي كلمة المرور: القرصان1. فقد فتَحتُه في غرفة نومي قبل ليلة من الجنازة، وذهَبتُ إلى تطبيق الملاحظات. أردتُ أن أترك له رسالة.

فكَّرتُ أن أقول له *أحبك*، لكن هذا لن يبدو ملائماً. كان يروق لي، بالطبع، لكنني كنتُ حذِراً منه قليلاً أيضاً. لم أعتقد أنه أحبَّني أيضاً. لا أعتقد أن السيد هاريغان أحبَّ أي شخص في يوم من الأيام، باستثناء الأم التي ربّته بعد وفاة أبيه (لقد أجريتُ أبحاثي). كتَبتُ له في النهاية: *العمل لديك كان امتيازاً. شكراً على البطاقات، وعلى تذاكر الحكّ. سأفتقدك.*

رَفَعتُ طيّة صدر بذلته، مع محاولة عدم لمس سطح صدره غير المتنفِّس تحت قميصه الأبيض المتموِّج... لكن مفاصل أصابعي حفَّت به للحظةٍ، ولا يزال يمكنني الشعور بذلك حتى يومنا هذا. كان صلباً مثل خشبة. حشرتُ الهاتف في جيبه الداخلي، ثم ابتعَدتُ، في الوقت المناسب أيضاً، فقد خرَج الموقَّر مُوني من الباب الجانبي وهو يعدِّل ربطة عنقه.

"تودِّعه يا كريغ؟".

"نعم".

"جيد. هذا عين الصواب". مرَّر ذراعه حول كتفَيَّ وأخذني بعيداً عن التابوت. "كانت بينكما علاقة أنا أكيد أن الكثير من الأشخاص يحسدونك عليها. لما لا تخرج الآن وتنضم إلى أبيك؟ وإذا كنتَ تريد أن تعمل لي معروفاً، أخبِر السيد رافرتي وبقية حاملي النعش أننا سنصبح جاهزين لهم في غضون دقائق قليلة فقط".

ظَهَر رجل آخر عند باب حجرة الملابس شابكاً يديه أمامه. نظرة واحدة إلى بذلته السوداء وقرنفلته البيضاء تكفي لمعرفة أنه أحد موظفي الحانوتي. افترَضتُ أن عمله إغلاق غطاء التابوت والتأكد أنه مُغلق بإحكام. انتابني رعب الموت من منظره، وكنتُ مسروراً من مغادرة ذلك المكان والخروج إلى أشعة الشمس. لم أُخبِر أبي أنني أحتاج إلى عناق، لكن لا شكّ أنه رأى ذلك على وجهي، لأنه لفّني بذراعيه.

لا تمت، فكَّرتُ في سرّي. رجاءً *يا أبي*، *لا تمت*.

المراسم عند مقبرة الدردار كانت أفضل، لأنها أقصر ولأنها جرت في الهواء الطلق. تكلَّم مدير أعمال السيد هاريغان، تشارلز "تشيك" رافرتي، بإيجاز عن مختلف صَدَقات عميله، ثم أضحك الحاضرين قليلاً عندما تكلَّم عن كيف أنه اضطر إلى تحمُّل ذوق السيد هاريغان

"المشكوك فيه في الموسيقى". هذه كانت فعلاً اللفتة الإنسانية الوحيدة التي استطاع السيد رافرتي تقديمها. قال إنه عمِل "لدى ومع" السيد هاريغان لثلاثين سنة، ولم يكن عندي أي سبب لأشكّك بذلك، لكن لم يبدُ أنه يعرف الكثير عن الناحية الإنسانية للسيد هاريغان، ما عدا "ذوقه المشكوك فيه" بالمغنيين أمثال جيم ريفز وپاتي لاقلس وهنسون كارغل.

فكَّرتُ أن أتقدّم وأُخبر الأشخاص المتجمِّعين حول القبر المفتوح أن السيد هاريغان اعتبر أن الانترنت تشبه أنبوب مياه رئيسي مكسور يتقيأ معلومات بدلاً من مياه. فكَّرتُ أن أُخبرهم أن لديه أكثر من مئة صورة لفطر على هاتفه. فكَّرتُ أن أُخبرهم أنه أحبَّ كعكات دقيق الشوفان التي تُعدّها السيدة غروغان، لأنها تدفع أمعاءه إلى العمل دائماً، وأنك عندما تصبح في ثمانيناتك لا تعود بحاجة إلى تناول الفيتامينات أو زيارة الطبيب. عندما تصبح في ثمانيناتك، يمكنك أن تأكل قدر ما تشاء من لحم البقر المملَّح.

لكنني أبقيتُ فمي مغلقاً.

الموقَّر مُوني هو الذي قرأ نص الحكم القديمة هذه المرة، الجزء الذي يتحدَّث عن كيف أن جميع الأخيار

سيحيون حياةً رغيدةً في الآخرة. أعطى الحاضرين بَرَكته مرة أخرى ثم انتهى كل شيء. بعد رحيلنا وعودتنا إلى حياتنا العادية، سيُنزَل السيد هاريغان إلى داخل الأرض (وهاتفه الآيفون في جيبه، بفضلي) وستغطيه التربة، ولن يراه العالم بعد اليوم.

أثناء مغادرتي وأبي، اقترب منا السيد رافرتي. قال إنه لن يسافر عائداً إلى نيويورك قبل صباح الغد، وسأل إن كان يمكنه زيارتنا في منزلنا هذا المساء. قال إن هناك شيئاً يريد التكلّم معنا بشأنه.

كانت فكرتي الأولى هي أن الموضوع يتعلَّق بلا شكّ بالآيفون المسروق، لكن لم تكن لديَّ أي فكرة كيف استطاع السيد رافرتي معرفة أنني أخذته، عِلماً أنني أعدته إلى مالكه الشرعي. *إذا سألني*، فكَّرتُ في سرّي، *سأُخبِره أنني الشخص الذي أعطاه إياه من الأصل*. وكيف يمكن أن يُعتبر هاتفٌ ثمنه ستمئة دولار قضيةً كبيرةً في حين أن أملاك السيد هاريغان أكثر قيمة بكثير؟

"بالتأكيد"، قال أبي. "تعال إلى العشاء. أنا أُعدّ معكرونة بولونية لذيذة جداً. نأكل عادة حوالي السادسة".

"سأقبل عرضك"، قال السيد رافرتي. أخرجَ مغلفاً أبيض عليه إسمي بخط يد أعرفه. "هذا قد يشرح ما أريد التكلّم معكما بشأنه. تلقَّيتُه منذ شهرين وأُمرتُ أن أحتفظ به إلى أن... ممم... تسنح فرصة كهذه".

بعدما ركبنا سيارتنا، انفجر أبي ضاحكاً، ضحكات من الصميم جعلت عينيه تغرورقان. راح يقهقه ويضرِب المِقوَد بقوة، ويقهقه ويضرِب فخذه بقوة، ويمسَح خدَّيه ثم يقهقه أكثر.

"ماذا؟"، سألتُه عندما بدأ يهدأ. "ما المضحك إلى هذا الحدّ؟".

"لا يمكنني التفكير بأي شيء آخر يمكن أن يكون عليه هذا"، قال. لم يعد يقهقه، لكنه استمر يضحك ضحكاً خفيفاً.

"عما تتكلَّم؟".

"أعتقد أنك مذكور في وصيته يا كريغ. افتح هذا الشيء لنرى ماذا يقول".

وجدتُ ورقة واحدة في المغلف، وهذا أسلوب هاريغان الكلاسيكي: لا قلوب وزهور، ولا حتى كلمة عزيزي في التحية، بل دخول في صُلب الموضوع مباشرة. قرأتُه بصوتٍ عالٍ لأبي.

كريغ: إذا كنتَ تقرأ هذه الرسالة، فهذا يعني أنني مُتُّ. لقد تركتُ لك $800,000 في صندوق استئماني. الأوصياء هم أبوك وتشارلز رافرتي، وهو مدير أعمالي وسيخدم الآن كمنفِّذ لهذا الأمر. أظن أن هذا المبلغ يجب أن يكون كافياً لتُنهي سنوات الكلّية الأربعة وأي دراسات عليا قد تختار القيام بها. ويجب أن يبقى ما يكفي منه ليوفّر لك بداية جيدة في المهنة التي تختارها.

تكلَّمتَ يوماً عن كتابة السيناريوهات. إذا كان هذا ما تريده، عليك إذاً أن تسعى وراءه، لكنني لا أوافق على ذلك. هناك نكتة سوقيّة عن كتّاب السيناريوهات لن أكرِّرها هنا، لكن ابحث عنها على هاتفك، الكلمات المفتاحية هي كاتب سيناريو ونجمة ناشئة. هناك حقيقة أساسية فيها أظن أنك ستستوعبها حتى في عمرك الحالي. الأفلام سريعة الزوال، بينما الكتب - الجيدة منها - أبدية، أو قريبة من ذلك. لقد قرأتَ لي العديد من الكتب الجيدة، لكن الكثير غيرها لا يزال ينتظر أن يُؤلَّف.

هذا كل ما سأقوله.

رغم أن أباك يملك حق النقض بكل المسائل المتعلقة بصندوقك الاستئماني، إلا أنه سيكون ذكياً ولا يمارس حقه ذاك بشأن أي استثمارات سيقترحها السيد رافرتي. تشيك ضليع بأمور السوق. حتى مع تكاليف تعليمك فإن مبلغ $800,000 يمكن أن ينمو إلى مليون أو أكثر حين تصل إلى سنّ 26، عندما تنتهي صلاحية الصندوق الاستئماني ويمكنك أن تُنفق (أو تستثمر - دائماً الخيار الأكثر حكمة) منه مثلما تشاء. لقد استمتعتُ بفترات بعد ظهرنا معاً.

مع فائق احترامي،
السيد هاريغان

ملحوظة: لا داعي لشكري على البطاقات ومحتوياتها.

هذه الملحوظة سبَّبت لي قشعريرةً خفيفةً. فقد بدت كما لو أنه يردّ على الملاحظة التي كتبتها له على هاتفه الآيفون عندما قرَّرتُ أن أدّسه في جيب سترة دفنه.

لم يعد أبي يضحك، لكنه كان يبتسم. "ما شعورك أنك غني يا كريغ؟".

"شعور جيد"، قلتُ، وهو بالطبع شعور جيد. إنها هدية رائعة، لكن الرائع بنفس الدرجة تماماً - وربما حتى أفضل أيضاً - إدراك أن السيد هاريغان فكَّر بي ملياً. أي شخص ساخر سيعتبر على الأرجح أن هذه محاولة مني لأبدو ورِعاً أو ما شابه، لكن لا. لأن المال يشبه صحن فريسبي جعلتُه يعلق في أعلى شجرة صنوبر كبيرة في فنائنا الخارجي عندما كنتُ في الثامنة أو التاسعة: عرَفتُ مكانه، لكنني لم أستطع الوصول إليه. ولا بأس بهذا. لديَّ كل شيء أحتاج إليه في الوقت الحاضر، ما عدا وجوده معي طبعاً. ماذا سأفعل الآن في فترات بعد ظهر أيامي؟

"أسحب كل شيء قلتُه ذات يوم عن أنه بخيل"، قال أبي وهو يركن خلف سيارة رُباعية الدفع سوداء لامعة استأجَرها رجل أعمال ما من مطار پورتلاند. "رغم أن..."

"رغم أن ماذا؟"، سألتُ.

"إذا أخذنا بعين الاعتبار انعدام الأنسباء لديه ودرجة غناه الفاحش، كان يمكنه أن يترك لك أربعة ملايين على الأقل. وربما ستة". رأى النظرة على وجهي وبدأ يضحك مرة أخرى. "أنا أمزح يا صغيري، أمزح. مفهوم؟".

لكمتُه على كتفه وشغَّلتُ الراديو، متجاوزاً محطة WBLM ("منطاد الروك أند رول في ماين") إلى محطة WTHT ("محطة الريف الأولى في ماين"). لقد أصبحتُ معتاداً على الموسيقى الريفية والغربية. لم أفقد ذلك أبداً.

أتى السيد رافرتي إلى العشاء، وأكل كمية كبيرة من معكرونة أبي، رغم أنه نحيل. أخبَرتُه أنني عرَفتُ عن الصندوق الاستئماني، وشَكَرتُه. قال "لا تشكرني *أنا*"، وأخبَرنا كيف يودّ أن يستثمر المال. قال أبي إنه مهما بدا له مناسباً، عليه أن يُبقيه على اطلاع فحسب. وقد اقترح أن جون دِير قد يكون مكاناً جيداً لبعض أموالي، بما أنهم يبتكِرون كالمجانين. قال السيد رافرتي إنه سيأخذ ذلك بعين الاعتبار، وعرَفتُ في وقت لاحق أنه استثمر حقاً في دِير وشركاه، ولو بمبلغ صغير فقط. ذهب معظم أموالي إلى أبل وأمازون.

بعد العشاء، صافَحني السيد رافرتي وهنّأني. "كان لدى هاريغان قلّة قليلة جداً من الأصدقاء يا كريغ. كنتَ محظوظاً أنك أحدهم".

"وكان محظوظاً بصُحبته كريغ"، قال أبي بهدوء، وأسندَ ذراعه حول كتفَيّ. هذا جعلني أشعر بغصّة في

حلقي، وعندما غادر السيد رافرتي ودخلتُ غرفتي، بكيتُ قليلاً. حاوَلتُ إبقاء صوتي منخفضاً لكي لا يسمع أبي. ربما فعلتُ ذلك؛ وربما سمِع وعرَف أنني أردتُ أن أبقى لوحدي.

عندما توقفت الدموع، أخذتُ هاتفي وفتحتُ سافاري، وكتبتُ الكلمات المفتاحية *كاتب سيناريو* ونجمة *ناشئة*. نشأت النكتة حسبما يُشاع مع روائي يدعى پيتر فايبلمان وتدور حول نجمة ناشئة جاهلة لدرجة أنها ضاجعت الكاتب. ربما سمِعتَها على الأرجح. أنا لم أسمعها أبداً، لكنني فهمتُ الفكرة التي كان السيد هاريغان يحاول إفهامي إياها.

استيقظتُ حوالي الثانية بعد منتصف تلك الليلة على صوت رعد بعيد وأدركتُ مرة أخرى أن السيد هاريغان تُوفِّي. كنتُ على سريري وكان تحت الأرض مرتدياً نفس البذلة إلى الأبد. طُويَت يداه وستبقيان بتلك الطريقة إلى أن تصبحا مجرد عظام. إذا هطل مطر بعد الرعد، فقد يتسرَّب ويرطِّب تابوته. لم يكن هناك غطاء أسمنتي أو بطانة، فقد حدَّد ذلك في ما أسمته السيدة غروغان "رسالة موته". سيُصاب غطاء التابوت بالعفن في نهاية المطاف. وكذلك البذلة. سيدوم الآيفون المصنوع من

بلاستيك لفترة أطول بكثير من البذلة أو التابوت، لكنه سيزول في نهاية المطاف أيضاً. لا شيء أبدي على هذه الأرض الفانية.

احتجتُ فجأة إلى سماع صوته.

وأدرَكتُ أنه يمكنني ذلك.

عرَفتُ أن فعل هذا الشيء أمر مروِّع (خاصة عند الثانية فجراً) ومَرَضي، لكنني عرَفتُ أيضاً أنني إذا فعلتُه، يمكنني العودة إلى النوم. لذا اتصلتُ، وأصابتني القشعريرة عندما أدرَكتُ الحقيقة البسيطة لتكنولوجيا الهاتف الخلوي: في مكان ما تحت الأرض في مقبرة الدردار، في جيب رجل ميت، تامي واينَت تغنّي جملتين من أغنية "سانِدي رَجلك".

ثم ملأ صوته أذني، هادئاً وصافياً لكنه مبحوح فقط من الشيخوخة: "أنا لا أردّ على هاتفي الآن. سأعاود الاتصال بك إذا بدا لي ذلك ملائماً".

وماذا لو عاودَ الاتصال *فعلاً*؟ ماذا لو فعلَ ذلك؟

أنهيتُ المكالمة حتى قبل صدور الصفرة وعدتُ إلى سريري. غيَّرتُ رأيي بينما كنتُ أسحب الغطاء عليَّ، فنهضتُ واتصلتُ مرة أخرى. لا أعرف لماذا. انتظَرتُ الصفرة هذه المرة، ثم قلتُ، "أنا مشتاق لك يا سيد

هاريغان. أشكرك على المال الذي ترَكته لي، لكنني مستعد أن أتخلّى عنه لقاء بقائك حيّاً". سكتُّ لبرهة. "ربما بدت جملتي هذه كذباً، لكنها ليست كذباً. حقاً".

ثم عدتُ إلى السرير وغفوتُ حالما لمس رأسي الوسادة تقريباً. لم أر أي أحلام.

من عادتي أن أشغِّل هاتفي حتى قبل أن أرتدي ملابسي وأتفحَّص تطبيق الأخبار لأتأكد أن لا أحد سبَّب اندلاع الحرب العالمية الثالثة وأنه لم تقع أي هجمات إرهابية. قبل أن أتمكن من الذهاب إلى هناك صباح اليوم التالي لجنازة السيد هاريغان، رأيتُ دائرةً حمراء صغيرةً على الرمز SMS، وهذا يعني أنني تلقيتُ رسالة نصية. افترَضتُ أنها إما من بيلي بوغان، وهو صديق وزميل في الصف يملك هاتف موتورولا مينغ، أو مارجي واشبورن التي تملك هاتف سامسونغ... رغم أنني صرتُ أتلقى رسائل نصية أقل من مارجي مؤخراً. أظن أن ريجينا ثرثرت لها عن تقبيلي لها.

هل تعرف ذلك القول القديم، "جمد الدم في عروقي"؟ بإمكان هذا أن يحصل فعلاً. أعرف ذلك لأن دمي جمد في عروقي. جلَستُ على سريري أحدِّق

بشاشة هاتفي والرسالة النصية الآتية من ملك_القراصنة1.

أمكنني سماع قرقعةٍ في المطبخ في الأسفل جرّاء إخراج أبي المقلاة من الخزانة التي بجانب الموقد. يبدو أنه يخطِّط ليُعدّ لنا فطوراً ساخناً، وهذا شيء يحاول أن يفعله مرة أو مرتين في الأسبوع.

"أبي؟"، قلتُ، لكن القرقعة استمرت، وسمِعتُه يقول شيئاً ربما كان *اخرجي من هناك أيتها اللعينة*.

لم يسمعني، وليس فقط لأن باب غرفة نومي مُغلقٌ، فبالكاد يمكنني سماعه بنفسي. الرسالة النصية جَعَلت الدم يجمد في عروقي، وقد سرقت لي صوتي.

الرسالة التي تعلو أحدث واحدة أُرسلَت قبل أربعة أيام من وفاة السيد هاريغان. قالت *لا داعي لأن تروي النباتات المنزلية اليوم فقد روتها السيدة غ*. وتحت ذلك: *ك ك ك أ أ*.

أُرسلت الرسالة النصية عند 2:40 صباحاً.

"أبي!"، صحتُ بصوتٍ صاخبٍ أكثر قليلاً هذه المرة، لكنه بقي غير صاخب كفاية. لا أعرف إن كنتُ أبكي وقتها، أو إن بدأت الدموع تنهمر أثناء نزولي إلى الطابق السفلي، وأنا لا أزال لا أرتدي شيئاً سوى سروالي الداخلي وقميص نمور غايتس فولز التائي.

كان أبي مُديراً ظهره لي. لقد نجح في إخراج المقلاة وكان يذوِّب زبدةً فيها. سمِعني وقال، "آمل أنك جائع. أعرف أنني جائع".

"بابا"، قلتُ. "بابا".

استدار عندما سمِع ما كنتُ قد توقفتُ عن مناداته به عندما كنتُ في الثامنة أو التاسعة. رأى أنني لم أرتدِ ملابسي، وأنني كنتُ أبكي. كما رأى أنني أمدّ له هاتفي، فنسي كل شيء يتعلق بالمقلاة.

"ما الأمر يا كريغ؟ هل من سوء؟ هل رأيتَ كابوساً عن الجنازة؟".

هذا كابوس فعلاً، وعلى الأرجح فات الأوان - كان عجوزاً، في النهاية - لكن الأوان ربما لم يفت.

"آه يا بابا"، قلتُ بصوتٍ منتحبٍ. "لم يمُت. على الأقل لم يكن ميتاً عند الثانية والنصف هذا الصباح. علينا أن نحفر ونُخرجه. علينا ذلك، لأننا دفناه حيّاً".

أخبَرتُه كل شيء. أخبَرتُه كيف أخذتُ هاتف السيد هاريغان ووضعتُه في جيب سترة بذلته لأنه أصبح يعني له الكثير. ولأنه شيء أعطيتُه *إياه*. أخبَرتُه عن الاتصال بذلك الهاتف في منتصف الليل، وإغلاق الخط في المرة الأولى، ثم الاتصال به مرة أخرى وترك رسالة صوتية له. لم أحتج أن أُري أبي الرسالة النصية التي تلقيتُها بالمقابل، لأنه نظَرَ إليها من قبل. دَرَسها، في الواقع.

بدأت الزبدة في المقلاة تحترق، فنهض أبي وأبعدَ المقلاة عن حارقة الغاز. "لا أظن أنك ستريد أي بيض"، قال وهو يعود إلى الطاولة، لكن بدلاً من الجلوس في مكانه الاعتيادي مقابلي، جلَس بجانبي ووضع إحدى يديه فوق إحدى يديَّ. "اسمعني الآن".

"أعرف أن ما فعلتُه شيء مروِّع"، قلتُ، "لكنني لو لم أفعل ذلك، لما عرَفنا أبداً. علينا أن -"

"بُنيّ -"

"لا يا أبي، اسمعني! علينا إرسال أحدهم إلى هناك فوراً! جرّافة، محمِّلة، حتى رجال معهم مجارف! من الممكن أنه لا يزال -"

"توقف يا كريغ. لقد تعرَّضتَ لهجوم انتحال شخصية".

حدَّقتُ به بفمٍ فاغرٍ. أعرف ما هو هجوم انتحال الشخصية، لكن احتمال حصوله لي - وعند منتصف الليل - لم يخطر ببالي أبداً.

"أعداد هذا الصنف من الهجمات يزداد يوماً بعد يوم"، قال. "حتى إننا عقدنا اجتماعاً للموظفين بشأنه في العمل. شخصٌ ما تمكَّن من الوصول إلى هاتف هاريغان الخلوي واستنسَخه. هل تعرف ما هذا؟".

"نعم، بالتأكيد، لكن يا أبي -"

شدَّ على يدي. "شخصٌ أمل ربما أن ينجح بسرقة أسرار مهنية".

"كان متقاعداً!".

"لكنه بقي مشاركاً في السوق، لقد أخبَرك ذلك. أو ربما أن ينجح بالوصول إلى معلومات بطاقة إئتمانه. أياً يكن فقد تلقى بريدك الصوتي على الهاتف المستنسَخ، وقرَّر أن يؤدّي مقلباً عليك".

"أنتَ لا تعرف هذا"، قلتُ. "بابا، علينا أن نتحقّق!".

"لا، وسأُخبِرك لماذا. كان السيد هاريغان رجلاً غنياً مات وحيداً. كما أنه لم يزر طبيباً منذ سنوات، رغم أنني أكيد أن رافرتي بقي يُقرع له رأسه بشأن ذلك لوقت طويل، لمجرد أنه غير قادر على تحديث بوليصة تأمين الرجل القديمة لتشمل أكثر من مجرد ضريبة الإرث. لهذه الأسباب تم تشريح الجثة. وهكذا عرَفوا أنه مات من مرض متقدم في القلب".

"هل فتحوا جسمه؟". تذكَّرتُ كيف حفَّت مفاصل أصابعي بصدره عندما وَضَعتُ هاتفه في جيبه. هل كانت هناك غُرَز للشقوق التي تحت قميصه الأبيض المتموِّج وربطة عنقه المعقودة؟ إذا كان أبي محقّاً، فهناك غُرَز نعم. غُرَز لشقّ شكله Y. رأيتُ ذلك في برنامج CSI على التلفزيون.

"نعم"، قال أبي. "لا يعجبني إخبارك هذا، فلا أريده أن يشغَل بالك، لكنه أفضل من تركك تعتقد أنه دُفن حيّاً. لم يكن حيّاً. لا يُعقَل. لقد مات. هل تفهمني؟".

"نعم".

"هل تريدني أن أبقى في المنزل اليوم؟ سأفعل ذلك إن أردتَ".

"لا، لا بأس. أنت محقّ. لقد تعرَّضتُ لهجوم انتحال شخصية". وارتعبتُ. هذا أيضاً.

"ماذا ستفعل بنفسك؟ لأنك إذا كنت ستُطيل التفكير بهذا الأمر وتصبح مهووساً به، يجب أن آخذ إجازةً اليوم. يمكننا الذهاب لصيد السمك".

"لن أُطيل التفكير بهذا الأمر وأصبح مهووساً به. لكن يجب أن أصعد إلى منزله وأروي النباتات".

"هل الذهاب إلى هناك فكرة جيدة؟"، سأل وهو يراقبني عن كثب.

"أَدين له بذلك، وأريد التكلّم مع السيدة غروغان. لأعرف إن أعطاها 'لا أعرف ما اسمه' هي أيضاً".

"مؤونةً. هذه لفتة كريمة جداً. بالطبع قد تُخبِرك أن هذا ليس من شأنك. فهي محنّكة قديمة".

"إذا كان لم يُعطها، أتمنّى لو يمكنني إعطاءها بعضاً من مؤونتي"، قلتُ.

ابتسم وقبّل خدّي. "أنت ولد طيب. ستفخر بك أمك كثيراً. هل أنت متأكد أنك بخير الآن؟".

"نعم". أكَلتُ بعض البيض والخبز المحمَّص لأبرهن له، رغم أنني لم أكن أريدها. لا شكّ أن أبي محقّ - كلمة

مرور مسروقة، هاتف مستنسَخ، مقلب وحشي. بالتأكيد لم يكن السيد هاريغان منفِّذه فقد لُخبطَت أحشاؤه كأنها سَلطة واستُبدل دمه بمائع تحنيط.

ذهَب أبي إلى عمله وصعِدتُ إلى منزل السيد هاريغان. وجدتُ السيدة غروغان تنظّف غرفة الجلوس بالمكنسة الكهربائية. لم تكن تغنّي كعادتها، لكنها كانت رابطة الجأش كفاية، وبعد أن انتهيتُ من ريّ النباتات، سألتني إن كنتُ أريد دخول المطبخ وتناول كوب شاي معها.

"هناك كعكات أيضاً"، قالت.

دخَلنا المطبخ وبانتظار أن يغلي الماء في الغلاية، أخبَرتُها عن رسالة السيد هاريغان، وكيف ترك لي مالاً في صندوق استئماني لتعليمي في الكلّية.

أومأت السيدة غروغان برأسها بأسلوب جدّي، كما لو أنها لم تتوقع أقل من ذلك، وقالت إنها تلقت أيضاً مغلفاً من السيد رافرتي. "السيد تدبَّر أمري. أكثر مما توقَّعتُ. على الأرجح أكثر مما أستحق".

قلتُ إنني شَعَرتُ مثلها تماماً.

أحضَرت السيدة غ الشاي إلى الطاولة، كوباً كبيراً لكل واحد منا. ووضعت بينهما طبق كعكات دقيق الشوفان.

"لقد أحبَّ هذه"، قالت السيدة غروغان.

"نعم. قال إنها تدفع أمعاءه إلى العمل".

أضحكها هذا. رَفَعتُ إحدى الكعكات وقضمتُها. بينما مضَغتُ، رحتُ أفكِّر بنص الحكم القديمة الذي قرأتُه في لقاء الشباب الميثودي ليلة الخميس قبل احتفال الربيع وخلال خدمة احتفال الربيع منذ بضعة أشهر والذي يتكلَّم عن الخبز والشراب.

"تدبّر أمر پيت أيضاً"، قالت. قصدَت البستاني پيت بوستويك.

"لطيف"، قلتُ وأخذتُ كعكة أخرى. "كان رجلاً طيباً، أليس كذلك؟".

"لستُ أكيدةً جداً من ذلك"، قالت. "كان مُنصِفاً، نعم، لكنك لا تريد أن تكون خصماً له. أنت لا تتذكَّر داستي بيلودو، أليس كذلك؟ لا، لن تتذكَّره. كان قبل وقتك".

"من عائلة بيلودو التي تقيم في منتزه المقطورات؟".

"نعم، هذا صحيح، بجانب المتجر، لكنني أشك أن يكون داستي بينهم. فقد غادر ليُكمل حياته على هواه منذ مدة طويلة. كان البستاني قبل پيت، لكن لم تكن قد مضت ثمانية أشهر على عمله عندما قبض عليه السيد

هاريغان يسرق وطرده. لا أعرف كم سرق، أو كيف عرَف السيد هاريغان، لكن المسألة لم تتوقف عند الطرد فحسب. أعرف أنك تعرف عن بعض الأمور التي قدَّمها السيد ه لهذه البلدة الصغيرة وكل الطرق التي ساعَدها بها، لكن مُوني لم يُخبِر حتى نصف الأمور، ربما لأنه لم يعرف أو ربما لأن مدة وعظته كانت ضيقة. الأعمال الخيرية جيدة للروح، لكنها تعطي الإنسان نفوذاً أيضاً، وقد استخدَم السيد هاريغان نفوذه على داستي بيلودو".

هزَّت رأسها. أعتقد من باب الإعجاب جزئياً.

"آمل أن يكون قد سرَق بضع مئات من الدولارات على الأقل من مكتب السيد هاريغان أو جارور جواربه أو أينما كان يضع أمواله، لأن ذلك المبلغ كان آخر مال تقاضاه في بلدة هارلو، مقاطعة كاسل، ولاية ماين. لم يعد قادراً حتى على نيل وظيفة تنظيف حظيرة دورانس مارستيلار القديمة من براز الدجاج بعد أن ضَمِن السيد هاريغان ذلك. كان رجلاً مُنصِفاً، لكن إذا لم تبادله بالمثل، ليكن الله في عونك. تناول كعكة أخرى".

أخذتُ كعكة أخرى.

"واشرب الشاي أيها الفتى".

شرِبتُ الشاي.

"أظن أنني سأنظف الطابق العلوي بعد هذه الاستراحة القصيرة، وأغيِّر ملاءات الأسرّة على الأرجح بدلاً من مجرد قلبها، على الأقل في الوقت الحاضر. ما رأيك سيحصل لهذا المنزل؟".

"آه، لا أعرف".

"وأنا أيضاً. ليس عندي أي فكرة. لا يمكنني أن أتخيّل أي شخص يشتريه. كان السيد هاريغان فريداً من نوعه، وهذا ينطبق أيضاً على..."، فتحت ذراعيها إلى حدهما الأقصى، "... كل هذا".

تذكَّرتُ المصعد الزجاجي وقرَّرتُ أنها محقة.

أخذت السيدة غ كعكة أخرى. "ماذا بشأن النباتات المنزلية؟ هل لديكَ أي فكرة بشأنها؟".

"سآخذ اثنتين، إن كان لا بأس بذلك"، قلتُ. "أما البقية فلا أعرف".

"وأنا أيضاً. وثلاجته ممتلئة. أظن أنه يمكننا اقتسام محتوياتها نحن الثلاثة - أنت وأنا وپيت".

خذوا، كلوا، فكَّرتُ في سرّي. *افعلوا هذا لذكري*.

تنهَّدَت. "أنا أماطل في الأغلب. أمطّط بضعة أعمال روتينية كما لو أنها كثيرة. لا أعرف ماذا سأفعل بنفسي، صدقاً. وأنتَ يا كريغ؟ ماذا ستفعل؟".

"سأنزل إلى الطابق السفلي لأرشّ نبتات فطره"، قلتُ. "وإذا كنتِ متأكدة أنه لا بأس، سآخذ على الأقل البنفسج الأفريقي عندما أعود إلى المنزل".

"بالتأكيد أنا متأكدة". قالتها بلكنتها اليانكية. "خذ قدر ما تشاء".

صعدت إلى الطابق العلوي ونزلتُ إلى القبو، حيث أبقى السيد هاريغان نبتات فطره في مجموعة حاويات زجاجية مغلقة. بينما رحتُ أرشّها، تذكَّرتُ الرسالة النصية التي تلقيتُها من ملك_القراصنة1 عند منتصف الليل. أبي محقّ، لا شكّ أنها نكتة، لكن ألن يرسل مُعدّ المقالب شيئاً أذكى قليلاً على الأقل، مثل *أنقذني أنا عالق في صندوق* أو النكتة القديمة *لا تزعجني بينما أتحلّل*؟ لماذا سيرسل مُعدّ المقالب حرفَي أ اللذين يبدوان عند نطقهما كما لو أنهما صوت غرغرة أو حشرجة الموت؟ ولماذا سيرسل مُعدّ المقالب الحرف الأولي من إسمي؟ ليس مرة أو مرتين بل ثلاث مرات؟

انتهى بي الأمر أن أخذتُ أربع من نباتات السيد هاريغان المنزلية - البنفسج الأفريقي والأنطور والبيبيروميا والدفنباخية. وزَّعتُها حول منزلنا، وأبقيتُ الدفنباخية لغرفتي لأنها المفضَّلة عندي. لكنني كنتُ أراوح الخطى فحسب، وعرَفتُ ذلك. بعدما رتَّبتُ النباتات، أخذتُ قارورة شاي مُثلَّج من البرّاد، ووضعتُها في جِراب درّاجتي، وقُدتُها إلى مقبرة الدردار.

كانت مهجورة في ضُحى ذلك اليوم الصيفي الحار، وذهَبتُ إلى قبر السيد هاريغان مباشرة. الحجر في مكانه، لا شيء فاخر، مجرد لوح غرانيت عليه إسمه وتواريخ. كانت هناك زهور كثيرة، كلها لا تزال نضرة (هذا لن يدوم طويلاً)، ومعظمها تحتوي على بطاقات مثنية داخلها. أكبر باقة، ربما قُطفَت من أحواض زهور السيد هاريغان - وبدافع الاحترام وليس البخل الشديد - كانت من عائلة پيت بوستويك.

ركعتُ على رُكبتيَّ، لكن ليس للصلاة. أخرَجتُ هاتفي من جيبي وأمسكتُه في يدي. راح قلبي ينبض بقوة لدرجة أنه تشكَّلت نقاط سوداء صغيرة وامضة أمام عينيَّ. ذهَبتُ إلى لائحة جهات اتصالي واتصلتُ به، ثم

أخفَضتُ هاتفي ووضعتُ خدّي على التربة المقلوبة حديثاً مترقّباً سماع صوت تامي واينَت.

اعتقَدتُ أنني سمِعتُ صوتها، لكن لا شكّ أن ذلك من نسج خيالي، لأنه على الصوت أن يخترق معطفه، ثم غطاء تابوته، ثم مترين من التربة. لكنني اعتقَدتُ أنني سمِعتُ صوتها. لا، تحقَّقتُ من ذلك - أنا متأكد أنني سمِعتُ صوتها. هاتف السيد هاريغان يغني "سانِدي رَجلك" هناك داخل قبره.

بأذني الأخرى، تلك غير المضغوطة على الأرض، يمكنني سماع صوته، خافت جداً لكن مسموع في السكون النعِس لذلك المكان: "أنا لا أردّ على هاتفي الآن. سأعاود الاتصال بك إذا بدا لي ذلك ملائماً".

لكنه لن يعاود الاتصال، سواء بدا له ذلك ملائماً أم لا. فقد مات.

عدتُ إلى المنزل.

في سبتمبر 2009، بدأتُ أتعلَّم في متوسطة غايتس فولز مع أصدقائي مارجي وريجينا وبيلي. وكنا نستقلّ حافلة قديمة صغيرة سرعان ما أكسبتنا اللقب الساخر *أولاد الحافلة القصيرة* من طلاب غايتس. ازداد طولي في نهاية المطاف (رغم أنه توقَف قبل خمسة

سنتيمترات من 180 سنتيمتراً، وهذا أحزنني نوعاً ما)، لكن في ذلك اليوم الأول من المدرسة، كنتُ أقصر ولد في الصف الثامن. وهذا جَعَلني هدفاً مثالياً لكيني يانكو، وهو ولدٌ ضخمٌ مثيرٌ للمتاعب بقي يُعاقَب تلك السنة ويجب أن توضع صورته في القاموس بجانب كلمة متنمِّر.

لم تكن حصتنا الأولى حصةً أبداً، بل تجمّعاً مدرسياً للأولاد الجدد من هارلو وموتون وشيلوه تشرش والتي تسمّى "بلدات رسوم التعليم". الناظر تلك السنة (ولعدة سنوات قادمة) رجلٌ طويلٌ متثاقل الحركة ذو رأس أصلع يلمع لدرجة أنه بدا مشمَّعاً. إنه السيد ألبرت دوغلاس، المعروف بين الأولاد إما آل مدمن الشراب أو دوغ المخصَّص للاستخدام لمرة واحدة. لا أحد من الأولاد رآه ثملاً ولو مرةً واحدةً في الواقع، لكن الخبر السائد عنه وقتها أنه يُسرف في تناول الشراب.

صعد المنصة، ورحَّب بـ "مجموعة الطلاب الجدد الطيبين" في متوسطة غايتس فولز، وأخبَرنا عن كل الأشياء المدهشة التي تنتظرنا في السنة الأكاديمية القادمة. وهذا تضمَّن فرقة موسيقية، جوقة غنائية، نادي مناظرات، نادي تصوير فوتوغرافي، مُزارعي

المستقبل في أميركا، وكل أصناف الرياضة التي يمكننا ممارستها (طالما أنها البيسبول أو سباقات المضمار أو كُرة القدم أو لاكروس - لن تكون كُرة القدم متاحةً قبل المرحلة الثانوية). شرَح عن أيام جمعة التنكّر مرة في الشهر، عندما يُتوقَع أن يرتدي الفتيان ربطات عنق وسترات رياضية وأن ترتدي الفتيات فساتين (ليست أقصر من خمسة سنتيمترات فوق الركبة، رجاءً). ثم أخبَرنا أخيراً أنه ممنوع منعاً باتاً أن تُجرى مقالب ترحيبية بالطلاب الجدد القادمين من خارج البلدة. بمعنى آخر، نحن. يبدو أن السنة الماضية شهدت دخول طالب قادم من فيرمونت إلى مستشفى ماين المركزي العام بعد أن أُجبر على شرب ثلاثة قوارير غاتوريد، وأصبح هذا التقليد محظّراً الآن. ثم تمنّى لنا التوفيق في ما سمّاه "مغامرتنا الأكاديمية".

تبيَّن أن مخاوفي من أن أضلّ طريقي في هذه المدرسة الجديدة الضخمة واهيةٌ، لأنها لم تكن ضخمة أبداً. كل حصصي ما عدا حصة اللغة الإنكليزية السابعة تُقام في الطابق الثاني، وقد أحببتُ كل أساتذتي. كما كنتُ خائفاً من حصة الرياضيات، لكن تبيّن أننا نستأنف تقريباً من حيث توقفتُ، لذا لم أعاني من أي صعوبة في

ذلك. بدأتُ أشعر بارتياح كبير بشأن هذه المسألة بأكملها إلى أن حلّت الدقائق الأربعة المخصَّصة لتغيير غرفة التدريس بين الحصتين السادسة والسابعة.

مشيتُ الرواق نحو السلالم، متجاوزاً خزائن طلاب تُغلَق بقوة، وأولاد يثرثرون، ورائحة معكرونة باللحم من الكافيتيريا. ما كدتُ أصل إلى أعلى السلالم حتى أمسكتني يدٌ. "مرحبا أيها الفتى الجديد. ليس بهذه السرعة".

استدرتُ ورأيتُ سوقيّاً طوله 180 سنتيمتراً وجهه مليء بحَبّ الشباب، وشعره الأسود يتدلّى على كتفَيه بتكتّلات دهنية، وعيناه الداكنتان الصغيرتان المليئتان بمَرَح زائف تحدِّقان بي من تحت جبهة ناتئة. كان يرتدي سروال جينز ضيقاً وحذاء دَرّاج بالياً، ويحمل كيساً ورقياً في إحدى يديه.

"خذه".

أخذتُه، جاهلاً. كان هناك أولاد يجتازونني بسرعة نزولاً على السلالم، وبعضهم يرمق الولد ذا الشعر الأسود الطويل بلمحات جانبية سريعة.

"انظر داخله".

فعلتُ ذلك. كانت هناك خرقة وفرشاة وعلبة كيوي لتلميع الأحذية. حاوَلتُ أن أُعيد له الكيس. "عليَّ الذهاب إلى حصّتي".

"حقاً أيها الفتى الجديد؟ ليس قبل أن تلمِّع لي حذائي".

لم أعد جاهلاً. هذا مقلب ترحيبيّ، ورغم أن الناظر منع هذه الأمور بكل وضوح هذا الصباح بالذات، إلا أنني فكَّرتُ بتنفيذه. ثم فكَّرتُ بكل الأولاد الذين يجتازوننا مسرعين. سيرون الفتى من بلدة هارلو الصغيرة راكعاً على رُكبتَيه ماسكاً تلك الخرقة والفرشاة وعلبة مادة التلميع. ستنتشر القصة بسرعة. ومع ذلك كنتُ سأنفِّذ المقلب على الأرجح، لأن هذا الولد أضخم مني بكثير، ولم تعجبني النظرة في عينيه. *سأُحبّ أن أُبرحك ضرباً*، قالت النظرة. *فقط أعطني عذراً أيها الفتى الجديد*.

ثم فكَّرتُ بماذا سيقول السيد هاريغان إن رآني راكعاً على رُكبتيَّ، ألمِّع بتواضع حذاء هذا الأبله.

"لا"، قلتُ.

"رفضُك خطأ لا تريد أن ترتكبه"، قال الولد. "من الأفضل لك أن تصدِّق ذلك".

"أيها الفتَيان؟ هل هناك مشكلة؟".

إنها السيدة هارغنسن، أستاذة علوم الأرض. كانت يافعة وجميلة، ولا يمكن أن تكون قد تخرَّجت من الكلّية من مدة طويلة، لكن لديها ثقة كبيرة بنفسها تُظهِر بوضوح أنها لا تقبل أي مشاكسات.

هزَّ الفتى الكبير رأسه: لا مشكلة هنا.

"كل شيء جيد"، قلتُ وأنا أُعيد الكيس إلى مالكه.

"ما اسمك؟"، سألت السيدة هارغنسن. لم تكن تنظر إليَّ.

"كيني يانكو".

"وماذا يوجد في كيسك يا كيني؟".

"لا شيء".

"أليس أغراض مقلب ترحيبي؟".

"لا"، قال. "عليَّ أن أذهب إلى حصتي".

وأنا مثله أيضاً. بدأ حَشد الأولاد المتجمهرين عند أسفل السلالم يتضاءل، وسيرنّ الجرس قريباً جداً.

"لا شكّ عندي بذلك يا كيني، لكن ثانية واحدة بعد". بدّلت انتباهها إليَّ. "كريغ، صح؟".

"نعم، سيدتي".

"ماذا يوجد في هذا الكيس يا كريغ؟ عندي فضول".

فكَّرتُ أن أُخبرها. ليس من باب الشعار التافه للكشّافة *الأمانة خير ضمانة*، بل لأنها أخافتني ولأنني حانق الآن، ولأنه (من الأفضل أن أعترف بذلك) يوجد راشد هنا ليحمي ظهري. ثم فكَّرتُ في سرّي، *كيف سيتعامل السيد هاريغان مع هذا الموقف؟ هل سيشي؟*

"بقية غدائه"، قلتُ. "نصف شطيرة. سألني إن كنتُ أريدها".

إذا أخذَت الكيس ونظرت داخله، سنصبح في ورطة نحن الاثنان، لكنها لم تفعل ذلك... رغم أنني أكيد أنها عرَفت. اكتفت بالقول لنا أن نذهب إلى حصتنا وابتعدت تطرطق بكعبها المتوسط المناسب تماماً للمدرسة.

بدأتُ أنزل السلالم، وأمسَكني كيني يانكو مرة أخرى. "كان عليك أن تلمِّعه أيها الفتى الجديد".

هذا أحنقني أكثر. "لقد أنقذتُك للتو. يجب أن تشكرني".

تورّد خدّاه، وهذا لم يلائم كل تلك البراكين الثائرة على وجهه. "كان عليك أن تلمِّعه". بدأ يبتعد، ثم اِلتفتَ وهو لا يزال يحمل كيسه الورقي الغبي. "تباً لشكرك أيها الفتى الجديد. وتباً لك".

بعد أسبوع، تجادل كيني يانكو مع أستاذ حصة النجارة السيد أرسينو، ورمى عليه مصنفِرة يدوية. كان كيني قد فُصل مؤقتاً من المدرسة ثلاث مرات بالحد الأدنى خلال سنتَي دراسته في متوسطة غايتس فولز - بعد مواجهتي معه عند أعلى السلالم، عرَفتُ أنه أسطورة نوعاً ما - وتلك كانت القشّة التي قصمت ظهر البعير. فطُرد نهائياً، وظننتُ أن مشاكلي معه انتهت.

على غرار معظم مدارس البلدات الصغيرة، تُعتبر التقاليد مهمة جداً في متوسطة غايتس فولز، وأيام جمعة التنكّر أحدها فحسب. كانت هناك أيام *حَمل الحذاء* (والتي عَنَت الوقوف أمام متجر إيغا وطلب التبرّع لمركز الإطفاء)، وأيام *إنجاز الميل* (الركض عشرين مرة حول النادي الرياضي في حصة التربية البدنية)، وغناء أغنية المدرسة في التجمّعات الشهرية.

أحد تلك التقاليد الأخرى هي حفلة الخريف، حيث يُفترَض بالفتيات دعوة الفتيان. دعتني مارجي واشبورن، ووافقتُ بالطبع لأنني أردتُ أن أبقى صديقاً لها رغم أنها لا تعجبني *بتلك* الطريقة. طلبتُ من أبي أن يأخذنا بسيارته، وكان مسروراً جداً لتلبية طلبي هذا. ريجينا مايكلز دعت بيلي بوغان، لذا كانت مواعدةً

مزدوجةً. هذا جيد جداً لأن ريجينا همَست لي في القاعة الدراسية أنها فقط دعت بيلي لأنه صديقي.

أمضيتُ وقتاً رائعاً حتى فترة الاستراحة الأولى، عندما غادرتُ النادي الرياضي لأفرِّغ بعض المشروبات التي تناولتها. ما كدتُ أصل إلى باب حمّام الفتيان حتى أمسك أحدهم حزامي بيده والجهة الخلفية لعنقي بيده الأخرى ودفعني في الرواق نحو المخرَج الجانبي الذي يؤدّي إلى مرأب سيارات هيئة التعليم. لو لم أمدّ يدي لأدفع المقبض الأفقي للباب، لكان كيني حطَّم لي وجهي بالباب.

أتذكَّر ما حصل بعد ذلك بكل وضوح. لا أعرف لماذا الذكريات السيئة من الطفولة والمراهقة المُبكرة تكون واضحة جداً في أذهاننا، لكنني أعرف أنها تكون هكذا فحسب. وهذه ذكرى سيئة جداً.

كان هواء الليل بارداً بشكل مروِّع بعد سخونة النادي الرياضي (ناهيك عن الرطوبة التي تنضح من كل تلك الأجساد المراهِقة المُثمِرة). أمكنني رؤية ضوء القمر يلمع على كُروم السيارتين المركونتين اللتين تخصّان مراقبَي تلك الليلة، السيد تايلور والسيدة هارغنسن (تُوكَل مهمة المراقبة للأساتذة الجدد لأن هذا، نعم

صحيح، من تقاليد المدرسة). وأمكنني سماع فرقعات عادم إحدى السيارات على الطريق العام 96. وأمكنني الشعور بالخدوش الحارة على راحتَي يديَّ عندما دفَعني كيني يانكو نحو زفت مرأب السيارات.

"انهض الآن"، قال. "لديك عمل لتؤدّيه".

نهضتُ. نظَرتُ إلى راحتَي يديَّ ورأيتُ أنهما تنزفان.

هناك كيس موضوع على إحدى السيارات المركونة. أخذه ومدَّه صوبي. "لمِّع لي حذائي. افعل ذلك وسنعتبر أننا تعادلنا".

"تباً لك"، قلتُ ولكمتُه على عينه.

قلتُ إنني أتذكَّر بكل وضوح، مفهوم؟ يمكنني أن أتذكَّر كل ضربة وجَّهها لي: خمس ضربات بالإجمال. ويمكنني أن أتذكَّر كيف دفعتني آخر ضربة نحو جدار الطوب الخرساني للمبنى وكيف أخبَرتُ رِجليَّ أن تُبقياني واقفاً ورفَضتا، فانزلقتُ نزولاً ببطء إلى أن أصبحت مؤخرتي على المـُحصَّبة. ويمكنني أن أتذكَّر صوت فرقة بلاك آيد بيز، الباهت لكن المسموع، في أغنية "بوم بوم باو". ويمكنني أن أتذكَّر وقوف كيني فوقي وهو يلهث بقوة ويقول، "أخبِر أي شخص وستموت". لكن من بين كل الأشياء التي يمكنني أن

أتذكَّرها، أكثر شيء أتذكَّره - وأكثر شيء عزيز على قلبي - هو الرضى العارم والوحشي الذي شَعَرتُ به عندما اتصلت قبضتي بوجهه. كانت اللكمة الوحيدة التي استطعتُ توجيهها إليه، لكنها كانت لكمة من العمر.

بوم بوم باو.

عندما ذهَب، أخرَجتُ هاتفي من جيبي. بعد التأكد أنه لم ينكسر، اتصلتُ ببيلي. هذا كل ما أمكنني التفكير بفعله. ردَّ من الرنّة الثالثة، وهو يصيح لكي يُسمَع في خضم صوت فلو ريدا الغنائي. أخبَرتُه أن يخرج ويُحضِر السيدة هارغنسن. لم أرغب أن أورِّط أستاذة، لكنني عرَفتُ أن ذلك سيحصل عاجلاً أم آجلاً، لذا بدا لي أنه من الأفضل فعل ذلك من البداية. شَعَرتُ أن هذه هي الطريقة التي سيتعامل بها السيد هاريغان مع الوضع.

"لماذا؟ ما الأمر؟".

"ضربني أحد الأولاد ضرباً مُبرحاً"، قلتُ. "لا أعتقد أنه من الأفضل أن أعود إلى الداخل. منظري ليس مناسباً".

خرج بعد ثلاث دقائق، ليس فقط مع السيدة هارغنسن بل مع ريجينا ومارجي أيضاً. راح أصدقائي يحدِّقون برعب بشفتي المشقوقة وأنفي الدامي. كما تلطَّخت ملابسي بالدم وتمزَّق قميصي (الجديد).

"تعال معي"، قالت السيدة هارغنسن. لم تبدُ منزعجة من منظر الدم، أو من الرضّة التي على خدّي، أو من طريقة تورّم فمي. "تعالوا كلكم".

"لا أريد الدخول إلى هناك"، قلتُ قاصداً ملحق النادي الرياضي. "لا أريد أن يحدِّق بي الجميع".

"لا ألومك"، قالت. "من هنا".

قادتنا إلى مدخل مدوَّن عليه *للموظفين فقط*، واستخدَمت مفتاحاً لكي تُدخلنا، وأخذتنا إلى غرفة الأساتذة. لم تكن فاخرة تماماً، فقد رأيتُ أثاثاً أفضل منه على مروج هارلو عندما يُقيم الناس معرضاً لبيع أغراضهم القديمة، لكن كانت هناك عدة كراسي، وجلَستُ على واحدة. وجَدَت علبة إسعافات أولية وأرسلت ريجينا إلى الحمّام لتُحضِر منشفة باردة لتضعها على أنفي، الذي قالت إنه لا يبدو مكسوراً.

عادت ريجينا منبهرةً. "هناك كريما يد في الداخل!".

"إنه لي"، قالت السيدة هارغنسن. "ضعي بعضاً منه إن كنتِ تريدين. ضع هذه على أنفك يا كريغ. أبقها عليه. مَن أحضَركم يا أولاد؟".

"والد كريغ"، قالت مارجي. كانت تتفحّص هذه الدولة غير المُكتشَفة بعينين محملِقتين. وبما أنه كان واضحاً

أنني لن أموت، كانت تفهرِس كل شيء لتناقشه مع صديقاتها لاحقاً.

"اتصلي به"، قالت السيدة هارغنسن. "أعطِ مارجي هاتفك يا كريغ".

اتصلت مارجي بأبي وأخبَرته أن يأتي ويأخذنا. قال شيئاً. أنصتت مارجي ثم قالت، "حسناً، حصلت مشكلة صغيرة". أنصتت أيضاً. "آه... حسناً..."

أخذ بيلي الهاتف. "تعرَّض لضرب مُبرح، لكنه بخير". أنصتَ هو أيضاً ثم مدَّ لي الهاتف. "يريد التكلّم معك".

طبعاً يريد ذلك، وبعد سؤاله إن كنتُ بخير، أراد معرفة مَن الذي فعل ذلك. قلتُ إنني لا أعرف، لكنني أظن أنه ولد من المدرسة الثانوية ربما كان يحاول تخريب الحفلة. "أنا بخير يا أبي. دعنا لا نجعل منها قصة كبيرة، اتفقنا؟".

قال *إنها* قصة كبيرة. قلتُ إنها ليست كذلك. قال بلى. بقينا نتجادل هكذا، ثم تنهَّد وقال إنه سيأتي بأسرع ما يمكنه. أنهيتُ المكالمة.

قالت السيدة هارغنسن، "لا يُفترَض بي إعطاءك أي شيء للألم، فقط ممرِّضة المدرسة يمكنها فعل ذلك، وفقط بإذن من الأهل، لكنها ليست هنا، لذا...". أمسَكت

جزدانها الذي كان معلّقاً على شمّاعة مع معطفها، وحدَّقت داخله. "هل سيشي بي أحدكم، ويجعلني ربما أفقد عملي؟".

هزّ أصدقائي الثلاثة رؤوسهم. وأنا أيضاً، لكن بحذر شديد. سدَّد كيني لكمة قوية على صدغي الأيسر. أملَتُ أن يكون الوغد المتنمّر قد أذى يده.

أخرجت السيدة هارغنسن قارورة أليف صغيرة. "مخزوني الخاص. بيلي، أحضِر له بعض الماء".

أحضَر بيلي كوب ديكسي. ابتلَعتُ الحبّة وشَعَرتُ بتحسّن فوراً. هكذا هي طاقة الإيحاء، خاصة عندما يكون الشخص الذي يقوم بالإيحاء شابة فاتنة.

"أنتم الثلاثة، كونوا كالنحل وتحرّكوا بسرعة"، قالت السيدة هارغنسن. "بيلي، ادخل النادي الرياضي وأخبِر السيد تايلور أنني سأعود بعد عشر دقائق. يا فتيات، اذهبن إلى الخارج وانتظرن والد كريغ. لوحّن له إلى باب الموظفين".

ذهَبن. مالَت السيدة هارغنسن فوقي، بشكل قريب كفاية بحيث استطعتُ شمّ عطرها المذهب. وَقَعتُ في حُبّها رغم معرفتي أن هذا سيئ، لكنني لم أكن قادراً

على منع نفسي. رفعَت إصبعين. "أُخبِرني رجاءً أنك لا ترى ثلاثة أو أربعة".

"لا، مجرد اثنين".

"حسناً". قوَّمت ظهرها. "كان يانكو، أليس كذلك؟".

"لا".

"هل أبدو غبية؟ أخبِرني الحقيقة".

لا، بدت جميلة جداً، لكن بالكاد يمكنني قول ذلك. "لا، لا تبدين غبية، لكنه لم يكن كيني. وهذا جيد. لأنه لو *كان* هو، أنا أكيد أنه سيُقبَض عليه، لأنه مطرود من قبل. وعندها ستجري محاكمة وسأضطر إلى دخول المحكمة وأروي كيف أشبعني ضرباً. سيعرف الجميع. تخيَّلي كم سيكون هذا مُحرِجاً".

"وإذا كرَّر فعلته هذه مع شخص آخر؟".

تذكَّرتُ السيد هاريغان عندها - تواصلتُ معه، يمكنك قول ذلك حتى. "هذه مشكلته. كل ما يهمّني هو أنه انتهى مني".

حاوَلت أن تتجهَّم، لكن شفتيها تكوَّرتا في ابتسامة كبيرة بدلاً من ذلك، ووَقَعتُ في حبّها أكثر من أي وقت مضى. "هذا مقبول".

"أريد فقط التعايش بسلام"، قلتُ. وهذه كانت الحقيقة الصادقة.

"أتعرِف يا كريغ؟ أعتقد أنك ستفعل ذلك".

عندما وصل أبي، تفحّصني ومدَحَ السيدة هارغنسن على عملها.

"كنتُ مداوية الإصابات خلال مباريات الملاكمة المحترفة في حياتي الأخيرة"، قالت، وهذا أضحكه. لم يقترح كلاهما الذهاب إلى غرفة الطوارئ، وهذا أشعرني بالارتياح.

أعادنا أبي نحن الأربعة إلى منازلنا، لذا فاتنا النصف الثاني من الحفلة، لكن لا أحد منا اكترث لذلك. فقد مرَّ بيلي ومارجي وريجينا بتجربةٍ مثيرةٍ للاهتمام أكثر من مجرد تلويح أيديهم في الهواء لأغاني بيونسيه وجاي زي. أما بالنسبة لي، فقد بقيتُ أسترجع الصدمة المُرضية التي غمرت ذراعي عندما اتصلت قبضتي بعين كيني يانكو. ستترك رضّة رائعة، وتساءلتُ كيف سيبرّرها. *يا لهبلي، اصطدمتُ ببابٍ. يا لهبلي، اصطدمتُ بجدارٍ. يا لهبلي، كنتُ أستمني وانزلَقت يدي.*

عندما عدنا إلى منزلنا، سألني أبي مرة أخرى إن كنتُ أعرف مَن الذي فعل ذلك. قلتُ لا.

"لستُ متأكداً أنني أصدِّق هذا يا بُنيّ".

لم أقل شيئاً.

"تريد فقط نسيان المسألة بأكملها؟ هل هذا ما أسمعه؟".

أومأتُ برأسي.

"حسناً". تنهَّد. "أظنني أفهمُك. كنتُ مراهقاً ذات يوم أنا أيضاً. هذا شيء يُخبِره الأهل لأولادهم دائماً عاجلاً أم آجلاً، لكنني أشكّ أن أياً منهم يصدِّقه".

"أنا أصدِّقه"، قلتُ صادقاً، رغم أنه مُضحك تخيّل أبي شخصاً تافهاً طوله 165 سنتيمتراً في عصر الخطوط الأرضية.

"أخبِرني شيئاً واحداً على الأقل. ستغضب أمك مني حتى لطرحي السؤال، لكن بما أنها ليست هنا... هل ضربتَه أنت أيضاً؟".

"نعم. لكمة واحدة فقط، لكنها لكمة جيدة".

هذا جَعَله يبتسم. "حسناً. لكن عليك أن تفهم أنه إذا هاجمك مرة أخرى، سنُبلغ الشرطة. مفهوم؟".

قلتُ إنه مفهوم.

"أستاذتك - تروق لي - قالت إن عليَّ أن أُبقيك مستيقظاً لساعةٍ على الأقل وأتأكد من عدم شعورك بالغثيان. هل تريد قطعة فطيرة؟".

"بالتأكيد".

"وكوب شاي معها؟".

"طبعاً".

لذا أكلنا فطيرة وشربنا كوبَين كبيرين من الشاي وروى لي أبي قصصاً لم تكن عن خطوط الهاتف المشتركة، أو الذهاب إلى مدرسة ذات غرفة واحدة وموقد أخشاب للتدفئة، أو التلفزيونات التي تلتقط المحطات الثلاثة فقط (ولا تلتقط أي محطة أبداً إذا هبّت الرياح على هوائي السطح). أخبَرني كيف أنه وجَد مع روي ديويت بعض الألعاب النارية في قبو روي وعندما أطلقاها، دخَل أحدها صندوق حطب موقد فرانك دريسكول وأشعلت فيه النار وقال فرانك دريسكول إنهما إذا لم يحطِّبا له كدسة حطب بدلاً منها، فسيُخبِر أهلَيهما. أخبَرني كيف أن أمه سمِعته بالصُدفة يلقِّب العجوز فيلي لُوبيرد من شيلوه تشرش بزعيم الأصداف الكبيرة وغسلت له فمه بالصابون متجاهلةً وعوده بأنه لن يقول أي شيء كهذا مرة أخرى أبداً. أخبَرني عن الشجارات في مقصف

أوبورن رولودروم - سمّاها لعلعات - التي تندلع بين الأولاد من ثانوية لشبونة ومن مدرسته ثانوية إدوارد ليتل كل ليلة جمعة. أخبَرني عن نزع ولدَين ضخمين ثوب سباحته عنه في الشاطئ الأبيض ("سرتُ عائداً إلى المنزل وقد لففتُ منشفتي حولي")، والمرة التي طارده فيها ولدٌ في شارع كاربن في كاسل روك وهو يلوِّح بمضرب بيسبول ("قال إنني خلَّفتُ أثر قبلة على عنق أخته، وهذا أمر لم أفعله أبداً").

كان حقاً مراهقاً ذات يوم.

صعدتُ إلى غرفتي في الطابق العلوي والسرور يغمرني، لكن مفعول الأليف الذي أعطتني إياه السيدة هارغنسن بدأ يزول، وحين خلعتُ ملابسي، بدأ السرور يزول معه. كنتُ متأكداً تماماً أن كيني يانكو لن يعاود مهاجمتي، لكنني لم أكن متيقّناً من ذلك. ماذا لو بدأ أصدقاؤه يوبِّخونه بشأن الرضّة؟ يضحكون عليه بسببها؟ يهزأون منه حتى؟ ماذا لو حنق وقرَّر أنه بحاجة إلى جولة ثانية؟ إذا حصل ذلك، فقد لا أتمكن على الأرجح من تسديد حتى لكمة جيدة واحدة؛ لأنني نجحتُ في توجيه تلك الضربة على عينه بالحظ، في

النهاية. يمكنه أن يتسبَّب بإدخالي المستشفى، أو أسوأ من ذلك.

غسَلتُ وجهي (بلطف شديد)، ونظَّفتُ أسناني، واستلقيتُ على السرير، وأطفأتُ الضوء، ثم بقيتُ ممدَّداً هناك أسترجع ما حصل. صدمة أن أُمسَك من الخلف وأُلقى على أرض الرواق. أن أُلكَم على صدري. على فمي. أن أُخبِر رِجليَّ أن تُبقياني واقفاً وأن تُجيباني *ربما لاحقاً*.

بعدما أصبحتُ في الظلمة، بدأتُ أشعر أكثر فأكثر أن كيني لم ينتهِ مني بعد. هذا منطقي حتى، تماماً مثلما يمكن للأشياء الأكثر جنوناً من ذلك بكثير أن تبدو منطقية عندما تحلّ الظلمة وتبقى لوحدك.

لذا أشعلتُ الضوء مرة أخرى واتصلتُ بالسيد هاريغان.

لم أتوقع سماع صوته أبداً، أردتُ فقط أن أتظاهر أنني أتكلَّم معه. ما توقَّعتُه هو الصمت، أو رسالة مسجَّلة تُخبرني أن الرقم الذي أتصل به لم يعد في الخدمة. فقد وضعتُ هاتفه في جيب بذلة دفنه قبل ثلاثة أشهر، وبطارية هواتف الآيفون الأولى تلك تدوم 250 ساعة فقط، حتى في حالة الوضع الاحتياطي. وهذا يعني أن الهاتف منطفئ بلا شك.

لكنه رنَّ. لا يحقّ له أن يرنّ، فالمنطق يخالف ذلك كلياً، لكن تحت أرض مقبرة الدردار، على بُعد خمسة كيلومترات، راحت تامي وايننَت تغنّي "سانِدي رَجلك".

في منتصف الرنّة الخامسة، صدح صوته العجوز المبحوح قليلاً في أذني. نفس أسلوبه الاعتيادي الذي يدخل في صُلب الموضوع مباشرة، ولا حتى يدعو المتصل به لكي يترك رقماً أو رسالةً. "أنا لا أردّ على هاتفي الآن. سأعاود الاتصال بك إذا بدا لي ذلك ملائماً".

أتت الصفرة، وسمِعتُ نفسي أتكلّم. لا أتذكّر أنني فكّرتُ بالكلمات، وبدا لي أن فمي يُفتَح من تلقاء نفسه بالكامل.

"لقد ضُربتُ بعنف هذه الليلة يا سيد هاريغان. على يد ولد غبي ضخم يدعى كيني يانكو. أرادني أن ألمّع له حذاءه ورفضتُ. لم أشِ به لأنني اعتقَدتُ أن الأمر سينتهي عند ذلك الحدّ، كنت أحاول التفكير مثلك، لكنني لا أزال قلِقاً. أتمنّى لو يمكنني أن أتكلّم معك".

سكتُّ لبرهة.

"أنا مسرور أن هاتفك لا يزال يعمل، رغم أنني لا أعرف كيف يُعقَل ذلك".

سكتُّ لبرهة.

"أنا مشتاق لك. وداعاً".

أنهيتُ المكالمة. نظَرَتُ إلى لائحة المكالمات الحديثة لأتأكد أنني اتصلتُ *حقاً*، فرأيتُ رقمه هناك، إلى جانب الوقت - 11:02 مساءً. أطفأتُ هاتفي ووضعتُه على منضدة السرير. وأطفأتُ مصباحي وغفوتُ تقريباً حالاً. حصل ذلك ليلة جمعة. في الليلة التالية - أو ربما صباح الأحد - مات كيني يانكو. شنق نفسه، رغم أنني لم أعرف ذلك، أو أياً من التفاصيل، لسنة أخرى.

لم يُنشَر نعي كينيث جايمس يانكو في صحيفة لويستون صن قبل الثلثاء، وكل ما قاله هو أنه "تُوفِّي فجأة، نتيجة حادث مأساوي"، لكن الخبر انتشر في كل أرجاء المدرسة يوم الاثنين وبالطبع بدأ مصنع الإشاعات يعمل بطاقته القصوى.

كان يتنشَّق غراءً ومات من سكتة دماغية.

كان ينظِّف إحدى بنادق صيد أبيه (قيل إن السيد يانكو يملك ترسانة كبيرة في منزله) وانطلق عيار ناري.

كان يلعب الروليت الروسية بأحد مسدَّسات أبيه وفجَّر رأسه.

ثمِلَ، وسقَط عن السلالم، وكسر عنقه.

كل هذه القصص لم تكن حقيقية.

بيلي بوغان هو الشخص الذي أخبَرني، حالما صعد إلى *الحافلة القصيرة*. روى لي الخبر بكل حماسة تقريباً. قال إن إحدى صديقات أمه من غايتس فولز اتصلت وأخبَرتها. تعيش تلك الصديقة في الجانب المقابل للشارع ورأتهم يُخرجون الجثة على نقّالة تحيط بها مجموعة أشخاص يبكون ويصرخون. يبدو أن حتى المتنمِّرين المطرودين لديهم أشخاص يحبّونهم. بصفتي قارئ كتاب الحكم القديمة، يمكنني حتى أن أتخيَّلهم يمزِّقون ملابسهم.

تذكَّرتُ فوراً - وشعور الذنب يغمرني - المكالمة التي أجريتُها إلى هاتف السيد هاريغان. أخبَرتُ نفسي أنه مات ولا يمكن أن تكون لي أي علاقة بذلك. أخبَرتُ نفسي أنه حتى ولو كانت هكذا أمور ممكنة خارج القصص المصوَّرة المرعبة، لم أتمنّى بالتحديد أن يموت كيني، بل أردتُ فقط أن يتركني وشأني، لكن ذلك بدا لي مشابهاً لأسلوب المحامين بطريقة أو بأخرى. وبقيتُ أتذكَّر شيئاً قالته السيدة غروغان في اليوم التالي للجنازة، عندما وصفتُ السيد هاريغان بالرجل الطيب لشمله لنا في وصيّته.

لستُ أكيدةً جداً من ذلك. كان مُنصِفاً، نعم، لكنك لا تريد أن تكون خصماً له.

داستي بيلودو أصبح من خصوم السيد هاريغان، وبالتأكيد كيني يانكو كان سيصبح من خصومه أيضاً لضربه لي عندما رفضتُ أن ألمِّع له حذاءه اللعين. لكن *لم* يعد للسيد هاريغان خصوم. بقيتُ أُخبر نفسي هذا. لا يوجد خصوم للموتى. بالطبع الهواتف التي لم تُشحَن بطاريتها لثلاثة أشهر لا يمكنها أن ترنّ ثم تُسمعك رسالة (أو تتلقاها) أيضاً... لكن هاتف السيد هاريغان رنَّ، وسمِعتُ صوته العجوز الصدئ. لذا شَعَرتُ بالذنب، لكنني شَعَرتُ بالارتياح أيضاً. لأن كيني يانكو لن يهاجمني أبداً. لقد أصبح بعيداً عن طريقي.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، وخلال فترة استراحتي، جاءت السيدة هارغنسن إلى النادي الرياضي حيث كنتُ أسدِّد بعض الكُرات على السلّة وأخذتني إلى الرواق.

"كنتَ كئيباً في حصة اليوم"، قالت.

"لا، لم أكن".

"كنتَ وأعرف السبب، لكنني سأُخبِرك شيئاً. الأولاد في مثل سنّك ينظرون نظرة بطلمية إلى الكون. أنا يافعة

كفاية لأتذكّر ذلك".

"لا أعرف ما -"

"بطليموس عالِم رياضيات ومنجِّم روماني ظنَّ أن كوكب الأرض مركز الكون، نقطةٌ ثابتةٌ يدور حولها كل شيء آخر. والأولاد يظنّون أن عوالمهم بأكملها تدور *حولهم*. هذا الشعور بالتواجد في مركز كل شيء يبدأ بالتضاؤل عادة حين تبلغ العشرين تقريباً، لكنك لا تزال بعيداً جداً عن ذلك".

قالت هذا وهي قريبة مني ونبرتها جدّية جداً، وتنظر إليّ بأجمل عينين خضراوين. كما أن رائحة عطرها جعلتني أُصاب بدُوار خفيف.

"يمكنني أن أرى أنك لا تفهمني، لذا دعني أستغني عن المجاز. إذا كنتَ تعتقد أن لك أي علاقة بموت الفتى يانكو، انسَ ذلك. ليست لك أي علاقة. لقد رأيتُ سجله، وكانت لديه مشاكل خطيرة. مشاكل في المنزل، مشاكل في المدرسة، مشاكل نفسية. لا أعرف ماذا حصل، ولا أريد أن أعرف، لكنني أرى نعمةً هنا".

"ما هي؟"، سألتُ. "أنه لم يعد قادراً على ضربي بعد الآن؟".

ضحِكت كاشفةً عن أسنان جميلة مثل بقية جسمها. "ها هي النظرة البطلمية إلى العالم مرة أخرى. لا يا كريغ، النعمة هي أنه كان يافعاً جداً لكي يستحصل على رخصة قيادة. لو كان كبيراً في السنّ كفاية ليقود، لكان أخذ معه أولاداً آخرين. الآن عد إلى النادي الرياضي وسدّد بعض الكُرات".

بدأتُ أنصرف، لكنها أمسَكت مِعصَمي. بعد إحدى عشرة سنة، لا أزال قادراً على تذكُّر الكهرباء التي شَعَرتُ بها. "كريغ، لا يمكنني أن أكون مسرورة أبداً عندما يموت ولدٌ، حتى ممثل سيئ مثل كينيث يانكو. لكن يمكنني أن أكون مسرورة أنك لستَ مَن مات".

أردتُ فجأة إخبارها كل شيء، وربما كنتُ فعلتُ ذلك، لكن الجرس رنَّ في تلك اللحظة، وفُتحت أبواب غُرف التدريس، وامتلأ الرواق بأولاد يثرثرون. ذهَبت السيدة هارغنسن في طريقها وذهَبتُ في طريقي.

شغَّلتُ هاتفي تلك الليلة ورحتُ أحدِّق به في البدء لأستجمع شجاعتي. ما قالته السيدة هارغنسن ذلك الصباح منطقي، لكنها لم تعرف أن هاتف السيد هاريغان لا يزال يعمل، وهذا مستحيل. لم تسنح لي الفرصة

لأُخبرها وشَعَرتُ - وعن خطأ، مثلما تبيَّن لي - أن الفرصة لن تسنح لي أبداً.

لن يعمل هذه المرة، أخبَرتُ نفسي. *كان ذلك مجرد دفق طاقة أخير فقط لا غير. مثل لمبة تومض بشكل ساطع قُبيل احتراقها*.

ضغطتُ إسمه في لائحة جهات اتصالي، متوقعاً - آملاً، في الواقع - صمتاً أو رسالة تُخبرني أن الهاتف لم يعد في الخدمة. لكنه رنَّ، وبعد بضع رنّات، سمِعتُ صوت السيد هاريغان في أذني مرة أخرى. "أنا لا أردّ على هاتفي الآن. سأعاود الاتصال بك إذا بدا لي ذلك ملائماً".

"أنا كريغ يا سيد هاريغان".

شَعَرتُ بالغباء وأنا أكلِّم رجلاً ميتاً - رجلاً سيكون العفن قد تزايد على خدَّيه الآن (لقد أجريتُ أبحاثي، نعم)، ولم أشعر بالغباء أبداً في الوقت نفسه. بل شَعَرتُ بالخوف، مثل شخصٍ يطأ أرضاً دنيويةً.

"اسمع..."، لعَقتُ شفتيَّ. "لم تكن لك أي علاقة بموت كيني يانكو، ألَيس كذلك؟ إذا كانت لك... اقرع على الجدار".

أنهيتُ المكالمة.

انتظَرتُ قرعاً.

لم يأتِ أي قرعٍ.

في الصباح التالي، تلقيتُ رسالة من ملك_القراصنة1. ستة أحرف فقط: *أ أ أ. ك ك ه.*

لا معنى لها.

أخافتني كثيراً.

فكَّرتُ كثيراً بكيني يانكو ذلك الخريف (القصة الرائجة عنه حالياً هي أنه سقَط من الطابق الثاني لمنزله أثناء محاولته التسلّل خارجاً عند منتصف الليل). وفكَّرتُ حتى أكثر بالسيد هاريغان، وبهاتفه الذي أتمنّى الآن لو أنني رميتُه في البحيرة. كان هناك افتتان، اتفقنا؟ افتتان بأشياء غريبة كلنا نشعر به. بأشياء ممنوعة. كدتُ أتصل بهاتف السيد هاريغان في عدة مناسبات، لكنني لم أفعل ذلك أبداً، على الأقل ليس وقتها. كنتُ أجد صوته مطمئِناً، صوت الخبرة والنجاح، يمكنك القول صوت الجَدّ الذي لم أحظَ به أبداً. لا يمكنني الآن أن أتذكَّر ذلك الصوت مثلما كان في فترات بعد ظهرنا المشمسة وهو يتكلّم عن تشارلز ديكنز أو فرانك نوريس أو د. ه. لورنس، أو كيف أن الانترنت أشبه بأنبوب مياه رئيسي مكسور. كل ما يمكنني أن أفكِّر فيه الآن هو

صوته الخشن مثل ورقة صنفرة أصبحت بالية تقريباً يُخبرني أنه سيعاود الاتصال بي إن بدا له ذلك ملائماً. وفكَّرتُ فيه داخل تابوته. لا شكّ أن الحانوتيّ من متجر هاي وبيبودي صمّغ له جفنيه، لكن لكم من الوقت سيدوم ذلك الصمغ؟ هل عيناه مفتوحتان هناك في الأسفل؟ هل تحدِّقان بالظلمة وهما تتعفَّنان في مَحجِريهما؟

بقيت هذه الأشياء تؤرق بالي.

قبل أسبوع من احتفال الشتاء، طلب مني الموقَّر مُوني أن أزوره في مكتبه لكي نستطيع أن "ندردش"، لكن هو الذي أجرى معظم الدردشة. أخبرني أن أبي قلِق بشأني، فوزني ينخفض وعلاماتي المدرسية تتراجع. هل هناك أي شيء أريد إخباره إياه؟ فكَّرتُ بالأمر وقرَّرتُ أنه قد تكون هناك بعض الأشياء. ليس كل شيء، لكن بعض الأشياء.

"إذا أخبرتُك شيئاً، هل يمكن أن يبقى سراً بيننا؟".

"طالما أنه لا يتعلق بإيذاء النفس أو بجريمةٍ - جريمةٍ خطيرةٍ - فالجواب هو نعم. هذا ليس اعترافاً في تحقيق بوليسي، وأنا بارع في حفظ الأسرار".

لذا أخبَرتُه أنني تشاجرتُ مع فتى من المدرسة، فتى أضخم مني يدعى كيني يانكو، وقد ضربني ضرباً مُبرحاً. قلتُ إنني لم أتمنَّ أبداً أن يموت كيني، وبالطبع لم أطلب ذلك في صلاتي، لكنه مات بُعيد شجارنا تقريباً، ولا يمكنني التوقف عن التفكير بذلك. أخبَرتُه بما قالته السيدة هارغنسن كيف أن الأولاد يظنون أن كل شيء له علاقة بهم، وكيف أن ذلك ليس صحيحاً. قلتُ إن ذلك ساعدني قليلاً، لكنني لا أزال أظن أنني ربما لعِبتُ دوراً في وفاة كيني.

ابتسم الموقَّر. "أستاذتك محقّة يا كريغ. إلى أن بلغتُ الثامنة، بقيتُ أتجنَّبُ الدوس على تشقّقات الرصيف لكي لا أكسر ظهر أمي عن غير قصد".

"حقاً؟".

"حقاً". مال إلى الأمام واختفت ابتسامته. "سأحفظ سرّك إن حفظتَ سرّي. هل توافق؟".

"بالتأكيد".

"أنا صديق عزيز للمحترم إنغرسول، من سانت آنْ في غايتس فولز. إنها دار العبادة التي تذهب إليها عائلة يانكو. أخبَرني أن الفتى يانكو انتحَر".

أعتقد أنني شهقتُ، فالانتحار هو أحد الإشاعات التي تم تداولها طوال الأسبوع الذي تلى وفاة كيني، لكنني لم أصدِّقها أبداً. كنتُ سأقول إن فكرة الانتحار لم تخطر ببال السافل المتنمّر أبداً.

بقي الموقَّر مُوني مائلاً إلى الأمام، وأمسك إحدى يديَّ بيديه الاثنتين. "كريغ، هل تعتقد حقاً أن الفتى عاد إلى منزله وفكَّر في سرّه، 'يا للهول، لقد عنَّفتُ ولداً أصغر مني سناً وحجماً، أظن أنني سأقتل نفسي'؟".

"لا أظن"، قلتُ وزفرتُ نَفَساً شَعَرتُ كما لو أنني أحبسه منذ شهرين. "عندما تصف الأمر بهذه الطريقة. كيف فعل ذلك؟".

"لم أسأل، ولن أُخبِرك حتى ولو كان المحترم إنغرسول قد أخبَرني. عليك أن تنسى هذا يا كريغ. كان الفتى يعاني من مشاكل، وحاجته إلى ضربك كانت فقط أحد عوارض تلك المشاكل. لا علاقة لك بوفاته".

"وإن كنتُ قد ارتحتُ؟ من أنني لم أعد مضطراً أن أقلق بشأنه؟".

"سأقول إن هذا شعورٌ بشريٌ طبيعيٌ".

"شكراً".

"هل تشعر بتحسّن؟".

"نعم".

وكنتُ صادقاً في ذلك.

قُبيل نهاية العام الدراسي، وَقَفت السيدة هارغنسن أمامنا في حصة علوم الأرض وقد ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهها. "لقد ظننتم على الأرجح أنكم ستتخلَّصون مني بعد أسبوعين، لكن عندي لكم خبر سيئ. السيد دي لسبس أستاذ البيولوجيا في الثانوية سيتقاعد، وقد عُيِّنتُ مكانه. يمكنكم القول إنني سأتخرَّج من المدرسة المتوسطة إلى المدرسة الثانوية".

تأوه بضعة أولاد بتصنّع، لكن معظمنا صفَّق، ولا أحد صفَّق بقوة أكثر مني. لن أفارق حُبي. بالنسبة لذهني المراهِق، بدا لي هذا قدراً. وكان كذلك بطريقة ما.

غادرتُ متوسطة غايتس فولز أنا أيضاً وبدأتُ الصف التاسع في ثانوية غايتس فولز. وهناك التقيتُ مايك يوبرّوت، المعروف وقتها - بما أن مهنته الحالية هي ملتقِط احتياطي في فريق بلتيمور أوريولز - بالغواصة.

الرياضيون وأصحاب الهوى الثقافي لا ينسجمون جيداً في غايتس (أظن أن هذا يصحّ في معظم الثانويات، لأن الرياضيين يميلون إلى أن يكونوا

متعصّبين لأمثالهم)، ولولا مسرحية *الزرنيخ والدانتيل القديم*، أشكّ أننا كنا سنصبح أصدقاء. كان الغواصة في الصف الثانوي الثاني وكنتُ مجرد وضيع في الصف الثانوي الأول، وهذا يجعل الصداقة بيننا أقل احتمالاً أيضاً. لكننا أصبحا أصدقاء، ولا نزال صديقين حتى يومنا هذا، رغم أنني لا أراه كثيراً.

تقدِّم العديد من الثانويات مسرحية يمثِّلها طلاب الصف الثانوي الثالث الأخير، لكن الحال مختلف في غايتس حيث تُقدَّم مسرحيتان كل سنة، ورغم أنها من تمثيل نادي الدراما، إلا أنه باستطاعة كل الطلاب إجراء اختبار أداء للمشاركة فيها. أعرف القصة لأنني شاهدتُ الفيلم على التلفزيون بعد ظهر يوم سبتٍ ماطرٍ وقد أعجبني، لذا تقدَّمتُ لاختبار الأداء. حبيبة مايك، وهي عضو في نادي الدراما، أقنعته أن يتقدَّم لاختبار الأداء، وانتهى به المطاف أن أدّى دور جوناثن بروستر الميّال إلى القتل. أُسند لي دور رفيقه النشط، الطبيب آينشتاين. هذا الدور مثّله بيتر لوري في الفيلم، وبَذَلتُ قُصارى جهدي لأقلِّد صوته، قائلاً بسخرية "بلى! بلى!" قبل كل جملة. لم يكن تقليداً جيداً جداً، لكن عليَّ إخبارك أنه أعجب الجمهور كثيراً. آه للبلدات الصغيرة.

هكذا أصبحتُ والغواصة صديقين، وهكذا عرَفتُ أيضاً ما الذي حصل لكيني يانكو حقاً. فقد تبيَّن أن الموقَّر مخطئ وأن نعي الصحيفة محقّ. كان حادثاً حقاً.

خلال الاستراحة بين الفصلين أثناء تأديتنا المسرحية بالملابس النهائية، كنتُ عند آلة الكولا التي أكلت سنتاتي الخمسة والسبعين دون أن تعطيني شيئاً بالمقابل. ترك الغواصة حبيبته واقترب مني وضرب الزاوية اليمنى العليا للآلة ضربةً عنيفةً براحة يده. سقطت عبوة الكولا فوراً في دُرج الاستخراج.

"شكراً"، قلتُ.

"لا مشكلة. فقط تذكّر أن عليك ضربها هناك، عند تلك الزاوية".

قلتُ إنني سأفعل ذلك، رغم أنني شككَتُ أنني سأقدر أن أضربها بنفس القوة.

"آه، على فكرة، سمِعتُ أنك واجهتَ مشكلةً مع ذلك الولد يانكو. هل هذا صحيح؟".

لم يكن هناك مغزى من إنكار ذلك - فقد ثرثر بيلي والفتاتان - ولا داعي للإنكار حقاً في هذا التاريخ المتأخر. لذا قلتُ نعم، هذا صحيح.

"هل تريد أن تعرف كيف مات؟".

"سمِعتُ حوالي مئة قصة مختلفة. هل لديك قصة أخرى؟".

"لديَّ الحقيقة يا صديقي الصغير. أنتَ تعرف مَن أبي، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد". فقد تألَّفت شرطة غايتس فولز من أقل من عشرين عنصراً بالزي الرسمي، ورئيس الشرطة، ومحقق واحد هو والد مايك، جورج يوبرّوث.

"سأخبِرك عن يانكو إذا تركتني أشرب من عبوة مياهك الغازية".

"حسناً، لكن لا تدع لعابك يدخلها".

"هل أبدو لك حيواناً؟ أعطني إياها أيها اللعين".

"بلى، بلى"، قلتُ مقلِّداً بيتر لوري. ضَحك بفتور، وأخذ العبوة، وشرب نصفها، ثم تجشأ. حشرت حبيبته الواقفة في الطرف الآخر للرواق إصبعاً في فمها وقلَّدت التقيؤ. الحبّ في المدرسة الثانوية معقَّد جداً.

"أبي هو الذي حقّق في الحادثة"، قال الغواصة وهو يعيد لي العبوة، "وبعد يومين على وقوعها سمِعتُه يتكلَّم مع الرقيب بوك من المخفر. كانا على الشرفة

يشربان شراب الشعير، وقال الرقيب شيئاً عن ممارسة يانكو للاستمناء والخنق. ضحِك أبي وقال إنه سمِع أنها تسمّى ربطة عنق بيفرلي هيلز. قال الرقيب إنها ربما الطريقة الوحيدة التي استطاع بها الولد المسكين أن يتدبّر أمره بذلك الوجه المرقط. ردّ أبي نعم، أمر حزين لكن حقيقي. ثم قال إن ما أزعجه كان الشعر. قال إنه أزعج الطبيب الشرعي أيضاً".

"ماذا بشأن شعره؟"، سألت. "وما هي ربطة عنق بيفرلي هيلز؟".

"بحثتُ عنها على هاتفي. إنها كلمة عاميّة لعملية الخنق الجنسي الذاتي". قال الكلمات بعناية. بفخر تقريباً. "تشنق نفسك وتستمني بينما يُغمى عليك". رأى تعبيري وهزّ كتفيه. "أنا لا أصنع الأخبار أيها الطبيب آينشتاين، بل أنقلها فقط. أظن أنه يُفترَض بها أن تكون عملية مثيرة جداً، لكن أعتقد أنني لن أجرّبها".

وأنا اعتقَدتُ مثله أيضاً. "ماذا بشأن الشعر؟".

"سألت أبي عن ذلك. لم يرد إخباري، لكن بما أنني سمِعتُ الباقي، أخبرني في نهاية المطاف. قال إن نصف شعر يانكو أصبح أبيض".

بقيتُ أفكِّر بذلك كثيراً. من جهة، إن تمعّنتُ في أي لحظة بفكرة نهوض السيد هاريغان من قبره لينتقم لي (أحياناً في الليل عندما لا يمكنني النوم، تتسلَّل الفكرة إلى ذهني رغم سخافتها)، بدا أن قصة الغواصة وضعت حدّاً لتلك الأفكار. وتخيُّل كيني يانكو في خزانته، وقد أنزل بنطلونه حتى كاحلَيه ولفَّ حبلاً حول عنقه واستحال وجهه أرجوانياً أثناء ممارسته عادة الاستمناء والخنق القديمة، جعلني أشفق عليه في الواقع. يا لها من طريقة غبية ومُهينة للموت. "نتيجة حادث مأساوي"، قال النعي في صحيفة الصن، وهذا كان أكثر دقة مما استطاع أي ولد منا أن يُدرك.

لكن من جهة أخرى، هناك الشيء الذي قاله والد الغواصة عن شعر كيني. لم أستطع إلا أن أتساءل ما الذي يمكن أن يسبِّب هكذا شيء. ماذا يمكن أن يكون كيني قد رأى في تلك الخزانة خلال اقترابه من فقدان الوعي وهو يداعب منفرج ساقيه المسكين.

لجأتُ أخيراً إلى مستشاري المفضَّل، الانترنت، حيث وجَدتُ آراءً مختلفةً. صرَّح بعض العلماء أنه لا يوجد أي دليل على الإطلاق أن صدمةً قادرةٌ على تحويل شعر الشخص إلى اللون الأبيض. وقال علماء آخرون بلى،

بلى، بإمكان ذلك أن يحصل حقاً. إن صدمةً مفاجئةً يمكنها أن تقتل الخلايا الجذعية الصباغية التي تحدِّد لون الشعر. وقرأتُ مقالاً قال إن ذلك حصل في الواقع لتوماس مُور وماري أنطوانيت قبل إعدامهما. واستبعد مقالٌ آخر ذلك قائلاً إنها مجرد أسطورة. في النهاية، بدا هذا مشابهاً لشيء قاله السيد هاريغان أحياناً عن شراء أسهم البورصة: تدفع مالك وتأخذ خيارك.

خفتت تلك الأسئلة والهموم شيئاً فشيئاً، لكنني سأكون كاذباً إن أخبَرتُك أن كيني يانكو غادر ذهني بالكامل، وقتها أو الآن. كيني يانكو في خزانته وحبلٌ حول عنقه. ربما لم يُغمى عليه قبل أن يتمكّن من إرخاء الحبل في النهاية. ربما رأى كيني يانكو - فقط ربما - شيئاً أخافه كثيراً لدرجة أنه أُغمي عليه. خاف حتى الموت في الواقع. بدا هذا غبياً جداً في ضوء النهار، أما في الليل، خاصة إذا كانت الرياح شديدة وتُحدث أصواتاً صارِخةً صغيرةً حول طُنُف السقف، فلم يبدُ غبياً جداً.

علَّقت شركة عقارية من بورتلاند لافتة *للبيع* أمام منزل السيد هاريغان، وأتى بضعة أشخاص لينظروا إليه. كانوا في الأغلب من الصنف الذي يأتي على متن طائرة

من بوسطن أو نيويورك (بعضهم على متن طائرة نفّاثة مستأجرة على الأرجح)، أو من الصنف الذي يدفع مبلغاً إضافياً ليستأجر سيارة فاخرة، على غرار رجال الأعمال الذين حضروا جنازة السيد هاريغان. من بين أولئك الناس أول شخصين مثليَّي جنسياً رأيتهما في حياتي. كانا يافعين لكن من الواضح أنهما غنيان، ومن الواضح أنهما مغرمان ببعضهما. أتيا في سيارة BMW i8 جذّابة، وبقيا يُمسكان يدَي بعضهما في كل مكان ذهَبا إليه، وأبديا الكثير من الإعجاب بالعقار. ثم رحلا ولم يعودا.

رأيتُ الكثير من أولئك الشراة المحتملين لأن الوصيّ على العقار (السيد رافرتي، بالطبع) أبقى على السيدة غروغان وپيت بوستويك، ووظّفني لأساعد في العناية به. فقد عرَف أنني بارع مع النباتات وأنني مستعد لأعمل بجهد. صرتُ أتقاضى اثني عشر دولاراً في الساعة لعشر ساعات في الأسبوع، وبما أن الصندوق الاستئماني بعيد عن متناولي إلى أن أصبح في الكلّية، فقد شكّل ذلك المال دخلاً مفيداً جداً.

كان پيت يسمّي الشراة المحتملين *أغنياء مدلَّلين*. مثل الحبيبين في سيارتهما BMW المستأجَرة، اللذين بقيا

يُبديان إعجابهما بالمنزل لكنهما لم يشترياه على اعتبار أنه يقع على طريق ترابي والمناظر فقط جيدة وليست خلاّبة (لا بحيرات، لا جبال، لا ساحل صخري عليه منارة)، ولم أتفاجأ، مثل پيت أو السيدة غروغان. وقد لقَّبا المنزل *عِزبة الفيل الأبيض* [عبء ثقيل لا طائل منه].

أوائل شتاء 2011، استخدَمتُ بعض مالي من أعمال البستنة لترقية هاتفي من الجيل الأول إلى آيفون 4. نَقَلتُ جهات اتصالي إلى الهاتف الجديد في نفس الليلة، وبينما رحتُ أتصفّحها، وصلتُ إلى رقم السيد هاريغان. من دون تفكير كثير، ضغطتُه. *جاري الاتصال بالسيد هاريغان*، قالت الشاشة. وَضَعتُ الهاتف على أذني وخالجني مزيج من الرعب والحشرية.

لم تكن هناك رسالة صادرة من السيد هاريغان. ولم يكن هناك صوت آليّ يُخبرني أن الرقم المطلوب لم يعد في الخدمة، ولم يكن هناك رنين. مجرد صمت هادئ. يمكنك القول إن هاتفي الجديد بدا صامتاً كالقبر.

كم هذا مريح.

درستُ مقرّر البيولوجيا في سنتي الثانوية الثانية، وكانت السيدة هارغنسن هناك، جميلة كالعادة، لكنها لم

تعد حُبي فقد نقلت مشاعري إلى شابة متوفرة أكثر (وسنّها مناسب أكثر). كانت ويندي جيرارد شقراء صغيرة من موتون تخلّصت من مقوِّم أسنانها للتو. سرعان ما أصبحنا ندرس معاً، ونذهب إلى السينما معاً (عندما يأخذنا أبي أو أمها أو أبوها)، ونتبادل القبل في الصف الخلفي. كل تلك الأمور الشائعة بين الأولاد المدلَّلين.

ثُوفِّي حبّي للسيدة هارغنسن وفاةً طبيعيةً، وهذا جيد لأنه شرَّع الأبواب لصداقتنا. كنتُ أُحضِر نباتات إلى الحصة أحياناً، وأساعد في تنظيف المختبر الذي نتشاركه مع طلاب الكيمياء بعد المدرسة في فترات بعد ظهر الجمعة.

في إحدى فترات بعد الظهر تلك، سألتُها إن كانت تصدِّق بوجود الأشباح. "أظن أنك لا تصدِّقين وجودها، بما أنك عالِمة"، قلتُ.

ضحِكت. "أنا أستاذة ولستُ عالِمة".

"تفهمين قصدي".

"أظن ذلك، لكنني لا أزال متخشِّعة جيدة. وهذا يعني أنني أصدِّق بوجود عالم الأرواح. لستُ متأكدةً تماماً بشأن طرد الأرواح الشريرة وسيطرتها على نفوسنا، فهذا

يبدو مستبعداً جداً لي، لكن الأشباح؟ دعنا نقول فقط إن الحكم النهائي لم يصدر في هذه القضية. بالطبع لم أحضُر أبداً جلسة استحضار أرواح، أو أعبث بلوح الويجا".

"لما لا؟".

كنا ننظِّف المغاسل، وهذا شيء يُفترَض أن يقوم به طلاب مادة الكيمياء قبل أن يغادروا المدرسة لعُطل نهاية الأسبوع لكنهم بالكاد فعلوه يوماً. توقفت السيدة هارغنسن عن عملها مبتسمةً، وربما مُحرَجةً قليلاً. "أشخاص العِلم غير منيعين من المعتقدات الخرافية يا كريغ. لا أحبّذ العبث بما لا أفهمه. كانت جَدّتي معتادةً أن تقول إن المرء لا يجب أن ينادي إلا إذا كان يريد ردّاً. ولطالما اعتبرتُ أن هذه الفكرة نصيحةٌ جيدةٌ. لماذا تسأل؟".

لن أُخبِرها أن كيني لا يزال يراود ذهني. "أنا ميثودي ونتكلَّم عن الروح المبجَّلة، لكنه سمّي الشبح المبجّل في أحد فصول كتاب الحكم القديمة. أظن أنني كنتُ أفكِّر في ذلك".

"حسناً، إذا كانت الأشباح موجودة"، قالت، "فأنا أكيدة أنها ليست مبجَّلة كلها".

لا أزال أريد أن أكون كاتباً إلى حد ما، رغم أن طموحي بكتابة الأفلام خفَّ. فقد بقيت نكتة السيد هاريغان عن كاتب السيناريو والنجمة الناشئة تراودني بين الحين والآخر، وألقت بعض الظلال على أحلامي الفنية.

أهداني أبي حاسوباً محمولاً في احتفال الشتاء تلك السنة، وبدأتُ أكتب قصصاً قصيرةً. كانت مقبولةً كل سطر على حدة، لكن على أسطر أي قصة أن تتضافر نحو كتلة متراصّة، وأسطري لم تفعل ذلك. في السنة التالية، اختارني رئيس قسم الأدب الإنكليزي لأحرِّر صحيفة المدرسة، وأُصبتُ بجرثومة الصحافة، ولم تفارقني أبداً حتى الآن. لا أعتقد أنها ستفارقني يوماً. أعتقد أنك تسمع رنّةً، ليس في ذهنك بل في روحك، عندما تجد المكان الذي تنتمي إليه. يمكنك تجاهلها، لكن حقاً، لماذا ستفعل ذلك؟

بدأتُ أكبُر، وعندما أصبحتُ في السنة الثانوية الثانية ما قبل الأخيرة، وبعد أن أظهرتُ لويندي أن معي حماية (الغواصة هو الذي اشترى الواقيات الذكرية في الواقع)، ودّعنا عذريتنا. تخرَّجتُ الثالث في صفّي (بعلامة 142 فقط، لكن وإن يكن)، واشترى لي أبي تويوتا كورولا

(مستعملة، لكن وإن يكن). قُبلتُ في إمرسون، إحدى أفضل الكلّيات في البلاد للصحافيين الطَموحين، وكنتُ أكيداً أنهم سيقدِّمون لي منحة تعليمية جزئية على الأقل، لكنني لم أحتج إليها بفضل السيد هاريغان - يا لحظي.

حدثت بضع عواصف مراهِقة نموذجية بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة، لكنها غير كثيرة في الواقع - كان كما لو أن الكابوس مع كيني يانكو بطريقة ما أزاحَ عني الكثير من ذعري المراهِق منذ البداية. كما أنني أحبَبتُ أبي، ولم يكن لكل واحد منا سوى الآخر ليسانده. أعتقد أن ذلك يُحدِث فرقاً.

حين بدأتُ الكلّية، بالكاد عدتُ أفكِّر بكيني يانكو أبداً، لكنني بقيتُ أفكِّر بالسيد هاريغان. هذا ليس مفاجئاً، بما أنه مدَّ لي السجادة الحمراء الأكاديمية. لكن مرَّت أيامٌ كنتُ أفكِّر به فيها أكثر. إذا كنتُ في المنزل في أحد تلك الأيام، أضع زهوراً على قبره. وإذا لم أكن في المنزل، أطلب من پيت بوستويك أو السيدة غروغان فعل ذلك عني.

يوم العشّاق. يوم الشُكر. احتفال الشتاء. وذكرى ولادتي.

أشتري دائماً تذكرة حكّ ثمنها دولار في تلك الأيام أيضاً. أربح بضع دولارات أحياناً، وأحياناً خمسة، وذات مرة ربحتُ خمسين دولاراً، لكنني لم أربح أبداً أي شيء قريب من الجائزة الكبرى. لا بأس، فلو حصل ذلك، لتبرّعتُ بالمال لجمعية خيرية ما. أشتريها للذكرى. فبفضله، أنا غني من قبل.

لأن السيد رافرتي كان كريماً بالصندوق الاستئماني، أصبحتُ أملك شقة حين بلغتُ السنة الجامعية الثانية في إمرسون. مجرد غرفتين وحمّام، لكنها تقع في باك باي، حيث حتى الشقق الصغيرة غير رخيصة. كنتُ أعمل وقتها في المجلة الأدبية. *المحاريث* إحدى أفضل المجلات في البلد، وتضم دائماً محرِّراً مميزاً، لكن على أحدهم أن يقرأ كومة المخطوطات، وهذا دوري. أعجبتني تلك الوظيفة، رغم أن العديد من المقالات التي نستلمها مماثلة من حيث الجودة لقصيدة سيئة بشكل لا يُنسى تدعى "10 أسباب لماذا أكره أمي". يُفرحني دائماً أن أرى عدد المكافِحين الأسوأ مما كنتُ عليه في التأليف. ربما يبدو هذا لؤماً مني. وهو لؤم على الأرجح.

كنتُ أؤدّي وظيفتي الروتينية هذه ذات مساء وعلى يساري طبق قِطع أوريو وعلى يميني كوب شاي عندما

اهتزّ هاتفي. إنه أبي. قال إن لديه خبراً سيئاً وأخبَرني أن السيدة هارغنسن ماتت.

بقيتُ للحظة أو لحظتين غير قادر على النطق. بدت كدسة القصائد والقصص غير مهمة أبداً فجأة.

"كريغ؟"، سأل أبي. "هل لا تزال معي؟".

"نعم. ماذا حصل؟".

أخبَرني ما يعرفه، وعرَفتُ المزيد بعد يومين، عندما نُشرت صحيفة ويكلي إنتربرايز التي تصدر في غايتس فولز على الانترنت. *مقتل أساتذين محبوبين في فيرمونت*، قال العنوان. لا تزال فيكتوريا هارغنسن كورليس تدرِّس البيولوجيا في غايتس؛ وزوجها أستاذ الرياضيات في كاسل روك المجاورة. قرَّرا تمضية إجازة الربيع في رحلة على متن درّاجة نارية في كل أرجاء نيو إنغلاند، حيث يقيمان في نُزُل مختلف كل ليلة. كانا في طريق العودة، في فيرمونت عند حدود نيو هامبشاير تقريباً، عندما اجتاز دِين وِيتمور، البالغ الواحدة والثلاثين، من وَالثام، ماساتشوستس، خط وسط الدرب 2 وصدمهما بشكل مباشر. قُتل تد كورليس على الفور. أما فيكتوريا كورليس - المرأة التي أخذتني إلى غرفة الأساتذة بعد أن ضربني كيني يانكو ضرباً

مُبرحاً وأعطتني حبّة أليف من جزدانها بالسرّ - فتُوفِّيت في طريقها إلى المستشفى.

لقد تدرّبتُ في صحيفة ويكلي إنتربرايز الصيف الفائت، حيث أفرَغتُ سلال النفايات في الأغلب، لكنني كتبتُ بعض المقالات الرياضية والنقدية للأفلام أيضاً. عندما اتصلتُ بالمحرِّر دايف غاردنر، أعطاني بعض المعلومات لم تنشرها الصحيفة. اعتُقل دِين وِيتمور أربع مرات من قبل بسبب قيادته ثملاً، لكن أباه مستثمر كبير (آه كم كرِه السيد هاريغان أولئك المغرورين)، واهتَمّ به محامون يتقاضون أجوراً باهظة في المرات الثلاثة الأولى. في المرة الرابعة، وبعد اقتحامه متجر بقالة في هينغام بسيارته، تجنَّب السَجن لكن رخصة قيادته سُحبَت منه. كان يقود ثملاً ودون رخصة قيادة عندما صدم درّاجة كورليس النارية. "ثمل تماماً" هو التعبير الذي استخدمه دايف.

"سيخرج من القضية مع مجرد صفعة على يده"، قال دايف. "سيضمن والده حصول ذلك. انتظر وسترى".

"مستحيل". مجرد فكرة حصول ذلك جعلتني أشعر بالغثيان. "إذا كانت معلوماتك صحيحة، فهي قضية واضحة لجريمة قتل بمركبةٍ".

"انتظر وسترى"، كرَّر.

أُقيمت الجنازتان في سانت آنْ، وهي دار العبادة التي تذهب إليها السيدة هارغنسن - من المستحيل عليَّ التفكير بها كفيكتوريا فقط - مع زوجها معظم حياتهما، والدار التي تزوجا فيها. كان السيد هاريغان غنياً، وبقي لسنوات فاعلاً ومؤثِّراً في عالم الأعمال الأميركي، لكن عدداً أكبر بكثير من الناس حضروا جنازة تد وفيكتوريا كورليس. سانت آنْ دار عبادة كبيرة، لكن المراسم تمت وقوفاً في ذلك اليوم، ولو لم يحمل المحترم إنغرسول ميكروفوناً، لما سُمِع صوته في خضم كل ذلك البكاء. كانا أستاذَين محبوبَين، وكان زواجهما عن حُب، وبالطبع كانا يافعين.

معظم المشيِّعين يافعون أيضاً. كنتُ هناك؛ وكذلك ريجينا ومارجي؛ وبيلي بوغان أيضاً؛ والغواصة، الذي قام برحلة خاصة من فلوريدا، حيث يلعب في دوري نصف المحترفين. جلَستُ والغواصة بجانب بعضنا. لم يبكِ، بالضبط، لكن عينيه كانتا حمراوين، وكان الأخرق الكبير ينخر.

"هل درَّستك إحدى المواد؟"، همَستُ.

"البيولوجيا المستوى الثاني"، همَس بدوره. "في سنتي الثانوية الأخيرة. احتجتُ إلى تلك المادة لكي أتخرَّج. أعطتني علامة 'جيد' هدية. وكنتُ في نادي مراقبة الطيور معها. كتَبت لي توصيةً على استمارة دخولي الكلّية".

كتبت لي توصيةً أنا أيضاً.

"هذا خطأ كبير"، قال الغواصة. "لم يكونا يفعلان أي شيء سوى القيام بنزهة بريئة". سكت قليلاً. "وكانا يرتديان خوذتين أيضاً".

بدا بيلي على حاله، لكن مارجي وريجينا بدتا أكبر سنّاً، راشدتين تقريباً في ماكياجهما وفستانيهما البالغَين. عانَقتاني خارج دار العبادة بعد انتهاء الجنازة، وقالت ريجينا، "أتذكُر كيف اهتمّت بك ليلة التي تلقيتَ فيها ضرباً مبرحاً؟".

"نعم"، قلتُ.

"تركتني أستخدم كريما يدها"، قالت ريجينا، وبدأت تبكي مرة أخرى.

"آمل أن يسجنوا ذلك الرجل إلى الأبد"، قالت مارجي بشراسة.

"غُلم"، قال الغواصة. "يسجنوه ويرموا المفتاح".

"سيفعلون ذلك"، قلتُ، لكن بالطبع كنتُ مخطئاً وكان دايف محقّاً.

صدرَ الحُكم بحق دِين وِيتمور في شهر يوليو ذاك. عوقب بالسجن لأربع سنوات مع وقف التنفيذ إذا وافَق على دخول مركز إعادة تأهيل واستطاع النجاح باختبارات بول عشوائية طوال السنوات الأربع التالية. عدتُ أعمل لصالح صحيفة إنتربرايز مرة أخرى، وبصفة موظف يتقاضى راتباً (بدوام جزئي فقط، لكن وإن يكن). رُقّيتُ إلى صفحة شؤون المجتمع وكتابة مقال رئيسي بين الحين والآخر. اليوم الذي تلى صدور الحُكم على وِيتمور - إذا كنتَ تستطيع حتى تسميته حُكماً - أفصحتُ عن غضبي لدايف غاردنر.

"أعرف، هذا مقرف"، قال، "لكن عليك أن تنضج يا كريغ. نحن نعيش في العالم الحقيقي حيث المال يتكلّم والناس يستمعون إليه. كُن أكيداً أنه دُفع مالٌ في مرحلة ما خلال البت بقضية وِيتمور. الآن ألا يُفترَض بك أن تعطيني أربعمئة كلمة عن المعرض الحِرفي؟".

مركز إعادة التأهيل - ربما واحدٌ يضم ملاعب كرة مضرب ومساحات معشّبة خضراء - ليس كافياً. أربع

سنوات من فحوص البول ليس كافياً، خاصة عندما يمكنك أن تدفع لأحدهم لكي يزوّدك بعيّنات نظيفة إذا عرَفت مسبقاً متى سيجري كل فحص. وِيتمور سيعرف على الأرجح.

مع انتهاء أغسطس اللهّاب ذاك، بقيتُ أتذكَّر بين الحين والآخر مَثَلاً أفريقياً قرأته في إحدى حصصي: *عندما يموت عجوزٌ، تحترق مكتبةٌ*. لم يكن تد وفيكتوريا عجوزين، لكن هذا أسوأ بطريقة أو بأخرى، لأن أي إمكانيات ربما كانت لديهما لن تتحقَّق أبداً. كل أولئك الأولاد في الجنازة، سواء طلاب حاليون أو خرّيجون حديثون مثلي ومثل أصدقائي، أَوحوا أن *شيئاً* احترق، ولا يمكن إعادة بنائه أبداً.

تذكَّرتُ رسمها أوراق وأغصان الأشجار على السبّورة، أشياء جميلة خطَّتها بيد حرة. تذكَّرتُ كيف كنا ننظِّف معاً مختبر البيولوجيا بعد ظهر أيام الجمعة، ثم ننظِّف نصف المختبر المخصَّص لطلاب الكيمياء فوق البَيعة، وكلانا يضحك من الرائحة الكريهة، وتساؤلها إن كان أحد طلاب الكيمياء سيتحوّل إلى السيد هايد ويبدأ يركض هائجاً في الأروقة. تذكَّرتُها تقول *لا ألومك* عندما أخبَرتُها أنني لا أريد العودة إلى النادي الرياضي بعد أن

أشبعني كيني ضرباً. تذكَّرتُ تلك الأشياء، ورائحة عطرها، ثم تخيَّلتُ الحقير الذي قتلها يتخرَّج من مركز إعادة التأهيل ويعود إلى سابق عهده سعيداً مثل يوم أحدٍ في باريس.

لا، ليس كافياً.

عدتُ إلى المنزل بعد ظهر ذلك اليوم ورحتُ أبحث في جوارير المكتب في غرفتي، دون أن أعترف لنفسي عما أبحث... أو لماذا. لم أجد ما كنتُ أبحث عنه، وهذا شكَّل خيبة أمل وارتياحاً في آن. بدأتُ أخرج من الغرفة، ثم عدتُ إليها ووَقَفت على رؤوس أصابعي لأستكشف الرف العلوي في خزانتي، حيث للمواد الخردة طريقةٌ لتتراكم هناك. وجَدتُ ساعة منبِّهة قديمة، وجهاز آيبود تعطَّل عندما أوقعتُه في ممر المنزل أثناء التزحلق على اللوح، ومجموعة متشابكة من سمّاعات الرأس وسمّاعات الأذن. كما وجدتُ صندوق بطاقات بيسبول وكدسة قصص مصوَّرة للرجل العنكبوت. وفي الجهة الخلفية، وجدتُ كنزة ريد سوكس صغيرة جداً على الجسم الذي أسكنه الآن. رَفَعتُها ورأيتُ تحتها الآيفون الذي أهداني إياه أبي في احتفال الشتاء. في تلك الأيام الخوالي التي كنتُ فيها فقيراً. وجدتُ الشاحن هناك

أيضاً. أوصَلتُ الهاتف القديم بمقبس الكهرباء وأنا لا أزال لا أُقرّ ماذا أنوي أن أفعل بالضبط، لكن عندما أتذكَّر ذلك اليوم الآن - منذ سنوات غير عديدة - أظن أن القوة المحرِّضة كانت شيئاً قالته لي السيدة هارغنسن بينما كنا ننظِّف مغاسل مختبر الكيمياء: *المرء لا يجب أن ينادي إلا إذا كان يريد ردّاً*. أردتُ رداً في ذلك اليوم.

لن يُشحَن على الأرجح، أخبَرتُ نفسي. *بما أنه بقي مخزَّناً هناك يجمِّع غباراً لسنواتٍ*. لكنه شُحن. عندما رَفَعتُه بيدي تلك الليلة، بعد أن نام أبي، رأيتُ أن رمز البطارية في الزاوية اليمنى العليا ممتلئ بالكامل.

يا لها من رحلة إلى ذكريات الماضي العتيق. رأيتُ رسائل بريد إلكتروني من زمن بعيد جداً، وصور فوتوغرافية لأبي سبقت بدء تحوّل شعره إلى الرمادي، ومراسلة فورية ذهاباً وإياباً بيني وبين بيلي بوغان. لا أخبار فيها حقاً، مجرد نكات، ومعلومات مثقِّفة مثل *لقد أخرَجتُ ريحاً للتو*، وأسئلة ثاقبة مثل *هل أنهيتَ واجب علم الجبر*. كنا مثل ولدين يتواصلان عبر عبوتَي معلّبات موصولتين بخيط مشمَّع. وهذه هي حقيقة معظم اتصالاتنا العصرية، عندما تفكّر بالأمر ملياً؛ ثرثرة كرمى للثرثرة.

أخذتُ الهاتف إلى السرير معي تماماً مثلما كنتُ أفعل قبل أن أصبح بحاجة إلى أن أحلق ذقني وعندما كان تقبيل ريجينا إنجازاً عظيماً. ما عدا أن السرير الذي بدا ذات يوم كبيراً بدا الآن صغيراً جداً. نظرتُ في الغرفة إلى مُلصق كايتي پيري الذي علّقتُه عندما بدت لي رمز الجاذبية الجنسية في أيام المدرسة المتوسطة. لقد أصبحتُ أكبر سناً الآن من ذلك الولد البسيط، لكنني لا أزال على حالي. مضحك كيف تجري هذه الأمور.

إذا كانت الأشباح موجودة، قالت السيدة هارغنسن، *فأنا أكيدة أنها ليست مبجَّلة كلها*.

تذكُّر كل ذلك كاد يجعلني أتوقف. ثم تخيَّلتُ مرة أخرى ذلك الحقير غير المسؤول يلعب كرة المضرب في مركز إعادة تأهيله، فاتصلتُ برقم السيد هاريغان. *لا بأس*، أخبَرتُ نفسي. *لن يحصل شيء. لا يمكن أن يحصل شيء. هذه مجرد وسيلة لتصفية الذهن لكي تتمكن من ترك الغضب والحزن خلفك وتنتقل إلى المهمة التالية*.

ما عدا أن جزءاً مني عرَف أن شيئاً *سيحصل*، لذا لم أتفاجأ عندما تلقيتُ رنّةً بدلاً من صمتٍ. كما لم أتفاجأ عندما تكلَّم صوته الصدئ في أذني، صادراً من الهاتف

الذي وضعتُه في جيب بذلة دفنه قبل سبع سنوات تقريباً: "أنا لا أردّ على هاتفي الآن. سأعاود الاتصال بك إذا بدا لي ذلك ملائماً".

"مرحبا سيد هاريغان، أنا كريغ". كان صوتي هادئاً بشكل مفاجئ رغم أنني أكلِّم جثة والجثة ربما تُنصت لي في الواقع. "هناك رجل يدعى دِين وِيتمور قتل أستاذتي المفضَّلة من الثانوية وزوجها. كان الرجل ثملاً عندما صدمهما بسيارته. كانا شخصين طيبين، وقد ساعَدتني عندما احتجتُ إلى مساعدة، ولم ينل العقاب الذي يستحقه. أظن أن هذا كل شيء".

ما عدا أنه لم يكن كل شيء. لديَّ حوالي ثلاثين ثانية على الأقل لأترك رسالة، ولم أستخدمها كلها. لذا قلتُ بقية ما يجول في فكري، الحقيقة الكاملة، مُخفِضاً صوتي أكثر حتى حدود الهمس: "أتمنّى لو يموت".

أعمل هذه الأيام في تايمز يونيون، وهي صحيفة تغطي ألبَني والمناطق المجاورة لها. الراتب زهيد جداً، ويمكنني تقاضي أكثر من ذلك على الأرجح بمجرد الكتابة لموقع بَزفيد أو TMZ، لكن عندي الصندوق الاستئماني ذاك كداعم كبير، وأحبّ العمل في صحيفة

فعلية، رغم أن معظم الحركة هذه الأيام تتم على الانترنت. سمّني قديم الطراز.

أصبحتُ وخبير تكنولوجيا المعلومات في الصحيفة فرانك جيفرسون صديقين، وأثناء احتسائنا شراب الشعير في مقصف ماديسون هاوس ذات ليلة، أخبَرتُه أنني كنتُ قادراً ذات يوم أن أتصل بالبريد الصوتي لرجل ميت... لكن فقط إذا اتصلتُ به من الهاتف القديم الذي كان معي عندما كان الرجل لا يزال حيّاً. سألتُ فرانك إن سمِع أي شيء من هذا القبيل من قبل.

"لا"، قال، "لكن يمكنه أن يحصل".

"كيف؟".

"لا أعلم، لكن كانت هناك كافة أصناف الشوائب الغريبة في الحواسيب والهواتف الخلوية الأولى. وبعضها أسطوري".

"هواتف الآيفون أيضاً؟".

"خاصة تلك"، قال وهو يعبّ شراب شعيره. "لأنهم تسّرعوا في إنتاجها. لن يعترف ستيف جوبز بذلك أبداً، لكن الشباب في أپل كانوا خائفين جداً أنه بعد سنتين، وربما سنة واحدة فقط، ستهيمن بلاكبيري على كامل السوق. وبعض هواتف الآيفون الأولى تلك تجمَد كلياً

كلما كتبتَ حرف L. يمكنك إرسال رسالة بريد إلكتروني ثم التجوّل على الويب، لكن إذا حاوَلت التجوّل على الويب ثم إرسال رسالة بريد إلكتروني، يتعطَّل هاتفك أحياناً".

"هذا حصل معي مرة أو مرتين في الواقع"، قلتُ. "اضطررتُ أن أُطفئه وأعيد تشغيله".

"نعم. هناك أمور كثيرة من هذا الصنف. وحالتك؟ أظن أن رسالة الرجل علقت في نظام تشغيل الهاتف بطريقة أو بأخرى، تماماً مثلما يمكن أن تعلق قطعة غضروف بين أسنانك. تسمّى الشبح في الآلة".

"نعم"، قلتُ، "لكنه ليس شبحاً مبجَّلاً".

"ماذا؟".

"لا عليك"، قلتُ.

تُوفِّي دِين وِيتمور في يومه الثاني في مركز رايفن ماونتن للعلاج، وهو مرفق إعادة تأهيل فاخر في الجزء الشمالي من ولاية نيو هامبشاير (يضم ملاعب كرة مضرب بالفعل؛ وكذلك ملعباً للعبة دفع الأقراص وحوض سباحة). عرَفتُ بوفاته بُعيد حصولها تقريباً، لأنني وضعتُ تنبيه غُوغل على إسمه، في حاسوبي المحمول الشخصي وفي حاسوب ويكلي إنتربرايز. لم يُذكَر سبب

الوفاة - المال يفتح كل الأبواب، لعِلمك - لذا قمتُ برحلة صغيرة إلى بلدة مايدستون المجاورة في نيو هامبشاير. تقمَّصتُ هناك شخصية مراسِل صحفي، وطرحتُ بضعة أسئلة، وأنفقتُ بعض مال السيد هاريغان.

لم تستغرق وقتاً طويلاً لأنه، في عالم عمليات الانتحار، كانت عملية انتحار وِيتمور استثنائية نوعاً ما. يمكنك القول إنها مشابهة لاستثنائية الاختناق حتى الموت أثناء الاستمناء. يسمّى المرضى المقيمون في رايفن ماونتن ضيوفاً وليس مدمني مخدرات أو مدمني شراب، وغرفة كل ضيف تتضمن دُشاً خاصاً به. وقف دِين وِيتمور تحت دُشه قبل موعد الفطور وابتلع كمية كبيرة من الشامبو. ليس بقصد الانتحار على ما بدا، بل ليشحِّم المدرَج. ثم كسر لوح صابونٍ إلى قطعتين، ورمى قطعةً على الأرض وحشر الأخرى في حلقه.

عرَفتُ معظم هذا من أحد المستشارين في رايفن ماونتن وكان مسؤولاً عن مساعدة مدمني الشراب ومدمني المخدرات على الإقلاع عن عاداتهم السيئة. جلس ذلك الرجل، ويدعى راندي سكوايرز، في سيارتي التويوتا وراح يشرب من قارورة الشراب الاسكتلندي

التي اشتراها ببعض الدولارات الخمسين التي أعطيتُه إياها. سألتُه إن ترك وِيتمور رسالة انتحار.

"أجل"، قال سكوايرز. "رسالة عذبة في الواقع. مؤثرة تقريباً. 'واصلوا إعطاء كل الحُب الذي تقدرون عليه'، قالت".

أصابت القشعريرة ذراعيَّ، لكن أكمامي أخفت ذلك، وتمكَّنتُ من أن أبتسم. كان يمكنني أن أُخبره أن هذه جملة من أغنية تامي واينَت "سانِدي رَجلك". لن يفهم سكوايرز الرابط على أي حال، ولم يكن هناك سبب يجعلني أريده أن يفهمه. فهذا شيء بين السيد هاريغان وبيني.

أمضيتُ ثلاثة أيام على ذلك التحقيق الصغير. وعندما عدتُ، سألني أبي إن استمتعتُ بعطلتي الصغيرة. قلتُ نعم. سألني إن كنتُ جاهزاً للعودة إلى الكلّية بعد أسبوعين. قلتُ نعم. تفحّصني جيداً وسألني إن كان كل شيء على ما يرام. قلتُ نعم، دون أن أعرف إن كانت هذه كذبة أم لا.

لا يزال جزء مني يصدِّق أن كيني يانكو مات بالصدفة، وأن دِين وِيتمور انتحَر، ربما بسبب شعوره بالذنب. حاوَلتُ أن أتخيَّل كيف يمكن أن يكون السيد

هاريغان قد ظَهَر لهما بطريقة أو بأخرى وسبَّب وفاتهما، ولم أنجح. لو *حصل* ذلك، فسأكون شريكاً في جريمة قتل، أخلاقياً ولو ليس قانونياً. فقد تمنّيتُ أن يموت وِيتمور، في النهاية. وكيني أيضاً، في أعماق قلبي على الأرجح.

"هل أنت متأكد؟"، سأل أبي وعيناه لا تزالان مسلَّطتين عليّ بأسلوب التدقيق القديمة التي أتذكَّرها من طفولتي المُبكرة عندما أكون قد ارتكبتُ خطأً صغيراً.

"متأكد تماماً"، قلتُ.

"حسناً، لكن إذا أردتَ أن تتكلَّم، أنا هنا".

نعم، والحمد لله أنه هنا، لكن هذا ليس شيئاً يمكنني التكلّم عنه. ليس من دون أن أبدو مجنوناً.

دخَلتُ غرفتي وأنزلتُ الآيفون القديم عن رف الخزانة. لا تزال شحنته صامدة بشكل رائع. لماذا فعلتُ هذا بالضبط؟ هل أنوي أن أتصل به في قبره لأشكره؟ لأسأله إن كان هناك حقاً؟ لا يمكنني أن أتذكَّر، وأظن أن هذا لا يهمّ، لأنني لم أتصل به. عندما فتحتُ الهاتف، رأيتُ أن عندي رسالة نصية من ملك_القراصنة1. ضغطتُها بإصبع مرتعش لفتحها وقرأتُ: *ك ك ك تو*

أثناء نظري إليها، خطر ببالي احتمالٌ لم يخطر ببالي أبداً ولو قليلاً قبل أن يبزغ عليَّ ذلك اليوم في أواخر الصيف. ماذا لو كنتُ أحتجز السيد هاريغان رهينةً بطريقة أو بأخرى؟ أربطه بهمومي الأرضية عبر الهاتف الذي أخفيتُه في جيب معطفه قبل إنزال تابوته إلى مثواه الأخير؟ ماذا لو كانت الأشياء التي طلبتُها منه تؤذيه؟ وربما حتى تعذِّبه؟

غير ممكن على الإطلاق، فكَّرتُ في سرّي. *تذكَّر ما أخبَرتك إياه السيدة غروغان عن داستي بيلودو. قالت إنه لم يقدر أن يحظى حتى بوظيفة جَرْف براز الدجاج من حظيرة دورانس مارستيلار القديمة بعد أن سرق من السيد هاريغان. لقد ضَمِن حصول ذلك.*

نعم، وهناك شيء آخر. قالت إن الرجل مُنصِفٌ، لكن إذا لم تكن مثله، ليكن الله في عونك. وهل كان دِين وِيتمور مُنصِفاً؟ لا. هل كان كيني يانكو مُنصِفاً؟ لا أيضاً. لذا ربما كان السيد هاريغان مسروراً بالتدخّل. وربما حتى استمتع بذلك.

"إذا كان هناك من الأصل"، همَستُ.

لقد كان. عرَفتُ ذلك أيضاً في أعماق قلبي. وعرَفتُ شيئاً آخر. عرَفتُ ما معنى تلك الرسالة: كريغ توقف.

هل لأنني أؤذيه، أو لأنني أؤذي نفسي؟

قرَّرتُ أن هذا غير مهم في النهاية.

أمطرت بغزارة في اليوم التالي، من صنف المطر الغزير القارس الذي لا يرافقه رعدٌ والذي يعني أن طلائع ألوان الخريف ستبدأ بالظهور بعد أسبوع أو أسبوعين. المطر أمر جيد، لأنه يعني أن المصطافين - أولئك الذين بقوا - لجأوا إلى مخابئهم الموسمية وأن البحيرة مهجورة. رَكَنتُ في منطقة النزهات عند الطرف الشمالي للبحيرة وسرتُ إلى ما كنا نسمّيه في صغرنا الحافات، عندما كنا نقف هناك في أثواب سباحتنا ونتحدّى بعضنا البعض على القفز. وبعضنا كان يقفز فعلاً.

ذهَبتُ إلى حدود الحافة، حيث تختفي إبر الصنوبر وتبدأ الصخور العارية، وهي الحقيقة المُطلَقة في نيو إنغلاند. مددتُ يدي إلى الجيب الأيمن لسروالي الكاكيّ اللون وأخرجتُ هاتفي الآيفون 1. بقيتُ أُمسكه بيدي للحظة، أتحسَّس وزنه وأتذكَّر البهجة الكبيرة التي شعرتُ بها في صباح احتفال الشتاء ذاك عندما نزعتُ غلاف العلبة ورأيتُ شعار أپل. هل صَرَختُ فرحاً؟ لا يمكنني أن أتذكَّر، لكن لا شكّ أنني فعلتُ ذلك.

لا تزال شحنته صامدة، رغم أنها انخفضت إلى خمسين بالمئة. اتصلتُ بالسيد هاريغان، وتحت التربة الداكنة لمقبرة الدردار، في جيب معطف بذلة غالية مرقَّطة بالعفن الآن، أعرف أن تامي واينَت تغنّي. استمَعتُ إليه يُخبرني مرة أخرى بصوته العجوز المبحوح أنه سيعاود الاتصال بي إن بدا له ذلك ملائماً.

انتظَرتُ الصفرة. قلتُ، "شكراً على كل شيء يا سيد هاريغان. وداعاً".

أنهيتُ المكالمة، أرجعتُ ذراعي إلى الخلف، ورميتُ الهاتف بأكبر قوة قدرتُ عليها. راقَبتُه يرسم قوساً في السماء الرمادية. وراقَبتُ الطرطشة الصغيرة عند ارتطامه بالماء.

مددتُ يدي إلى جيبي الأيسر وأخرجتُ هاتفي الآيفون الحالي، الـ C5 بغطائه الغني بالألوان. أردتُ أن أرميه في البحيرة أيضاً. بالتأكيد يمكنني تدبير أمري بخط أرضي، وبالتأكيد هذا سيسهِّل عليَّ حياتي. كفى كل تلك الثرثرة، وكفى كل تلك النصوص التي تقول *ماذا تفعل*، وكفى رموز الإيموجي الغبية تلك. إذا حظيتُ بوظيفة في صحيفة بعد أن أتخرَّج واحتجتُ إلى البقاء

على اتصال، يمكنني أن أستعير هاتفاً، ثم أعيده بعدما أُنجز المهمة التي تُوكَل إليَّ.

أرجعتُ ذراعي إلى الخلف، وبقيتُ في هذه الوضعية لما بدا وقتاً طويلاً - ربما دقيقة، ربما دقيقتين. أعدتُ الهاتف إلى جيبي في النهاية. لستُ متأكداً إن كان الجميع مدمنين على استخدام تلك الأجهزة العالية التقنية، لكنني أعرف أنني أحدهم، وأعرف أن السيد هاريغان كان مثلي أيضاً. لهذا السبب أعدتُه إلى جيبه في ذلك اليوم. في القرن الحادي والعشرين، أعتقد أن هواتفنا هي طريقة زواجنا بالعالم. إذا كان الأمر كذلك، فهو زواج سيئ على الأرجح.

أو ربما لا. بعد الذي حصل ليانكو ووِيتمور، وبعد تلك الرسالة النصية الأخيرة من ملك_القراصنة1، هناك أمور عديدة لستُ واثقاً منها. الواقع بحد ذاته، بادئ ذي بدء. لكنني أعرف أمرين، وهما صلبَين كصخور نيو إنغلاند. لا أريد أن تُحرَق جثتي عندما أموت، وأريد أن أُدفَن وجيوبي فارغة.

حياة تشاك

الفصل الثالث: شكراً يا تشاك!

1

اليوم الذي رأى فيه مارتي أندرسون لوحة الإعلانات سبقَ مباشرة اليوم الذي تعطَّلت فيه الانترنت إلى الأبد أخيراً. بقيت تتأرجح لثمانية أشهر منذ الانقطاعات القصيرة الأولى. أقرّ الجميع أن الأمر مجرد مسألة وقت، وأقرّ الجميع أنهم سيتأقلمون بطريقة أو بأخرى بعدما تُدرِك الظلمة العالم السلكي - فقد تدبّروا أمورهم من دونها في السابق، أليس كذلك؟ كما أن هناك مشاكل أخرى، مثل انقراض أجناس كاملة من الطيور والأسماك، وهناك الآن كاليفورنيا للتفكير بها: تنقضم، تنقضم، وربما ستختفي قريباً.

تأخر مارتي في مغادرة المدرسة، لأنه أقل يوم مفضَّل لدى أساتذة الثانوية، وهو اليوم الذي يُخصَّص للقاءات الأهل والأساتذة. خلال هذا اليوم، وجَد مارتي بضعة أهل مهتمّين بمناقشة تقدّم إبنهما أو إبنتهما (أو عدم

تقدّمهما). أراد أغلبهم مناقشة التعطّل الأخير المحتمل للانترنت، والذي سيقضي نهائياً على حساباتهم في فايسبوك وإنستغرام. لا أحد منهم ذكرَ الموقع الإباحي الشهير، لكن مارتي شكَّ أن العديد من الأهل الذين أتوا - الأمهات والآباء على حد سواء - حزينون أيضاً من الانقراض الوشيك للموقع.

يسلك مارتي الطريق الجانبي عادة فيصل إلى منزله بلمح البصر، لكن هذا الخيار ليس متاحاً نتيجة انهيار الجسر الذي يعلو النهر. حصل ذلك منذ أربعة أشهر، ولم تظهر أي بوادر لإصلاحه؛ بل وُضعت حواجز خشبية برتقالية فحسب بدت رثّة من قبل ومغطاة برسومات غرافيتي.

بسبب إغلاق الطريق الجانبي، اضطرَ مارتي أن يقود سيارته عبر وسط المدينة مباشرة ليصل إلى منزله في ساحة الأرزْ إلى جانب كل شخص آخر يعيش في الجهة الشرقية. فبسبب لقاءات الأهل تلك، غادر المدرسة عند الخامسة بدلاً من الثالثة، وهذه ساعة الذروة، لذا فالرحلة التي تستغرق عشرين دقيقة في الأيام الخوالي ستستغرق ساعة على الأقل، وربما أطول من ذلك لأن بعض إشارات المرور معطَّلة أيضاً. شهدت الرحلة الكثير

من التوقفات طوال الطريق، والكثير من الأبواق، وزعيق الفرامل، وتقبيل مخفِّفات الصدمات لبعضها البعض، وتلويح الأصابع الوسطى. توقف لعشر دقائق عند تقاطع الشارع الرئيسي وشارع السوق، وبالتالي تسنّى له وقت طويل ليلاحظ لوحة الإعلانات المثبَّتة فوق مبنى مصرف ميدوَست تراست.

الإعلان حتى هذا الصباح كان لإحدى شركات الطيران، دلتا أو ساوثْوَست، لا يستطيع مارتي أن يتذكَّر بالضبط. أما صورة طاقم المضيفين المبتسمين المتأبطي أذرع بعضهم فاستُبدلت بعد ظهر اليوم بصورة رجل مستدير الوجه يرتدي نظّارات ذات إطار أسود يطابق شعره الأسود الممشَّط بشكل أنيق. كان يجلس وراء مكتب ويمسك قلماً بيده، وقد خلع سترته لكن ربطة عنقه معقودة بعناية عند ياقة قميصه الأبيض، وعلى اليد التي تُمسك القلم ندبةٌ هلاليّة الشكل لم تُخفى بالماكياج لسبب من الأسباب. بدا محاسباً لمارتي. كان يبتسم بابتهاج للزحمة الشديدة من مجثمه المرتفع في أعلى مبنى المصرف. مكتوب فوق رأسه، وبالأزرق، *تشارلز كرانتز*. ومكتوب تحت مكتبه، وبالأحمر، *39 سنة رائعة! شكراً يا تشاك!*

لم يسمع مارتي بتشارلز "تشاك" كرانتز أبداً، لكنه افترَض أنه كان بلا شكّ شخصية مهمة جداً في ميدوَست تراست ليستحقّ صورة تقاعد على لوحة إعلانات مُضاءة ارتفاعها خمسة أمتار وعرضها خمسة عشر متراً على الأقل. ولا شكّ أن الصورة قديمة، إن كان قد عمِل لأربعين سنة تقريباً، وإلا لكان شعره أبيض.

"أو سقط"، قال مارتي ومسَّد بقايا شعره الخفيف. جازَف بأن قاد نحو التقاطع الرئيسي في وسط المدينة بعد خمس دقائق عندما ظهرت ثغرة لفترة وجيزة جداً. رمى سيارته البريوس فيها، وكاد يصطدم بسيارة أخرى وتجاهل قبضة سائقها الحانق الذي اضطر أن يتوقف على بُعد سنتيمترات منه.

وجدَ السير معرقلاً أيضاً في أعلى الشارع الرئيسي، وثغرةً أخرى. حين وَصَل إلى منزله، نسي كل شيء بشأن لوحة الإعلانات. قاد إلى المرأب، وضغط الزر الذي أخفَض الباب، ثم بقي جالساً مكانه لدقيقة كاملة وهو يأخذ أنفاساً عميقةً ويحاول عدم التفكير باضطراره إلى التعرُّض لنفس المحنة صباح الغد. فبسبب إغلاق الطريق الجانبي، ليس لديه أي خيار آخر. هذا إن أراد

الذهاب إلى عمله من الأصل، ثم بدا له أن أخذ إجازة مَرَضية (لديه الكثير منها مكدّسة) خيارٌ جذّابٌ أكثر.

"لن أكون الوحيد"، أخبَر المرأب الفارغ، وعرَف أن هذا صحيح. فوفقاً لنيويورك تايمز (التي يقرأها على جهازه اللوحيّ كل صباح إذا كانت الانترنت تعمل)، ارتفعت نسب التغيُّب عن العمل إلى مستوى قياسي عالمي.

أمسَك كدسة كتبه بيدٍ وحقيبته البالية باليد الأخرى. إنها ثقيلة بأوراق تحتاج إلى تصحيح. ثم كافَح ليخرج من السيارة وأغلق الباب بمؤخرته. أضحكه منظر ظله على الجدار يفعل شيئاً بدا كأنه رقصة غريبة. أجفله الصوت؛ فالضحك أمر صعب في هذه الأيام العصيبة. ثم أوقع نصف كتبه على أرضية المرأب، وهذا وضع حدّاً لروح الدعابة الطارئة.

لمَّ مقدمة *إلى الأدب الأميركي* و*أربع روايات قصيرة* (يعلِّم حالياً *شارة الشجاعة الحمراء* لطلاب السنة الثانية) ودخلَ المنزل. ما كاد ينجح في وضع كل شيء على منضدة المطبخ حتى رنَّ الهاتف. الخط الأرضي، بالطبع؛ فبالكاد هناك أي تغطية خلوية هذه الأيام. يهنئ نفسه أحياناً على احتفاظه بخطه الأرضي في حين أن العديد من زملائه تخلّوا عن خطوطهم الأرضية. أولئك

الأشخاص في ورطة حقيقية، لأن الحصول على خط أرضي خلال العام الماضي تقريباً... أمر صعب جداً. الأرجح أن تتمكن من معاودة سلوك الطريق الجانبي مرة أخرى قبل أن يصل إسمك إلى أعلى لائحة الانتظار، وحتى الخطوط الأرضية تشهد انقطاعات متكررة الآن.

لم تعد ميزة معرفة هوية المتصل تعمل، لكنه متأكد نوعاً ما مَن الذي يتصل به بحيث رفَع السمّاعة وقال، "مرحبا يا فيليشيا".

"أين كنتَ؟"، سألت زوجته السابقة. "بقيتُ أحاول الوصول إليك منذ ساعة!".

شرَح مارتي عن لقاءات الأهل والأساتذة، والرحلة الطويلة إلى المنزل.

"هل أنت بخير؟".

"سأكون بخير حالما آكل شيئاً. كيف حالك يا فيليشيا؟".

"أتأقلم، لكن لدينا ستة آخرين اليوم".

لم يحتج مارتي إلى سؤالها ستة ماذا، لأن فيليشيا ممرِّضة في مستشفى المدينة العام، حيث طاقم التمريض يسمّي نفسه الآن *فرقة الانتحار*.

"يؤسفني سماع هذا".

"سمة من سمات العصر". أمكنه سماع الاستهجان في صوتها، وفكَّر أنه منذ سنتين - عندما كانا لا يزالان متزوجين - كانت ست عمليات انتحار في يوم واحد لتهزّها وتُحزنها حزناً شديداً وتُبقيها أرقة طوال الليل. لكن يبدو أن المرء قادر على أن يعتاد على أي شيء.

"هل لا تزال تأخذ دواء القرحة يا مارتي؟". قبل أن يتمكّن من الرد عليها، أكملت تقول، "هذا ليس تذمّراً، بل مجرد اهتمام. الطلاق لا يعني أنني لم أعد أهتمّ لأمرك، واضح؟".

"واضح، ولا أزال آخذه". هذه نصف كذبة، لأن دواء كارافاتي الذي وصفه له الطبيب لقرحة المعدة أصبح إيجاده مستحيلاً الآن، وكان يتّكل على البرايلوزيك. كذَب عليها نصف كذبة لأنه لا يزال يهتمّ لأمرها هو أيضاً. أصبحا في الواقع ينسجمان مع بعضهما أفضل الآن بعد أن لم يعودا متزوجين. يضاجعان بعضهما حتى، رغم أن هذا لا يحصل كثيراً، لكن العلاقة اللعينة جيدة جداً. "أقدِّر سؤالك".

"حقاً؟".

"نعم، سيدتي". فتَح البرّاد. الخيارات شحيحة، لكن هناك نقانق، بضع بيضات، وعلبة لبن زبادي بنكهة الأويسة سيتركها للوجبة الخفيفة قبل النوم. كما توجد ثلاث عبوات شراب شعير.

"جيد. كم عدد الأهل الذين أتوا فعلاً؟".

"أكثر مما توقَّعتُ، لكن أقل بكثير من العدد الكامل. أراد أغلبهم التكلّم عن الانترنت. بدوا أنهم يعتبرون أنني بلا شكّ أعرف لماذا تنقطع باستمرار. وبقيتُ أُخبرهم أنني أستاذ اللغة الإنكليزية ولستُ خبير تكنولوجيا معلومات".

"سمِعتَ عن كاليفورنيا، صح؟"، قالت بصوتٍ منخفضٍ كما لو أنها تكشف سراً عظيماً.

"نعم". كان الزلزال ذلك الصباح هائلاً، الثالث في الشهر الفائت والأسوأ إلى حد بعيد، وقد أرسل جزءاً كبيراً آخر من الولاية الذهبية إلى المحيط الهادئ. الخبر الجيد هو أنه كان قد تم إخلاء معظم سكان ذلك الجزء، والخبر السيئ هو أن مئات آلاف اللاجئين انتقلوا شرقاً الآن، محوِّلين نيفادا إلى إحدى الولايات الأكثر كثافة بالسكان في الاتحاد. ارتفع ثمن البنزين في نيفادا حالياً

إلى عشرين دولاراً للغالون. والدفع نقداً فقط، إذا لم تنضب المادة من المحطة.

أمسَك مارتي قارورة حليب نصف فارغة وشمَّها، ثم شرِب منها رغم عبيرها المشبوه قليلاً. يحتاج إلى شراب حقيقي، لكنه يعرف من الخبرة المرّة (والليالي بلا نوم) أن عليه أن يعزل معدته أولاً.

قال، "ما يثير استغرابي هو أن الأهل الذين أتوا بدوا قلقين أكثر بشأن الانترنت من زلازل كاليفورنيا. أظن لأن المناطق المنتجة للحبوب في الولاية لا تزال سليمة".

"لكن لكم من الوقت بعد؟ سمِعتُ عالِماً على الإذاعة الوطنية العامة يقول إن كاليفورنيا تُسلَخ مثل ورق جدران قديم. وقد فاض مُفاعل ياباني آخر بعد ظهر اليوم. يقولون إنهم أوقفوه عن العمل، وكل شيء جيد، لكنني لا أعتقد أنني أصدِّق ذلك".

"ساخرة".

"نحن نعيش في أوقات ساخرة يا مارتي". تردَّدت قليلاً. "يعتقد البعض أننا نعيش في نهاية الزمن. لم يعد المتخشّعون هم الوحيدين الذين يقولون هذا. سمِعت ذلك من عضو ذي مكانة مرموقة في فرقة الانتحار

لمستشفى المدينة العام. صحيح أننا خسِرنا ستة اليوم، لكن هناك ثمانية عشر آخرين أعدناهم. معظمهم بمساعدة نالوكسون. لكن..."، أخفَضت صوتها مرة أخرى. "... الكميات المتوفرة منه تتضاءل كثيراً. سمِعتُ كبير الصيدلانيين يقول إنه قد ينفد لدينا نهاية الشهر".

"هذا مريع"، قال مارتي وهو ينظر إلى حقيبته. كل تلك الأوراق تنتظره أن يعمل عليها. كل تلك الأخطاء الإملائية تنتظر أن تُصحَّح. كل تلك العبارات التابعة المتدلّية والاستنتاجات الغامضة تنتظر أن تُشطَب بحبر أحمر. وبدا له أن عكّازات الحاسوب أمثال تطبيقات مدقِّق الإملاء وتنبيهات النحو لا تساعد، ومجرد التفكير بها أشعره بالتعب. "اسمعي يا فيليشيا، عليّ أن أغلق الخط. معي اختبارات عليّ وضع علامات لها ومقالات عن قصيدة 'إصلاح الجدار' عليّ تصحيحها". فكرة الابتذالات المكدّسة في تلك المقالات المنتظرة جَعَلته يشعر أنه عجوز.

"حسناً"، قالت فيليشيا. "كنتُ فقط... أطمئن عليك".

"عُلم". فتَح مارتي الخزانة وأخذ قارورة شراب الذرة. سينتظر إلى أن تُغلق الخط قبل أن يصبّ منها، مخافة أن تسمع صوت السكب وتعرف ماذا يفعل. للزوجات

حدسٌ؛ ويبدو أن الزوجات السابقات يطوِّرن راداراً عالي الدقة.

"هل يمكنني أن أقول أحبك؟"، سألت.

"فقط إذا كان يمكنني أن أقولها لكِ بدوري"، رَدَّ مارتي وهو يمرّر إصبعه على مُلصَق القارورة: *الأوقات المُبكرة.* صنف جيد جداً، فكَّر في سرّه، لتلك الأوقات اللاحقة.

"أحبك يا مارتي".

"وأنا أحبكِ".

نهاية جيدة، لكنها لا تزال على الخط. "مارتي؟".

"ما الأمر يا حبيبتي؟".

"العالم يذهب هباءً، وكل ما يمكننا قوله هو 'هذا مريع'. لذا ربما نحن نذهب هباءً أيضاً".

"ربما نحن كذلك"، قال، "لكن تشاك كرانتز تقاعد، لذا أظن أن هناك بريق ضوءٍ في الظلمة".

"تسع وثلاثون سنة رائعة"، أجابت، وكان دورها أن تضحك.

وَضَع قارورة الحليب من يده. "رأيتِ لوحة الإعلانات؟".

"لا، كان إعلاناً على الراديو. ذلك البرنامج على الإذاعة الوطنية العامة الذي أُخبرتُك عنه".

"إذا كانوا يبثّون إعلانات على الإذاعة الوطنية العامة، فهي نهاية العالم حقاً"، قال مارتي، وضحِكت مرة أخرى، وصوتها أفرحه. "أخبريني، كيف يصنّف تشاك كرانتز هذا النوع من التغطية؟ يبدو محاسباً، ولم أسمع عنه أبداً".

"لا فكرة. العالم مليء بالأسرار. لا تتناول شراباً قوياً يا مارتي. أعرف أنك تفكّر بذلك. تناول شراب شعير بدلاً منه".

لم يضحك وهو يُنهي المكالمة، لكنه ابتسم. يا لرادار الزوجة السابقة العالي الدقة. أعاد قارورة *الأوقات المُبكرة* إلى الخزانة وأخذ شراب شعير بدلاً منها، ثم أسقط قطعتَي نقانق في الماء ودخَل مكتبه الصغير ليرى إن كانت الانترنت متوفرة بينما ينتظر أن يغلي الماء.

كانت متوفرة، وبدا أن سرعتها أفضل قليلاً من زحفها البطيء الاعتيادي. ذهَب إلى نتفليكس، وفكّر أنه قد يعاود مشاهدة إحدى حلقات مسلسل *اختلال ضال* أو *السلك* بينما يأكل نقانقه. ظهرت شاشة الترحيب،

وعرضت له خيارات لم تتغيَّر منذ ليلة أمس (علماً أن الأمور على نتفليكس كانت تتغيَّر كل يوم تقريباً، منذ وقت غير بعيد)، لكن قبل أن يتمكّن من اختيار الشرير الذي يريد مشاهدته، والتر وايت أو سترينغر بَلْ، اختفت شاشة الترحيب وظَهرت الكلمتان *جاري البحث* مع دائرة القلق الصغيرة.

"تباً"، قال مارتي. "وداعاً للسهرة -"

ثم اختفت دائرة القلق وعادت الشاشة. ما عدا أنها لم تكن شاشة ترحيب نتفليكس، بل صورة تشارلز كرانتز جالساً وراء مكتبه المتناثرة عليه أوراق، ويبتسم مُمسكاً قلمه بيده ذات الندوب. مكتوب *تشارلز كرانتز* فوق الصورة، و*39 سنة رائعة! شكراً يا تشاك!* تحتها.

"مَن أنت يا تشاكي اللعين؟"، سأل مارتي. "كيف تصنَّف؟". ثم اختفت الصورة، كما لو أن نَفَسه أطفأ الانترنت مثل شمعة على قالب ذكرى ولادة، وظهرت الكلمتان *فُقِدَ الاتصال* على الشاشة.

لم يعُد الاتصال تلك الليلة. ومثل نصف كاليفورنيا (وثلاثة أرباعها قريباً)، اختفت الانترنت.

أول شيء لاحَظه مارتي في اليوم التالي وهو يخرج بسيارته من المرأب هو السماء. منذ متى رأى ذلك

الأزرق الصافي الخالي من الشوائب لآخر مرة؟ شهر؟ ستة أسابيع؟ أصبحت السُحُب والأمطار (رذاذ أحياناً، وأحياناً سَيل جارف) أمراً ثابتاً تقريباً الآن، وفي الأيام التي تنقشع فيها السُحُب، تبقى السماء غائمة عادة من دخان الحرائق في الغرب الأوسط. لقد سوَّدت معظم أنحاء أيوا ونبراسكا، وبدأت تنتقل إلى كنساس بسبب الرياح الهوجاء.

وثاني شيء لاحَظه هو غَسّ وِيلفونغ يمشي بتثاقل في الشارع وصندوق غدائه الأكبر من المعتاد يخبط بفخذه. كان غَسّ يرتدي سروالاً كاكيّ اللون، لكن مع ربطة عنق. إنه مُشرِفٌ في دائرة الأشغال العامة للمدينة، ورغم أنها السابعة والربع فقط، إلا أنه بدا مُتعَباً ومنحرِف المزاج كما لو أنه في نهاية يوم طويل وليس في بداية يوم جديد. وإذا كان في بداية يوم جديد، لماذا يسير نحو منزله المجاور لمنزل مارتي؟ أيضاً...

أنزلَ مارتي زجاج نافذته. "أين سيارتك؟".

ضحِك غَسّ ضحكةً قصيرةً جدّيةً. "مركونة عند الرصيف في منتصف الشارع الرئيسي، إلى جانب حوالي مئة سيارة أخرى". زفرَ ممتعضاً. "يا للهول، لا يمكنني أن أتذكَّر آخر مرة سرتُ فيها خمسة كيلومترات.

وهذا يقول عني على الأرجح أكثر مما تريد أن تعرف. إذا كنتَ ذاهباً إلى المدرسة يا صديقي، ستضطر أن تقود حتى نهاية الطريق 11 ثم تلتفّ عائداً إلى الطريق 19. ثلاثون كيلومتراً على الأقل، والزحمة هناك خانقة أيضاً. قد تصل في وقت الغداء، لكن لا تتّكل على ذلك".

"ماذا حصل؟".

"ظهرَ غَورٌ عند تقاطع الشارع الرئيسي وشارع السوق. يا للهول كم حجمه كبير. كل المطر الذي شهدناه ربما له علاقة بذلك، أضف إليه انعدام الصيانة على الأرجح. الحمد لله أنه ليس تابعاً لِقسمي. لا شك أن عشرين سيارة غرقت إلى قعره، وربما ثلاثين، وهناك بعض الأشخاص في تلك السيارات...". هزَّ رأسه. "لن يعودوا".

"يا إلهي"، قال مارتي. "كنتُ هناك ليلة أمس. عالق في الزحمة".

"يجب أن تفرح أنك لم تكن هناك هذا الصباح. هل تمانع إن ركبتُ معك؟ لأستريح لدقيقةٍ؟ أنا مرهق، وستكون جيني قد عادت إلى النوم. لا أريد إيقاظها، خاصة على خبر سيئ".

"بالتأكيد".

ركب غَسّ السيارة. "هذا سيئ يا صديقي".

"مريع"، وافَقه مارتي الرأي. هذا ما قاله لفيليشيا ليلة أمس. "أظن أن عليك أن تبتسم وتتحمّل الوضع".

"لن أبتسم"، قال غَسّ.

"تنوي أن تأخذ إجازةً اليوم؟".

رَفَع غَسّ يديه وأنزلهما على صندوق الغداء الذي على حُضنه. "لا أعرف. ربما سأُجري بعض المكالمات، وأرى إن كان أحدهم قادراً على أن يقلّني معه، لكنني غير متفائل".

"إذا أخذتَ إجازةً اليوم، لا تخطِّط أن تُمضيها في مشاهدة فيديوهات نتفليكس أو يوتيوب، فالانترنت متوقفة مرة أخرى، وعندي شعور أنها ربما توقفت بشكل نهائي هذه المرة".

"إنني أفترض أنك عرَفتَ بشأن كاليفورنيا"، قال غَسّ.

"لم أشغِّل التلفزيون هذا الصباح. نمتُ قليلاً". سكت لبرهة. "الحق يُقال، لم أرغب أن أشاهده على أي حال. هل هناك شيء جديد؟".

"نعم. زالت بقيتها". أعاد التفكير بما قاله. "حسناً... يقولون إن عشرين بالمئة من كاليفورنيا الشمالية لا تزال

صامدة هناك، مما يعني عشرة بالمئة على الأرجح، لكن المناطق المنتِجة للغذاء زالت".

"هذا فظيع". كان فظيعاً طبعاً، لكن بدلاً من الرعب والحزن، كل ما شعَر به مارتي كان نوعاً من حيرة مُخدِرة.

"يمكنك قول ذلك"، ردَّ غَسّ. "خاصة مع احتراق الغرب الأوسط وتحوُّل النصف الجنوبي من فلوريدا الآن إلى مستنقع لا يصلح مبدئياً إلا للتماسيح. آمل أن يكون لديك الكثير من الطعام في حجرة مؤنك وثلاجتك، لأن *كل* المناطق الرئيسية المنتِجة للغذاء في هذا البلد زالت الآن. الشي نفسه في أوروبا. المجاعة ضربت آسيا من قبل ومات الملايين هناك. سمِعتُ أنه الطاعون الدَبليّ".

جلَسا في الممر الخاص لمنزل مارتي يراقبان المزيد من الأشخاص يعودون من وسط المدينة سيراً على الأقدام، والعديد منهم مرتدياً بذلات وربطات عنق. شاهدا امرأةً ترتدي بذلة زهرية جميلة تمشي بتثاقل في حذاء رياضي، وتحمل حذاءها ذا الكعب العالي بيدها. يعتقد مارتي أن إسمها أندريا، وتعيش على بُعد شارع أو شارعين. ألم تُخبره فيليشيا أنها تعمل في ميدوَست تراست؟

"والنحل"، تابَع غَسّ. "كانت في ورطة حتى منذ عشر سنوات، لكنها زالت بالكامل الآن، ما عدا بضعة قُفران منها في أميركا الجنوبية. لا عسل بعد اليوم يا عزيزي. ومن دونها لتلقيح المحاصيل التي ربما لا تزال باقية..."

"عن إذنك"، قال مارتي وخرَج من السيارة وخَبَّ ليلحق المرأة ذات البذلة الزهرية. "أندريا؟ هل أنتِ أندريا؟".

استدارت بحذر، رافعةً حذاءها كما لو أنها قد تضطر إلى استخدام كعب إحدى الفردتين لتُبعده عنها. فهِم مارتي حركتها فهناك الكثير من المخبولين في الشوارع هذه الأيام، لذا توقَف على بُعد مترين منها. "أنا زوج فيليشيا أندرسون". زوجها السابق في الواقع، لكن كلمة زوج بدت أقل خطورة. "أعتقد أنك وفيليشيا تعرفان بعضكما البعض".

"هذا صحيح. كنتُ في لجنة فريق حماية الحي معها. كيف يمكنني أن أخدمك يا سيد أندرسون؟ لقد مشيتُ مسافةً طويلةً وسيارتي عالقة في ما يبدو أنها زحمة نهائية في وسط المدينة. أما بالنسبة للمصرف، فهو... مائل".

"مائل"، كرَّر مارتي. تراءى له برج پيزا المائل، وصورة تقاعد تشاك كرانتز معلَّقة عليه.

"إنه عند حافة الغَور ورغم أنه لم يسقط فيه، إلا أنه يبدو لي غير آمن أبداً. سيقع بكل تأكيد. أظن أن هذه نهاية وظيفتي، على الأقل في فرع وسط المدينة، لكن لا يهمّني حقاً. أريد فقط أن أعود إلى المنزل وأرفع قدميَّ".

"عندي فضول بشأن لوحة الإعلانات على مبنى المصرف. هل رأيتها؟".

"كيف يُعقَل أن تفوتني؟"، سألت. "أنا أعمل هناك في النهاية. كما رأيتُ الغرافيتي أيضاً، فهي في كل مكان - نحبّك يا تشاك، يحيا تشاك، تشاك إلى الأبد - والإعلانات على التلفزيون".

"حقاً؟". تذكَّر مارتي ما رآه على نتفليكس ليلة أمس قبل أن تزول. اعتبره في ذلك الوقت مجرد إعلان منبثق مزعج جداً.

"حسناً، المحطات المحلية على أي حال. ربما الأمر مختلف على الكبل، لكننا لم نعد نتلقى ذلك بعد الآن. ليس منذ يوليو".

"نحن أيضاً". الآن وقد بدأ خرافة أنه لا يزال جزءاً من زوجين، بدا له أنه من الأفضل أن يواصل ذلك. "فقط القناة 8 والقناة 10".

أومأت أندريا برأسها. "لم تعد هناك إعلانات للسيارات أو الأدوية أو متجر بوب لحسومات الأثاث. فقط تشارلز كرانتز، تسع وثلاثون سنة رائعة، شكراً يا تشاك. دقيقة كاملة من ذلك، ثم عودة إلى روتين الحلقات المُعادة للمسلسلات. أمر غريب جداً، لكن هل هناك أمور غير غريبة هذه الأيام؟ الآن أريد حقاً الوصول إلى المنزل".

"تشارلز كرانتز ذاك غير مرتبط بمصرفك؟ لقد *تقاعد* من المصرف؟".

توقفت للحظةٍ قبل أن تتابع مشيها المتثاقل نحو المنزل، حاملةً حذاءها ذا الكعب العالي الذي لن تحتاج إليه اليوم. أو ربما في أي يوم آخر أبداً. "لا أعرف تشارلز كرانتز. لا شك أنه عمِل في المركز الرئيسي في أوماها. رغم أنه مما فهِمتُ، أوماها هي مجرد منفضة كبيرة هذه الأيام".

راقَبها مارتي تبتعد. وكذلك فعل غَسّ وِيلفونغ الذي كان قد انضم إليه. أوما غَسّ برأسه إلى الموكب الكئيب للعمّال العائدين الذين لن يعودوا قادرين على الوصول

إلى وظائفهم - البيع، المتاجرة، الأعمال المصرفية، خدمة الطاولات في المطاعم، توصيل الطلبات إلى المنازل والشركات.

"يبدون لاجئين"، قال غَسّ.

"نعم"، قال مارتي. "نوعاً ما. هل تتذكَّر سؤالك لي عن مؤني الغذائية؟".

أومأ غَسّ برأسه.

"لديَّ كمية لا بأس بها من عبوات الحساء. وكذلك بعض الأرز البسمتي وعلب أرز بالمعكرونة. وأظن حبوب الإفطار تشيريوس. أما بالنسبة للثلاجة، أظن أن لديَّ ستة أطباق عشاء للتلفزيون ورُبع ليتر بوظة بن وجيري".

"لا تبدو قلقاً".

هزَّ مارتي كتفيه. "ماذا سينفعني القلق؟".

"لكن الوضع مثير للاهتمام"، قال غَسّ. "كنا كلنا قلقين في البدء. أردنا أجوبة. ذهَب الناس إلى واشنطن واحتجّوا. هل تتذكَّر عندما اجتاحوا سور البيت الأبيض وأُطلق النار على طلاب الجامعات أولئك؟".

"نعم".

"أُسقطَت الحكومة في روسيا، واندلعت حرب الأيام الأربعة بين الهند وباكستان. وثار بركانٌ في ألمانيا، بالله عليك - *ألمانيا*! أخبَرنا بعضنا البعض أن كل هذا سيهدأ، لكن لا يبدو أن ذلك يحصل، أليس كذلك؟".

"لا"، وافَقه مارتي الرأي. ورغم أنه استيقظ للتو، إلا أنه يشعر بالتعب. بالارهاق. "لا يهدأ، بل يتفاقم".

"ثم هناك عمليات الانتحار".

أومأ مارتي برأسه. "تراها فيليشيا كل يوم".

"أعتقد أن عمليات الانتحار ستتراجع"، قال غَسّ، "والناس سينتظرون فحسب".

"ينتظرون ماذا؟".

"النهاية يا صديقي. نهاية كل شيء. ألا تُدرك أننا كنا نمرّ بالمراحل الخمسة للحزن؟ وقد وصلنا إلى المرحلة الأخيرة الآن. التقبُّل".

لم يقل مارتي شيئاً. فلم يستطع أن يفكِّر بأي شيء يقوله.

"منسوب الحشرية خفيف جداً الآن. وكل هذا..."، لوَّح غَسّ ذراعه. "خرَج من لا شيء. أعني، كنا نعرف أن حال البيئة يتدهور - أعتقد أن حتى مغفَّلي اليمين عرفوا

ذلك سراً - لكن هذه ستون صنفاً مختلفاً من الهُراء ظهرت دفعة واحدة". رمقَ مارتي بنظرة متضرِّعة تقريباً. "لكم من الوقت بعد؟ سنة؟ أربعة عشر شهراً؟".

"نعم"، قال مارتي. "مريع". بدا له أن هذه هي الكلمة الوحيدة المناسبة.

سمِعا صوت مسيَّرة فوقهما ورفعا نظرهما. الطائرات النفّاثة الكبيرة التي تحلِّق من المطار البلدي وإليه قليلة ومتباعدة زمنياً عن بعضها البعض هذه الأيام، لكن هذه طائرةٌ صغيرةٌ تتلعثم في السماء الصافية على غير عادة وتتجشأ دفقاً أبيض من ذيلها. دارت الطائرة ومالت، ارتفعت وانخفضت، وراح الدخان (أو مهما تكن طبيعة تلك المادة الكيميائية) تشكّل أحرفاً.

"انظر"، قال غَسّ وهو يمطّ عنقه. "طائرة كتابة بالدخان على السماء. لم أرَ واحدةً منذ صغري".

تشارلز، كَتَبت الطائرة. ثم *كرانتز*. ثم - بالطبع - *39 سنة رائعة*. كان الإسم قد بدأ يتلاشى من قبل عندما كَتَبت الطائرة *شكراً يا تشاك!*

"تباً"، قال غَسّ.

"هذا شعوري بالضبط"، قال مارتي.

لقد فاته الفطور. لذا عندما عاد إلى الداخل، وضع مارتي أحد أطباق عشائه المجمَّد في المايكروويف - فطيرة دجاج ماركة ماري كالندر، لذيذة المذاق جداً - وأخذه إلى غرفة الجلوس لمشاهدة التلفزيون. لكن المحطتين الوحيدتين اللتين يمكنه مشاهدتهما تعرضان صورة تشارلز "تشاك" كرانتز جالساً وراء مكتبه ممسكاً قلمه في جاهزية أبدية. راح مارتي يحدِّق به بينما أكَل فطيرته، ثم أطفأ الصندوق الأحمق وعاد إلى السرير. بدا له هذا أكثر شيء منطقي يمكنه أن يفعله.

نام معظم فترات اليوم، ورغم أنه لم يحلم بها (على الأقل حلماً يمكنه أن يتذكَّره)، إلا أنه استيقَظ وهو يفكِّر بفيليشيا. أراد رؤيتها، وعندما يراها سيسألها إن كان يمكنه أن يبيت عندها. وربما حتى يقيم هناك. ستون صنفاً مختلفاً من الهُراء، قال غَسّ، وظهرت دفعة واحدة. إذا كانت هذه هي النهاية حقاً، لم يرد أن يواجهها وحيداً.

فدادين الحصاد، المشروع العقاري الصغير الأنيق حيث تعيش فيليشيا الآن، يبعُد خمسة كيلومترات، ولم تكن لدى مارتي نيّة المخاطرة بالقيادة إلى هناك في سيارته، لذا ارتدى بنطلونه وحذاءه الرياضيين. هذا

الوقت المتأخر من بعد الظهر مناسبٌ للسير، والسماء لا تزال زرقاء صافية، وهناك أشخاص كُثُر يسرحون ويمرحون. بدا بعضهم كما لو أنهم يستمتعون بأشعة الشمس، لكن معظمهم أخفَضوا أنظارهم إلى أقدامهم فحسب. الأحاديث قليلة، حتى بين أولئك الذين يسيرون أزواجاً أو أثلاثاً.

في پارك درايف، وهو أحد الشوارع الرئيسية في الجهة الشرقية، كل الممرات الأربعة مزدحمة بالسيارات، ومعظمها فارغة. شقّ مارتي طريقه بينها متمايلاً، وصادفَ على الجهة الأخرى رجلاً مسنّاً يرتدي بذلةً صوفيةً خشنةً وقبعةً مطابقةً لها. كان يجلس على حافة الرصيف وينفض غليونه في المزراب. رأى مارتي يراقبه وابتسم له.

"أستريح فحسب"، قال. "سرتُ في وسط المدينة لأنظر إلى الغَور والتقط بضع صور بهاتفي. فكّرتُ أنها قد تهمّ إحدى المحطات التلفزيونية المحلية، لكن يبدو أنها كلها لا تبثّ. ما عدا صور ذلك الرجل كرانتز".

"نعم"، قال مارتي. "مجرد تشاك، وطوال الوقت الآن. هل تعرف مَن -"

"لا. سألتُ عشرين شخصاً على الأقل. لا أحد يعرفه. يبدو أن الأخ كرانتز هو أوز نهاية العالم".

ضحِك مارتي. "إلى أين أنت ذاهب يا سيدي؟".

"فدادين الحصاد. مقاطعة حبيسة صغيرة لطيفة. عند المسار المعزول". مدَّ يده إلى سترته وأخرج كيس تبغ، وبدأ يعيد تعبئة غليونه.

"أنا ذاهب إلى هناك أيضاً. زوجتي السابقة تعيش هناك. ربما يمكننا السير معاً".

نهض المسنّ متألماً. "طالما أنك لا تُسرع الخطى". أشعَلَ غليونه، ونفخ دخانه. "التهاب المفاصل. معي حبوب له، لكن كلما استحكم التهاب المفاصل فيَّ، كلما قلَّ مفعولها".

"هذا مريع"، قال مارتي. "حدِّد وتيرة السير بنفسك".

فعلَ العجوز ذلك. وتيرته بطيئة، ويدعى ساموِيل ياربرو، وكان الحانوتيّ الرئيسي في ياربرو. "لكن اهتمامي الحقيقي هو الأرصاد الجوية"، قال. "كنتُ أحلم أن أصبح مُذيع نشرة الطقس على التلفزيون في أيام طيش شبابي، وربما حتى على إحدى محطات الكبل، لكن يبدو أن كل المحطات تحبّذ الصبايا ذوات..."، كوَّب يديه ووضعهما على صدره. "لكنني أتابع

آخر الأخبار، وأقرأ الصحف، ويمكنني إخبارك شيئاً مدهشاً.. إذا كنتَ تريد سماعه".

"بالتأكيد".

وصلا إلى مقعد لانتظار الحافلة مطبوع على ظهره *تشارلز "تشاك" كرانتز 39 سنة رائعة! شكراً يا تشاك!* جلَس سام ياربرو وربَّت على الفسحة التي بجانبه، فجلَس مارتي. وجد نفسه جالساً باتجاه الرياح من غليون ياربرو، لكن لا بأس بذلك، فالرائحة تروق لمارتي.

"هل تعرف كيف يقول الناس إن هناك أربعاً وعشرين ساعة في اليوم؟"، سأل ياربرو.

"وسبعة أيام في الأسبوع. كل شخص يعرف هذا، حتى الصغار".

"حسناً، الجميع مخطئون. كان هناك ثلاث وعشرون ساعة وست وخمسون دقيقة في اليوم الشمسيّ. زائد بضع ثواني قليلة".

"كان؟".

"صحيح. بناءً على حساباتي، والتي أؤكّد لك دقّتها، هناك الآن أربع وعشرون ساعة ودقيقتان في اليوم. هل تعرف معنى هذا يا سيد أندرسون؟".

فكَّر مارتي بالأمر ملياً. "هل تُخبرني أن دوران الأرض يتباطأ؟".

"بالضبط". أخرج ياربرو غليونه من فمه وأومأ إلى الأشخاص الذين يمرّون بهما على الرصيف. أعدادهم تقلّ الآن وقد بدأ بعد ظهر اليوم ينحو إلى الشَفَق. "أراهنك أن العديد من هؤلاء الأشخاص يعتقدون أن الكوارث المتعددة التي تصيبنا لها سبب واحد يتجذّر في ما فعلناه لبيئة الأرض. هذا غير صحيح. سأكون أول شخص يُقرّ أننا عاملنا أمنا - نعم، هي أمنا كلنا - بشكل سيئ جداً، وانتهكنا حرمتها إن لم نقل اغتصبناها بلا خجل، لكننا تافهون بالمقارنة مع الساعة العظيمة للكون. *تافهون*. لا، كل ما يحصل أكبر بكثير من مجرد تدهور بيئي".

"ربما هذا ذنب تشاك كرانتز"، قال مارتي.

نظَرَ ياربرو إليه متفاجئاً، ثم ضحِك. "عدنا إليه، أليس كذلك؟ تشاك كرانتز تقاعد وكل سكان الكوكب، ناهيك عن الكوكب نفسه، يتقاعدون معه؟ هل هذه نظريتك؟".

"علينا أن نلوم شيئاً"، قال مارتي مبتسماً. "أو أحداً".

نهض سام ياربرو، ووضع يداً على أسفل ظهره، وتمطّط متألماً. "بالإذن من السيد سبوك، هذا غير

منطقي. أظن أن تسعاً وثلاثين سنة فترة طويلة قياساً بالحياة البشرية - نصفها تقريباً - لكن آخر عصر جليدي حصل من مدة أطول من ذلك بكثير. ناهيك عن عصر الدينوصورات. هلاّ مشينا الهُوَينى؟".

مشيا الهُوَينى، وظلّهما يمتدّان أمامهما. راح مارتي يوبِّخ نفسه ذهنياً لنومه الجزء الأكبر من يوم جميل. وبدا له أن ياربرو يتحرّك بشكل أبطأ من ذي قبل. عندما وَصَلا أخيراً إلى قوس الطوب الذي يشكِّل المدخل إلى فدادين الحصاد، جلس الحانوتيّ العجوز أرضاً مرة أخرى.

"أعتقد أنني سأراقب الغروب بينما أنتظر أن يهدأ التهاب المفاصل قليلاً. هل يهمّك الانضمام إليَّ؟".

هزَّ مارتي رأسه. "أظن أنني سأواصل طريقي".

"تطمئن على الزوجة السابقة"، قال ياربرو. "أفهمك. سرّني التحدّث إليك يا سيد أندرسون".

بدأ مارتي يمرّ تحت القوس، ثم التفت إلى الوراء. "تشارلز كرانتز يعني *شيئاً*"، قال. "أنا متأكد من ذلك".

"يمكن أن تكون محقّاً"، قال سام وهو ينفخ غليونه، "لكن تباطؤ دوران كوكب الأرض... لا شيء أهم من ذلك يا صديقي".

الشارع المركزي لمشروع فدادين الحصاد العقاري عبارة عن قَطع مكافئ تصطفّ على جانبيه أشجار وتتفرَّع منه شوارع قصيرة. أضاءت أعمدة الإنارة، التي بدت لمارتي مشابهة لتلك المرسومة في روايات ديكنز المصوَّرة، مُلقيةً توهُّجاً يشبه ضوء القمر. مع اقتراب مارتي من حارة السرخس حيث تعيش فيليشيا، ظَهَرت فتاة صغيرة على زلاّجات ذات عجلات تنعطف بلباقة حول الناصية. كانت ترتدي شورتاً أحمر فضفاضاً وقميصاً تائياً بلا أكمام عليه وجه أحدهم، ربما نجم غنائي أو ممثل. خمَّن مارتي أن عمرها عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة، وأبهَجته رؤيتها كثيراً. فتاة صغيرة على زلاّجات ذات عجلات: ماذا يمكن أن يكون عادياً أكثر في هذا اليوم غير العادي؟ في هذه *السنة* غير العادية؟

"مَرحَب"، قال.

"مَرحَب"، بادلته التحية، لكنها استدارت بلباقة على زلاّجاتها، ربما استعداداً لتفرّ إن تبيَّن لها أنه أحد المتحرّشين الذين حذَّرتها أمها منهم.

"أنا ذاهب لأزور زوجتي السابقة"، قال مارتي وهو يقف في مكانه دون حراك. "فيليشيا أندرسون. أو ربما

أعادت كنيتها إلى غوردون الآن. هذه كنيتها قبل الزواج. تعيش في حارة السرخس. المنزل رقم 19".

دارت الفتاة الصغيرة على محور زلاّجاتها بحركة سهلة كانت ستجعل مارتي يسقط على مؤخِّرته. "آه نعم، ربما رأيتُك من قبل. بريوس زرقاء؟".

"هذا أنا".

"إذا أتيتَ إلى هنا لرؤيتها، لماذا هي زوجتك السابقة؟".

"لا تزال تروق لي".

"ألا تتشاجران؟".

"كنا نتشاجر. ننسجم أفضل الآن بعد طلاقنا".

"تعطينا الآنسة غوردون كعكات بالزنجبيل أحياناً. أنا وأخي الصغير روني. أفضِّل قِطع أوريو، لكن..."

"لكن هذه حال الدنيا، صح؟"، قال مارتي.

"صح، وكعكة الزنجبيل لا تتفتَّت. على الأقل إلى أن تطحنها في فمك -"

انطفأت أعمدة الإنارة في تلك اللحظة، مما حوَّل الشارع الرئيسي إلى بحيرة ظلال، وأظلمت كل المنازل دفعةً واحدةً. لقد حصلت انقطاعات بالكهرباء في

المدينة من قبل، وبعضها دام ثماني عشرة ساعة، لكن الطاقة عادت دائماً. لم يكن مارتي متأكداً أنها ستعود هذه المرة. ربما ستعود، لكنه شَعَر أن الكهرباء، التي اعتاد (وجميع الآخرين) على أخذها كقضية مسلَّمة طوال حياته، ربما انقطعت إلى الأبد مثل الانترنت.

"تباً"، قالت الفتاة الصغيرة.

"من الأفضل أن تعودي إلى منزلك"، قال مارتي. "فالجو مظلم جداً للتزلّج من دون أعمدة الإنارة".

"يا سيد؟ هل سيكون كل شيء بخير؟".

رغم أنه ليس لديه أولاد، إلا أنه علَّم أولاداً لعشرين سنة وشَعَر أنه رغم وجوب مصارحتهم بالحقيقة بعدما يبلغون سنّ السادسة عشرة، إلا أن كذبة بيضاء هي الخيار الأنسب في أغلب الأحيان عندما يكونون يافعين مثل هذه الفتاة. "بالتأكيد".

"لكن انظر"، قالت وأشارت بيدها.

تبَع إصبعها المرتعش إلى المنزل الواقع عند ناصية حارة السرخس، ورأى وجهاً يطلّ من النافذة المظلمة المشرفة على مَرجة صغيرة، وقد ظَهَر في خطوط بيضاء متوهجة وظلال، مثل الجِبلة الخارجية في جلسة استحضار أرواح. وجهٌ مستديرٌ مبتسمٌ. نظّاراتٌ

ذات إطار أسود. قلمٌ متأهِّبٌ. فوقه: *تشارلز كرانتز.* وتحته: *39 سنة رائعة! شكراً يا تشاك!*

"هذا يحصل لهم كلهم"، همَست.

إنها محقّة. كان تشاك كرانتز يرتفع على النوافذ الأمامية لكل منزل في حارة السرخس. استدار مارتي ورأى قوساً من وجوه كرانتز يمتدّ خلفه على الجادة الرئيسية. عشرات التشاك، وربما المئات. الآلاف، إذا كانت هذه الظاهرة تحدث في كل أرجاء المدينة.

"عودي إلى منزلك"، قال مارتي دون أن يبتسم. "عودي إلى أمك وأبيك يا عزيزتي. افعلي ذلك الآن".

ابتعدت وزلّاجاتها تلعلع على الرصيف وشعرها يتطاير خلفها. بقي يرى شورتها الأحمر للحظات، ثم اختفت في الظلال الكثيفة.

سار مارتي بسرعة في الاتجاه الذي ذهَبت فيه، تحت مراقبة وجه تشارلز "تشاك" كرانتز المبتسم في كل نافذة. تشاك في قميصه الأبيض وربطة عنقه الداكنة. شَعَر كما لو أنه تحت مراقبة حشدٍ من الأشباح المستنسخَة. سُرَّ مارتي من عدم وجود قمر الليلة. ماذا لو ظَهَر وجه تشاك هناك؟ كيف سيتعامل مع *ذلك*؟

توقف عن السير عند الرقم 13، وشرع يركض بقية المسافة إلى عشّة فيليشيا الصغيرة المؤلفة من غرفتين، ثم قرَع على الباب. انتظَر متأكداً فجأة أنها لا تزال في المستشفى، وتعمل ربما مناوبةً مزدوجةً، لكنه سمِع خُطاها عندها، وفتحت الباب حاملةً شمعةً أنارت وجهها الخائف.

"مارتي، الحمد لله. هل رأيتها كلها؟".

"نعم". كان الرجل عند نافذتها الأمامية أيضاً. تشاك المبتسم. يشبه كل محاسب عاش في يوم من الأيام. رجل يخاف من ظلّه.

"بدأت... بالظهور فحسب!".

"أعرف. لقد رأيتُ ذلك".

"هل هذا يحصل هنا فقط؟".

"أعتقد أنه يحصل في كل مكان. أعتقد أن -"

ثم عانقته وشدَّته إلى الداخل، وسُرَّ أنها لم تعطه فرصة ليقول الكلمتين الأخريين: *النهاية اقتربت*.

2

جلَس دوغلاس بِيتون، وهو أستاذ مساعد في مادة الفلسفة في كلّية إيثاكا، في غرفة المستشفى ينتظر وفاة زوج أخته. الأصوات الوحيدة هي *الصفرة... الصفرة... الصفرة* المنتظمة لجهاز مراقبة معدل ضربات القلب والصعوبة المتزايدة لتنفّس تشاك البطيء. لقد أُطفئت معظم الآلات.

"خالي؟".

استدار دوغ ليرى براين عند الباب وهو لا يزال يرتدي سترة البيسبول ويضع حقيبة الظهر على كتفه.

"ترَكتَ المدرسة باكراً؟"، سأل دوغ.

"بإذن رسمي. أرسلت لي أمي رسالة نصية بأنها ستدعهم يطفئون الآلات. هل أطفأوها؟".

"نعم".

"متى؟".

"منذ ساعة".

"أين أمي الآن؟".

"تصلّي لروحه في دار العبادة الصغيرة في الطابق الأول".

وتصلّي على الأرجح من أن تكون قد فعلت الصواب، فكَّر دوغ في سرّه. لأنه حتى عندما يُخبِرك الموقَّر أنه لا بأس ولندع السماوات تهتمّ بالباقي، تشعر أن القرار خاطئ بطريقة أو بأخرى.

"يُفترَض بي إرسال رسالة نصية إليها إذا بدا أنه..."، هزّ خال براين كتفيه.

اقترب براين من السرير ونظر إلى وجه أبيه الذي لا يزال أبيض. إذا استثنى نظّاراته ذات الإطار الأسود، يعتبر الفتى أن أباه لا يبدو كبيراً في السنّ كفاية ليكون لديه إبن في الصف التاسع الثانوي. يبدو طالباً في الثانوية بنفسه. رفَع يد أبيه وطبعَ قبلة سريعة على الندبة الهلاليّة الشكل التي هناك.

"لا يُفترَض بالرجال اليافعين مثله أن يموتوا"، قال براين بصوت هادئ، كما لو أن أباه يستطيع أن يسمعه. "يا للهول يا خالي دوغ، لقد بلغ التاسعة والثلاثين فقط في الشتاء الفائت!".

"تعال واجلس"، قال دوغ، وربّت على الكرسي الفارغ الذي بجانبه.

"هذا مقعد أمي".

"عندما تعود، يمكنك أن تنهض عنه".

خلع براين حقيبة ظهره وجلس. "كم تعتقد أن هذا سيستغرق من وقت؟".

"قال الأطباء إنه قد يغادرنا في أي لحظة. قبل الغد، بكل تأكيد. أنت تعرف أن الآلات كانت تساعده على التنفّس، صح؟ وكانت هناك أمصال لتغذيته. إنه لا... إنه لا يشعر بأي ألم يا براين، فقد انتهت تلك المرحلة".

"الورم الأرومي الدبقي"، قال براين بمرارة. كان يبكي عندما استدار إلى خاله. "لماذا ستأخذ السماوات أبي يا خالي دوغ؟ اشرح لي".

"لا أستطيع. وسائل السماوات سر غامض".

"تباً"، قال الفتى. "يجب أن تبقى الأسرار في الروايات، حيث تنتمي".

أومأ الخال دوغ برأسه ووضع ذراعه حول كتفَي براين. "أعرف أن الأمر صعب عليك يا صغيري، وهو صعب عليَّ أيضاً، لكنه كل ما لديَّ. الحياة سر، وكذلك الموت".

صمَتا، وراحا يستمعان إلى *الصفرة... الصفرة... الصفرة* المنتظمة والصرير كلما أخذ تشارلز كرانتز - تشاك بالنسبة لزوجته وأخ زوجته وأصدقائه - نَفَساً بطيئاً تلو الآخر، وتفاعلات جسمه الأخيرة مع العالم، كل

شهيق وزفير استطاع أن يقوم بهما دماغ ينطفئ تدريجياً ولا يزال قادراً على تنفيذ بضع عمليات. الرجل الذي أمضى حياته المهنية في قسم المحاسبة في ميدوَست تراست يُنهي الآن سجلاته الأخيرة: مدخول صغير، نفقات كبيرة.

"يُفترَض أن تكون المصارف عديمة الشفقة، لكنهم أحبَّوه هناك حقاً"، قال براين. "أرسَلوا طناً من الزهور وضعتها الممرِّضات في الغرفة الزجاجية تلك لأنه لا يُفترَض أن توضع زهور قربه. ماذا اعتقدوا؟ أنها ستسبِّب له حساسيةً أو شيئاً من هذا القبيل؟".

"أحبَّ العمل هناك"، قال دوغ. "أظن أنه لم يكن ذا شأن كبير في الحياة - لم يكن ليفوز أبداً بجائزة نوبل أو ينال وسام الحرية من الرئيس - لكنه أحبّه".

"الرقص أيضاً"، قال براين. "أحبَّ الرقص. وكان بارعاً فيه. وكذلك أمي - يمكنهما الرقص حقاً، على حد قولها. لكنها قالت أيضاً إنه أبرع منها".

ضحِك دوغ. "كان معتاداً أن يسمّي نفسه فْرَد أستير المساكين. وأحبَّ المجسّمات المصغَّرة للقطارات عندما كان فتى. كان جَدّه يملك مجموعة منها".

"نعم"، قال براين. "أعرف هذا".

"لقد عاش حياة جيدة يا براين".

"لم يعش ما يكفي منها"، قال براين. "لن يتمكن أبداً من أن يسوح في كل أرجاء كندا بالقطار مثلما أراد. أو يزور استراليا - فقد أراد ذلك أيضاً. لن يراني أبداً أتخرَّج من الثانوية. لن تُقام له أبداً حفلة تقاعد يُلقي فيها زملاؤه خُطباً مضحكةً ويعطونه ساعة..."، مسَح عينيه بكُمّ سترته. "ساعة ذهبية".

شدَّ دوغ على كتفَي إبن أخته.

تكلَّم براين مُخفضاً نظره إلى يديه المشبوكتين. "أريد أن أقتنع بحكمة السماوات يا خالي، وأنا مقتنع بها نوعاً ما، لكنني لا أفهم لماذا يجب أن تتم الأمور بهذه الطريقة. لماذا *تقبل* السماوات أن تتم الأمور بهذه الطريقة. قلتَ إنه سر؟ أنت رجل الفلسفة المميز وهذا أفضل ما يمكنك التوصّل إليه؟".

نعم، لأن الموت يُتلِف الفلسفة، فكَّر دوغ في سرّه.

"أنت تعرف ما يقولونه يا براين - الموت يأخذ الأفضل بيننا والموت يأخذ بقيتنا".

حاول براين أن يبتسم. "إذا كان يُفترض أن يكون هذا معزياً، فعليك أن تبذل جهداً أكبر".

بدا أن دوغ لم يسمعه، فقد كان ينظر إلى زوج أخته الذي يعتبره أخاً فعلياً. الذي جعل أخته تعيش حياةً جيدةً. الذي ساعده على الانطلاق بتجارته، وهذا أقل ما في الأمر حقاً. لقد أمضيا بعض الأوقات الممتازة معاً. صحيح أن هذا غير كافٍ، لكن يبدو أن عليهم الاكتفاء بذلك.

"الدماغ البشري محدود - مجرد إسفنجة من نسيج داخل قفص عظميّ - لكن الذهن الذي ضمن الدماغ لامتناهٍ. سعة تخزينه هائلة، ومدى خياله يتخطى قدرتنا على الفهم بكثير. أعتقد أنه عندما يموت رجلٌ أو امرأةٌ، يخرب عالمٌ بأكمله - العالم الذي عرَفه ذلك الشخص وتجذّر فيه. فكّر بهذا يا صغيري - مليارات الأشخاص على كوكب الأرض، وهناك عالم داخل كل واحد منهم. كوكب الأرض الذي تصوَّرَته عقولهم".

"والآن عالم أبي يموت".

"لكن ليس عالمنا"، قال دوغ وشدَّ على كتفَي إبن أخته مرة أخرى. "سيستمر عالمنا لبعض الوقت. وعالم أمك. يجب أن نكون أقوياء من أجلها يا براين. أقوى ما نقدر عليه".

صمَتا، وراحا ينظران إلى الرجل المُحتضَر على سرير المستشفى، ويستمعان إلى *الصفرة... الصفرة... الصفرة* لجهاز المراقبة وإلى الأنفاس البطيئة لتشاك كرانتز. توقفت فجأة، وبقي صدره مسطّحاً. توتّر براين. ثم ارتفع صدره مرة أخرى بأحد أصوات الصرير الاحتضارية الأخرى تلك.

"أرسِل رسالة نصية إلى أمي"، قال براين. "الآن".

كان دوغ قد أخرجَ هاتفه من قبل. "سبقتُك بأشواط". وكتبَ: *من الأفضل أن تأتي يا أختاه. براين هنا. أعتقد أن نهاية تشاك وشيكة.*

3

خرَج مارتي وفيليشيا إلى المَرجة الخلفية، وجلَسا على كرسيين أحضراهما من الفناء. الكهرباء مقطوعة في كل أرجاء المدينة الآن، والنجوم ساطعة جداً. أكثر سطوعاً مما رآها مارتي في حياته منذ أن كان فتى ينمو في نبراسكا. كان يملك وقتها تلسكوباً صغيراً ويتمعَّن بالكون من نافذة عليّته.

"هذه كوكبة العُقاب"، قال. "النسر الطائر. الدجاجة. البجعة. أترينها؟".

"نعم. وهناك نجم الشمال -". سكتت. "مارتي؟ هل رأيتَ..."

"نعم"، قال. "انطفأ للتو. والمريخ أيضاً. وداعاً أيها الكوكب الأحمر".

"مارتي، أنا خائفة".

هل غَسّ وِيلفونغ ينظر إلى السماء هذه الليلة؟ وأندريا، المرأة العضو في لجنة فريق حماية الحي مع فيليشيا؟ والحانوتيّ ساموِيل ياربرو؟ ماذا عن الفتاة الصغيرة ذات الشورت الأحمر؟ ضوء النجوم، النجوم الساطعة، آخر نجوم أراها الليلة.

أمسك مارتي يدها. "وأنا أيضاً".

4

وقف براين وجيني ودوغ بجانب سرير تشاك كرانتز شابكين أيديهم بأيدي بعضهم البعض. ينتظرون تشاك - الزوج، الأب، المحاسب، الراقص، عاشق برامج الجرائم على التلفزيون - يأخذ آخر نَفَسين أو ثلاثة له.

"تسع وثلاثون سنة"، قال دوغ. "تسع وثلاثون سنة *رائعة*. شكراً يا تشاك".

5

جلَس مارتي وفيليشيا رافعَين وجهيهما إلى السماء ويراقبان النجوم تنطفئ. نجوم فردية في البدء، ثم أزواج نجوم، ثم بالعشرات، ثم بالمئات. مع غرق درب اللبّانة في الظلمة، استدار مارتي إلى زوجته السابقة.

"أحبّـ -"

سوادٌ.

الفصل الثاني: فنانو الشوارع

بمساعدة صديقه ماك الذي يملك شاحنة قديمة، نصبَ جاريد فرانك طقم طبوله في بقعته المفضَّلة في شارع بوْيلستون بين وولغرينز ومتجر أپل. لديه شعور جيد بشأن بعد ظهر الخميس هذا، فالطقس رائع جداً، والشوارع تعجّ بأشخاص يتطلّعون إلى عطلة نهاية الأسبوع، وهذا أفضل دائماً من نهاية الأسبوع نفسها. ذلك الترقّب تامٌ بالنسبة لروّاد بعد ظهر الخميس. أما روّاد بعد ظهر الجمعة فعليهم وضع الترقّب جانباً وبدء الاستمتاع بوقتهم.

"كل شيء جيد؟"، سأله ماك.

"نعم. شكراً".

"العشرة بالمئة خاصتي هي كل الشكر الذي أريده يا عزيزي".

ابتعد ماك، على الأرجح إلى متجر القصص المصوَّرة، وربما إلى بارنز أند نوبل، ثم إلى المشاع ليقرأ ما

سيشتريه. ماك قارئ نهِم. سيتصل به جاريد عندما يحين الوقت للتوضيب والرحيل، فيُحضِر ماك شاحنته.

وضع جاريد أرضاً قبعة عالية سوداء مقصوفة (مخملها بالٍ، وحزامها الحريري ممزّق) اشتراها بخمسة وسبعين سنتاً من متجر يبيع بضائع مستعملة في كامبريدج، ثم وضع أمامها لافتة تقول هذه قبعة *عجيبة! أعطِ بسخاء وستتضاعف مساهمتك!* ورمى دولارين فيها ليعطي الناس الفكرة الصحيحة. الطقس دافئ في أوائل أكتوبر، وهذا يتيح له أن يرتدي ما يشاء لعروضه الحيّة في بوْيلستون - قميص تائي بلا أكمام مطبوع *طبول فرانك* على جهته الأمامية، وشورت كاكي، وحذاء كونفرس عالٍ من دون جاربَين - لكن حتى في الأيام القارسة، سيخلع معطفه عادة إن كان يرتدي واحداً، لأنك عندما تجد الإيقاع، تشعر بالحرارة.

فتح جاريد كرسيه الذي بلا ظهر ولا ذراعين وعزفَ النغمات التحضيرية على طبوله. التفت بضعة أشخاص صوبه، لكن معظمهم عاد وتاه في أحاديثه عن أصدقائه، وخططه للعشاء، وأين يمكنه الحصول على كوب شراب، واليوم الذي انقضى إلى المكبّ السري الذي تنقضي إليه الأيام.

لا يزال الوقت طويلاً حتى الساعة الثامنة، وهو الوقت الذي تتوقف فيه عادة سيارة شرطة عند حافة الرصيف ويطلّ شرطي رأسه من نافذة الراكب ليُخبره أن الوقت حان ليوضّب أغراضه ويرحل، فيتصل بماك عندها. أما الآن فهناك مال يجب جنيه. لذا أعدَّ قبعته العالية وصنوجه، ثم أضاف جرس بقرة لأن اليوم بدا له مناسباً لجرس بقرةٍ.

يعمل جاريد وماك بدوام جزئي في *طبيب الأسطوانات* في شارع نيوبَري، لكن بإمكان جاريد في يوم جيد كسب مدخولٍ موازٍ تقريباً من وصلة فن الشوارع. والعزف على الطبول في شارع بوْيلستون المشمس أفضل بالطبع من جو عمله العابق برائحة البتشول، والمحادثات الطويلة مع مهووسي الأسطوانات الذين يبحثون عن دايف فان رونك في قسم الأغاني الشعبية أو النوادر الموتى على أسطوانات فينيل. لطالما أراد جاريد سؤالهم أين كانوا عندما كانت شركة تاور ريكوردز تنهار.

جاريد طالبٌ ترك دراسته قبل حصوله على الشهادة من جوليارد، والتي يسمّيها - مع الاعتذار من كاي كايزر - كلّية المعرفة الموسيقية. صمدَ هناك ثلاثة فصول

دراسية، لكنه شَعَر في النهاية أن ذلك لا يناسبه. فهم يريدون أن يفكِّر الطالب بما يفعله، وبالنسبة لجاريد، الإيقاع صديقك والتفكير عدوك. يشارك في عرض فني عَرَضيّ، لكن الفرق الموسيقية لا تستهويه كثيراً. رغم أنه لا يقول ذلك أبداً (حسناً، ربما مرة أو مرتين، بينما كان ثملاً)، إلا أنه يعتقد أن الموسيقى نفسها هي العدو على الأرجح. نادراً ما يفكِّر بتلك المسائل حالما يصبح في أحسن مزاجه. فبعدما يصبح في أحسن مزاجه، تصبح الموسيقى شبحاً. فقط الطبول تهمّه وقتها. فقط الإيقاع.

بدأ يسخِّن نفسه، فراح يعزف بوتيرة بطيئة في البدء، بلا جرس البقرة، بلا خشخاشات ولا طَرق على حافات الطبول، دون أن يكترث أن القبعة العجيبة لا تزال فارغة ما عدا من دولارَيه المتجعِّدين ورُبع دولار نقفه (بازدراء) ولدٌ على لوح تزحلق. هناك متّسع من الوقت. هناك وسيلة للدخول. فمثل توقّع أفراح عطلة نهاية أسبوع خريفية في بوسطن، يُعتبر إيجاد وسيلة الدخول هو نصف المتعة. وربما حتى معظمها.

جانيس هاليداي في طريق عودتها إلى المنزل من عملها لسبع ساعات في *الورق والصفحات*، وكانت تمشي

بتثاقل في شارع بوْيلستون مُخفِضةً رأسها وتشدّ جزدانها على جسمها بقوة. قد تسير كل المسافة إلى فَنواي قبل أن تبدأ البحث عن أقرب محطة قطارات، لأن السير هو ما تريده الآن. لقد انفصَل عنها للتو حبيبها لستة عشر شهراً. تخلّى عنها بصريح العبارة. رماها على قارعة الطريق. وقد فعل ذلك بالطريقة العصرية، عبر رسالة نصية.

نحن غير مناسبَين لبعضنا البعض.

ثم: ستبقين في قلبي دائماً!

ثم: أصدقاء إلى الأبد، اتفقنا؟

غير مناسبَين لبعضنا البعض يعني على الأرجح أنه تعرَّف على إحداهن وسيُمضي نهاية الأسبوع معها في قطف التفاح في نيو هامبشاير ثم يضاجعها لاحقاً في نُزُل ما. لن يرى جانيس هذه الليلة، أو في أي ليلة أخرى، وهي ترتدي بلوزتها الزهرية الأنيقة وتنورتها اللفّ الحمراء إلا إذا أرسلت له صورة مع رسالة نصية تقول *هذا ما يفوتك، أيها*.

ما حصل غير متوقع كلياً، وهذا ما صدَمَها، كما لو أن باباً خُبط في وجهها بينما كانت تستعد لعبوره. عطلة نهاية الأسبوع، التي بدت مليئة بالاحتمالات هذا

الصباح، تبدو لها الآن مثل فوهة برميل مجوَّف يدور ببطء وعليها أن تزحف فيه. هي لا تعمل في *الورق والصفحات* أيام السبت، لكنها ربما ستتصل بمايبلين وترى إن كان يمكنها الحضور صباح السبت على الأقل، لأن المتجر يُغلق أبوابه أيام الأحد. من الأفضل عدم التفكير بالأحد، في الوقت الحاضر على الأقل.

"تباً لصداقتك إلى الأبد". قالت هذا لجزدانها، لأنها كانت تُخفض نظرها. هي لا تحبّه، وحتى لم تكذب على نفسها أبداً بأنها تحبّه، لكنها صدمة مُرعِبة، في جميع الأحوال. كان شابّاً لطيفاً (هذا ما ظنّته على الأقل)، حبيباً جيداً جداً، ورفقته ممتعة، مثلما يقولون. إنها في الثانية والعشرين الآن وحبيبها تخلّى عنها وهذا مريع. تظن أنها ستحتسي بعض شراب العنب عندما تصل إلى المنزل، وتبكي. قد يكون البكاء جيداً. شافياً. ربما قد تشغِّل إحدى لوائح استماعها الطويلة وترقص في الغرفة. الرقص مع نفسي، مثلما تقول أغنية بيلي آيدول. كانت تحبّ الرقص في الثانوية، وحفلات الرقص تلك كل ليلة جمعة كانت مسلية. ربما يمكنها استرداد جزء يسير من تلك السعادة.

لا، فهي تظن أن تلك الألحان - وتلك الذكريات - ستجعلها تبكي أكثر فحسب. لقد انتهت أيام الثانوية منذ وقت طويل. هذا هو العالم الحقيقي، حيث ينفصل الشاب عن الفتاة دون تحذير.

سمِعت أصوات طبول على بُعد شارعَين أمامها.

سار تشارلز كرانتز - تشاك، بالنسبة لأصدقائه - في شارع بوْيلستون مرتدياً درع المحاسبة: بذلة رمادية، قميص أبيض، ربطة عنق زرقاء. حذاؤه الأسود ماركة ساموِيل وندسور رخيص لكن متين. حقيبته تلوح بجانبه. لم ينتبه إلى ثرثرة الحشود حوله بعد انتهاء دوام العمل، فقد جاء إلى بوسطن لحضور مؤتمر يدوم أسبوعاً عنوانه *المصارف في القرن الحادي والعشرين*، وقد أرسله إليه مصرفه، *ميدوَست تراست*، متكفِّلاً بكل المصاريف. هذا لطيف جداً، بالأخص أنه لم يزُر مدينة الفاصوليا أبداً من قبل.

ينعقد المؤتمر في فندق مثالي للمحاسبين، فهو نظيف ورخيص نوعاً ما. لقد استمتع تشاك بالخِطابات واللجان (شارَكَ في لجنةٍ وسيشارك في لجنة أخرى قبل انتهاء المؤتمر ظهر الغد)، لكنه لا ينوي تمضية ساعات فراغه بصُحبة سبعين محاسباً آخر. صحيح أنه يتكلَّم لغتهم،

لكنه يحبّ أن يعتبر أنه يتكلّم لغات آخرين أيضاً. كان هذا صحيحاً في الماضي على الأقل، رغم أنه نسي جزءاً من معجمه الآن.

حذاؤه ساموويل وندسور ذو الرباط يأخذه الآن في نزهة بعد الظهر. مغامرة غير مشوِّقة جداً، لكنها لطيفة. الأشياء *اللطيفة* كافية هذه الأيام. فحياته محدودة أكثر من تلك التي أملَ أن يعيشها ذات يوم، لكنه تقبَّل الواقع. يفهم أن المحدودية هي من طبيعة الأمور. سيأتي وقتٌ تُدرِك فيه أنك لن تصبح أبداً رئيس الولايات المتحدة وسترضى أن تكون رئيس جمعيةٍ بدلاً من ذلك. وهناك جانب مُشرق في القضية أيضاً. فلديه زوجة يُخلِص لها كثيراً، وإبن ذكي وحَسن الدعابة في المدرسة المتوسطة. كما لديه تسعة أشهر ليعيشها، رغم أنه لا يعرف ذلك بعد. بذور نهايته - المكان الذي تضيق فيه الحياة إلى نقطة أخيرة - زُرعَت عميقاً، حيث لن تصل سكين أي جرّاح أبداً، وقد بدأت تستيقظ مؤخراً. ستحمل قريباً ثماراً سوداء.

بالنسبة للمارّين أمامه - الجامعيات في تنانيرهن الغنية بالألوان، الجامعيين بقبعاتهم ريد سوكس المبرومة إلى الوراء، الأميركيين الآسيويين الأنيقين من

الحي الصيني، المـُشرِفات بأكياس تسوّقهن، البيطري الفييتنامي الذي يحمل كوباً خزفياً ضخماً عليه العَلَم الأميركي وشعار هذه *الألوان لا تسيح* - لا شكّ أن تشاك كرانتز بدا مثالاً نموذجياً لأميركي أبيض، فهو متحفِّظ وأنيق ولا يهتمّ إلا بجني المال. إنه هذه الأشياء نعم، النملة المجتهدة التي تجتاز مسارها المحتوم عبر أسراب من الجنادب الباحثة عن المتعة، لكنه أشياء أخرى أيضاً. أو كان.

تذكَّر الأخت الصغرى. هل كانت تدعى رايتشل أو ريجينا؟ ريبا؟ رينيه؟ لا يمكنه أن يتذكَّر بالضبط، ما عدا أنها الأخت الصغرى لعازف الغيتار الرئيسي.

خلال سنته الثانية في الثانوية، وقبل فترة طويلة من أن يصبح نملة مجتهدة تعمل في تلك التلة المعروفة بميدوَست تراست، كان تشاك المغني الرئيسي في فرقة تدعى *الرجعيون*. سمّوا أنفسهم هكذا لأنهم كانوا يعزفون الكثير من أغاني الستينات والسبعينات، خاصة الفرق البريطانية أمثال ستونز، سيرشرز، كلاش، لأن معظم تلك الألحان بسيطة. تحاشوا فرقة البيتلز، لأن أغانيها مليئة بأوتار غريبة مثل الأوتار السابعة المعدَّلة.

أصبح تشاك المغني الرئيسي لسببين: رغم أنه لا يمكنه أن يعزف على أي آلة، إلا أنه يمكنه أن يصيب اللحن بشكل صحيح، وكان جَدّه يملك سيارة رُباعية الدفع قديمة مكَّنت تشاك من أن يقود زملاءه إلى العروض الحيّة، طالما أنها لم تكن بعيدة جداً. كان الرجعيون سيئين من البداية، ومجرد عاديين عندما انفصلوا عن بعضهم في نهاية تلك السنة الثانية في الثانوية، لكنهم على حد قول والد عازف الغيتار الإيقاعي ذات مرة، "حققوا تلك الوثبة الكميّة إلى الاستساغة". من الصعب حقاً أن تسبِّب ضرراً كبيراً عندما تعزف أموراً مثل "أشياء" (فرقة دايف كلارك فايف) و"شاطئ روكاواي" (فرقة الرامونز).

كان صوت تشاك التينور ممتعاً كفاية بطريقة غير باهرة، ولم يكن يخشى الصراخ أو الصعود إلى الطبقات الصوتية العليا عند اللزوم، لكن ما كان يحبّه حقاً هو الفواصل الموسيقية، لأنه يستطيع عندها أن يرقص ويتبختر على المسرح مثل جاغر، ويهزّ عمود الميكروفون بين رِجلَيه أحياناً بطريقة اعتبرها إيحائية. كما استطاع أيضاً أن يرقص مشية القمر، وهذا أثار تصفيق الجمهور دائماً.

كان الرجعيون فرقة مرأب تمرَّنوا أحياناً في مرأب فعلي وأحياناً في غرفة الاستجمام في الطابق السفلي لمنزل عازف الغيتار الرئيسي. في تلك الحالات الثانية، كانت الأخت الصغرى لعازف الغيتار الرئيسي (رُوث؟ ريغن؟) تنزل السلالم عادة وهي تتبختر في شورت برمودا، ثم تقف بين مضخِّمَي الصوت، وتهزّ وركَيها ومؤخرتها بأسلوب مُبالَغ فيه، وتضع إصبعَيها في أذنيها، وتمدّ لسانها. خلال استراحتهم ذات مرة، اقتربت من تشاك وهمَست، "بصراحة، أنت تغنّي مثلما يتضاجع العجائز".

فهمَس لها تشارلز كرانتز، المحاسب المستقبلي، رداً، "كما لو أنك تعرفين يا مؤخرة القرد".

تجاهَلت الأخت الصغرى ذلك. "لكنني أحبّ مشاهدتك ترقص. أنت ترقص مثل شابّ أبيض، لكن وإن يكن".

أحبّت الأخت الصغرى، البيضاء أيضاً، الرقص مثله. وبعد انتهاء التمارين أحياناً، تضع إحدى كاسيتاتها المصنوعة في البيت فيرقص معها بينما يصيح بقية أعضاء الفرقة صيحات استهجان ويعلّقون تعليقات شبه ذكية، وكلاهما يقلِّدان حركات مايكل جاكسون الراقصة ويضحكان كمجنونين.

تذكَّر تشاك تعليمه الأخت الصغرى (رامونا؟) كيفية رقص مشية القمر عندما سمِع الطبول. هناك شابّ يعزف نغمة روك أساسية ربما عزفها الرجعيون في أيام أغاني "اصمد أيها المركب" و"الكاديلاك الجديدة". ظنّ في البدء أنه يستذكر ذلك في ذهنه، وربما هي حتى بداية أحد الصُداعات النصفية التي أصبح يبتلي بها مؤخراً، لكن عندها أخلى المشاة في الشارع التالي مساحةً طويلةً كافيةً أمامه لكي يرى ولداً في قميص تائي بلا أكمام جالساً على كرسيه الصغير ويعزف ذلك الإيقاع القديم العذب.

فكَّر تشاك في سرّه، أين تجد أختاً صغرى للرقص معها عندما تحتاج إلى واحدةٍ؟

بدأ جاريد عزفه منذ عشر دقائق الآن ولم يحقِّق أي نتيجة سوى رُبع الدولار الساخر ذاك الذي نُقِفَ في القبعة العجيبة من قِبل ولد على لوح تزحلق. بدا هذا غير منطقي له، خاصةً بعد ظهر خميسٍ لطيفٍ كهذا ونهاية الأسبوع قاب قوسين فقط. كان عليه أن يجد حتى الآن خمسة دولارات في القبعة على الأقل. لا يحتاج إلى المال ليقي نفسه شرّ التضوّر جوعاً، لكن المرء لا يحيا على الطعام والإيجار وحدهما. على المرء

أن يحافظ على صورته الذاتية، وقرع الطبول هنا في بوْيلستون جزءٌ كبيرٌ من ذلك. إنه على مسرحه. يؤدّي فنّه. منفرداً، في الواقع. ما يوجد في القبعة هو الطريقة التي يحكم بها على عدد الذين أُعجبوا بالأداء والذين لم يُعجَبوا به.

أدار العصاوَين بين رؤوس أصابعه، وجهَّز نفسه، وعزف مقدمة "عزيزتي شارونا"، لكن هذا غير ملائم. الأصوات معلَّبة. رأى سيداً من صنف رجال الأعمال قادماً نحوه، وحقيبة ملفاته تلوح مثل رقّاص قصير، وشيء فيه - لا يعلم ما هو - جَعَل جاريد يريد أن يُعلن اقترابه. انتقل إلى نغمة ريغي أولاً، ثم إلى شيء فاتن أكثر، مثل تقاطعٍ بين "سمِعتُه عبر الإشاعة" و"سوزي كاي".

للمرة الأولى منذ عزفه تلك النغمات التحضيرية السريعة ليدوزن صوت طبوله، شَعَر جاريد بشرارةٍ وفهِم لماذا أراد جرس البقرة اليوم. بدأ يضربه بعنف بشكل غير مناسب للحن، وتحوّر ما يعزفه إلى شيء يشبه تلك الوصلة القديمة "تيكيلا" لفرقة تشامبس. هذا جميل جداً. لقد بلغَ أحسن مزاجه، وأحسن مزاجه يشبه طريقاً يريد سلوكه. يمكنه أن يسرِّع الإيقاع، أن يستخدم طبلَ

توم توم، لكنه يراقب السيد رجل الأعمال، وذلك بدا خطأً لهذا المتأنِّق. لا يعرف جاريد لماذا السيد رجل الأعمال أصبح النقطة المحورية لأحسن مزاجه، ولا يهمّه أن يعرف. هكذا تجري الأمور أحياناً. يتحوّل أحسن مزاجه إلى قصة. تخيَّل السيد رجل الأعمال في عطلة في أحد تلك الأماكن التي تحصل فيها على مظلّة زهرية صغيرة في كوب شرابك. ربما هو هنا مع زوجته، أو ربما هي مساعِدته الشخصية الشقراء في بيكيني فيروزي، وهذا ما يسمعانه. هذا هو الطبّال يسخِّن للعرض الفني لهذه الليلة، قبل أن تُضاء مشاعل الخيزران.

يعتقد أن السيد رجل الأعمال سيجتازه فحسب مُكملاً طريقه إلى فندقه، واحتمال أن يغذّي قبعته العجيبة يتراوح بين الضئيل والمعدوم كلياً. عندما يرحل، سيبدِّل جاريد إلى شيء آخر، فيعطي جرس البقرة بعض الراحة، لكن هذا الإيقاع هو الصحيح في الوقت الحاضر.

لكن بدلاً من أن يُكمل طريقه، توقف السيد رجل الأعمال. إنه يبتسم. ابتسم له جاريد بدوره وأومأ برأسه نحو القبعة العالية السوداء على الرصيف، دون أن يُنقِصَ أي نغمةٍ. بدا أن السيد رجل الأعمال لم يلاحظه،

ولم يغذِّ القبعة، بل وضع حقيبته بين حذائه الأسود وبدأ يحرِّك وركَيه يميناً ويساراً مع الإيقاع. فقط وركَيه: كل شيء آخر بقي جامداً. وجهه بلا أي تعبير واضح. بدا أنه ينظر إلى بقعةٍ فوق رأس جاريد مباشرة.

"جميل يا رجل"، علّق شابٌّ ورنَّ بضع قِطع نقود معدنية في القبعة. قال ذلك للسيد رجل الأعمال الذي يرقص بلطف وليس للإيقاع، لكن لا بأس.

بدأ جاريد يتحرَّش بقبعته العالية بضربات خفيفة سريعة، يضايقها، يداعبها تقريباً. وبدأ يقرع جرس البقرة بيده الأخرى، مستخدماً دوّاسة القدم ليضيف بعض الصوت الخفيض. هذا لطيف. بدا الرجل في البذلة الرمادية مصرفياً، لكن تمايُل الوركَين شيءٌ آخر. رفع يداً وبدأ يحرِّك سبابته على الإيقاع. على الجهة الخلفية لليد هناك ندبة هلاليّة الشكل صغيرة.

سمِع تشاك الإيقاع يتغيَّر ويصبح غريباً قليلاً أكثر، وكاد للحظة يعود إلى نفسه ويبتعد. ثم فكَّر في سرّه قائلاً تباً لهذا، لا يوجد قانون يمنع الرقص قليلاً على الرصيف. تراجع إلى الوراء عن حقيبته لكي لا يتعثّر بها، ثم وضع يديه على وركَيه المتمايلين وفتلَ فتلةً دائريةً خلفيةً باتجاه عقارب الساعة. هكذا كان معتاداً أن

يرقص في الأيام الخوالي، بينما تعزف الفرقة أغنية "إرضاء" أو "تمشية الكلب". ضحِك أحدهم، وصفَّق شخصٌ آخر، وعاد أدراجه في الاتجاه المعاكس وذيل معطفه يتطاير خلفه. تذكَّر الرقص مع الأخت الصغرى. كانت الأخت الصغرى ذات فم بذيء، لكنها بارعة في الاحتفال.

تشاك نفسه لم يحتفل - لم يختبر ذلك الشعور الغامض المُرضي - منذ سنوات، لكنه شعَر أن كل حركة مثالية. رفع رِجلاً ودار على كَعب الأخرى. ثم شبكَ يديه خلف ظهره مثل طالب ناداه الأستاذ ليتلو درسه، ورقص مشية القمر في مكانه على الرصيف أمام حقيبته.

صاح الطبّال، "مدهش يا أبي!"، من التفاجؤ والبهجة. فرفع الوتيرة، وأخذ يطرق جرس البقرة على الطبل الأرضي بيده اليسرى الآن، ويستخدم دوّاسة القدم، دون أن يشيح أبداً نظراته المعدنية عن قبعته العالية. بدأ الناس يتجمّعون، وراح المال يتدفّق في القبعة العجيبة: أموال ورقية ومعدنية أيضاً. شيءٌ ما يحصل هنا.

وقفَ شابان يرتديان قبعتَي بيريه متطابقتين وقميصين تائيين لحزب *تحالف قوس قزح* في مقدمة

الحَشد الصغير. قَذَف أحدهما ما بدا أنها ورقة خمسة دولارات في القبعة وصاح، "أكمِل يا رجل، أكمِل!".

لا يحتاج تشاك إلى تشجيع، فقد انغمس في الأجواء الآن. غابت الخدمات المصرفية في القرن الحادي والعشرين عن ذهنه. حرَّر زر معطفه، وأبعَدَه إلى خلف ظهره بالجهة الخلفية ليديه، وحشر إبهامَيه في حزامه مثل مسلَّحٍ، وباعدَ قدميه إلى الخارج والخلف، ثم أتبعَ ذلك بخطوة سريعة واستدارة. راح الطبّال يضحك ويومئ برأسه. "أنت النجم"، قال. "أنت النجم يا أبي!".

ازداد الحَشد عدداً، وازدادت القبعة مالاً، ولم يعد قلب تشاك ينبض في صدره بل يدندن. طريقة جيدة للتعرّض لنوبة قلبية، لكنه لا يهتمّ. إذا رأته زوجته يفعل هذا، ستُصاب بالهلع، ولا يهتمّ. سيشعر إبنه بالإحراج، لكن إبنه ليس هنا. وضع فردة حذائه اليمنى على ربلته اليسرى، ودار مرة أخرى، وعندما عاد مركز اهتمام الحاضرين، رأى شابة جميلة تقف بجانب الشابين اللذين يرتديان قبعتَي البيريه. كانت ترتدي بلوزة زهرية رقيقة وتنورة لفّ حمراء، وتحدِّق به بعينين مندهشتين.

مدَّ تشاك يديه صوبها وهو يبتسم ويفرقع أصابعه. "هيا"، قال. "هيا يا أختي الصغرى، هيا نرقص".

لم يعتقد جاريد أنها سترقص - تبدو من الصنف الخجول - لكنها مشت ببطء نحو الرجل ذي البذلة الرمادية. ربما القبعة العجيبة عجيبة حقاً.

"ارقصا!"، قال أحد شابَّي قبعة البيريه، وراح الآخر يحمّي الأجواء بأن يصفِّق على الإيقاع الذي يعزفه جاريد: "ارقصا، ارقصا، ارقصا!".

ابتسمت جانيس ابتسامة قالت *تباً لما لا*، ورمت جزدانها أرضاً بجانب حقيبة تشاك، وأمسكت يديه. تخلّى جاريد عما كان يعزفه وتحوَّل إلى تشارلي واتس، وراح يطرق مثل جندي. دوَّر السيد رجل الأعمال الفتاة، ووضع يداً على خصرها النحيل، وشدّها إليه، ومشى معها بخطوات سريعة متجاوزاً طقم الطبول وصولاً إلى ناصية مبنى وولغرينز تقريباً. أفلتته جانيس، ولوَّحت إصبعها في إيماءة "شقي-شقي"، ثم عادت وأمسكت يدَي تشاك. وكما لو أنهما تمرّنا على هذه الحركة مئة مرة، باعدَ قدميه عن بعضهما وانزلقت بين رِجلَيه في حركة جريئة رفعت تنورتها اللفّ إلى أعلى فخذيها الجميلين. شهق بعض الحاضرين وهي تسند نفسها على إحدى يديها التي غطّتها التنورة، ثم أنهضت نفسها بكل قوامها الرشيق وهي تضحك.

"كفى"، قال تشاك وهو يربِّت على صدره. "لا أستطيع -"

أسرعت إليه ووضعت يديها على كتفَيه واستطاع في النهاية. أمسكها من خصرها، ودوّرها على وركه ثم أعاد إنزالها إلى الرصيف برشاقة، ورفع لها يدها اليسرى ودارت تحتها مثل راقصة باليه. لا شكّ أن هناك أكثر من مئة شخص يشاهدونهما الآن، حيث احتشدوا على الرصيف وانسكبوا إلى الشارع. انفجر الجميع في تصفيق جديد.

طرقَ جاريد الطبول مرة أخرى، مصيباً الصنوج، ثم رفع عصاوَيه بحركة انتصاريّة، وعمَّت جولة تصفيق أخرى. راح تشاك وجانيس ينظران إلى بعضهما البعض وهما يلهثان، وقد التصق شعر تشاك، الذي بدأ يصبح رمادياً حديثاً، بجبهته المبلَّلة بالعرق.

"ماذا فعلنا؟"، سألت جانيس. بدت منذهلةً الآن وقد توقفت الطبول.

"لا أعرف"، قال تشاك، "لكنه أفضل شيء حصل لي منذ زمن بعيد".

القبعة العجيبة ممتلئة إلى حدها الأقصى.

"المزيد!"، صرخ شخصٌ، وسانده الحَشد. ورُفعت هواتف عديدة استعداداً لالتقاط الرقصة التالية، وبدت الفتاة أنها مستعدة، لكنها يافعة وتشاك مُنهك. نظر إلى الطبّال وهزّ رأسه، وأومأ له الطبّال بأنه فهِم. تساءل تشاك كم عدد الأشخاص الذين كانوا سريعين كفاية ليصوِّروا تلك الرقصة الأولى، وماذا ستقول زوجته أو إبنه إن رأيا الفيديو. وماذا لو انتشر بكثرة على الانترنت؟ هذا غير محتمل، لكن إذا حصل، إذا عاد إلى المصرف، ماذا سيقولون عندما يرون الرجل الذي أرسَلوه إلى مؤتمر في بوسطن يهزّ مؤخرته في شارع بوْيلستون مع امرأة يافعة كفاية لتكون إبنته؟ أو لتكون الأخت الصغرى لأحدهم. بماذا كان يفكِّر عندما فعل ذلك؟

"هذا يكفي يا قوم"، صاح الطبّال. "علينا أن نتوقف ولا نُفسِد اللحظة".

"وعليّ العودة إلى منزلي"، قالت الفتاة.

"ليس الآن"، قال الطبّال. "رجاءً".

جلسوا بعد عشرين دقيقة على مقعد بمواجهة بركة البط في مشاع بوسطن. اتصل جاريد بماك، وساعَداه تشاك وجانيس في توضيب طقم طبوله وتحميلها في الجهة الخلفية للشاحنة. تسكَّع بضعة أشخاص وراحوا

يهنئونهم، ويضربون كفّهم بكفّهم، ويضيفون بضعة دولارات أخرى إلى القبعة الفائضة. عندما انطلقوا - تشاك وجانيس يجلسان جنباً إلى جنب على المقعد الخلفي، وقدماهما مزروعتان بين كدسات قصص مصوَّرة - قال ماك إنهم لن يجدوا أبداً مكاناً لركن السيارة بجانب المشاع.

"سنجد واحداً اليوم"، قال جاريد. "اليوم عجيب". وقد وجدوا مكاناً مقابل فندق الفور سيزنز مباشرة.

راح جاريد يعدّ المال. أحدهم رمى له ورقة خمسين دولاراً في الواقع، ربما كان شابّ قبعة البيريه ظنّاً منه أنها ورقة خمسة دولارات. المجموع يفوق أربعمئة دولار. لم يجنِ جاريد هكذا قيمة في يوم واحد أبداً، ولم يتوقع ذلك أبداً. أخذ جانباً حصة ماك البالغة عشرة بالمئة (ماك يقف الآن عند حافة البركة ويُطعِم البط من علبة رقائق بسكويت هشّ بطعم زبدة الفول السوداني صدف أنها في جيبه)، ثم بدأ يقتسم الباقي.

"آه، لا"، قالت جانيس عندما فهِمت ماذا يفعل. "المال لك".

هزّ جاريد رأسه. "لا، نتقاسمه بالتساوي. ما كنتُ لأجني نصف هذا المبلغ لوحدي حتى ولو بقيتُ أعزف

حتى منتصف الليل". علماً أن الشرطة لن تسمح بهكذا شيء. "أحصِّل أحياناً ثلاثين دولاراً، وهذا في يوم جيد".

بدأ تشاك يُصاب بأحد صُداعاته وعرَف أنه سيصبح سيئاً بحلول الساعة التاسعة، لكن جدّية الشابّ جعلته يضحك في جميع الأحوال. "حسناً. لا أحتاج إليه، لكن أظن أنني استحقيتُه". مدَّ يده وربَّت خدّ جانيس، تماماً مثلما كان معتاداً أن يربِّت أحياناً خدّ الأخت الصغرى البذيئة الفم للمغني الرئيسي. "وأنتِ أيضاً أيتها الشابة".

"أين تعلَّمتَ أن ترقص هكذا؟"، سأل جاريد تشاك.

"حسناً، كان هناك مقرّر تعليمي خارج المنهاج الدراسي يدعى *الدوّامات والدوّارات* في المدرسة المتوسطة، لكن جَدّتي هي التي علّمتني أفضل الحركات".

"وأنتِ؟"، سأل جانيس.

"نفس الشيء تقريباً"، قالت وتورَّدت خجلاً. "حفلات الرقص في المدرسة الثانوية. أين تعلَّمتَ العزف على الطبول؟".

"علَّمتُ نفسي بنفسي. مثلكَ"، قال لتشاك. "كنتَ رائعاً بمفردك يا رجل، لكن الصبية أضافت بُعداً متكاملاً. هل

تعلم أنه يمكننا أن نفعل هذا لنكسب لقمة عيشنا؟ أعتقد حقاً أنه يمكننا تحقيق شهرة وثروة من هذا".

فكَّر تشاك بهذا الاقتراح للحظةٍ مجنونةٍ في الواقع، ورأى أن الفتاة تفكِّر به أيضاً. ليس بطريقة جدّية، بل بالطريقة التي تحلم بها حلم يقظة بأن تحيا حياةً بديلةً، حياةً تحترف فيها البيسبول، أو تتسلَّق جبل إفرست، أو تغني مع بروس سبرينغستين في حفلة موسيقية في الملعب الرياضي. ثم ضحِك تشاك قليلاً وهزّ رأسه. كما ضحِكت الفتاة وهي تدسّ ثُلث المال نصيبها في جزدانها.

"المسألة كلها تمحورت حولك حقاً"، قال جاريد لتشاك. "ما الذي جَعَلك تتوقف أمامي؟ وما الذي جَعَلك تبدأ بالتمايل؟".

فكَّر تشاك بهذا ملياً، ثم هزّ كتفيه. يمكنه أن يقول إن السبب هو تذكُّره فرقة *الرجعيون* القديمة غير الكفوؤة تلك، وكيف كان يحبّ أن يرقص على المسرح خلال الفواصل الموسيقية، أن يتباهى، أن يلوِّح عمود الميكروفون ذاك بين رِجلَيه، لكن هذا ليس السبب الحقيقي. وهل رقَص يوماً بهكذا حماسة وحرية حقاً

حتى في الأيام الخوالي، عندما كان مراهقاً يافعاً ورشيقاً، من دون صُداعات ولا شيء ليخسره؟

"إنه العجب"، قالت جانيس وقهقهت. لم تتوقع سماع هذا الصوت قادماً منها اليوم. البكاء، نعم. القهقهة، لا. "مثل قبعتك".

عاد ماك. "جيري، علينا أن ننطلق وإلا سينتهي بك المطاف أن تنفق مكسبك لتسدِّد محضر مخالفة ركني السيارة".

نهض جاريد. "متأكدان أنكما لا تريدان تغيير مهنتكما؟ يمكننا التجوّل في هذه البلدة من بيكون هيل إلى روكسبَري ونجلب الشهرة لأنفسنا".

"لديَّ مؤتمر عليَّ حضوره غداً"، قال تشاك. "وسأسافر يوم السبت عائداً إلى منزلي. هناك زوجة وإبن ينتظرانني".

"ولا أستطيع أن أفعل ذلك لوحدي"، قالت جانيس مبتسمةً. "سيكون ذلك مثل جينجر من دون فْرَد".

"فهِمتُ"، قال جاريد وفتح ذراعيه. "لكن عليكما أن تقتربا قبل أن تذهبا. عناق جماعي".

انضما إليه. يعرف تشاك أنه يمكنهما أن يشمّا رائحة عرقه - يجب تنظيف هذه البذلة جيداً في المصبغة قبل أن يرتديها مرة أخرى - ويمكنه أن يشمّ رائحة عرقهما. لا بأس. يعتقد أن الفتاة أصابت عندما استخدَمت كلمة عجب. أحياناً هناك شيء كهذا. ليس الكثير منه، بل القليل. مثل العثور على ورقة عشرين دولاراً منسية في جيب معطف قديم.

"فنانو شوارع إلى الأبد"، قال جاريد.

كرِّر تشاك كرانتز وجانيس هاليداي جملته.

"فنانو شوارع إلى الأبد"، قال ماك، "رائع. دعنا الآن نخرج من هنا قبل أن يظهر شرطي عدّاد الوقوف يا جيري".

أخبر تشاك جانيس أنه متوجّه إلى فندق بوسطن ما بعد برودنشل سنتر، إن كانت ذاهبة في ذلك الاتجاه. جانيس ذاهبة في ذلك الاتجاه، فقد كانت تنوي أن تسير حتى فَنواي وهي مكتئبة بشأن حبيبها السابق وتتمتم حنقها لجزدانها، لكنها غيَّرت رأيها. قالت إنها ستستقلّ القطار من شارع أرلينغتون.

رافقها إلى هناك، واجتاز الاثنان المنتزه اختصاراً للمسافة. استدارت نحوه عند أعلى السلالم وقالت،

"شكراً على الرقصة".

انحنى لها. "كان من دواعي سروري".

بقي يراقبها إلى أن غابت عن أنظاره، ثم توجَّه عائداً إلى بوْيلستون. سار ببطء لأن ظهره يؤلمه، ورِجلَيه تؤلمانه، ورأسه ينبض. لا يمكنه أن يتذكَّر أنه أُصيب بهكذا صُداعات سيئة في حياته كلها قبل شهرين فقط. افترض أنها إذا استمرت تصيبه، فسيكون عليه زيارة طبيبٍ. افترض أنه يعرف سببها.

لكن كل ذلك لوقت لاحق، هذا إنْ فعل ذلك من الأصل. يعتقد أنه سيدلّل نفسه بعشاء فاخر هذه الليلة - ولما لا، فقد كسب ثمنه - وكوب شراب عنب. بعد إعادة النظر في الأمر، سيجعله كوب مياه معدنية، فشراب العنب قد يزيد حدّة صُداعه. وعندما يُنهي وجبة طعامه - الحلوى مشمولة بالتأكيد - سيتصل بجيني ويُخبِرها أن زوجها قد يكون صرعة الانترنت التالية ليوم واحد. هذا لن يحصل على الأرجح، ففي مكان ما الآن هناك شخص بلا شك يصوِّر كلباً يتلاعب بقوارير مياه غازية فارغة، وهناك شخص آخر يُحيي ذكرى تدخين معزاةٍ لسيجارةٍ، لكن من الأفضل أن يستبق الأمر، من باب الاحتياط فقط.

أثناء مروره بالمكان الذي أعَدّ فيه جاريد طبوله، تكرَّر السؤالان التاليان: لماذا توقفتَ للاستماع، ولماذا بدأتَ ترقص؟ لا يعرف، وهل الأجوبة ستحسِّن شيئاً جيداً وتجعله أفضل؟

سيفقد لاحقاً القدرة على السير، فضلاً عن الرقص مع الأخت الصغرى في شارع بوْيلستون. سيفقد لاحقاً القدرة على مضغ الطعام، وسيأتي طعامه من خلاّط. سيفقد لاحقاً القدرة على التمييز بين اليقظة والنوم ويدخل عالم ألم شاسع جداً سيجعله يتساءل لماذا خُلق العالم. سينسى لاحقاً إسم زوجته. ما سيتذكَّره - أحياناً - هو كيف توقَّف، وأفلت حقيبته، وبدأ يحرِّك وركَيه على نغمات طبول، وسيظن أن هذا هو سبب خلق العالم. فقط هذا.

الفصل الأول: أحتوي على حشودٍ

1

كان تشاك يتطلّع إلى أن تكون لديه أخت صغرى. وقد وعدته أمه أنه يمكنه أن يحملها إذا كان حذراً جداً. بالطبع كان يتطلّع أيضاً إلى أن يكون لديه والدان، لكن أياً من هذا تمّ بفضل بقعة جليدية على المعبر الفوقي I-95. بعد ذلك بوقت طويل، في الكلّية، أخبر حبيبته أن هناك عدداً كبيراً من الروايات والأفلام والبرامج التلفزيونية يموت فيها أهل الشخصية الرئيسية في حادث سيارة، لكنه الشخص الوحيد الذي يعرفه الذي حصل له ذلك في الحياة الحقيقية.

فكَّرت الحبيبة بهذا ملياً، ثم أصدرت حُكمها. "أنا متأكدة أن هذا يحصل طوال الوقت، رغم أن الأزواج يمكن أن يرحلوا أيضاً في حرائق منزلية، أعاصير، زوابع، زلازل، وانهيارات ثلجية خلال عطلات التزلّج. على سبيل ذكر بعض الاحتمالات لا الحصر. وما الذي يجعلك

تظن أنك شخصية رئيسية في أي شيء ما عدا ذهنك؟".

كانت شاعرة ونوعاً ما عدميّة. دامت العلاقة فصلاً دراسياً واحداً فقط.

لم يكن تشاك في السيارة عندما طارت رأساً على عقب عن المعبر الفوقي للطريق الرئيسي لأن والديه كانا يتناولان العشاء لوحدهما مثل الأيام الخوالي وتركاه تحت رعاية جَدَّيه، اللذين كان لا يزال يناديهما حتى ذلك الوقت زيدي وبُوبي (انتهى هذا في الأغلب في الصف الثالث، عندما سخر منه الأولاد وعاد إلى النداء الأكثر أميركيةً جَدّي وجَدّتي). كان ألبي وسارة كرانتز يعيشان على بُعد كيلومتر فقط من منزلهم، ومن الطبيعي أن يربّياه بعد الحادث عندما أصبح يتيماً حسب ظنّه في البدء. كان في السابعة.

طوال سنة - وربما سنة ونصف - بقي ذلك المنزل غارقاً في حزن تام. لم يفقد آل كرانتز إبنهما وكِنّتهما فحسب، بل فقدا الحفيدة التي كانت ستُولد بعد ثلاثة أشهر فقط. وقد تم اختيار إسمها من قبل: أليسا. عندما قال تشاك إن هذا يبدو له مشابهاً للمطر، ضحِكت أمه وبكت في الوقت نفسه.

لم ينسَ هذا أبداً.

عرَف جَدَّيه الآخرَين بالطبع، فقد كانت هناك زيارات كل صيف، لكنهما بقيا مبدئياً غريبين له. راحا يتصلان كثيراً بعدما أصبح يتيماً، ذلك الصنف من المكالمات التي يطمئنان فيها عن أحواله وأحوال المدرسة، واستمرت الزيارات الصيفية؛ أخذته سارة (الملقَّبة بُوبي، الملقَّبة جَدّتي) على متن الطائرة. لكن والدَي أمه بقيا غريبين يعيشان في أرض أوماها الغريبة. كانا يرسلان له هدايا في ذكرى ولادته وفي احتفال الشتاء - الهدايا في احتفال الشتاء جميلة جداً بما أن جَدّه وجَدّته لا "يحتفلان" باحتفال الشتاء - لكنه استمرّ يعتبرهما غاربَين، مثل الأساتذة الذين يتركهم خلفه وهو يترقى بين الصفوف.

بدأ تشاك يخلع أزياء حداده المَجازية أولاً، ويُخرج جَدَّيه (عجوزين، نعم، لكنهما ليسا قديمين) من حزنهما بالقوة. حصل مرةً أن أخذاه إلى عالم ديزني عندما كان تشاك في العاشرة. أقاما في غرفتين متجاورتين في منتجع *البجعة*، وبقي الباب بين غرفتيهما مفتوحاً في الليل، وسمِع تشاك جَدّته تبكي مرة واحدة فقط، لكنهم استمتعوا بوقتهم أغلب تلك العطلة.

بعض ذلك الشعور الجيد عاد معهم إلى المنزل، وبدأ تشاك يسمع جَدّته تدندن أحياناً في المطبخ، أو تغني مع الراديو. كانوا قد تناولوا الكثير من وجبات الطعام الجاهزة بعد الحادث (وكانت سلال النفايات القابلة لإعادة التدوير تمتلئ بقوارير شراب شعير الجَدّ)، لكن خلال السنة التي تلت الرحلة إلى عالم ديزني، عادت الجَدّة تطبخ مرة أخرى وجبات طعام شهية زادت من وزن الفتى النحيل سابقاً.

كانت تحبّ الروك أند رول بينما تطبخ، وهذه موسيقى ظنَّ تشاك أنها يافعة جداً بالنسبة لها، لكن من الواضح أنها تستمتع بها كثيراً. إذا دخلَ تشاك المطبخ بحثاً عن كعكة أو ربما أملاً أن يُعِدّ شرحة خبز مرشوش عليها سكر أسمر، يجد الجَدّة على أهبّة الاستعداد أن تمدّ يديها إليه وتبدأ تفرقع أصابعها. "ارقص معي يا هنري"، تقول له.

إسمه تشاك وليس هنري، لكنه كان يقبل عرضها عادة. علّمته خطوات رقصة الجيتربَغ وبضع حركات تنقّل. أخبَرته أن هناك الكثير منها، لكن ظهرها يؤلمها جداً لكي تجربّها. "لكن يمكنني أن أُريك"، قالت وأحضرت معها ذات سبتٍ كدسة أشرطة فيديو من متجر بلوكباستر،

من بينها فيلم *وقت المَيل* تمثيل فْرَد أستير وجينجر روجرز، و*قصة الحي الغربي*، والفيلم المفضَّل لدى تشاك، *الغناء تحت المطر*، الذي رقَص فيه جين كيلي مع عمود إنارة.

"يمكنك أن تتعلَّم هذه الحركات"، قالت. "أنت موهوب يا صغيري".

سألها ذات مرة، أثناء شربهما الشاي المُثلَّج بعد تأديتهما وصلة مرهِقة جداً لأغنية جاكي ويلسون "أعلى وأعلى"، كيف كانت في المدرسة الثانوية.

"كنتُ *حسناء مُغرية*"، قالت. "لكن لا تُخبِر زيدي أنني قلتُ هذا فذهنيته قديمة غير مجارية للعصر".

لم يُخبره تشاك أبداً.

ولم يدخل القبّة أبداً.

ليس وقتها.

سأل عنها، بالطبع، وأكثر من مرة. ماذا يوجد هناك، ماذا يمكنك أن ترى من النافذة المرتفعة، لماذا الغرفة مُقفلة. قالت الجَدّة إنها مُقفلة لأن الأرضية غير آمنة وقد يسقط من خلالها. وقال الجَدّ أيضاً إنه لا يوجد شيء هناك بسبب الأرضية العَفِنة، وإن الشيء الوحيد

الذي يمكنك رؤيته من تلك النوافذ هو مركز تسوّق، وهذا ليس بالشأن الكبير. قال ذلك إلى أن حلّت ليلةٌ، قُبيل ذكرى ولادة تشاك الحادية عشرة، أخبَره فيها جزءاً من الحقيقة على الأقل.

2

الكل يعرف أن تناوُل الشراب لا يلائم الأسرار، وبعد موت إبنه وكِنّته وحفيدته التي لم تُولد بعد (أليسا، المشابه إسمها للمطر)، راح ألبي كرانتز يُكثر من تناول الشراب. كان عليه أن يشتري أسهماً في شركة أنهايزر-بُوش، فهذا القدر الكبير كان يشرب. يمكنه أن يفعل ذلك لأنه متقاعد، ومكتئب جداً.

بعد الرحلة إلى عالم ديزني، تراجعت الكمية في الأغلب إلى كوب شراب عنب مع العشاء أو عبوة شراب شعير أثناء مشاهدة مباراة في البيسبول. وبين الحين والآخر - كل شهر في البدء، وكل شهرين لاحقاً - يثمل جَدّ تشاك، دائماً في المنزل، ولا يُحدِث أي هرج ومرج أبداً. ثم يتحرَّك ببطء في اليوم التالي ويأكل قليلاً حتى بعد الظهر، ثم يعود إلى طبيعته.

ذات ليلة أثناء مشاهدة ريد سوكس يتلقى هزيمة نكراء على يد اليانكيز، وبينما وصل ألبي إلى حوالي منتصف صندوق شراب شعيره السداسي العبوات الثاني، أثار تشاك موضوع القبّة مرة أخرى. فقط لكي يكون لديه شيء ليتكلّم عنه. فمع تأخّر السوكس بتسع نقاط، لم تعد المباراة تثير اهتمامه كثيراً.

"أنا أكيد أنه يمكنك أن ترى أبعد من مركز وَستفورد التجاري بكثير"، قال تشاك.

فكَّر الجَدّ بهذا، ثم ضغط زر كتم الصوت على جهاز التحكم عن بُعد، مُسكِتاً إعلاناً لشهر شاحنات فورد. (قال الجَدّ إن كلمة فورد هي اختصار *أصلِحها أو رمِّمها* يومياً). "إذا صعِدت إلى هناك، قد ترى أكثر مما ترغب بكثير"، قال. "لهذا السبب هي مُقفلة يا عزيزي".

شَعَر تشاك بقشعريرة خفيفة وغير مزعجة كلياً، وتراءى له فوراً سكُوبي دُو وأصدقاؤه يطاردون الأشباح في شاحنتهم المسماة *آلة الغموض*. أراد أن يسأل الجَدّ عن قصده، لكن الجزء الراشد فيه - ليس هناك شخصياً، لا، ليس في سنّ العاشرة، لكن شيئاً بدأ يتكلّم في حالات نادرة - أخبَره أن عليه أن يلزم الصمت. اِلزم الصمت وانتظر.

"هل تعرف ما هو طراز هذا المنزل يا تشاكي؟".

"فيكتوري"، قال تشاك.

"هذا صحيح، وليس تقليداً للطراز الفيكتوري أيضاً. لقد بُني عام 1885، وأُعيد ترميمه ست مرات منذ ذلك الوقت، لكن القبّة موجودة هناك من البداية. اشتريتُه وجدَّتك بثمن بخس عندما ازدهرت تجارة الأحذية حقاً. نحن هنا منذ العام 1971، وطوال كل تلك السنوات، لم أصعد إلى تلك القبّة اللعينة أكثر من ست مرات".

"لأن الأرضية متعفِّنة؟"، سأل تشاك بنبرة أملَ أن تبدو مناشدةً بريئةً.

"لأنها مليئة بالأشباح"، قال الجَدّ، وشَعَر تشاك بتلك القشعريرة مرة أخرى - قشعريرة غير ممتعة كثيراً هذه المرة - رغم أن الجَدّ ربما يمزح. فهو يمزح من وقت لآخر هذه الأيام، والنكات بالنسبة للجَدّ هي مثل الرقص بالنسبة للجَدّة. أمالَ شراب شعيره وتجشأ. عيناه حمراوان. "لم يحلّ احتفال الشتاء بعد. هل تتذكَّر هذا الاحتفال يا تشاكي؟".

تشاك يتذكَّره، فهُم يشاهدون فيلم *أنشودة احتفال الشتاء* كل سنة عشية الاحتفال رغم أنهم لم يعودوا

"يحتفلون" به، لكن هذا لا يعني أنه يعرف عما يتكلَّم جَدّه.

"حصل ما حصل لفتى عائلة جيفريز بعد ذلك بوقت قصير فقط"، قال الجَدّ وهو ينظر إلى التلفزيون، لكن تشاك لم يعتقد أنه يرى ماذا يُعرَض عليه في الواقع. "وما حصل لهنري بيترسون... استغرق وقتاً أطول. بعد أربع وربما خمس سنوات. كنتُ قد نسيتُ وقتها تقريباً ماذا رأيتُ هناك في الأعلى". رفعَ إبهاماً يرتعش نحو السقف. "قلتُ بعد ذلك إنني لن أصعد إلى هناك مرة أخرى أبداً، وأتمنّى لو لم أفعل ذلك. بسبب سارة - جَدّتك - والخبز. الانتظار يا تشاكي هو الجزء الصعب. ستكتشف ذلك عندما تصبح -"

فُتح باب المطبخ. إنها الجَدّة وقد عادت من منزل السيدة ستانلي في الجانب المقابل للشارع. أخذت لها الجَدّة حساء دجاج لأن السيدة ستانلي متوعكة. هكذا قالت الجَدّة على أي حال، لكن حتى قُبيل أن يبلغ الحادية عشرة، كانت لدى تشاك فكرة جيدة أن هناك سبباً آخر. فالسيدة ستانلي تعرف كل إشاعات الحي ("إنها امرأة فضولية"، قال الجَدّ)، ومستعدة دائماً أن تشاركها مع الآخرين. والجَدّة تنقلها كلها إلى الجَدّ، بعد

دعوة تشاك للخروج من الغرفة عادة. لكن الخروج من الغرفة لا يعني الخروج من مرمى السمع.

"مَن كان هنري پيترسون يا جَدّي؟"، سأل تشاك.

لكن الجَدّ سمِع زوجته تدخل، فقوَّم ظهره على كرسيه ووضع عبوة شراب شعيره جانباً. "انظر إلى هذا!"، صاحَ في تقليدٍ مقبولٍ لصوته غير الثمل (هذا لا يعني أن الجَدّة ستنخدع بذلك). "لقد ملأ السوكس القواعد!".

3

في بداية الشوط الثامن، أرسلت الجَدّة الجَدّ إلى بقالة زوني في آخر الشارع ليُحضر حليباً لحبوب إفطار تشاك عند الصباح. "ولا تفكِّر بالقيادة أبداً. السير سيعيد لك وعيك".

لم يجادل الجَدّ. نادراً ما جادلَ الجَدّة، لأن النتائج لا تكون جيدة عندما يحاول. عندما خرج من المنزل، جلست الجَدّة بجانب تشاك على الأريكة ووضعت ذراعها حوله، ووَضَع تشاك رأسه على كتفها المريحة. "هل كان يثرثر لك عن أشباحه؟ تلك الأشباح التي تعيش في القبّة؟".

"نعم". لا جدوى من الكذب؛ فلدى الجَدّة حدسٌ يكتشف الأكاذيب. "هل هي هناك؟ هل رأيتِها؟".

نخَرت الجَدّة. "ما رأيك؟ الكثير منها؟". سيُدرك تشاك لاحقاً أن هذا لم يكن جواباً. "لا تكترث كثيراً لما يقوله جَدّك. إنه رجل طيب، لكنه يثمل قليلاً أحياناً، ثم يدع خياله يشطح. أنا متأكدة أنك تعرف عما أتكلّم".

تشاك يعرف. يجب أن يدخل نيكسون السجن؛ المثليّون جنسياً يستولون على الثقافة الأميركية ويحوِّلونها إلى اللون الزهري؛ حفلة انتخاب ملكة جمال أميركا (والتي تحبّها الجَدّة) مجرد حفل لعرض اللحوم. لكنه لم يقل أي شيء أبداً عن الأشباح في القبّة قبل تلك الليلة. لتشاك على الأقل.

"جَدّتي، مَن كان فتى عائلة جيفريز؟".

تنهَّدت. "كان ذلك حادثاً حزيناً جداً يا عزيزي. كان يعيش في الشارع المجاور وصدمه سائقٌ ثملٌ عندما كان يطارد كُرته في الشارع. حصَل ذلك منذ وقت طويل. إن أخبَرك جَدّك أنه رأى الحادث قبل وقوعه، فهو مُخطئ. أو ربما كان يلفّق ذلك لإحدى نكاته".

تعرف الجَدّة متى يكذب تشاك؛ واكتشَف تشاك في تلك الليلة أن موهبتها هذه يمكن أن تسير في

الاتجاهين. الأمر يعتمد على طريقة نظرها إليه ونقلها عينيها إلى التلفزيون، كما لو أن ما يُعرَض عليه مثيرٌ للاهتمام، علماً أن تشاك يعرف أن جَدّته لا تكترث البتّة للبيسبول، ولا حتى لنهائيات كأس العالم.

"يُكثر من تناول الشراب فحسب"، قالت الجَدّة، وهذه كانت نهاية النقاش.

ربما هذا صحيح. لكن تشاك أصبح بعد ذلك يخشى القبّة، ببابها المُقفل عند أعلى درج قصير (ست درجات) وضيق تُضيئه لمبة عارية واحدة تتدلّى من حبل أسود. لكن الافتتان هو الوجه الآخر للخوف، فيتجرّأ أحياناً بعد تلك الليلة بصعوده، إذا كان جَدّاه خارج المنزل. يلمس قفل الباب، ويجفل إن اهتزّ بيده (صوتٌ قد يزعج الأشباح المحبوسة في الداخل)، ثم ينزل الدرجات على عجل وهو ينظر خلفه. كان من السهل عليه أن يتخيَّل القفل يخرج من السلسلة المعدنية ويسقط أرضاً، والباب يُفتَح ومِفصَلاته غير المستخدَمة تُصدر صريراً. إذا حصل ذلك، يعتقد أنه قد يموت من الرعب.

4

القبو، من جهة أخرى، ليس مخيفاً أبداً، فهو مضاء بشكل ساطع بأضواء فلورية. وبعد بيعه متاجر الأحذية وتقاعده، أصبح الجَدّ يمضي الكثير من الوقت هناك ليُنجز أشغالاً خشبيةً، مما جعل القبو يعبق دائماً برائحة نشارة الخشب العذبة. وفي زاويةٍ بعيدةٍ عن المقاشط وآلات الصنفرة والمنشار الحِزامي الذي يُمنَع عليه لمسه بتاتاً، وجَد تشاك صندوقاً فيه سلسلة روايات الجَدّ القديمة *الأخوان هاردي*. الروايات قديمة لكن حالتها جيدة جداً. كان يقرأ *المَعلَم الشرير* ذات يوم في المطبخ، منتظراً أن تُخرج الجَدّة دُفعة كعكات من الفرن، عندما انتزعت الكتاب من يديه.

"يمكنك أن تفعل أفضل من هذا"، قالت. "حان الوقت لتحسّن مستواك يا عزيزي. مهلاً سأعود".

"كنتُ على وشك الوصول إلى الجزء الجيد"، قال تشاك.

نخَرت ممتعضةً. "لا توجد أجزاء جيدة في هذه الروايات"، قالت وأخذت الكتاب معها.

عادت ومعها جريمة *قتل روجر أكروْيد*. "الآن هذه رواية بوليسية جيدة"، قالت. "وليست رواية عن مراهقَين مغفَّلَين يتجوّلان في سيارة بالية. اعتبر هذه

مقدمة لك إلى عالم التأليف الفعلي". فكَّرت قليلاً. "حسناً، ليس سول بيلو، لكنه ليس سيئاً".

بدأ تشاك يقرأ الكتاب إرضاءً لجَدّته فقط، وسرعان ما انغمس فيه. وفي سنّ الحادية عشرة، قرأ حوالي عشرين رواية لأغاثا كريستي. جرَّب قراءة روايتين عن الآنسة ماربل، لكنه أُعجب أكثر بهيركول پوارو وشاربه المميَّز وخلاياه الرمادية الصغيرة، وقد وجدَ أنه داهيةٌ. ذات يوم خلال إجازته الصيفية، كان تشاك يقرأ *جريمة في قطار الشرق السريع* مستلقياً على الأرجوحة الشبكية في الفناء الخارجي وصدفَ أن ألقى نظرة سريعة على نافذة القبّة البعيدة فوق. تساءل كيف سيحقِّق السيد پوارو في تلك المسألة.

آه، فكَّر في سرّه. ثم *وجدتُها*، وهذا كان تعبيراً أفضل.

المرة المقبلة التي أعدَّت فيها جَدّته كعكات مافن بالأويسة، سأل تشاك إن كان يمكنه أخذ البعض منها إلى السيدة ستانلي.

"هذه لفتة كريمة جداً منك"، قالت الجَدّة. "لما لا تفعل ذلك؟ فقط تذكَّر أن تنظر في الاتجاهين عندما تجتاز الشارع". تُخبره هذا دائماً عندما يذهب إلى أي

مكان. والآن وقد انخرطت خلاياه الرمادية الصغيرة في المسألة، تساءلَ إن كانت تفكّر بفتى عائلة جيفريز.

الجَدّة بدينة (وتزداد بدانة)، لكن السيدة ستانلي بضُعف حجمها، وهي أرملة تصفُر أنفاسها مثل عجلةٍ مخرومةٍ عندما تسير، ويبدو أنها ترتدي دائماً نفس الرداء الحريري الزهري. شَعَر تشاك ببعض الذنب لأخذه لها حلوى ستزيد من مقاس خصرها، لكنه يحتاج إلى معلومات.

شَكَرته على كعكات المافن وسألته - وكان متأكداً تماماً أنها ستسأله - إن كان يريد تناول واحدةٍ معها في المطبخ. "يمكنني أن أُعدّ الشاي!".

"شكراً"، قال تشاك. "لا أشرب الشاي، لكنني لن أرفض كوب حليب".

عندما جلسا إلى طاولة المطبخ الصغيرة في فيض أشعة شمس يونيو، سألته السيدة ستانلي عن أحوال ألبي وسارة. تشاك المتيقظ إلى أن أي شيء يقوله في هذا المطبخ سينتشر في الحي بأكمله قبل انقضاء اليوم، قال إنهما بخير. لكن بما أن پوارو قال إن عليك إعطاء القليل إن أردتَ الحصول على القليل، أضاف أن الجَدّة تجمّع بعض الملابس لملجأ المشرّدين اللوثري.

"جَدّتك حنونة جداً"، قالت السيدة ستانلي، وكان جلياً له أن أملها خاب من أنه ليس لديه المزيد ليُخبرها إياه. "ماذا بشأن جَدّك؟ هل ذهب ليفحص ذلك الشيء الذي على ظهره؟".

"نعم"، قال تشاك وأخذ رشفة حليب. "نزعه الطبيب وأرسله إلى المختبر. لم يكن أحد الأورام الخبيثة".

"الحمد لله على ذلك!".

"نعم"، وافَقها تشاك الرأي. وبما أنه أعطى، شَعَر أنه يحق له أن يأخذ الآن. "كان يكلِّم الجَدّة عن شخص يدعى هنري بيترسون. أظن أنه تُوفِّي".

كان مستعداً ليخيب أمله؛ فربما لم تسمع أبداً بهنري بيترسون. لكن السيدة ستانلي وسَّعت عينيها إلى أن خشي تشاك في الواقع أن تسقطا، وأمسكت عنقها كما لو أن قطعة من كعكة الأويسة علقت فيه. "آه، كم كان ذلك حزيناً! مريعاً جداً! كان المحاسب الذي اهتمّ بحسابات أبيك. وحسابات شركات أخرى أيضاً". مالت إلى الأمام وهي لا تزال تُمسك عنقها، وكشف له رداؤها جزءاً من صدر ضخم لدرجة بدا مثيراً للهلوسة. "لقد *قَتَل نفسه*"، همَست. "شنقَ نفسه!".

"هل كان يختلس مالاً؟"، سأل تشاك. فقد كان هناك الكثير من اختلاس الأموال في روايات أغاثا كريستي. والكثير من الابتزاز أيضاً.

"ماذا؟ يا للهول، طبعاً لا!". زمّت شفتيها كما لو أنها تريد منع خروج شيء غير ملائم لأذنَي شاب أمرد مثل الجالس أمامها. فلو كان الأمر هكذا، لتغلّب عليها مَيلها الطبيعي بإفشاء كل شيء (ولأي شخص). "زوجته فرّت مع رجل أصغر سناً! سنّه بالكاد يسمح له أن يصوّت، *وكانت في أربعيناتها*! ما رأيك بذلك؟".

الرد الوحيد الذي استطاع تشاك أن يفكّر به فوراً كان "رائع!"، وبدا له أنه كافٍ.

عند عودته إلى المنزل، أخذ مفكرته عن الرف ودوّن، *رأى ج. شبح فتى عائلة* جيفريز *قبل مدة قصيرة على وفاته. ورأى شبح ه.* پيترسون *قبل 4 أو 5 سنوات على وفاته.* توقّف تشاك وراح يمضغ طرف قلم حبره الجاف بانزعاج. لم يرغب أن يكتب ما يجول في ذهنه، لكنه شَعَر أن عليه فعل ذلك بما أنه محقّق جيد.

سارة والخبز. هل رأى شبح الجَدّة في القبّة؟؟؟

بدا الجواب واضحاً له. وإلا فلماذا تكلّم الجَدّ عن مدى صعوبة الانتظار؟

الآن أنا أنتظر أيضاً، فكَّر تشاك في سرّه. وأملَ أن يكون كل هذا مجرد كلام فارغ.

5

في اليوم الأخير للصف السادس المدرسي، حاوَلت الآنسة ريتشاردز - وهي شابة هيبّية لطيفة لا تشدّد على ضرورة الحفاظ على الانضباط ولن تصمد طويلاً على الأرجح في نظام التعليم العام - أن تقرأ في حصة تشاك بعض أبيات الشعر من قصيدة والت وِيتمان "أغنية نفسي". لم يمرّ الأمر بسلام، فقد بدأ الأولاد يشاغبون ولم يريدوا شِعراً، بل فقط الهروب إلى أشهر الصيف التي تنتظرهم. راح تشاك يتصرَّف مثلهم، سعيداً برمي كُرات ورقية ممضوغة أو مدّ الوسطى لمايك إندربي عندما تُخفِض الآنسة ريتشاردز نظرها إلى كتابها، لكن بيتاً واحداً رنَّ في ذهنه وجَعَله يستوي جالساً.

عندما انتهت الحصة أخيراً وأُطلِق سراح الأولاد، تلكَّأ في الغرفة عن عمد. جلَست الآنسة ريتشاردز إلى مكتبها ونفخت خصلة شعر أسود عن جبهتها. عندما رأت أن تشاك لا يزال واقفاً هناك، ابتسمت له ابتسامة مُنهَكة. "ألا تعتقد أن الحصة مرَّت بخير؟".

يعرف تشاك السخرية عندما يسمعها، حتى عندما تكون خفيفة وموجَّهة للذات.

"ماذا قصَدَ عندما قال 'أنا كبير، أحتوي على حشودٍ'؟".

هذا عرَّض ابتسامتها. فأسنَدت ذقنها على قبضتها الصغيرة ونظَرَت إليه بعينيها الرماديتين. "ماذا قصَدَ برأيك؟".

"كل الأشخاص الذين يعرفهم؟"، قال تشاك مغامراً.

"نعم"، وافَقته الرأي، "لكنه ربما قصَدَ أكثر من ذلك. اقترِب قليلاً".

مالَ فوق مكتبها، حيث رأى كتاب *أبيات من الشعر الأميركي* موضوعاً فوق دفتر علاماتها، ووَضَعت راحتَي يديها على صدغيه بلطف شديد. يداها باردتان، وقد ولَّدتا لديه شعوراً مدهشاً لدرجة أنه ضغط على نفسه ليقمع ارتعاشةً. "ماذا يوجد بين يديَّ؟ مجرد الأشخاص الذين تعرفهم؟".

"أكثر"، قال تشاك. كان يفكّر بأمه وأبيه والطفلة التي لم تسنح له الفرصة أبداً ليحملها على ذراعيه. أليسا، المشابه إسمها للمطر. "ذكريات".

"نعم"، قالت. "كل شيء تراه. كل شيء تعرفه. *العالم* يا تشاكي. الطائرات في السماء، أغطية فتحات الصيانة في الشوارع. كل سنة تعيشها، ذلك العالم داخل رأسك سيكبُر ويزداد إشراقاً وتفصيلاً وتعقيداً. هل تفهم؟".

"أعتقد ذلك"، قال تشاك وقد أدهشته فكرة وجود عالم متكامل داخل جمجمته السريعة العطب. فكَّر بفتى عائلة جيفريز الذي صدمته سيارة في الشارع. فكَّر بمحاسب أبيه هنري بيترسون الذي تُوفِّي عند طرف حبلٍ (سيرى كوابيس بذلك). عوالمهم تغرق في الظلمة. مثل غرفةٍ عندما يُطفأ الضوء.

أبعدت الآنسة ريتشاردز يديها وبدت قلقةً. "هل أنت بخير يا تشاكي؟".

"نعم"، قال.

"اذهب إذاً. أنت فتى مؤدَّب. سرّني أن تكون طالباً في حصتي".

سار إلى الباب، ثم اِلتفتَ. "آنسة ريتشاردز، هل تعتقدين بوجود الأشباح؟".

فكَّرت بهذا. "أعتقد أن الذكرياتَ أشباحٌ. لكن خيالاتٍ ترفرف في أروقة حصونٍ عتيقةٍ متعفِّنةٍ؟ أظن أنها موجودة في الكتب والأفلام فقط".

وربما في قبّة منزل جَدّي، فكّر تشاك في سرّه.
"استمتِع بالصيف يا تشاكي".

6

استمتع تشاك بالصيف حتى شهر أغسطس، عندما ماتت جَدّته. حصَل ذلك في آخر الشارع أمام العامة، وهذا شيء مُخجِل قليلاً، لكنها على الأقل مِيتةٌ يستطيع الناس القول عنها بكل اطمئنان "الحمد لله أنها لم تتألم" في الجنازة. أما القول الاحتياطي الآخر، "لقد عاشت حياةً طويلةً غنيةً"، فيقبع في الناحية الرمادية أكثر. لم تبلغ سارة كرانتز منتصف ستيناتها بعد، رغم أنها كانت تقترب من ذلك.

غرق المنزل الذي في شارع بيلشارد في حزن تام مرةً أخرى، ما عدا أنه لم تكن هناك رحلة إلى عالم ديزني هذه المرة إيذاناً ببدء مرحلة التعافي. عاد تشاك ينادي جَدّته بلقب بُوبي، على الأقل في ذهنه، وظلّ يبكي في ليالي عديدة حتى يغلبه النعاس فينام. كان يفعل ذلك دافناً وجهه في وسادته لكي لا يزيد من حزن جَدّه. ويهمس أحياناً، "أنا مشتاق لك يا بُوبي، أحبك بُوبي"، إلى أن يأخذه النوم أخيراً إلى عالمه.

ارتدى جَدّه ثوب حداده، وفقَدَ بعضاً من وزنه، وتوقف عن إخبار النكات، وبدأ يبدو أكبر سناً من سنواته السبعين، لكن تشاك شَعَرَ أيضاً (أو ظنَّ أنه شَعَر) ببعض الارتياح لدى جَدّه. إذا كان الأمر كذلك فبإمكان تشاك تفهّم شعوره. فعندما تعيش مع الرعب يوماً بعد يوم، لا شك أنك ستشعر ببعض الارتياح عندما يحصل أخيراً الشيء المـُرعِب وتنتهي منه. أليس كذلك؟

لم يصعد الدرج إلى القبّة بعدما ماتت، وبقي يتحدّى نفسه أن يلمس القفل، لكنه ذهب إلى بقالة زوني ذات يوم قُبيل بدء الصف السابع في متوسطة أكر پارك، واشترى قارورة مياه غازية ولوح كيتكات، ثم سأل البائع أين كانت المرأة عندما أُصيبت بنوبة قلبية وماتت. ضحِك البائع، وهو شابٌ في عشريناته وموشومٌ بشكل مُفرط ولديه الكثير من الشعر الأشقر المدهون بالزيت، ضحكةً بغيضةً. "هذا سؤال مروّع قليلاً يا ولد. هل تنقّح مثلاً لائحةً مهارات القاتل المتسلسل لمهنتك المستقبلية؟".

"كانت جَدّتي"، قال تشاك. "بُوبي. كنتُ في حوض السباحة العام عندما حصَل ذلك. ثم عدتُ إلى المنزل وناديتُها، وأخبَرني جَدّي أنها ماتت".

هذا أزال الابتسامة عن وجه البائع. "آه، يؤسفني هذا. حصل الأمر هناك في الرِواق الثالث".

ذهَب تشاك إلى الرِواق الثالث ونظرَ، وهو يعرف مسبقاً ماذا سيرى.

"كانت تُحضِر رغيف خبز"، قال البائع. "أوقعت كل شيء تقريباً على الرف عندما انهارت. آسف إن كانت هذه معلومات كثيرة بالنسبة لك".

"لا"، قال تشاك، وفكَّر في سرّه، هذه معلومات أعرفها من قبل.

7

في يومه الثاني في متوسطة أكر پارك، مرَّ تشاك بجانب لوحة الإعلانات عند المكتب الرئيسي، ثم عاد أدراجه. فبين المُلصقات الإعلانية لفرقة پَپ والاختبارات لعضوية الفِرق الرياضية لموسم الخريف، رأى مُلصقاً إعلانياً لفتى وفتاة يرقصان، ويظهر الفتى في اللقطة رافعاً يده لكي تتمكن الفتاة من الدوران تحتها. ومكتوب *تعلَّم الرقص!* فوق الولدَين المبتسمين بأحرف ملوَّنة. وتحتهما: *انضموا إلى الدوّامات*

والدوّارات! اقتربت حفلة الخريف! هيا إلى حلبة الرقص!

تراءت صورة ذات وضوح مؤلم لتشاك وهو ينظر إلى المُلصق: جَدّته في المطبخ رافعةً يديها عالياً ومفرقعةً أصابعها وقائلةً، "ارقص معي يا هنري".

ذهب إلى النادي الرياضي بعد ظهر ذلك اليوم، حيث لقي وتسعة آخرون متردّدون استقبالاً حماسياً من أستاذة التربية البدنية للفتيات الآنسة روورباكر. كان تشاك أحد ثلاثة فتيان، وكانت هناك سبع فتيات، كلهن أطول منه.

حاوَل أحد الفتيان، ويدعى پول مَلفورد، أن يهرب متسلّلاً حالما أدرَك أنه أقصر ولد هناك، حيث يبلغ طوله متراً ونصف فقط. طارَدته الآنسة روورباكر وأعادته بالقوة وقالت وهي تضحك. "لا-لا-لا، أنت *مُلكي* الآن".

وكان مُلكها. كانوا كلهم مُلكها. يمكن وصف الآنسة روورباكر بوحشة الرقص، ولا أحد يمكنه أن يقف في طريقها. شغَّلت نظامها الصوتي النقّال وأرتهم رقصة الفالس (تشاك يعرفها) ورقصة التشاتشا (تشاك يعرفها) وحركة أسفل القدم (تشاك يعرفها)، ثم رقصة السامبا. لم يعرف تشاك هذه الأخيرة، لكن عندما وَضَعت الآنسة

رورباكر أغنية "تيكيلا" لفرقة تشامبس وأرتهم الحركات الأساسية، أتقنها فوراً ووَقَع في حُبّها.

كان أفضل راقص في النادي الصغير، لذا أبقته الآنسة روورباكر مع الفتيات الخرقاوات في أغلب الأوقات. فهِم أنها فعلت ذلك لكي يتحسَّن رقصهن ولم يعترض على قرارها، لكن ذلك كان مُضجراً نوعاً ما.

لكن قُبيل نهاية دقائقهم الخمسة والأربعين، أظهرت له وحشة الرقص بعض الرحمة وجعلته يرقص مع كات ماكّوي، وهي طالبة في الصف الثامن وأفضل راقصة بين الفتيات. لم يتوقع تشاك نشوء علاقة عاطفية بينهما - لم تكن كات فاتنة فحسب، بل أطول منه بعشرة سنتيمترات - لكنه أحبَّ الرقص معها، وكان ذلك الشعور متبادلاً بينهما. عندما يجتمعان، يصيبا الإيقاع ويدعاه يغمرهما. فينظران في عينَي بعضهما البعض (تضطر إلى إخفاض نظرها، وهذا أمر مُحبط، لكن مهلاً - لا فائدة من إنكار الحقيقة) ويضحكان فرحاً.

قبل سماحها للأولاد بالمغادرة، تقسّمهم الآنسة روورباكر إلى أزواج (تضطر أربعة من الفتيات أن يرقصن مع بعضهن البعض) وتطلب منهم أن يرقصوا رقصاً حراً. بسبب تحرّرهم من قيود الخطوات وإرباكها، يبدأ الجميع

بالرقص بشكل جيد جداً، رغم أن معظمهم لن يرقص أبداً في مقصف الكوپاكابانا.

ذات يوم - في أكتوبر، وقبل أسبوع تقريباً من حفلة الخريف - وَضَعت الآنسة روورباكر أغنية "بيلي جين".

"راقبوا هذا"، قال تشاك ورقصَ مشية القمر بشكل مقبول جداً. اندهش الأولاد، وفغرَ فم الآنسة روورباكر.

"يا إلهي"، قالت كات. "أرني كيف فعلتَ ذلك!".

فكرَّر الرقصة. جرَّبتها كات، لكنها فشلت في وهم السير عكسياً.

"اخلعي حذاءك"، قال تشاك. "ارقصيها بجاربَيك. دعي قدميك تنزلقان".

فعلت كات ذلك فجاءت النتيجة أفضل بكثير، وصفَّق لها الجميع. جرَّبت الآنسة روورباكر، ثم أصبح الجميع يرقصون مشية القمر بكل اتقان. حتى ديلان ماسترسون، الأقل براعة بينهم، أتقنها. انتهت حصة الرقص بعد نصف ساعة من موعدها الاعتيادي ذلك اليوم.

خرَج تشاك وكات معاً. "يجب أن نؤدِّيها في الحفلة"، قالت.

لم يكن تشاك ينوي حضور الحفلة، لذا توقف ونظَرَ إليها رافعاً حاجبَيه.

"لا أقصد أن نتواعد أو أي شيء من هذا القبيل"، أضافت كات على عجل، "فأنا أواعد دوغي وَنثورث -" هذا أمر عرَفه تشاك. "- لكن هذا لا يعني أنه لا يمكننا أن نُريهم بعض الحركات الجميلة. أريد ذلك، ألا تريد أنت؟".

"لا أعرف"، قال تشاك. "أنا أقصر منك بكثير. أعتقد أنهم سيضحكون عليَّ".

"الحل عندي"، قالت كات. "لدى أخي حذاء ذو كعبٍ عالٍ، وأعتقد أن مقاسه يلائمك. قدماك كبيرتان لولدٍ صغيرٍ مثلك".

"شكراً جزيلاً"، قال تشاك.

ضحِكت وعانقته عناقاً أخوياً.

في الحصة التالية لفرقة الدوّامات والدوّارات، أحضَرت كات ماكّوي حذاء أخيها ذي الكعب العالي. لكن تشاك الذي تحمّل ازدراءً لرجولته من قبل عندما انضم إلى نادي الرقص وكان مستعداً أن يكرهه، أحبّه من النظرة الأولى. كعبه عالٍ، ومقدمته مسنَّنة، ولونه أسود حالك مثل منتصف الليل في موسكو. بدا مشابهاً كثيراً

للحذاء الذي كان بوه ديدلي يرتديه قديماً. حسناً، مقاسه كبير *قليلاً*، لكنه تدبَّر الأمر بحشو بعض أوراق المرحاض في تلك المقدمة المسنَّنة. وأفضل ما في الأمر هو أنه أملس. خلال فترة الرقص الحر، عندما وَضَعت الآنسة رورباكر أغنية "ملكة البحر الكريبيّ"، شَعَر أن أرضية النادي الرياضي ملساء كالجليد.

"إذا أحدثتَ خدوشاً على هذه الأرضية فإن البوّابين سيُبرحونك ضرباً"، قالت تامي أندرْوود. كانت محقّة على الأرجح، لكن لم تظهر أي خدوش، فقد كان خفيفاً جداً على قدميه لكي يُحدِث أي خدوش.

8

ذهَب تشاك دون شريكة إلى حفلة الخريف، والتي وجد أنها رائعة لأن كل الفتيات من فرقة الدوّامات والدوّارات أردن الرقص معه، خاصة كات التي تبيَّن أن حبيبها دوغي وَنثورث أخرق في الرقص، وأمضى معظم السهرة يتسكَّع عند الجدار مع أصدقائه، وكلهم يتناولون العصير ويراقبون الراقصين ويسخرون منهم بعجرفة.

بقيت كات تسأله متى سيؤدّيان رقصتهما، وبقي تشاك يؤجِّل ذلك. قال إنه سيعرف اللحن المناسب عندما

يسمعه، لكنه كان يفكِّر بجَدّته.

حوالي الساعة التاسعة، وقبل نصف ساعة تقريباً من الموعد المفترض لانتهاء الحفلة، أتى اللحن المناسب مع أغنية جاكي ويلسون "أعلى وأعلى". تبختر تشاك إلى كات مادّاً يديه فخلعت حذاءها وأصبح طولها قريباً من طول تشاك الذي كان يرتدي حذاء أخيها ذي الكعب العالي. خرَجا إلى حلبة الرقص، وعندما أدّيا خطوات مشية القمر معاً، أخلى لهما جميع الأولاد الساحة وشكَّلوا دائرة حولهما وبدأوا يصفِّقون. راحت الآنسة روورباكر، وهي كانت إحدى مراقبات الحفلة، تصفِّق معهم وتصيح، "المزيد، المزيد، المزيد!".

بينما صدح صوت جاكي ويلسون مع ذلك اللحن العذب، راحا يرقصان كما لو أن فْرَد أستير وجينجر روجرز وجين كيلي وجنيفر بيلز تجمَّعوا في شخص واحد. أنهيا رقصتهما بأن دارت كات في اتجاهٍ ثم في الاتجاه الآخر، ثم ارتمت بظهرها على ذراعَي تشاك فاتحةً ذراعيها بالكامل، ونزل أرضاً مُباعداً بين رجليه إلى حدّهما الأقصى دون كارثة أن يتمزَّق بنطلونه بين منفرج ساقيه. هلَّل مئتا ولد عندما أدارت كات رأسها وطبعت قبلةً على طرف فم تشاك.

"مرة أخرى!"، صرخ أحد الأولاد، لكن تشاك وكات هزّا رأسيهما. صحيح أنهما يافعان، لكنهما ذكيان كفاية ليعرفا متى عليهما التوقف. لا يمكن التفوّق على أفضل أداء.

9

قبل ستة أشهر من وفاته بسبب ورم في الدماغ (في سنّ ظالم هو تسعة وثلاثون سنة)، وبينما كان ذهنه (أغلبه) لا يزال يعمل، أخبَر تشاك زوجته حقيقة الندبة التي على الجهة الخلفية ليده. لم تكن ذات شأن كبير ولم تكن كذبة كبيرة، لكنه وصل إلى مرحلة في حياته المتناقِصة بسرعة بدا له فيها أنه من المهم إزالة أي التباس. فالمرة الوحيدة التي سألته عنها (كانت ندبة صغيرة جداً حقاً)، أخبَرها أنه حصل عليها من فتى يدعى دوغ وَنثورث الذي حنق عليه بسبب مرحه مع حبيبته خلال حفل راقص في المدرسة المتوسطة ودفَعَه نحو السياج المـُشبَّك خارج النادي الرياضي.

"ماذا حصل في الواقع؟"، سألت جيني، ليس لأن الأمر مهمٌ لها بل لأنه بدا مهماً له. فهي لا تهتم كثيراً لما

حصل له في المدرسة المتوسطة وقد أخبرها الأطباء أنه سيُتوفّى على الأرجح قبل احتفال الشتاء. هذا ما يهمّها.

عندما انتهت رقصتهما الرائعة ووضع منسِّق الموسيقى لحناً آخر حديثاً أكثر، ركضت كات ماكّوي إلى صديقاتها اللواتي رحن يقهقهن ويزعَقن ويعانقنها بحماسة لا تقدر عليها سوى الفتيات في الثالثة عشرة من عمرهن. كان تشاك يتصبَّب عرقاً ويشعر بحرّ شديد لدرجة أن خدَّيه كانا على شفير الاشتعال. كان مغتبِطاً أيضاً. كل ما أراده في تلك اللحظة هو بعض الظلمة والهواء البارد، وأن يختلي بنفسه.

مرّ بجانب دوغي وأصدقائه (الذين لم يعيروه أي انتباه أبداً) مثل فتى في حلمٍ، وفتح الباب الذي في الجهة الخلفية للنادي الرياضي، وخرَج إلى نصف الملعب المرصوف. هواء الخريف البارد خفَّف من حدّة الحريق الذي في خدَّيه، ولكن ليس النشوة. رفَع نظره ورأى مليون نجمة، وفهِم أنه لكل نجمة من تلك النجوم، هناك مليون نجمة أخرى خلفها.

فكَّر في سرّه كم أن الكون كبيرٌ. يحتوي على حشودٍ. يحتوي *عليَّ* أنا أيضاً، وفي هذه اللحظة أنا مُدهِش. لديَّ الحقّ أن أكون مُدهِشاً.

رقصَ مشية القمر تحت طارة كُرة السلة وهو يتمايل على أنغام الموسيقى في الداخل (عندما اعترف لجيني أنه لم يعد يتذكَّر ما كانت تلك الموسيقى، لكن للعِلم فقط كانت أغنية فرقة ستيف ميلر، "طائرة الركاب النفّاثة")، ثم دار حول نفسه فاتحاً ذراعيه كما لو أنه يريد أن يعانق كل شيء.

شَعَر بألم في يده اليمنى. لم يكن ألماً كبيراً، لكنه كان كافياً ليُخرجه من انعتاقه الفرِح ويعيده إلى أرض الواقع. رأى أن الجهة الخلفية ليده تنزف. فبينما كان يدور دورته تحت النجوم على غرار الدراويش، ارتطمت يده الممدودة بالسياج المـُشبَّك وجرحها سلكٌ ناتئٌ فيه. الجرح سطحي وبالكاد يستحقّ ضمادة لاصقة، لكنه ترَك ندبةً. ندبة هلاليّة الشكل بيضاء صغيرة جداً.

"لماذا تكذب بشأن ذلك؟"، سألت جيني وهي تبتسم له بينما أمسكت يده وقبّلت الندبة. "يمكنني أن أتفهّم لو أخبرتني كيف ضربتَ المتنمِّر الكبير ضرباً مُبرحاً، لكنك لم تقل ذلك أبداً".

لا، لم يقل ذلك أبداً، ولم يعانِ أبداً من أي مشكلة مع دوغي وَنثْورث. فمن جهة، كان أخرق مبتهِجاً جداً. ومن

جهة أخرى، كان تشاك كرانتز قزماً في الصف السابع غير جدير بالاهتمام.

لماذا كذَب إذاً، إن لم يكن ليجعل نفسه بطل قصة خرافية؟ لأن الندبة مهمة لسبب آخر. لأنها جزءٌ من قصة لا يمكنه أن يرويها، رغم أنه يوجد الآن مبنى سكني في موقع المنزل الفيكتوري حيث ترعرع معظم حياته. المنزل الفيكتوري *المسكون بالأشباح*.

للندبة معنى أشمل، لذا *جَعَلها* أشمل. لكن لا يمكنه أن يجعلها أشمل بكثير مما كانت عليه حقاً. هذا منطقي إلى حد ما، لكن مع مواصلة الورم الأرومي الدبقي حربه الخاطفة، كان ذلك أفضل ما يستطيع ذهنه المتفتِّت أن يتوصَّل إليه. لقد أخبَرها حقيقة الندبة أخيراً، ويجب أن يكون هذا كافياً.

10

تُوفِّي جَدّ تشاك من نوبة قلبية بعد أربع سنوات على رقصة حفلة الخريف. حصَل ذلك بينما كان ألبي يصعد درجات المكتبة العامة ليعيد نسخة رواية *عناقيد الغضب* - التي قال إنها جيدة جداً. وكان تشاك في

الصف الثانوي الثاني، يغني في فرقة موسيقية ويرقص مثل جاغر خلال الفواصل الموسيقية.

ترك له جَدّه كل شيء. العقار، الذي كان كبيراً جداً ذات يوم، تقلّص كثيراً على مر السنوات منذ التقاعد المبكر للجَدّ، لكن لا يزال هناك ما يكفي منه لدفع رسوم كلّية تشاك. لاحقاً، ثمن المنزل الفيكتوري سدَّد ثمن المنزل (الصغير لكن الواقع في حي جيد، ويتضمن غرفة خلفية جميلة لتكون غرفة أطفال) الذي انتقل إليه وفيرجينيا بعد شهر عسلهما في جبال الكاتسكيل، علماً أن عمله الجديد في ميدوَست تراست - أمين صندوق متواضع - ما كان ليمكّنه أبداً من شراء المنزل لولا ميراث الجَدّ.

رفَض تشاك بشكل قاطع الانتقال إلى أوماها ليعيش مع والدَي أمه. "أحبكما"، قال، "لكنني ترعرعتُ هنا وأريد أن أبقى هنا إلى أن أدخل الكلّية. أنا في السابعة عشرة ولم أعد طفلاً".

لذا أتيا إليه، وقد تقاعدا منذ زمن طويل، وبقيا معه في المنزل الفيكتوري طوال العشرين شهراً تقريباً قبل أن يرحل تشاك إلى جامعة إيلينوي.

لكنهما لم يتمكّنا من حضور الجنازة والدفن. فقد حصَلا بسرعة، مثلما أراد الجَدّ، وكانت لدى والدَي أمه

أمور عالقة في أوماها عليهما إنجازها. لم يشعر تشاك بغيابهما حقاً، فقد كان محاطاً بأصدقائه وجيرانه الذين عرَفهم أفضل بكثير من والدَي أمه غير اليهوديين. قبل يوم من موعد وصولهما، فتَح تشاك أخيراً مغلفاً موضوعاً على الطاولة في القاعة الأمامية. كان من دار إيبرت-هولوواي للدفن ويحتوي على أغراض ألبي كرانتز الشخصية - على الأقل تلك التي كانت في جيوبه عندما انهار على درجات المكتبة.

أفرغ تشاك المغلف على الطاولة، فسمِع خشخشة عملات معدنية، ووجد بضع حبّات هولز للسعال، وسكين جيب، والهاتف الخلوي الجديد الذي بالكاد سنحت الفرصة لجَدّه كي يستخدمه، ومحفظته. أمسك تشاك المحفظة، وشمَّ جلدها المترهّل، وقبَّلها، وبكى قليلاً. لقد أصبح يتيماً الآن بكل تأكيد.

وجد أيضاً حمّالة مفاتيح جَدّه. علَّقها تشاك بسبابة يده اليمنى (اليد ذات الندبة الهلاليّة الشكل)، وصعد مجموعة الدرجات القصيرة والظليلة إلى القبّة، ولم يكتفِ هذه المرة الأخيرة بهزّ القفل فقط. فبعد بحث سريع، وجَد المفتاح الصحيح وفكّ القفل. ترَك القفل

معلّقاً بالمشبك وفتح الباب، وجَفَل من زعيق المِفصَلات القديمة غير المدهونة بالزيت، واستعدّ لأي شيء.

11

لكن لم يكن هناك شيء. الغرفة فارغة.

الغرفة دائرة صغيرة لا يتجاوز قطرها أربعة أمتار، وربما أقل، وفي جانبها البعيد نافذةٌ عريضةٌ كَسَتها أوساخ السنوات. رغم أن اليوم مشمسٌ، إلا أن الضوء الذي تركته يدخل كان غائماً ومنتشراً. وقف تشاك عند العتبة، ومدَّ طرف قدمه، ولمس الألواح الخشبية مثل فتى يختبر ماء بركةٍ ليرى إن كان بارداً. لم يصدر أي صرير، ولم ترتخِ الألواح تحته. خطا خطوةً وهو على أتمّ الاستعداد ليقفز عائداً لحظة شعوره ببدء ارتخاء الأرض، لكنها كانت صلبة. سار إلى النافذة مخلّفاً آثار قدميه في طبقة الغبار السميكة.

لقد كذَب عليه جَدّه بشأن الأرضية المتعفّنة، لكنه كان محقّاً تماماً بشأن المنظر. ليس ملفتاً حقاً. يستطيع تشاك رؤية مركز التسوّق الموجود ما وراء الحزام الأخضر، وما وراءه قطارٌ لشركة أمتراك يسير نحو المدينة يتألف من خمس عربات ركاب. في مثل هذا الوقت من اليوم،

ومع انتهاء فورة ركاب الصباح، سيكون عدد الركاب قليلاً.

بقي تشاك يقف عند النافذة إلى أن اختفى القطار، ثم تبِع آثار قدميه إلى الباب. عندما استدار ليُغلقه، رأى سريراً وسط الغرفة الدائرية. إنه سرير مستشفى، وعليه رجل بدا فاقد الوعي. لم تكن هناك أجهزة، لكن بإمكان تشاك سماع صوت واحدٍ، يُصدر صفرةً... صفرةً... صفرةً. ربما هو جهاز لمراقبة معدل ضربات القلب. كما رأى طاولة بجانب السرير، وعليها عدة أصناف غسول للفم ونظّارات ذات إطار أسود. عينا الرجل مغمضتان، وإحدى يديه ممدودة خارج البطانية. راقَب تشاك الندبة الهلاليّة الشكل على جهتها الخلفية دون أن يتفاجأ.

في هذه الغرفة، رأى جَدّ تشاك زوجته ميتة أرضاً، ومبعثرة حولها أرغفة الخبز التي ستوقعها عن الرفوف عندما تسقط. الانتظار يا تشاكي، قال له، هو الجزء الصعب.

الآن سيبدأ انتظاره. كم سيطول ذلك الانتظار؟ كم عمر الرجل الممدَّد على سرير المستشفى؟

بدأ تشاك يعاود دخول القبّة ليُلقي نظرة مقرّبة، لكن الرؤيا اختفت. لا رجل، ولا سرير مستشفى، ولا طاولة.

سمِع صفرةً خفيفةً أخيرةً من جهاز المراقبة غير المنظور، ثم اختفت الصفرة أيضاً. لم تتلاشَ صورة الرجل مثل طيفٍ شبحيٍّ مثلما يحصل في الأفلام؛ بل اختفت فحسب، مصرّةً على أنه لم يتواجد هناك من الأصل أبداً.

لم يتواجد، فكَّر تشاك في سرّه. سأصرّ على أنه لم يتواجد، وسأعيش حياتي إلى أن تنتهي. أنا مُدهِش، أستحق أن أكون مُدهِشاً، وأحتوي على حشودٍ.

أغلَق الباب وضغط القفل ليُغلقه.

إن كان ينزف

في يناير 2021، استلمت عائلة كونراد، الجيران الملاصِقين لعائلة أندرسون، مغلفاً مبطّناً صغيراً موجّهاً إلى المحقق رالف أندرسون. كان أفراد عائلة أندرسون يقضون عطلةً ممدّدةً في منزلهم في الباهاماس، بفضل إضراب مفتوح للأساتذة (أصرَّ رالف أن يأخذ إبنه ديريك كتبه معه، وهذا أمر اعتبره ديريك "مُحبِطاً ومقززاً"). كانت عائلة كونراد قد وافَقت على استلام بريد عائلة أندرسون إلى أن يعود جيرانهم إلى مدينة فلينت، لكن هذا المغلف مطبوعٌ عليه بأحرف كبيرة، "عدم الإحالة والاحتفاظ به حتى الوصول". عندما فتح رالف الطرد، وجد محرِّك أقراص وامضاً مدوَّناً عليه "إن كان ينزف"، وهذا يشير افتراضياً إلى العبارة المَجازية القديمة في نشرات الأخبار "إن كان ينزف، سيقود إلى المقترف". احتوى محرِّك الأقراص على بندين. أحدهما مجلدٌ يحتوي على صور فوتوغرافية وصور طيفية سمعية. والآخر نوعٌ من التقارير، أو دفتر يوميات شفهي، من هولي غيبني، التي تعاون معها المحقق على قضية بدأت في أوكلاهوما وانتهت في كهفٍ في تكساس. كانت قضية غيَّرت نظرة رالف أندرسون إلى الواقع إلى الأبد.

الكلمات الأخيرة في تقرير هولي السمعي تعود لتدوينٍ تاريخه 19 ديسمبر 2020. بدا أنها تلهث.

لقد قمتُ بأفضل ما بوسعي يا رالف، لكن ذلك قد لا يكون كافياً. ورغم كل احتياطاتي فإن هناك احتمالاً ألا أخرج من هذا حيّةً. إذا كان الحال هكذا، أريدك أن تعرف كم كانت صداقتك تعني لي. وإذا توفَّيتُ، وقررتَ متابعة ما كنتُ قد بدأتُ به، كن حذراً رجاءً. فلديك زوجة وإبن.

[انتهى التقرير هنا].

8 -9 ديسمبر 2020

1

بلدة پاينبورو مدينةٌ صغيرةٌ غير بعيدة عن پيتسبرغ. ورغم أن معظم مناطق بنسلفانيا الغربية زراعية، إلا أن پاينبورو تضم وسط مدينة مزدهِر يناهز عدد سكانه حوالي 40,000 مقيم. عندما تجتاز الحدود البلدية للمدينة، تمرّ بمجسّم برونزي ضخم ذي قيمة ثقافية مشكوك فيها (رغم أنه يبدو أنه يروق للمقيمين). وفقاً للافتة المعلَّقة فإن هذا هو *أكبر كوز صنوبر في العالم!* وهو يشكِّل مَعلَماً سياحياً يجذب الأشخاص الذين يريدون التنزّه والتقاط الصور. العديد من الناس يفعلون ذلك، وبعضهم يضع أولاده الصغار على بتلات الكوز. (هناك لافتة صغيرة تقول "رجاءً، ممنوع وضع الأولاد الذين يزيد وزنهم عن 20 كيلوغراماً على كوز الصنوبر"). الجو اليوم بارد جداً للنزهات، وقد أُزيل المرحاض المتنقّل لهذه السنة، وزُيِّن المجسَّم البرونزي

ذو القيمة الثقافية المشكوك فيها بأضواء احتفال الشتاء الوامضة.

ليس بعيداً عن الكوز العملاق، وقُرب المكان الذي تحدِّد إشارة المرور الأولى أنه بداية وسط المدينة في پاينبورو، تقع متوسطة ألبرت ماكريدي التي يدرس فيها حوالي خمسمئة طالب في الصفوف السابعة والثامنة والتاسعة - لا إضراب للأساتذة هنا.

عند العاشرة إلا رُبعاً في الشارع الثامن، ركنت شاحنة لشركة *توصيل بنسلفانيا السريع* على طريق المدرسة الدائري، وخرج منها شابّ التوصيل ووقف أمام شاحنته لدقيقة أو دقيقتين مستشيراً لوحه المشبكي. ثم دفعَ نظّاراته إلى أعلى جسر أنفه الضيق، ومسَّد شاربه الصغير، وذهب إلى الجهة الخلفية لشاحنته. راح يفتّش وأخرجَ طرداً مربعاً قياس كل جهة منه حوالي متر. حمله بسهولة، لذا لا يمكن أن يكون ثقيلاً جداً.

هناك لافتة تحذيرية عند الباب تقول *على كل زوّار المدرسة الإعلان عن أنفسهم وحصولهم على الموافقة*. ضغط السائق زر نظام الاتصال الداخلي تحت اللافتة، وسألته سكرتيرة المدرسة السيدة كيلر كيف يمكنها مساعدته.

"معي طردٌ لشيء يدعى..."، أمال رأسه لينظر إلى المُلصَق. "يا للهول. يبدو باللاتينية. إنه مُرسَل إلى نيمو... نيمو إمبيون... أو ربما تقولون إمبيوني..."

ساعدته السيدة كيلر. "مجتمع نيمو مي إمبيون لاسيسيت، صح؟".

رأت على شاشة الفيديو الخاصة بها أن شابّ التوصيل تنفَّس الصعداء. "أنتِ أعلم. أول كلمة هي مجتمع بكل تأكيد. ما معنى هذا؟".

"سأخبِرك في الداخل".

بقيت السيدة كيلر تبتسم بينما مرّ شابّ التوصيل عبر كاشف المعادن، ودخلَ المكتب الرئيسي، ووضع الطرد على المنضدة. كان مليئاً بأوراق لاصقة، بعضها لأشجار احتفال الشتاء وسانتا كلوز، والكثير منها لرجال اسكتلنديين يرتدون تنانير فلكلورية اسكتلندية وقبعات الفوج الملكي الاسكتلندي ويعزفون على مزامير قِرَب.

"إذاً"، قال وهو ينزع جهاز مسحه عن حزامه ويصوِّبه إلى مُلصَق العنوان. "ما معنى نيمو مي إمبيوني في نهاية المطاف؟".

"إنه الشعار الوطني الاسكتلندي"، قالت. "يعني *لا أحد يستفزّني بالحصانة*. للمقرّر التعليمي *الشؤون الحالية*

الذي يدرّسه السيد غريشوولد كلّية شريكة في أسكتلندا، بالقرب من إدنبرة. يتراسلون عبر البريد الإلكتروني وفايسبوك ويرسلون صوراً وأشياء مماثلةً إلى بعضهم البعض. يشجِّع الطلاب الاسكتلنديون فريق *قراصنة پيتسبرغ*، ويشجِّع طلابنا *نادي باكي ثيستل لكرة القدم*. يشاهد طلاب *الشؤون الحالية* المباريات على يوتيوب. وإطلاقهم لقب مجتمع *لا أحد يستفزّني بالحصانة* على أنفسهم هي فكرة غريشوولد على الأرجح". حملقت بعنوان المرسِل على المُلصَق. "أجل، ثانوية رَنهيل. ختم الجمارك وكل شيء".

"هدايا احتفال الشتاء، أنا أكيد من ذلك"، قال شابّ التوصيل. "لا شكّ في ذلك. انظري هنا". رفعَ الصندوق وأظهر لها جملة عدم *الفتح قبل 18* ديسمبر مطبوعة بعناية ومحاطة باسكتلنديَين آخرَين ينفخان في مزمارَي قِربة.

أومأت السيدة كيلر برأسها. "ذاك هو اليوم الدراسي الأخير قبل عطلة احتفال الشتاء. يا إلهي، آمل أن يكون طلاب غريشوولد قد أرسلوا لهم شيئاً".

"ما برأيكِ نوع الهدايا التي يرسلها الطلاب الاسكتلنديون إلى الطلاب الأميركيين؟".

ضحِكت. "آمل فقط ألا تكون طبخة الهاغيس".

"ما هذه؟ كلمة لاتينية أخرى؟".

"قلب خروف"، قالت السيدة كيلر. "وكبده ورئتاه أيضاً. أعرف ذلك لأن زوجي اصطحبني إلى أسكتلندا في ذكرى زواجنا العاشرة".

تجهَّم وجه شابّ التوصيل فأضحكها ذلك مرة أخرى، ثم طلب منها أن توقِّع في الخانة على جهاز مسحه، ففعلت ذلك. تمنّى لها يوماً طيباً واحتفال شتاء سعيداً، وتمنَّت له الشيء نفسه. عندما رحلَ، أمسكت السيدة كيلر طالباً يتسكّع في الأرجاء (لم يكن معه إذنٌ بالخروج من الحصة، لكنها تغاضت عن الأمر هذه المرة) ليأخذ الصندوق إلى خزانة التخزين بين مكتبة المدرسة وغرفة الأساتذة في الطابق الأول، ثم أخبرت السيد غريسْوولد عن الطرد خلال استراحة الغداء، وأجابها أنه سيأخذه إلى غرفة تدريسه عند الثالثة والنصف بعد الجرس الأخير. لو أخذه عند الغداء، لكانت المجزرة أسوأ بكثير.

لم يرسل النادي الأميركي في ثانوية رَنهيل صندوق احتفال شتاء إلى طلاب ألبرت ماكريدي، فلا وجود لشركة تدعى *توصيل بنسلفانيا السريع*. والشاحنة التي

عُثر عليها لاحقاً مهجورةً كانت قد سُرقت من مرأب سيارات مركزٍ تجاريٍ بُعيد يوم الشُكر. ستوبِّخ السيدة كيلر نفسها لعدم ملاحظتها أن شابّ التوصيل لم يكن يضع بطاقة إسم على صدره، وعندما صوَّب جهاز مسحه إلى مُلصَق العنوان على الطرد، لم يُصدِر صفرةً مثل أجهزة المسح التي يستخدمها سائقو UPS وفيديكس، لأنه جهاز مزيَّف. وكذلك حال ختم الجمارك أيضاً.

ستُخبِرها الشرطة أن أي شخص لن ينتبه إلى تلك الأمور، ولا داعي لأن تشعر بالذنب، لكنها ومع ذلك تشعر بالذنب. فالإجراءات الأمنية في المدرسة - الكاميرات، الباب الرئيسي الذي يُقفَل بعدما تبدأ الحصص في المدرسة، كاشف المعادن - جيدة، لكنها مجرد آلات. بينما هي (أو هكذا كانت) الجزء البشري في المعادلة، الحارسة عند البوابة، وقد خذلت المدرسة. خذلت *الطلاب*.

شَعَرت السيدة كيلر أن الذراع التي فقدتها ستكون مجرد بداية تكفيرها عن ذنبها.

إنها 2:45، وتستعد هولي غيبني لساعةٍ تُسعِدها دائماً. قد يوحي ذلك بذوقٍ وضيعٍ نوعاً ما، لكنها لا تزال تستمتع بالدقائق الستين اليومية في مشاهدة التلفزيون، وتحاول ضمان أن فايندرز كيبرز (شقة مستأجرة جديدة لطيفة لوكالة التحقيقات في الطابق الخامس في مبنى فريدريك في وسط المدينة) فارغة من الثالثة إلى الرابعة. هذا ليس صعباً بما أنها المديرة - وهذا شيء لا تزال تجد صعوبة في تصديقه.

يحاول پيت هنتلي، وهو شريكها في المهنة منذ وفاة بيل هودجز، اليوم تعقّب هاربٍ في مختلف ملاجئ المشرَّدين في المدينة. كما أن جيروم روبنسون يعمل لصالح فايندرز كيبرز أيضاً، ولو بدوام جزئي فقط، بعد أن أخذ سنة إجازة من هارفرد ليحاول تحويل ورق بحثية في عِلم الاجتماع طولها أربعون صفحة إلى ما يأمل أن يصبح كتاباً. لقد ذهب بعد ظهر اليوم إلى جنوبي المدينة بحثاً عن كلب مخطوف من فصيلة الغولدن ريتريفر يدعى لاكي ربما يكون قد رُمي في زريبة كلاب في يونغستاون أو أكرون أو كانتون بعدما رفض مالكوه دفع الفدية البالغة عشرة آلاف دولار. بالطبع من المحتمل أن يكون الكلب قد تاه فحسب في

ريف أوهايو - أو قُتل. إسم الكلب فأل خير، حسبما أخبَرت جيروم، وقالت إنها متفائلة.

"لديك أمل كبير"، قال جيروم مبتسماً.

"هذا صحيح"، رَدَّت عليه. "هيا الآن يا جيروم. فتِّش عنه".

لديها فرصة جيدة أن تبقى لوحدها إلى أن يحين وقت إغلاق الشركة، لكنها لا تهتمّ حقاً إلا بالساعة بين الثالثة والرابعة. ومع إبقاء عينها على الساعة، كتبت رسالة بريد إلكتروني رسمية إلى الزبون أندرو إدواردز الذي كان قلِقاً من أن شريكه يُخفي بعض الأصول التجارية عنه. تبيَّن أن الشريك لم يكن يفعل ذلك، لكن فايندرز أنجزت المهمة المطلوبة منها ويجب أن تقبض أتعابها. *هذه فاتورتنا الثالثة*، كتبت هولي. *سدِّد حسابك رجاءً لكي لا نضطر إلى تكليف وكالة تحصيل أموالٍ بهذه المسألة*.

وجدت هولي أنه يمكنها أن تكون أقوى بكثير عندما تكتب بصيغة الجمع بدلاً من صيغة المفرد. إنها تعمل على ذلك، لكن مثلما كان جَدّها معتاداً أن يقول، "لم تُبنَ روما في يوم واحد، وكذلك فيلادلفيا".

أرسلت رسالة البريد الإلكتروني - سمِعت صوت هَبَّة الريح الاعتيادية عند حصول هكذا أمر - وأوقفت تشغيل حاسوبها، ثم ألقت نظرة سريعة على الساعة. إنها الثالثة إلا سبع دقائق. ذهبت إلى البرّاد الصغير وأخرجت عبوة بيبسي دايت، ووضعتها على إحدى الواقيات التي توزِّعها شركتها (تضيِّع، نجد، تربح)، ثم فتحت الجارور الأيسر العلوي في مكتبها، حيث يوجد كيس ألواح سنيكرز صغيرة مخفي تحت كومة أوراق بلا قيمة. أخذت ستة، واحد لكل فاصل إعلاني خلال عرضها، وأزالت الأغلفة عنها، ورتّبتها في صف.

الثالثة إلا خمس دقائق. شغَّلت التلفزيون لكنها كتمت صوته. موري يوفتش تختال حالياً وتحرّض جمهورها في الستديو. قد يكون ذوقها وضيعاً، لكن ليس إلى ذلك الحد. فكَّرت بتناول أحد ألواح السنيكرز وأخبرت نفسها بأن تنتظر. بينما كانت تهنّئ نفسها على صبرها، سمِعت صوت المصعد وقلبت عينيها. لا شكّ أنه پيت، لأن جيروم بعيدٌ جداً في الجنوب.

إنه پيت بذاته، ويبتسم. "يا له من يوم سعيد"، قال. "أحدهم أخيراً جعل آل يرسل مُصلِح أجهزةٍ -"

"آل لم يفعل شيئاً"، قالت هولي. "جيروم وأنا تدبّرنا الأمر. كانت مجرد شائبة صغيرة".

"كيف -"

"تطلَّب الأمر ابتكاراً بسيطاً"، قالت وهي لا تزال تراقب الساعة: الثالثة إلا ثلاث دقائق. "جيروم فعل ذلك، لكن كان يمكنني فعله بنفسي". صِدقها تغلَّب عليها مرة أخرى. "هذا ما أعتقده على الأقل. هل وجدتَ الفتاة؟".

رسم لها پيت علامة النصر بإصبعيه. "في صنرايز هاوس. محطتي الأولى. الخبر الجيد هو أنها تريد العودة إلى المنزل. اتصلتْ بأمها وستأتي لتأخذها".

"هل أنت متأكد؟ أم هل هذا ما أخبَرتك إياه؟".

"كنتُ هناك عندما أجرت الاتصال، ورأيتُ دموعها. هذه نتيجة جيدة يا هولي. آمل فقط ألا تكون أمها كسولة مثل ذاك الشابّ إدواردز".

"إدواردز سيدفع"، قالت. "أنا مصرّة على ذلك". حلّت قارورة دواء راقصة للإسهال محل موري على التلفزيون، وهذا أمرٌ اعتبرته هولي تحسُّناً في الواقع. "الآن اِلزم الصمت يا پيت، سيبدأ برنامجي بعد دقيقة".

"يا إلهي، هل لا تزالين تشاهدين ذلك الرجل؟".

عبست هولي بوجهه. "على الرحب والسعة إن أردتَ مشاهدته معي يا بيت، لكن إذا كنت تنوي إبداء تعليقات ساخرة وتنغِّص عليَّ متعتي، فأتمنّى أن ترحل".

كوني *حازمةً*، هكذا تحبّ معالِجتها آلي وينترز أن تقول لها. ذهبت هولي إلى معالِج آخر لفترة وجيزة كان قد كتبَ ثلاثة كتب وعدة مقالات علمية. فعلت ذلك لأسباب لا علاقة لها بالعفاريت التي بقيت تُطاردها طوال فترة مراهقتها. فقد احتاجت إلى أن تتكلَّم عن عفاريت حديثة أكثر مع الطبيب كارل مورتون.

"لا تعليقات ساخرة، عُلم"، قال بيت. "يا للهول، لا أصدِّق أنك وجيروم تخطّيتما آل. يجب إمساك الثور من قرنيه، إذا جاز التعبير. أنت رائعة يا هولي".

"أحاول أن أكون حازمةً أكثر".

"وأنتِ تنجحين في ذلك. هل هناك كولا في البرّاد؟".

"فقط للحمية".

"مقرف. طعمها يشبه -"

"اسكت".

إنها الساعة الثالثة. ألغت كتم صوت التلفزيون لحظة بدء أغنية برنامجها. إنه بوبي فولر يغني "حارَبتُ القانون". ظهرت قاعة محكمة على الشاشة، وراح المتفرِّجون - جمهور ستديو في الواقع، مثل جمهور موري لكن أقل وحشيةً - يصفِّقون مع الموسيقى، وأعلن المُذيع بصوتٍ رخيمٍ، "لا تشاهدونا إن كنتم جبناء، لأن جون لوه في الأرجاء!".

"لينهض الجميع!"، صاح حاجب المحكمة جورج.

نهض المتفرِّجون، وهم لا يزالون يصفِّقون ويتمايلون على أنغام الموسيقى، مع خروج القاضي جون لوه من مكتبه. طوله 198 سم (تعرف هولي هذا من مجلة بيبول التي تُخفيها حتى أفضل من كيس ألواحها السنيكرز) وهو أصلع مثل كُرة البلياردو ذات الرقم 8.. رغم أن لونه أقرب إلى لون الشوكولا الداكنة منه إلى الأسود. راحت الأردية الضخمة التي يرتديها تتمايل ذهاباً وإياباً بينما شقّ طريقه متبختراً إلى مقعده. أمسك المطرقة وبدأ يلوِّح بها يميناً ويساراً كما لو أنها بندول إيقاع، مُظهِراً كل أسنانه البيضاء.

"آه، كبِّلوني على كرسي ذي عجلات مزوّد بمحرّك"، قال پيت.

رمقته هولي بأكثر نظرة عابسة لديها، فأطبقَ پيت إحدى يديه على فمه ولوَّح بالأخرى استسلاماً.

"اجلسوا، اجلسوا"، قال القاضي لوه - إسمه الحقيقي جيرالد لوسون، وهذا شيء تعرفه هولي من مجلة بيبول أيضاً، لكنه لقب قريب بما فيه الكفاية - فجلس كل المتفرِّجين. هولي تحبّ جون لوه لأنه صريح، وليس ساخراً وضعيفاً مثل تلك القاضية جودي، ويدخل صُلب الموضوع تماماً مثلما كان بيل هودجز معتاداً أن يفعل... رغم أن القاضي جون لوه ليس بديلاً له، وهذا ليس فقط لأنه شخصية خرافية في برنامج تلفزيوني. لقد تُوفِّي بيل منذ سنوات عديدة، لكن هولي لا تزال تفتقده. كل شيء هي عليه، كل شيء تملكه، تَدين به لبيل. لا أحد مثله، رغم أن صديقها محقق الشرطة من أوكلاهوما رالف أندرسون أقرب شخص إلى ذلك.

"ماذا لدينا اليوم يا جورجي، يا أخي الذي لم تلده أمي؟". قهقه المتفرِّجون لهذا التعليق. "مدنية أم جنائية؟".

تعرف هولي أنه من غير المحتمل أن يتولى نفس القاضي نوعَي الدعاوى - وواحدة جديدة بعد ظهر كل يوم - لكنها لا تمانِع؛ فالدعاوى مثيرة للاهتمام دائماً.

"مدنية يا سيدي القاضي"، قال حاجب المحكمة جورجي. "المدّعية هي السيدة رودا دانيالز، والمدّعى عليه زوجها السابق ريتشارد دانيالز. الدعوى هي لنيل الوصاية على كلب العائلة المدعو *الشقي*".

"قضية كلب"، قال پيت. "مناسبة تماماً لقدراتنا".

اتكأ القاضي لوه على مطرقته الطويلة جداً. "وهل الشقي في المنزل يا عزيزي جورجي؟".

"إنه في إحدى غُرف الحجز حضرة القاضي".

"جيد جداً، جيد جداً، وهل الشقي يعضّ، مثلما قد يوحي إسمه؟".

"وفقاً لرجال الأمن، يبدو ذا طبيعة طيبة جداً يا حضرة القاضي لوه".

"ممتاز. دعنا نسمع ما لدى المدّعية لتقوله عن الشقي".

عندها دخلت الممثلة التي تلعب دور رودا دانيالز قاعة المحكمة. تعرف هولي أن المدّعية والمدّعى عليه سيكونان في الحياة الحقيقية جالسين في المحكمة من قبل، لكن هذا دراميّ أكثر. بينما راحت السيدة دانيالز تتمايل في الرِواق الوسطي مرتديةً فستاناً ضيقاً جداً

وحذاءً ذا كعبٍ عالٍ جداً، قال المُذيع، "سنعود إلى قاعة محكمة القاضي لوه بعد دقيقة".

ظهر إعلانٌ عن بوالص التأمين على الحياة، وقذفت هولي أول لوح سنيكرز صغير في فمها.

"لا أظن أنه يمكنني الحصول على أحد هذه الألواح، صح؟"، سأل پيت.

"ألا يُفترَض أنك تتبع حميةً؟".

"ينخفض مستوى السكر في دمي في مثل هذا الوقت من اليوم".

فتحت هولي جارور مكتبها على مضض، لكن قبل أن تتمكن من الوصول إلى كيس الحلوى، استُبدلت العجوزة التي كانت قلقة كيف ستتمكن من تسديد تكاليف جنازة زوجها بصورة تقول خبر *عاجل*، ثم ظهر لسْتر هولت، وعرَفت هولي فوراً أن المسألة جدّية، لأن لسْتر هولت هو أشهر مُذيع في المحطة التلفزيونية. *ليس 11 سبتمبر آخر*، هكذا تفكّر كلما حصل شيء مماثل. رجاءً، *ليس 11 سبتمبر آخر ولا حادثاً نووياً*.

قال لسْتر، "إننا نقطع برمجتنا الاعتيادية لننقل لكم خبر وقوع انفجار كبير في مدرسة متوسطة في پاينبورو، بنسلفانيا، وهي بلدة تبعُد حوالي ستين

كيلومتراً جنوبي شرقي پيتسبرغ. تشير المعلومات إلى وقوع عدد كبير من الضحايا، معظمهم أولاد".

"يا إلهي"، قالت هولي وغطّت فمها باليد التي كانت في الجارور.

"أريد التشديد على أن هذه المعلومات غير مؤكَّدة حتى الآن. أعتقد..."، سكت لسْتر ووضع إصبعه على أذنه وراح يُنصت. "نعم، حسناً. تشَث أونداوسكي، مندوبنا في پيتسبرغ، في موقع الحادث. هل تسمعني يا تشَث؟".

"نعم"، قال صوتٌ. "نعم، أسمعك يا لسْتر".

"ماذا يمكنك أن تُخبِرنا يا تشَث؟".

انتقلت الصورة من لسْتر هولت إلى رجل في منتصف العمر ذي وجهٍ اعتبرته هولي وجه مذيع أخبار محلي: ليس وسيماً كفاية ليكون المذيع الرئيسي، لكنه حسن المظهر، ما عدا أن ربطة عنقه عوجاء، ولم يُوضَع ماكياج لتغطية الشامة التي بجانب فمه، وشعره منفوش كما لو أنه لم يتسنَّ له الوقت ليمشِّطه.

"ما هذا الشيء الذي يقف بجانبه؟"، سأل پيت.

"لا أعرف"، قالت هولي. "اسكت".

"يبدو كأنه كوز صنوبر عملا -"

"اسكت!". لا تكترث هولي البتّة لكوز الصنوبر العملاق، أو لشامة تشَتْ أونداوسكي وشعره المنفوش، فكل انتباهها منصبّ على سيارتَي الإسعاف اللتين مرّتا خلفه وأضواؤهما تومض. الضحايا، فكَّرت في سرّها. عدد كبير من الضحايا، معظمهم أولاد.

"ما يمكنني أن أُخبرك إياه يا لسْتر هو أنه وقع على الأقل سبع عشرة ضحية مؤكَّدين هنا في متوسطة ألبرت ماكريدي، وعدد الجرحى أكبر بكثير. هذه المعلومة أتت من أحد معاوِني مأمور المقاطعة وقد طلب منا عدم ذكر إسمه. ربما كانت العبوة الناسفة موضوعةً في المكتب الرئيسي، أو في غرفة تخزين قريبة. إذا نظرنا إلى هناك..."

أشار بإصبعه، وتبعته الكاميرا بكل طاعة. بدت الصورة ضبابية في البدء، لكن عندما ثبَّت المصوِّر الكاميرا وقرَّب العدسة، استطاعت هولي رؤية فجوة كبيرة في حائط المبنى، وقد تبعثرت أحجار الطوب على المَرجة في شكل دائري. وبينما حاولت استيعاب ما تراه - مع ملايين الأشخاص غيرها على الأرجح - خرَج رجل يرتدي سترة صفراء من الفجوة حاملاً شيئاً على

ذراعيه. شيء صغير يرتدي حذاءً رياضياً. لا، فردةً واحدةً من حذاء رياضي. من الواضح أن الفردة الأخرى طارت من قدمه في الانفجار.

عادت الكاميرا إلى المراسل وقبضت عليه يقوِّم ربطة عنقه. "لا شك أن المأمور سيعقد مؤتمراً صحفياً في مرحلة ما، لكن إبلاغ العامة يقع الآن في أسفل سلّم همومه. وقد بدأ الأهالي يتجمَّعون من قبل... سيدتي؟ سيدتي، هل يمكنني أن أتكلَّم معك للحظةٍ؟ تشَتْ أونداوسكي، WPEN، القناة 11".

بدت المرأة التي ظهرت في الصورة بدينة جداً، وقد وصلت إلى المدرسة من دون معطف، وكان فستانها المنزلي المليء بالزهور منتفخاً حولها مثل قفطانٍ. وجهها شاحب جداً ما عدا من بُقع حمراء ساطعة على خدَّيها، وشعرها منفوش كفاية ليجعل شعر أونداوسكي المنفوش يبدو أنيقاً، وخدّاها المنتفخان يلمعان من الدموع.

لا يجب أن يعرضوا هذا، فكَّرت هولي في سرّها، ولا يجب أن أشاهد هذا. لكنهم يعرضوه وأنا أشاهده.

"سيدتي، هل عندك ولد يدرس في متوسطة ألبرت ماكريدي؟".

"إبني وإبنتي"، قالت وأمسكت ذراع أونداوسكي. "هل هما بخير؟ هل تعرف ذلك يا سيدي؟ آيرين ودايفد ڤيرنون. دايفد في الصف السابع، وآيرين في الصف التاسع. نناديي آيرين بإسم دينيه. هل تعرف إن كانا بخير؟".

"لا أعرف يا سيدة ڤيرنون"، قال أونداوسكي. "أعتقد أنكِ يجب أن تكلّمي أحد معاوِني المأمور، هناك حيث ينصبون أحصنة النشر تلك".

"شكراً يا سيدي، شكراً. صلِّ لأولادي!".

"سأفعل ذلك"، قال أونداوسكي وهي تبتعد مسرعةً. إنها امرأة ستكون محظوظةً جداً لو أنهت يومها دون أن تُصاب بنوبة قلبية... رغم أن هولي تعتقد أن قلبها هو أقل همومها الآن. فقلبها الآن مع دايفد وآيرين، المعروفة أيضاً بـ دينيه.

عاد أونداوسكي إلى الكاميرا. "الجميع في أميركا سيصلّون لولدَي عائلة ڤيرنون، ولكل الطلاب الذين حضروا إلى متوسطة ألبرت ماكريدي اليوم. وفقاً للمعلومات التي لديَّ الآن - إنها مبدئية ويمكنها أن تتغيَّر - فإن الانفجار وقع حوالي الثانية والرُبع، أي منذ ساعة، وكان قوياً كفاية ليحطِّم النوافذ على بُعد كيلومترين.

الزجاج... فْرَد، هل يمكنك أخذ لقطة لكوز الصنوبر هذا؟".

"كنتُ أكيداً أنه كوز صنوبر"، قال پيت. مال إلى الأمام وحملق بالتلفزيون.

قرَّب المصوِّر فْرَد الصورة، وعلى بتلات كوز الصنوبر، أو أوراقها، أو مهما تكن الكلمة التي تسمّى بها، استطاعت هولي رؤية شظايا زجاج محطَّم. ظهر دمٌ على إحداها في الواقع، رغم أنها أملت أن يكون مجرد انعكاس لأضواء إحدى سيارات الإسعاف.

لسْتر هولت: "هذا رهيب يا تشَث. هذا مريع".

تراجعت الكاميرا وعادت إلى أونداوسكي. "نعم، هذا مشهد رهيب. أريد أن أرى يا لسْتر إن..."

بدأت مروحية مطبوع على جانبها *مستشفى الرحمة* تحطّ في الشارع، وراح شعر تشَث أونداوسكي يتطاير بفعل رياح الدوّارات، فرفع صوته لكي يُسمَع.

"أريد أن أرى إن كنتُ أستطيع فعل أي شيء للمساعدة! هذا فظيع، هذه مأساة فظيعة! نعود إليكم في نيويورك!".

عادت الصورة إلى لِسْتر هولت وبدا منزعجاً. "انتبه لنفسك يا تشَتْ. أعزائي المشاهدين، سنعيدكم إلى برامجكم المعتادة، لكننا سنواصل إطلاعكم على أحدث مستجدّات هذه الحادثة على قناة NBC للأخبار العاجلة على -"

استخدمت هولي جهاز التحكُم عن بُعد وأطفأت التلفزيون. لقد فقدت أي رغبة لديها بمشاهدة برنامج العدالة الوهمية، لهذا اليوم على الأقل. بقيت تفكِّر بذلك الشكل المرتخي على ذراعَي الرجل ذي السترة الصفراء. فردة حذاء واحدة فقط، فكَّرت في سرّها. يلا تنام-يلا تنام-واهديلك طير الحمام. هل ستشاهد نشرة الأخبار هذه الليلة؟ تظن ذلك. لن تريد مشاهدتها، لكنها لن تقوى ألا تفعل ذلك. عليها أن تعرف عدد الضحايا، وعدد الأولاد بينهم.

فاجأها پيت بإمساكه يدها. لا تزال لا تحبّذ عادة أن تُلمَس، لكن ملمس يده على يدها الآن بدا جيداً.

"أريدكِ أن تتذكّري شيئاً"، قال.

استدارت نحوه وقد بدا جدّياً.

"أنتِ وبيل منعتما حصول شيء أسوأ من هذا بكثير"، قال. "كان بإمكان ذلك المعتوه اللعين برايدي هارتسفيلد

أن يقتل المئات في الحفلة الموسيقية التي حاوَل تفجيرها. وربما الآلاف".

"وجيروم"، قالت بصوتٍ منخفضٍ. "كان جيروم هناك أيضاً".

"أجل. أنتِ وبيل وجيروم. الفرسان الثلاثة. كان *بإمكانكم* إيقاف ذلك. وقد فعلتموه. لكن إيقاف هذا -"، أومأ بيت برأسه نحو التلفزيون. "هذه كانت مسؤولية شخص آخر".

3

إنها الساعة السابعة وهولي لا تزال في المكتب تستعرض فواتير لا تحتاج إلى انتباه منها حقاً. استطاعت أن تقاوم رغبة تشغيل تلفزيون المكتب ومشاهدة لسْتر هولت عند السادسة والنصف، لكنها لا تريد أن تعود إلى المنزل بعد. كانت تتطلّع ذلك الصباح إلى تناول وجبة خُضار شهية من مطعم السيد تشاو بينما تشاهد فيلم الإثارة الذي يغفل عنه الكثيرون *سم لطيف* إنتاج العام 1968 بطولة أنطوني بيركنز وتيوسداي وَلْد، لكنها لا تريد سماً هذه الليلة، سواء كان لطيفاً أم لا. فقد سمَّمها الخبر من بنسلفانيا، وقد لا تزال

غير قادرة على مقاومة مشاهدة CNN. هذا سيجعلها تتقلّب أرقةً ساعاتٍ على فراشها حتى الثانية أو الثالثة فجراً.

على غرار معظم الناس في القرن الحادي والعشرين المدمنين على وسائل الإعلام، أصبحت هولي معتادة على ممارسي العنف بحق بعضهم البعض (لا يزال أغلبهم من الرجال) بإسم الدين أو السياسة - أولئك الأشباح - لكن الذي حصل في تلك المتوسطة مماثل كثيراً لما كاد يحصل في مجمّع الغرب الأوسط للثقافة والفنون حيث حاوَل برايدي هارتسفيلد تفجير بضعة آلاف من الأولاد، ولما حصل في وسط المدينة حيث جرَف حَشداً من الباحثين عن وظيفة بسيارة مرسيدس، وقتل... لا تتذكّر كم. لا تريد أن تتذكّر.

وضعت الملفات جانباً - يجب أن تعود إلى منزلها عاجلاً أم آجلاً - ثم سمِعت صوت المصعد مرة أخرى. انتظرت لترى إن كان سيتجاوز الطابق الخامس، لكنه توقف. هذا جيروم على الأرجح، لكنها رغم ذلك فتحت الجارور الثاني في مكتبها ووضعت يدها على علبةٍ هناك تحتوي على زرين، أحدهما يُطلق بوقاً يصِمّ الآذان، والآخر يرشّ رذاذ فلفل.

إنه جيروم، فأفلتت زر *الحامي من الدخلاء* وأغلقت الجارور متعجِّبةً (ليس للمرة الأولى منذ أن عاد من هارفرد) كم أصبح طويلاً ووسيماً. تكره ذلك الوبر حول فمه الذي يسمّيه "سكسوكة"، لكنها لن تُخبِره ذلك أبداً. مشيته النشيطة عادة بطيئة قليلاً هذه الليلة. ألقى عليها تحية "مَرحَب يا هوليبيري" لا مبالية، وارتمى على الكرسي المخصَّص للعملاء في ساعات العمل.

ستحذّره عادة من مدى كرهها لهذا اللقب الطفولي - هذا هو أسلوب التخاطب بينهما - لكن ليس الليلة. هما صديقان، وبما أنها شخص لم يكن لديه أصدقاء كُثُر أبداً، فإنها تبذل قُصارى جهدها لتستحق الأصدقاء الذين حظيت بهم. "تبدو مُتعَباً جداً".

"قدتُ لمسافة طويلة. هل سمِعت الخبر عن المدرسة؟ كل محطات راديو القمر الاصطناعي تضجّ به".

"كنتُ أشاهد جون لوه عندما عرضوه، ومنذ ذلك الوقت وأنا أتجنَّبه. ما مدى سوء الحادثة؟".

"يقولون إن هناك سبعاً وعشرين ضحية حتى الآن، ثلاثة وعشرون منها أولادٌ بين الثانية عشرة والرابعة عشرة، لكن العدد سيرتفع. لا يزال هناك بضعة أولاد وأستاذَين مفقودين، وحوالي عشرة جرحى حالتهم

حرِجة. هذا أسوأ من پاركلاند. ألا يذكِّركِ هذا ببرايدي هارتسفيلد؟".

"بالطبع".

"وأنا أيضاً. تلك التي فجَّرها في وسط المدينة، وتلك التي كاد يفجِّرها لو كنا أبطأ ببضع دقائق فقط تلك الليلة في الحفلة الموسيقية. أحاول عدم التفكير بذلك، وأُخبِر نفسي أننا ربحنا تلك الجولة، لأنني أخاف جداً عندما أتذكَّرها".

تعرف هولي شعور الخوف الكبير هذا، فهو ينتابها في أغلب الأحيان.

حكَّ جيروم خدّه بيده ببطء، واستطاعت في الهدوء سماع صوت أظافره على الشُعَيرات الجديدة التي نبتت هذا اليوم. "درستُ مقرّراً تعليمياً عن الفلسفة في سنتي الثانية في هارفرد. هل أخبرتُك هذا من قبل؟".

هزَّت هولي رأسها.

"كان يدعى -"، شكَّل جيروم علامتَي اقتباس بأصابعه، "- 'مشكلة الشر'. تكلَّمنا فيه كثيراً عن مفاهيم تسمّى الشر الداخلي والشر الخارجي. نحن... هل أنت بخير يا هولي؟".

"نعم"، قالت، وكانت بخير... لكن عند ذكر الشر الخارجي، عادت بها الذاكرة فوراً إلى الوحش الذي تعقَّبته مع رالف إلى عرينه الأخير. لقد اعتمد الوحش عدة أسماء وعدة وجوه، لكنها لطالما اعتبرته دخيلاً فحسب، وكان الدخيل شراً مطلقاً. لم تُخبر جيروم أبداً بما حصل في الكهف المعروف بـ *فجوة ميريسقيل*، رغم افتراضها أنه يعرف أن شيئاً مريعاً جداً حصل هناك - مريعاً أكثر بكثير مما ذُكر في الصحف.

راح ينظر إليها بارتياب. "أكمِل"، قالت له. "أجد هذا مثيراً للاهتمام جداً". إنها الحقيقة.

"حسناً... أجمَعَ كل طلاب الحصة أن هناك شراً خارجياً إذا كان المرء يصدِّق وجود خير خارجي -"

"السماوات"، قالت هولي.

"نعم. يمكنكِ عندها تصديق وجود عفاريت حقاً، وجلسات طرد الأرواح الشريرة هي رد صالح لها، وتصديق وجود أرواح حاقدة شريرة حقاً -"

"الأشباح"، قالت هولي.

"صحيح. ناهيك عن اللعنات التي تنجح حقاً، والمشعوِذات، *والديبوك*، والله أعلم ماذا أيضاً. لكنهم

يسخرون من كل تلك الأمور في الكلّية. حتى إنهم يسخرون من السماوات نفسها في أغلب الأحيان".

"فهمتُ"، قالت هولي.

"إن كانت السماوات غير موجودة، فهذا يترك الشر الداخلي فحسب. الأمور الغبية. الرجال الذين يضربون أولادهم حتى الموت، القتلة التسلسليون أمثال اللعين برايدي هارتسفيلد، التطهير العرقي، الإبادة الجماعية، 11 سبتمبر، حوادث إطلاق النار الجماعي، الهجمات الإرهابية مثل حادثة اليوم".

"هل هذا ما يقولونه؟"، سألت هولي. "هجوم إرهابي؟".

"هذا ما يفترضونه، لكن لم يتبنَّ أي تنظيم إرهابي المسؤولية بعد".

وضع يده الأخرى الآن على خدّه الآخر، وحكّ بصوتٍ مسموعٍ، وهل هذه دموعٌ في عينَي جيروم؟ تعتقد أنها كذلك، وإن كان يبكي، فستبكي هي أيضاً، لأنها لن تكون قادرة على منع نفسها. الحزن مُعدٍ للأسف.

"لكن إليكِ قصة الشر الداخلي والشر الخارجي يا هولي - *لا أعتقد أن هناك أي فرق بينهما*. أليس كذلك؟".

فكّرت بكل شيء تعرفه، وكل شيء مرّت به مع هذا الشابّ، وبيل، ورالف أندرسون. "لا"، قالت. "لا أوافقك الرأي".

"أعتقد أنه طائر"، قال جيروم. "طائر كبير، ريشه أشعث وأشيب، ويطير في كل مكان. طار إلى ذهن برايدي هارتسفيلد. وطار إلى ذهن الشابّ الذي أطلق النار على كل أولئك الأشخاص في لاس فيغاس. وحصل إيريك هاريس وديلان كليبولد على الطائر. هتلر. پول پوت. يطير إلى أذهانهم، وبعدما يرتكبون الجريمة، يطير مبتعداً عنهم. أودّ القبض على ذلك الطائر". شدَّ يديه ونظر إليها، ونعم، كانت دموعاً. "أودّ القبض عليه وقصف عنقه اللعين".

استدارت هولي حول المكتب، وركعت بجانبه، وعانقته. كان عناقاً أخرق بجلوسه على الكرسي، لكنه وفى بالغرض. اِنهار السدّ. عندما تكلّم على خدّها، شعرت بخدش شُعَيرات ذقنه.

"الكلب ميت".

"ماذا؟". بالكاد استطاعت فهم ما قاله بين شهقاته.

"لاكي. الغولدن ريتريفر. عندما لم يتلقَّ الوغد الذي سرَقه الفدية، بَقَرَ بطنه ورماه في خندقٍ. لاحَظه أحدهم

- وهو في الرمق الأخير - وأخذه إلى مستشفى إيبرت للحيوانات في يونغستاون، حيث عاش لحوالي نصف ساعة. لم يقدروا أن يفعلوا له شيئاً. لم يكن محظوظاً كإسمه في النهاية، أليس كذلك؟".

"حسناً"، قالت هولي وربَّتت على ظهره ودموعها تسيل، وأمكنها الشعور بسيل مُخاطٍ من أنفها أيضاً. "لا بأس يا جيروم. كل شيء على ما يرام".

"لا. كل شيء ليس على ما يرام". تراجع إلى الخلف ونظر إليها، وخدّاه رطبان ولامعان، وسكسوكته رطبة. "بَقَرَ بطن ذلك الكلب اللطيف، ورماه في الخندق وأحشاؤه ناتئة منه، وهل تعرفين ماذا حصل عندها؟".

هولي تعرف لكنها هزّت رأسها.

"طار الطائر مبتعداً". مسح عينيه بكُمّه. "إنه في ذهن شخص آخر الآن، وهو أفضل حالاً من أي وقت مضى، وتستمر لعنته".

4

قُبيل الساعة العاشرة، أغلقت هولي الكتاب الذي كانت تحاول قراءته وشغَّلت التلفزيون. ألقت نظرة على المتحاورين على محطة CNN، لكنها لم تستطع تحمّل

ثرثرتهم. تريد أخباراً حقيقيةً، فبدّلت إلى محطة NBC حيث رأت خبراً ترافقه موسيقى حزينة يقول *تقرير خاص: مأساة في بنسلفانيا*، وأندريا ميتشل تذيع في نيويورك الآن. بدأت بإخبار المشاهدين أن الرئيس غرَّد "أفكاره وصلواته"، مثلما يفعل بعد كل حادثة من تلك الحوادث المرعبة: پالْس، لاس فيغاس، پاركلاند. تلك الثرثرة الفارغة تلاها تحديثٌ لأعداد الإصابات: إحدى وثلاثون ضحيةً، وثلاثة وسبعون جريحاً (يا إلهي، هذا العدد الكبير)، حالة تسعة منهم حرِجة. إذا كان جيروم محقّاً فهذا يعني أن ثلاثة من الحالات الحرِجة على الأقل ماتوا.

"تبنَّت منظمتان إرهابيتان مسؤوليتها عن التفجير"، قالت ميتشل، "لكن مصادر في وزارة الخارجية تقول إن هذين الإدعاءين غير موثوقين، وتميل نحو الاعتقاد أن التفجير من عمل ذئب منفرد وبشكل مشابه لذلك التفجير الضخم الذي نفّذه تيموثي ماكڤاي في مبنى ألفرد پ. مورا الفدرالي في مدينة أوكلاهوما عام 1995، والذي أودى بحياة مئة وثمانية وستين شخصاً".

العديد من أولئك الضحايا كانوا أولاداً أيضاً، فكَّرت هولي في سرّها. والذي يقتل أولاداً كرمى لعقيدةٍ أو أيديولوجيا، أو لأي عذر آخر - لا يمكن أن يكون الجحيم كافياً له. تذكَّرت طائر جيروم الرمادي الأشيب.

"الرجل الذي زرع القنبلة صوَّرته إحدى كاميرات المراقبة عندما ضغط الزر طلباً للدخول"، تابعت ميتشل. "سنعرض صورته طوال الثواني الثلاثين التالية. انظروا إليها جيداً، وإذا تعرَّفتم عليه، اتصلوا رجاءً بالرقم المعروض على الشاشة. هناك مكافأة قدرها مئتي ألف دولار للقبض عليه ثم إدانته".

ظهرت صورة ملوَّنة وواضحة تماماً. لم تكن صورة مثالية لأن الكاميرا موضوعة فوق الباب والرجل ينظر أمامه مباشرة، لكنها جيدة جداً. مالت هولي إلى الأمام مستنهضةً كل مهارات عملها المذهلة - بعضها فطري لديها، وبعضها اكتسبته خلال عملها مع بيل هودجز. الرجل إما قوقازي اسمرَّت بشرته (غير ممكن إطلاقاً في هذا الوقت من السنة لكنه ليس مستحيلاً)، أو لاتيني ذو بشرة فاتحة، أو شرق أوسطي، أو ربما يضع ماكياجاً. اختارت هولي خيارَي القوقازي والماكياج، وقدَّرت عمره في منتصف الأربعينات. كان يرتدي نظارات ذات إطار

ذهبي، وشاربه الأسود صغير ومشذَّب بشكل أنيق، وشعره أسود أيضاً وقصير. يمكنها أن ترى هذا لأنه لا يرتدي قبعةً كانت ستحجب القسم الأكبر من وجهه. سافل حقير، فكّرت هولي في سرّها. كان يعرف أن هناك كاميرات مراقبة ويعرف أنها ستلتقط صوراً له، ولم يكترث.

"ليس سافلاً حقيراً"، قالت وهي تحملق فيه وتحفظ كل ملامحه، ليس لأنها كُلِّفَت بالقضية، بل لأن هذه طبيعتها. "إنه *لعين*، هذا ما هو عليه".

عاودت أندريا ميتشل الظهور. "إذا كنتم تعرفونه، اتصلوا فوراً بالرقم المعروض على الشاشة. سنأخذكم الآن إلى متوسطة ماكريدي ومندوبنا هناك. هل لا تزال معي يا تشَث؟".

تشَث حاضرٌ وينتظر في الضوء الساطع للكاميرا. هناك مزيد من الأضواء الساطعة مسلَّطة على الجانب المتضرِّر في المتوسطة، وكل طوبة ساقطة تُلقي ظلاً حاداً. ظهرت مولِّدات تزأر، وظهر أشخاصٌ في أزياء رسمية يندفعون هنا وهناك، ويصرخون ويتكلَّمون في ميكروفونات. رأت هولي شارة مكتب التحقيقات الفدرالي على بعض السترات، وشارة مكتب الشراب

والتبغ والأسلحة النارية والمتفجرات على بعضها الآخر. كما رأت طاقماً في بذلات بيضاء مصنوعة من قماش اصطناعي، وشريط مسرح الجريمة الأصفر يهتزّ في الهواء. هناك إحساسٌ بفوضى مضبوطة. على الأقل تأمل هولي أنها مضبوطة. لا شكّ أن أحداً يتولى سدّة المسؤولية، ربما في المركبة الترفيهية التي يمكنها رؤيتها في الزاوية اليسرى البعيدة للصورة.

من المفترض أن يكون لسْتر هولت في منزله، يشاهد هذا مرتدياً بيجامته وخفّه، لكن تشَتْ أونداوسكي لا يزال يتكلَّم. السيد أونداوسكي هذا أشبه بأرنب بطاريات إنرجايزر، وبإمكان هولي فهم ذلك. فهذا هو أكبر حدث سيغطيه في حياته كلها على الأرجح، وقد بدأ تغطيته له من البداية تقريباً، وسيواصل ذلك بقدر ما يستحق. لا يزال يرتدي بذلته، وهذا أمر كان مقبولاً على الأرجح عندما وَصَل إلى موقع الجريمة، لكن الحرارة انخفضت الآن ويمكنها رؤية أنفاسه، ولا شكّ لديها أنه يرتعش من البرد.

بالله عليكم، ليعطه أحدٌ شيئاً مُدفئاً أكثر، فكَّرت هولي في سرّها. معطف أو حتى كنزة.

يجب رمي البذلة، فقد تلطَّخت بغبار الطوب وتمزَّقت في بقعتين، عند الكُمّ وعند الجيب. واليد التي تحمل الميكروفون تلطَّخت أيضاً بغبار الطوب، وبشيء آخر. دم؟ تعتقد هولي أنه دمٌ. والخط الذي على خدّه دمٌ أيضاً.

"تشَث؟"، نادت أندريا ميتشل بصوتٍ مصدومٍ. "هل تسمعني؟".

رفع يده التي لا تحمل الميكروفون إلى سمّاعة رأسه، ورأت هولي ضمادتين لاصقتين على إصبعين من أصابعه. "نعم، أسمعك"، قال واستدار نحو الكاميرا. "معكم تشَث أونداوسكي من موقع الانفجار في متوسطة ألبرت ماكريدي في باينبورو، بنسلفانيا، حيث هزَّ انفجارٌ عنيفٌ المدرسة المسالمة عادة بُعيد الساعة الثانية بعد ظهر اليوم -"

ظهرت أندريا ميتشل على نصف الشاشة بعد تقسيمها إلى قسمَين. "فهمنا من مصدر في جهاز الأمن القومي يا تشَث أن الانفجار وقع عند الثانية وتسع عشرة دقيقة بعد الظهر. لا أعرف كيف تستطيع السلطات تحديد ذلك الوقت بدقة، لكن يبدو أنهم قادرون على ذلك".

"نعم"، قال تشَث بصوتٍ مشتت الذهن قليلاً، وفكَّرت هولي كم أنه مُتعَبٌ بلا شك. وهل سيتمكن من أن يغفو هذه الليلة؟ لا تعتقد ذلك. "نعم، يبدو هذا صحيحاً. فمثلما ترين يا أندريا، بدأت أعمال البحث عن الضحايا تتوقف، لكن العمل الجنائي بدأ للتو. سيأتي مزيد من الموظفين إلى مسرح الجريمة عند الفجر، و-"

"عن إذنك يا تشَث، لكنك شاركتَ في أعمال البحث بنفسك، أليس كذلك؟".

"نعم يا أندريا، كلنا هنا شاركنا فيه. مع سكان البلدة، وبعضهم من أهالي الطلاب. وكذلك أليسون غْرير وتيم ويتشيك من قناة KDKA، ودونا فوربز من قناة WPCW، وبيل لارسون من -"

"نعم، لكنني سمِعتُ أنك سحَبتَ ولدَين من تحت الأنقاض بنفسك".

لم يتكبّد عناء التظاهر بالتواضع والخفر، وقد قدَّرته هولي على ذلك، بل حافظ على صوته الهادئ. "هذا صحيح يا أندريا. سمِعتُ أنين أحدهما ورأيتُ الآخر. فتاة وفتى. أعرف إسم الفتى، نورمان فريدريكس. والفتاة..."، سكتَ ورطَّب شفتيه، وارتعش الميكروفون

في يده. شَعَرت هولي أن ذلك ليس ناتجاً عن البرد فقط. "حالة الفتاة سيئة. كانت... تنادي أمها".

بدت أندريا ميتشل حزينةً. "هذا مريع يا تشَش".

هذا مريع حقاً بالنسبة لهولي، فأمسكت جهاز التحكُم عن بُعد لتُطفئ التلفزيون - فقد حصلت على أهم الحقائق، بل أكثر مما تحتاج إليه - ثم تردَّدت وراحت تنظر إلى الجيب الممزَّق. ربما تمزَّق بينما كان أونداوسكي يبحث عن الضحايا، لكن إن كان يهودياً، فربما فعل ذلك عمداً. هذا يسمّى *كيريا*، وهو تمزيق الملابس بعد حادثة موتٍ والتعرّض الرمزي لقلبٍ مجروحٍ. تعتقد أن هذه هي حقيقة الجيب الممزَّق. هذا ما تريد أن تصدِّقه.

5

الأرق الذي توقَّعَته لم يحصل، بل غفت هولي في غضون دقائق. ربما البكاء مع جيروم خفَّف بعض السم الذي حقنها به الخبر من بنسلفانيا. بينما بدأت تكبو، شَعَرت أن عليها أن تُخبر آليْ وينترز بذلك في جلستهما المقبلة.

استيقظت قُبيل فجر 9 ديسمبر وهي تفكِّر بالمراسل أونداوسكي. هناك شيء فيه - ماذا؟ كم بدا مُتعَباً؟ الخدوش وغبار الطوب على يديه؟ الجيب الممزَّق؟

لا شكّ أنها هذه الأمور، فكَّرت في سرّها. ربما كنتُ أحلم عنها.

تمتمت نوعاً من صلاة قصيرة في الظلمة، ثم قالت، "أنا مشتاقة لك يا بيل. إنني آخذ دوائي المضاد للاكتئاب ولا أدخِّن".

ثم غفت ولم تستيقظ إلى أن رنَّ المنبِّه عند السادسة صباحاً.

9- 13 ديسمبر 2020

1

استطاعت فايندرز كيبرز الانتقال إلى شقة مستأجرة جديدة باهظة الثمن في الطابق الخامس لمبنى فريدريك في وسط المدينة لأن الأعمال مزدهرة، وبقية ذلك الأسبوع مزدحم لهولي وپيت. لا تملك هولي الوقت لتشاهد جون لوه، ولديها وقت قصير فقط لتفكِّر بانفجار المدرسة في بنسلفانيا، رغم استمرار ورود تقارير إخبارية، ورغم أن الموضوع لم يخرج من بالها أبداً.

للوكالة علاقات عمل مع اثنتين من شركات المحاماة الكبرى المرموقة في المدينة والتي تعلِّق الكثير من الأسماء على أبوابها. "معطف، وشراب عنب، وجاسوس"، هكذا يحبّ پيت أن يمزح بشأنها. بصفته شرطياً متقاعداً، لا يحبّ المحامين كثيراً، لكنه سيكون ثاني شخص يقرّ (هولي هي الأولى) بأن مذكرات

الاستدعاء إلى المحكمة ووظيفة مُحضِر المحكمة تعودان بالنفع المادي الكبير. "احتفال شتاء سعيد لعين لأولئك الأشخاص"، قال بيت وهو يخرج صباح الخميس حاملاً حقيبة مليئة بالويلات والإزعاج.

بالإضافة إلى تعاملها بالمستندات، فايندرز مشهورة أيضاً لدى العديد من شركات التأمين - المحلية وليس تلك المتحالفة مع الكبار في السوق - وقد أمضت هولي معظم يوم الجمعة تحقِّق في قضية حريق متعمَّد. كان حريقاً كبيراً جداً، ويحتاج حامل البوليصة إلى المال حقاً، وقد كُلِّفَت بالتأكد من صحة إدعائه بأنه كان في ميامي وقت احتراق مستودعه. تبيَّن لها صدق كلامه، وهذا جيد له لكن ليس جيداً جداً لشركة التأمين *إخلاص البحيرة*.

بالإضافة إلى تلك الأشياء التي لا شك أنها ستسدِّد الفواتير الكبيرة، هناك مَدينٌ فارٌ يجب تعقّبه (فعلت هولي ذلك على حاسوبها ووجدته بسرعة عبر تفحّص إنفاقه باستخدام بطاقة إئتمانه)، ومتوارين عن الأنظار بعد دفعهم كفالاتهم يجب وضعهم على الرادار، وأولاد وكلاب مفقودين. يهتمّ بيت عادة بملاحقة الأولاد، وعندما يعمل جيروم، يكون عمله رائعاً مع الكلاب.

لم تتفاجأ أن موت لاكي أحزنه كثيراً، وليس فقط لأن هذه الجريمة وحشية إلى حد مذهِل، بل لأن عائلة روبنسون فقدت عزيزها أودَل بسبب قصور القلب الاحتقاني السنة الفائتة. لا يحتوي جدول أعمال ذلك الخميس والجمعة على أسماء أي كلاب، سواء مفقودين أو مخطوفين، وهذا جيد لأن هولي مشغولة جداً وجيروم في منزله يفعل ما يهواه. فالمشروع الذي بدأ كمقال مدرسي أصبح أولويةً له الآن، إن لم نقل وسواساً، وارتاب والداه من قرار إبنهما بأخذ ما يسمّيه "سنة استراحة"، على عكس هولي. فهي لا تعتقد أن جيروم سيصدم العالم، لكنها تعتقد أنه سيجعل العالم يستوي جالساً وينتبه له، ولديها كامل الثقة بقدراته أيضاً.

لا يمكنها متابعة تطوّرات انفجار المتوسطة إلا من طرف عينها، ولا بأس بهذا لأن القضية لم تشهد تطوّرات عديدة سوى وفاة ضحية أخرى - أستاذ وليس طالباً - وخروج عدد من الأولاد كانوا قد أُصيبوا إصابات طفيفة من مختلف مستشفيات المنطقة. كما استعادت السيدة ألثيا كيلر وعيها، وهي في الواقع الشخص الوحيد الذي تكلّم مع شاب التوصيل/المفجّر، لكن لم يكن لديها الكثير

لتضيفه إلى زعمه أن الطرد مُرسَل من مدرسةٍ في أسكتلندا، وأن تلك العلاقة عبر الأطلسي ذُكرَت في صحيفة پاينبورو الأسبوعية إلى جانب مجموعة صور لمجتمع *لا أحد يستفزّني بالحصانة* (ما يدعو للسخرية على الأرجح، لكنه لا يدعو للسخرية ربما، هو أن كل أفراد المجتمع الأحد عشر نجوا من الانفجار دون أي إصابة). وعُثر على الشاحنة في حظيرة قريبة، ووُجد أنها خالية من أي بصمات وأنه تم تنظيفها بمادة مبيّضة لإزالة أي آثار حمض نووي فيها. وتلقت الشرطة كمية كبيرة من الاتصالات من أشخاصٍ متلهّفين لتحديد هوية المُرتكِب، لكن كل تلك المكالمات لم تُثمر أي نتائج. كما زالت أي آمال بالقبض على الفاعل بسرعة، وحلت محلها مخاوف بأنه لن يكتفي بفعلته هذه بل ستكون مجرد بداية فحسب. أملَت هولي ألا تكون تلك التوقعات صحيحة، لكن خبرتها مع برايدي هارتسفيلد جعلتها تخشى الأسوأ. وأفضل سيناريو برأيها (ببرودةٍ لم تشعر بها أبداً من قبل) هو أن يكون قد قتل نفسه.

بعد ظهر يوم الجمعة، رنَّ الهاتف بينما كانت تُنهي تقريرها لشركة *إخلاص البحيرة*. إنها أمها، ولديها أخبار كانت هولي تخشاها. راحت تُنصت لها، وتقول الأشياء

الملائمة، وتركت أمها تعاملها كطفلةٍ لأن برأيها هولي لا تزال طفلةً (رغم أن هدف هذه المكالمة سيتطلّب أن تتصرّف هولي كراشدةٍ)، وتسأل إن كانت هولي تتذكّر أن تنظِّف أسنانها بعد كل وجبة طعام، وإن كانت تتذكّر تناول الدواء مع الطعام، وإن كانت لا تشاهد أكثر من أربعة أفلام في الأسبوع، الخ. حاولت هولي تجاهل الصُداع الذي تسبّبه لها مكالمات أمها تقريباً دائماً - بالأخص هذه المكالمة. وطمأنت أمها أنها نعم ستزورها يوم الأحد لتساعدها، ونعم ستكون هناك عند الظهر لكي يمكنهم تناول وجبة طعام عائلية أخرى.

عائلتي، فكّرت هولي في سرّها. عائلتي اللعينة.

لأن جيروم يُطفئ هاتفه بينما يعمل، اتصلت بتانيا روبنسون، والدة جيروم وباربرا، وأخبرتها أنها لن تتمكن من تناول عشاء الأحد معهم لأن عليها الذهاب إلى شمالي الولاية بسبب حالة طوارئ عائلية نوعاً ما، فردَّت تانيا، "آه يا هولي. يؤسفني جداً سماع هذا يا حبيبتي. هل ستكونين بخير؟".

"نعم"، قالت هولي. هذا ما تقوله دائماً عندما يسألها أحدهم هذا السؤال الملغوم الرهيب. إنها متأكدة تماماً أنها بدت بخير، لكن حالما أغلقت السمّاعة، وضعت يديها

على وجهها وبدأت تبكي. كلمة حبيبتي تلك هي السبب. أن يكون لديها أحدهم يناديها حبيبتي، وهي التي كانت معروفة في المدرسة الثانوية بلقب جيبا-جيبا.

أن يكون لديها هذا الأمر على الأقل لتلجأ إليه.

2

أمضت هولي ليلة السبت وهي تخطِّط لرحلتها في السيارة باستخدام تطبيق ويز على حاسوبها، مع أخذها بعين الاعتبار حاجتها إلى التوقف لتبوِّل وتملأ سيارتها البريوس بالوقود. لكي تصل إلى هناك عند الظهر، عليها أن تنطلق عند السابعة والنصف، وهذا سيعطيها وقتاً كافياً لتحتسي كوب شاي (منزوع الكافيين) وتأكل قطعة خبز محمَّص وبيضة مسلوقة. بعد هذا التخطيط الدقيق، بقيت مستيقظة لساعتين على سريرها مثلما حصل لها ليلة التفجير في مدرسة ماكريدي، وعندما غفت أخيراً، حلَمت بتشَث أونداوسكي يُخبِر عن المجزرة التي شهدها عندما انضم إلى أوائل الواصلين إلى المدرسة، ويروي أشياء لن يرويها أبداً على التلفزيون. قال إنه رأى دماً على أحجار الطوب وحذاءً لا تزال قدم صاحبه فيه. وقال إن الفتاة الصغيرة التي

كانت تنادي أمها بقيت تصرخ من الألم رغم محاولته أن يكون لطيفاً عندما احتضنها بذراعيه. روى تلك الأشياء بأفضل صوت محايد لديه، لكنه راح يمزِّق ملابسه وهو يتكلَّم. ليس فقط جيب بذلته وكُمّها، بل طيّتَي الصدر أيضاً. خلعَ ربطة عنقه ومزَّقها، ثم مزَّق قميصه مطيِّراً الأزرار في الهواء.

إما أن الحلم تلاشى قبل أن يتمكَّن من الذهاب إلى عمله مرتدياً سروال بذلته فقط، أو أن وعيها رفض أن يتذكَّره في الصباح التالي عندما رنَّ منبّه هاتفها. استيقظت مضطربةً على كل حال، وأكلت البيضة والخبز المحمَّص دون متعة ولمجرد التزوّد بالطاقة لليوم المرهق الذي ينتظرها. إنها تستمتع بالرحلات البرية عادة، لكن هذه الرحلة بالذات تُثقل كاهلها جداً.

حقيبتها الزرقاء الصغيرة - والتي تعتبرها حقيبة خردواتها - موضوعة قرب الباب وتتضمن ملابس نظيفة ومستحضرات عنايتها الشخصية، في حال اضطرت إلى تمضية الليلة هناك. ألقت الحزام على كتفها، واستقلّت المصعد نزولاً من شقتها الصغيرة المريحة، وفتحت باب المبنى، ورأت جيروم روبنسون جالساً على الدرج يشرب

كولا وبجانبه حقيبة ظهره الملصق عليها شعار *يحيا جيري غارسيا*.

"جيروم؟ ماذا تفعل هنا؟". ولأنها لم تكن قادرةً على منع نفسها من قول ذلك، أضافت: "وتشرب الكولا عند السابعة والنصف صباحاً، يا للهول!".

"أنا ذاهب معك"، قال والنظرة التي رمقها بها قالت إن المجادلة لن تنفعها بشيء. لا بأس، لأنها لا تريد أن تجادله.

"شكراً يا جيروم"، قالت هولي، وتمكَّنت من حبس دموعها رغم صعوبة ذلك عليها. "هذا جيد جداً من قِبلك".

3

قاد جيروم النصف الأول من الرحلة، وتبادلا مقعديهما بعد التوقف على الطريق الرئيسي لتعبئة الوقود والتبويل. وشعَرت هولي بالرهبة مما ينتظرها (*ينتظرنا*، صحَّحت لنفسها) تُطبق عليهما مع اقترابهما أكثر إلى كوفنغتون في ضواحي كليفلاند. ولكي تهدّئ روعها، سألت جيروم عن أحوال مشروعه. كتابه.

"بالطبع، إذا كنتَ لا تريد التكلّم عنه، أعرف أن بعض المؤلفين لا -"

لكن جيروم مستعد تماماً. فقد بدأ المقال كواجبٍ إلزامي لحصة تدعى *عِلم الاجتماع بالأسود والأبيض*. لذا قرّر جيروم أن يكتب عن جَدّ جَدّه الذي وُلد من عبدَين سابقَين عام 1878. أمضى ألتون روبنسون طفولته وأوائل سنوات بلوغه في ممفيس، حيث نشأت طبقة متوسطة مزدهِرة للسود في أواخر القرن التاسع عشر. وعندما أُصيب ذلك الاقتصاد الفرعي المتوازن بشكل جيد بالحمى الصفراء وعصابات البيض، غادَر معظم السود المكان بكل بساطة، تاركين البيض الذين عمِلوا لديهم يعدّون طعامهم بأنفسهم، ويرمون نفاياتهم بأنفسهم، ويمسحون البراز عن مؤخرات أطفالهم بأنفسهم.

استقرّ ألتون في شيكاغو حيث عمِل في مصنع لتعبئة اللحوم، وادّخر ماله، وفتح مقصفاً قبل سنتين من حظر الشراب. وبدلاً من أن يغلق مقصفه عندما "بدأت الشرطة تحطِّم البراميل بحثاً عن الشراب" (هذا ما كَتَبه ألتون إلى أخته - عثر جيروم على كمية كبيرة من الرسائل والمستندات)، غيَّر مكانه وفتح مقصفاً غير

مرخَّص في الجهة الجنوبية أصبح معروفاً بـ *البومة السوداء*.

كلما اكتشَف جيروم المزيد عن ألتون روبنسون - صفقاته مع ألفونس كابون، ونجاته من ثلاث محاولات اغتيال (لم تنجح الرابعة كثيراً)، ومشاركته في عمليات ابتزاز، وأدواره السياسية - كلما كبُر مشروعه، وكلما أصبح عمله للحصص الأخرى يبدو عديم الأهمية. سلَّم المقال الطويل ونال علامة عالية.

"وتلك كانت مزحة نوعاً ما"، أخبر هولي خلال الكيلومترات الثمانين الأخيرة في رحلتهما. "فذلك المقال كان مجرد رأس جبل الجليد، أو مثل أول بيت شعر في إحدى تلك الأغاني الشعبية الإنكليزية التي لا تنتهي. لكن وقتها كنتُ قد وصلتُ إلى منتصف الفصل الدراسي الثاني، وكان عليَّ تعويض التأخير في مقرّراتي التعليمية الأخرى. كان عليَّ جعل أمي وأبي فخورين بي".

"هذا تصرَّف ناضج جداً منك"، قالت المرأة التي تشعر أنها لم تنجح أبداً في جعل أمها وأبيها الراحل فخورين بها. "لكن لا شك أنه كان صعباً".

"كان صعباً جداً"، قال جيروم. "كنتُ أتوقّد حماسةً يا صغيرتي. أردتُ تجاهل كل شيء آخر ومطاردة جَدّ جَدّي ألتون الذي عاش حياة بذخ، كلها ماسات ودبابيس من اللآلئ لربطات العنق ومعطف من فرو المِنْك. لكن كان عليَّ ترك الأمور تنضج قليلاً أكثر، لأنني عندما عدتُ إليه - في يونيو الفائت - رأيتُ أنه يحتوي على فكرة رئيسية، أو كان يمكنه أن يحتوي على واحدةٍ، لو كنتُ قد قمتُ بعملي بشكل صحيح. هل قرأتِ رواية *العرّاب* يوماً؟".

"قرأتُها وشاهدتُ الفيلم"، قالت هولي بحزم. "كل الأفلام الثلاثة". شَعَرت أنها مضطرة أن تضيف قائلةً، "لم يكن الفيلم الأخير جيداً جداً".

"هل تتذكّرين العبارة المقتبسة في بداية الرواية؟".

هزّت رأسها.

"إنها من أقوال بَلزاك. 'وراء كل ثروة عظيمة جريمة'. هذه هي الفكرة الرئيسية التي رأيتُها، رغم أن الثروة أفلتت من قبضته قبل أن يُطلَق عليه النار في سيسرو بفترة طويلة".

"هذا يشبه رواية *العرّاب* حقاً"، قالت هولي متعجّبةً، لكن جيروم هزّ رأسه.

"لا، لأن السود لا يمكنهم أبداً أن يكونوا أميركيين بنفس الطريقة التي يقدر عليها الإيطاليون والإيرلنديون، فالبشرة السوداء تقاوم انصهار الثقافات. أريد أن أقول..."، وسكت قليلاً. "أريد أن أقول إن التمييز هو سبب الجرائم. أريد أن أقول إن مأساة ألتون روبنسون هي اعتقاده أنه يمكنه تحقيق بعض المساواة عبر الجريمة، وتبيَّن أن ذلك وهمٌ. لم يُقتَل في النهاية لأنه تواجَه مع پولي ريكا، الذي كان خَلَف كابون، بل لأنه كان أسود. لأنه كان *زنجياً*".

نطق جيروم هذه الكلمة الأخيرة بحدّة بما أنه معتاد على إغاظة بيل هودجز (وصَدْم هولي) بتقليده أحياناً لكنة المغنيين الشعبيين السود.

"هل لديك عنوان؟"، سألت هولي بهدوء وقد اقتربا من مخرَج كوفنغتون.

"أعتقد ذلك، لكنني لم أفكِّر فيه". بدا جيروم مُحرَجاً. "اسمعي يا هوليبيري، إذا أُخبِرتُك شيئاً، هل تعدينني أن تُبقيه سراً؟ عن پيت، وعن باربرا ووالديَّ؟ خاصة والديَّ".

"بالطبع. يمكنني أن أكتم سراً".

يعرف جيروم أن هذا صحيح، لكنه بقي متردِّداً للحظة قبل أن يتكلَّم. "أستاذي في مقرّر *عِلم الاجتماع بالأسود والبيض* ذاك أرسل مقالي إلى وكيلة نشر في نيويورك تدعى إليزابيث أوستن. أبدت اهتماماً كبيراً، لذا بعد يوم الشُكر أرسَلتُ لها المئة صفحة تقريباً التي كتبتُها منذ الصيف. تعتقد الآنسة أوستن أنها قابلة للنشر، وليس فقط في الصحافة الأكاديمية التي كانت أقصى طموحاتي. تعتقد أن إحدى كبريات دور النشر قد تكون مهتمةً. واقترَحت تسميته بإسم مقصف جَدّ جَدّي غير المرخَّص. *البومة السوداء: صعود وهبوط رجل عصابات أميركي*".

"هذا مدهش يا جيروم! أنا أكيدة أن ملايين الأشخاص سيهتمّون بكتابٍ له هكذا عنوان".

"تقصدين السود".

"لا! كل الأعراق! هل تعتقد أن البيض فقط يحبّون *العرّاب*؟". ثم لمعت فكرة في رأسها. "كيف سيكون موقف عائلتك تجاهه؟"، قالت هذا وهي تفكِّر بعائلتها التي ستُصاب بالذعر لكشف هكذا أسرار دفينة.

"حسناً"، قال جيروم، "قرأ والداي المقال وأحبّاه. لكن هذا يختلف عن كتابٍ، أليس كذلك؟ فالكتاب شيء قد

يقرأه أشخاص أكثر بكثير من مجرد أستاذ. لكن القصة تعود في النهاية إلى أربعة أجيال خلت..."

بدا جيروم منزعجاً، فقد لاحظته ينظر إليها بطرف عينها لأنها تنظر أمامها مباشرة بينما تقود دائماً، وتلك المشاهد في الأفلام التي ينظر فيها السائق إلى الراكب الذي بجانبه لعدة ثوانٍ متتاليةٍ بينما يتحدّثان تُفقدها صوابها حقاً. وتريد دائماً أن تصرخ بأعلى صوتها، *انظر إلى الطريق أيها المغفَّل! هل تريد أن تصدم ولداً بينما تناقش حياتك العاطفية؟*

"ما رأيك يا هولي؟".

فكّرت بهذا ملياً. "أعتقد أن عليك أن تدع والديك يريان نفس المقدار الذي رأته الوكيلة"، قالت أخيراً. "وأن تستمع إلى ما يقولانه، وتأخذ فكرة عن مشاعرهما وتحترمها. ثم... امضِ قدماً. دوّن كل شيء - السلبي والإيجابي". وصلا إلى مخرَج كوفنغتون، فشغّلت هولي الضوء الوامض. "لم أؤلّف كتاباً أبداً من قبل، لذا لا يمكنني الجزم، لكنني أعتقد أن المسألة تتطلّب بعض الشجاعة. لذا أعتقد أن هذا ما عليك فعله. أن تكون شجاعاً".

وهذا ما أحتاج إلى أن أكون عليه الآن، فكَّرت في سرّها. فالمنزل لا يبعُد سوى ثلاثة كيلومترات، والمنزل هو مكان الغَمّ.

4

يقع منزل عائلة غيبني في بقعة تشهد نمواً عمرانياً تدعى عقارات ميدوبروك. وبينما شقَّت هولي طريقها في شبكة الشوارع العنكبوتية (إلى منزل العنكبوت، فكَّرت في سرّها، وخجِلت فوراً من تفكيرها بأمها بهذه الطريقة)، قال جيروم، "لو كنتُ أعيش هنا وعدتُ إلى المنزل ثملاً ذات ليلة، سأقضي على الأرجح ساعة كاملة لكي أجد المنزل الصحيح".

إنه محقّ، فكل المنازل ذات طابقين أماميين وطابق خلفي ولا تتميَّز عن بعضها البعض إلا باللون... وهذا لن يكون مفيداً كثيراً في الليل، حتى بوجود أعمدة الإنارة. تظهر على الأرجح أحواض زهور مختلفة في الأشهر الدافئة، لكن الفناءات في عقارات ميدوبروك مُغطاة الآن بأوشحة ثلجية قديمة صلبة. بإمكان هولي إخبار جيروم أن أمها تحبّ التشابه فهو يُشعرها بالأمان (تعاني شارلوت غيبني من مشاكل خاصة بها)، لكنها لم تُخبره،

فهي تستعد لما تتوقع أنه سيكون غداءً عصيباً وفترة بعد ظهر عصيبة أكثر. يومٌ مؤثّرٌ، فكَّرت في سرّها. يا إلهي.

ركنت في الممر الخاص للمنزل الواقع عند العنوان 42 ساحة الزنابق، وأطفأت المحرِّك، واستدارت إلى جيروم. "يجب أن تكون مستعداً. قالت أمي إن حالته ساءت كثيراً في الأسابيع القليلة الماضية. هي تبالغ أحياناً، لكنني لا أعتقد أنها تبالغ هذه المرة".

"أفهم الحالة"، قال وضغط قليلاً على إحدى يديها. "سأكون بخير. فقط انتبهي لنفسك، اتفقنا؟".

قبل أن تتمكّن من الرد عليه، فُتح الباب ذو الرقم 42 وظهرت شارلوت غيبني وهي لا تزال ترتدي ملابسها الأنيقة المخصَّصة لدار العبادة. رفعت هولي يدها في إيماءة تحية متردِّدة لم تردّ عليها شارلوت.

"تفضلا"، قالت. "لقد تأخرتما".

تعرف هولي أنها تأخرت... خمس دقائق.

بينما اقتربا من الباب، رمقت شارلوت جيروم بنظرة قالت *ماذا يفعل هنا*.

"تعرفين جيروم"، قالت هولي. هذا صحيح، فقد التقيا ست مرات، وشارلوت ترمقه بنفس النظرة تلك دائماً. "أتى لمرافقتي ودعمي معنوياً".

قدَّم جيروم أروع ابتسامة لديه لشارلوت. "مرحبا يا سيدة غيبني. لقد دعوتُ نفسي. آمل ألا يكون لديك مانع".

ردَّت عليه شارلوت ببساطة، "ادخلا، البرد قارس هنا". كما لو أنها كانت فكرتهما وليست فكرتها أن تخرج لتلاقيهما عند المدخل.

المنزل ذو الرقم 42 الذي تعيش فيه شارلوت مع أخيها منذ وفاة زوجها دافئ أكثر مما ينبغي، ويعبق برائحة قوية لأوراق زهور مجفَّفة لدرجة أن هولي أملت ألا تبدأ بالسعال، أو حتى بالتقيؤ، وهذا سيكون أسوأ. هناك أربع طاولات جانبية في الرواق الصغير، مما ضيَّق الممر إلى غرفة الجلوس كفاية لجعل المرور خطيراً جداً بما أن كل طاولة مزدحمة بتماثيل خزفية صغيرة هي شغف شارلوت: أقزام، عفاريت، كائنات خرافية، مهرِّجين، أرانب، راقصات باليه، كلاب صغيرة، قطط صغيرة، رجال ثلج، جاك وجيل (كل واحد منهما يحمل

دلواً)، وقطعة من حقبة *المقاوِمة* هي أحد جنود مشاة پيلزبَري.

"الغداء على الطاولة"، قالت شارلوت. "مجرد عصير فاكهة بالشراب وقِطع دجاج باردة - لكن هناك قالب حلوى - و... و..."

اغرورقت عيناها بالدموع، وعندما رأت هولي ذلك، شعرت - رغم كل النتائج التي حقّقتها في فترة العلاج - بامتعاضٍ يرقى إلى درجة الكراهية. ربما هي كراهية. تذكَّرت كل الأوقات التي بكت فيها أمام أمها وقيل لها أن تذهب إلى غرفتها "إلى أن تُخرجي كل هذه منك". شعرت بحاجة ماسّة الآن لترمي تلك الكلمات بالذات في وجه أمها، لكنها عانقتها عناقاً مُربكاً بدلاً من ذلك، وأحسَّت بمدى قُرب العظام تحت ذلك اللحم النحيل والمترهِّل، وأدركت أن أمها عجوزة. كيف يمكنها أن تكره عجوزةً من الواضح أنها تحتاج إلى مساعدة منها؟ بدا الجواب سهلاً جداً.

بعد لحظة، دفعت شارلوت هولي بعيداً عنها وهي تبتسم ابتسامة خفيفة، كما لو أنها شمَّت رائحة كريهة. "اذهبي لتسلّمي على خالك وأخبريه أن الغداء جاهز. تعرفين مكانه".

هولي تعرف مكانه فعلاً. فمن غرفة الجلوس جاء صوت معلِّقين رياضيين متحمِّسين قبل بدء مباراة في كُرة القدم. مشت وجيروم خلف بعضهما البعض خوفاً من إزعاج أي عضو من أعضاء معرض الخزفيات.

"كم تملك من هذه الأشياء؟"، همسَ جيروم.

هزَّت هولي رأسها. "لا أعرف. لطالما أحبّتها، لكن الأمور خرجت عن السيطرة منذ وفاة أبي". ثم رفعت صوتها وجعلته مشرقاً بشكل مصطنع: "مرحبا يا خالي هنري! جاهز للغداء؟".

من الواضح أن الخال هنري لم يذهب إلى دار العبادة، فقد كان مسترخياً على كرسيه مرتدياً كنزة جامعة پوردو عليها بعض بيض فطوره، وسروال جينز من النوع الذي له خصر مطاطي. كان السروال منخفضاً عن خصره مما أظهر سروالاً داخلياً عليه رايات مثلّثة الشكل زرقاء صغيرة جداً. استدار عن التلفزيون لينظر إلى زوّاره. بدت نظراته فارغة كلياً للحظةٍ، ثم ابتسم. "جايني! ماذا تفعلين هنا؟".

اخترقتها كلماته مثل خنجر زجاجي، وتذكَّرت للحظةٍ تشَث أونداوسكي بيديه المخدوشتين وجيب معطفه الممزَّق. ولماذا لن يحصل لها ذلك؟ فجايني نسيبتها،

وهي شابة ذكية ومُفعَمة بالحيوية وتملك كل الصفات التي لا تستطيع هولي أن تملكها أبداً، وكانت حبيبة بيل هودجز لفترةٍ، قبل أن تموت في انفجار قنبلة أخرى زرعها برايدي هارتسفيلد مستهدفاً بيل نفسه.

"لستُ جايني يا خالي هنري"، أجابته بنفس ذلك الصوت المشرق الاصطناعي الذي تخصّصه عادة للحفلات. "أنا هولي".

مرَّت سلسلة أخرى من تلك النظرات الفارغة بينما راح ذهنه الصدئ يحاول أن يعمل بسرعته الطبيعية السابقة، ثم أومأ برأسه. "بالتأكيد. أظن أن عينيَّ السبب. من مشاهدة التلفزيون لفترة طويلة".

عيناه بالكاد هما النقطة المهمة، فكَّرت هولي في سرّها. جايني في قبرها منذ سنوات، وهذا هو بيت القصيد.

"تعالي إلى هنا يا فتاة وعانقيني".

عانقته أسرع عناق ممكن. عندما تراجعت إلى الخلف، رأته يحدِّق بجيروم. "مَن هذا...". ظنَّت للحظةٍ فظيعةٍ أنه سيُنهي سؤاله بقول *هذا الفتى الأسود* أو ربما حتى *هذا العبد*، لكنه لم يفعل ذلك. "هذا الشابّ؟ اعتقَدتُ أنك تواعدين ذلك الشرطي".

لم تتكبّد هذه المرة عناء أن تصحّح له مَن هي. "هذا جيروم. جيروم روبنسون. لقد التقيتَه من قبل".

"حقاً؟ لا شكّ أنني بدأتُ أُصاب بالخرف". لم يقل ذلك حتى على سبيل المزاح، بل فقط كنوعٍ من الكلام الذي يُكرِّره المرء كثيراً في أحاديثه، دون أن يدرك ذلك أبداً.

صافحه جيروم. "كيف حالك يا سيدي؟".

"ليست سيئة لرجلٍ عجوزٍ مثلي"، قال الخال هنري، وقبل أن يتمكَّن من قول المزيد، نادت شارلوت - زعَقَت عملياً - من المطبخ أن الغداء جاهز.

"صدَرَ الأمر"، قال هنري مبتسماً، وعندما نهض، سقط بنطلونه. لم يبدُ أنه لاحظ ذلك.

أومأ جيروم برأسه لهولي نحو المطبخ، وردَّت عليه بنظرة ارتياب، لكنها ذهبت.

"دعني أساعدك بهذا"، قال جيروم. لم يردّ عليه الخال هنري بل حدَّق بالتلفزيون فحسب ويداه متدلّيتان على جانبيه بينما رفع له جيروم بنطلونه. "انتهينا. جاهز لكي نأكل؟".

نظر الخال هنري إلى جيروم جافلاً كما لو أنه لاحظ وجوده للتو. وربما هذا صحيح. "لا أعرف عنك يا بُنيّ"،

قال.

"ما الذي لا تعرفه عني يا سيدي؟"، سأل جيروم وهو يُمسك كتف الخال هنري ويُديره نحو المطبخ.

"كان الشرطي كبيراً جداً في السنّ لجايني، لكنك تبدو يافعاً جداً"، قال وهو يهزّ رأسه. "لا أعرف فحسب".

5

نجحا في إنهاء الغداء وشارلوت توبِّخ الخال هنري أحياناً وأحياناً تساعده بطعامه، عِلماً أنها تركت الطاولة مرتين وعادت تمسح عينيها. بفضل التحليل والعلاج، أدركت هولي أن أمها مرتعبة من الحياة بنفس القدر تقريباً الذي كانت فيه هولي مرتعبةً من الحياة، وأن معظم تصرّفاتها المزعجة - حاجتها للانتقاد، وحاجتها للسيطرة على الوضع - نابعة من ذلك الخوف، وهذا وضعٌ لا يمكنها السيطرة عليه.

كما أنها تحبّه أيضاً، فكَّرت هولي في سرّها. إنه أخوها، وهي تحبّه، وبدأ يغادرنا الآن، وفي أكثر من طريقة.

عندما انتهى الغداء، نفت شارلوت الرجلين إلى غرفة الجلوس (قائلةً لهما "اذهبا وشاهدا المباراة") بينما

غسلت وهولي الأطباق القليلة. حالما أصبحتا لوحدهما، طلبت شارلوت من هولي أن تجعل صديقها يُبعد سيارتها لكي يمكنهم إخراج سيارة هنري من المرأب. "كل أغراضه في الصندوق موضَّبة وجاهزة للرحيل"، قالت بصوتٍ خافتٍ كما لو أنها ممثلة في فيلم جاسوسية رديء.

"يعتقد أنني جايني"، قالت هولي.

"بالطبع يعتقد ذلك، لأن جايني كانت المفضَّلة لديه دائماً"، قالت شارلوت، وشعرت هولي بخنجر زجاجي آخر ينغرز فيها.

6

ربما لم تُسَرّ شارلوت غيبني من رؤية الصديق الذي يرافق إبنتها هولي، لكنها أكثر من مستعدة أن تسمح لجيروم بأن يقود بويك الخال هنري القديمة الضخمة (سارت 200,000 كيلومتر حتى اللحظة) إلى مركز رعاية المسنّين في رولينغ هيلز [معناها تلال دائرية] حيث تنتظره غرفةٌ منذ الأول من ديسمبر. كانت شارلوت تأمل أن يتمكن أخوها من البقاء في المنزل حتى احتفال الشتاء، لكنه بدأ يبلِّل سريره، وهذا سيئ،

وبدأ يهيم في الحي، وفي خفّ غرفة نومه أحياناً، وهذا أسوأ.

عندما وصلوا، لم تر هولي أي تلة دائرية في الجوار، بل مجرد متجر بقالة وصالة بولينغ بالية في الجانب المقابل للشارع. كما رأت رجلاً وامرأةً يرتديان سترتين زرقاوين لمركز الرعاية يقودان صفاً من ستة أو ثمانية عجائز عائدين من صالة البولينغ، والرجل يرفع يديه لإيقاف حركة المرور إلى أن تجتاز المجموعة الشارع بأمان. كان السجناء (ليست الكلمة الصحيحة، لكنها الكلمة الوحيدة التي خطرت ببالها) يمسكون أيدي بعضهم البعض، مما جعلهم يشبهون أولاداً كبروا في العمر قبل أوانهم في رحلة ميدانية.

"هل هذه السينما؟"، سأل الخال هنري بينما انعطف جيروم بالبويك إلى مدخل مركز الرعاية. "ظننتُ أننا ذاهبون إلى السينما".

كان يجلس على مقعد الراكب الأمامي، رغم أنه حاوَل في المنزل الركوب خلف المِقوَد إلى أن أمسكته شارلوت وهولي وقادتاه إلى المقعد المجاور. لا قيادة بعد اليوم للخال هنري، خاصة أن شارلوت سرَقت رخصة قيادته من محفظته في يونيو خلال إحدى قيلولاته الطويلة

التي بدأ عددها يزداد، ثم جلست إلى طاولة المطبخ وراحت تبكي.

"أنا متأكدة أنهم يعرضون أفلاماً هنا"، قالت شارلوت وهي تبتسم وتعضّ شفتها.

استقبلتهم امرأة تدعى السيدة برادوك في الردهة، وقد عاملت هنري كأنه صديق قديم حيث أمسكت يديه الاثنتين وأخبرته عن مدى سرورها الكبير "لتواجدك معنا".

"معنا من أجل ماذا؟"، سأل هنري وهو ينظر حوله. "يجب أن أذهب إلى عملي قريباً. كل المعاملات والمستندات في فوضى عارمة. ذلك الرجل هَلمان عديم الجدوى تماماً".

"هل أحضرتِ أغراضه؟"، سألت السيدة برادوك شارلوت.

"نعم"، قالت شارلوت وهي لا تزال تبتسم وتعضّ شفتها. قد تبدأ بالبكاء قريباً، فهولي تعرف الدلالات.

"سأُحضِر حقائبه"، قال جيروم بهدوء، لكن الخال هنري سمِع ذلك بما أن أذنَيه لا تعانيان من أي خلل.

"أي حقائب؟ *أي حقائب؟*".

"لدينا غرفة لطيفة جداً لك يا سيد تِيبز"، قالت السيدة برادوك. "يدخلها الكثير من الشمس -"

"ينادونني *السيد* تِيبز!"، صاح الخال هنري مقلِّداً صوت سيدني پواتييه ببراعة جعلت الشابة الجالسة خلف المكتب وعجوزةً مارّةً تلتفتان جافلتين. راح الخال هنري يضحك واستدار إلى إبنة أخته وسألها، "كم مرة شاهدنا ذلك الفيلم يا هولي؟ ست مرات؟".

أصاب إسمها هذه المرة، وهذا زاد حزنها. "أكثر"، قالت هولي وعرَفت أنها قد تبكي قريباً هي أيضاً. فقد شاهدت الكثير من الأفلام مع خالها. صحيح أن جايني قد تكون المفضَّلة لديه، لكن هولي صديقته في الأفلام، فيجلسان معاً على الأريكة واضعَين وعاء فُشار بينهما.

"نعم"، قال الخال هنري. "بالفعل". لكن ذهنه تاه من جديد. "أين نحن؟ أين نحن حقاً؟".

المكان الذي ستموت فيه على الأرجح، إلا إذا أخذوك إلى المستشفى لتفعل ذلك، فكَّرت هولي في سرّها. رأت جيروم في الخارج يُخرِج حقيبتين قماشيتين وكيس بذلة. هل سيرتدي خالها بذلةً من جديد؟ على الأرجح... لكن مرةً واحدةً فقط.

"هيا نتفحَّص غرفتك"، قالت السيدة برادوك. "ستعجبك يا هنري!".

أمسكت ذراعه، لكن هنري قاومها ونظر إلى أخته. "ماذا يجري هنا يا تشارلي؟".

لا تبكي الآن، فكَّرت هولي في سرّها، احبسيها وإياكي أن تدعيها تخرج. لكن ها هو الشلال يتفجَّر، وبكامل طاقته.

"لماذا تبكين يا تشارلي؟"، ثم أضاف، "لا أريد أن أكون هنا!". لم يقل ذلك بصوته الجهوري، بل بصوتٍ أشبه بنحيب ولدٍ أدرك أنه سيتلقى حُقنةً. ثم استدار عن دموع شارلوت ليرى جيروم يدخل حاملاً أمتعته. "مهلاً! مهلاً! ماذا تفعل بهذه الحقائب؟ إنها حقائبي!".

"حسناً"، قال جيروم ولم يعرف كيف يُكمل جملته.

بدأ العجائز يدخلون عائدين من رحلتهم إلى صالة البولينغ، حيث لم يكن لدى هولي أي شكّ أن عدداً كبيراً من الكُرات دُحرجَت إلى المزراب الجانبي. والموظف الذي كان قد رفع يديه ليوقف حركة المرور انضم إلى ممرِّضةٍ عريضة المنكبَين وذات زندَين مفتولين بدا أنها ظَهَرت من العدم فجأة.

أطبَقَ ذلك الشخصان على هنري وأمسكا ذراعيه بلطف. "هيا بنا"، قال شابّ صالة البولينغ. "لنُلقي نظرة على الغرفة الجديدة يا صاح، ونرى رأيك".

"رأيي بماذا؟"، سأل هنري، لكنه بدأ يسير.

"ألا تعلم؟"، قالت الممرِّضة. "المباراة تُعرض في الغرفة المشتركة، ولدينا أكبر تلفزيون رأيتَه في حياتك. ستشعر كما لو أنك تجلس عند خط الخمسين ياردة. ستُلقي نظرة سريعة على غرفتك، ثم يمكنك مشاهدتها".

"والكثير من الكعكات الطازجة أيضاً"، قالت السيدة برادوك.

"هل البراونز يلعبون؟"، سأل هنري وقد اقتربوا من باب مزدوج سيختفي خلفه قريباً. وحيث ستبدأ بقية حياته الباهتة، فكَّرت هولي في سرّها.

ضحكت الممرِّضة. "لا، ليس فريق البراونز، فقد خرجوا من التصفيات. بل فريق الرايفنز [معناه غربان سوداء]. انقروهم واقضوا عليهم!".

"جيد"، قال هنري، ثم أضاف شيئاً ما كان ليقوله أبداً قبل أن يبدأ الصدأ يصيب الوصلات العصبية في ذهنه. "فريق البراونز مجموعة مختّثين".

ثم اختفى عن الأنظار.

مدَّت السيدة برادوك يدها إلى جيب ثوبها وأعطت شارلوت محرمةً. "من الطبيعي جداً أن يضطربوا في يومهم الأول، لكنهم يهدأون لاحقاً. لديَّ بعض المستندات الإضافية لك إذا كنتِ تشعرين أنك قادرة عليها يا سيدة غيبني".

أومأت شارلوت برأسها، وبدت عيناها حمراوين فوق المحرمة المُبتَلة. أليست هذه هي المرأة التي كانت توبِّخني لبكائي أمام الناس؟ تساءلت هولي في سرّها متعجّبةً. المرأة التي لطالما أخبَرتني أن أتوقف عن محاولة أن أكون محور اهتمام الآخرين؟ لقد حان وقت دفع الثمن، لكنني لم أكن أريد أن أشهد حصوله.

ظهر ممرِّض آخر (شعرت هولي أن الغابة تعجّ بهم) وبدأ يحمِّل حقيبتَي الخال هنري القماشيتين وكيس بذلته على عربة، كما لو أن هذا المكان مجرد فندق هوليداي إن آخر. راحت هولي تحدِّق بهذا وحبست دموعها عندما احتضنها جيروم بذراعيه وقادها بلطف إلى الخارج.

جلسا على مقعد في البرد. "أريد سيجارةً"، قالت هولي. "هذه أول واحدة أشتهيها منذ مدة طويلة".

"تظاهري أنك تدخّنين"، قال وزفرَ نفساً قارساً.

أخذت نفساً عميقاً وزفرت سحابة بخار هي أيضاً.

7

لم يبيتا ليلتهما عند شارلوت رغم تأكيدها أنه يتوفّر الكثير من الغرف لهما. لا تحبّذ هولي فكرة أن أمها ستُمضي هذه الليلة الأولى لوحدها، لكن لا يمكنها أن تتحمَّل البقاء هنا ولو أنه ليس المنزل الذي ترعرعت فيه هولي، لكن المرأة التي تعيش فيه هي المرأة التي ترعرعت معها. لقد أصبحت هولي مختلفة جداً عن الفتاة الشاحبة التي تدخِّن بشراهة وتكتب الشِعر (شِعراً سيئاً) التي ترعرعت في كنف شارلوت غيبني، لكن من الصعب تذكّر هذا في حضورها، لأن أمها لا تزال تعتبرها الطفلة المشوَّهة التي تسير محدّبةً كتفَيها ومركِّزةً عينيها على الأرض.

جاء دور هولي لكي تقود الجزء الأول من الرحلة هذه المرة، وسيقود جيروم باقي المسافة. لم يريا أضواء المدينة إلا بعد مرور وقت طويل على حلول الظلام، وقد بقيت هولي تكبو وتستيقظ وهي تتذكَّر بشكل متقطِّع كيف اختلط الأمر على خالها هنري وظنّ أنها

جايني التي تُوفِّيت في انفجار في سيارة بيل هودجز. هذا أعاد ذهنها الهائم إلى انفجار متوسطة ماكريدي وإلى المراسل ذي الجيب الممزَّق واليدين المليئتين بغبار الطوب، وتذكَّرت شعورها بوجود شيء مختلف فيه تلك الليلة.

بقي يراودها هذا الشعور وهي تكبو مرة أخرى. فبين إعلان أول خبر عن الانفجار بعد ظهر ذلك اليوم وبين تقديم التقرير الخاص تلك الليلة، ساعَد أونداوسكي في أعمال البحث تحت الأنقاض، وبالتالي انتقل من إعداد تقارير إخبارية عن الحادثة إلى أن يصبح جزءاً منها. وهذا سيغيِّر أي شخـ -

فتحت عينيها فجأة وجلست منتصبةً، مما أجفل جيروم. "ماذا حصل؟ هل أنت بخـ -"

"الشامة!".

لم يفهم عما تتكلّم ولم تهتمّ هولي لإفهامه. ربما لا تعني أي شيء على الأرجح، لكنها تعرف أن بيل هودجز كان ليهنئها على دقة ملاحظتها وذاكرتها القوية، وهذا شيء بدأ خالها هنري يفقده الآن.

"تشَتْ أونداوسكي"، قالت. "مراسل الأخبار الذي كان أول الواصلين إلى المدرسة بعد الانفجار. كانت هناك

شامة بجانب فمه بعد الظهر، لكنها اختفت عندما بُثَّ التقرير الخاص عند العاشرة تلك الليلة".

"الحمد لله على مساحيق ماكس فاكتور، أليس كذلك؟"، قال جيروم وهو يقود إلى خارج الطريق السريع.

إنه محقّ بالطبع، فقد خطر ببالها هذا الأمر بالذات عندما أُذيع خبر الانفجار بُعيد وقوعه: ربطة العنق عوجاء، ولم يتسنَّ له الوقت ليغطي الشامة بالماكياج، لكن طاقم فريق أونداوسكي اهتمّوا بكل تلك المسائل عندما وصلوا لاحقاً. ومع ذلك فإن الأمر غريبٌ قليلاً، لأن هولي متأكدة أن موظف الماكياج سيترك الخدوش ظاهرةً - فهي منظر جيد على التلفزيون وتجعل المراسل يبدو بطلاً - لكن ألن ينظِّف موظف الماكياج بعض غبار الطوب حول فم أونداوسكي أثناء تغطيته الشامة؟

"هولي؟"، سأل جيروم. "هل تبالغين في أفكارك مرة أخرى؟".

"نعم"، قالت. "كثيرٌ من الإجهاد وقليلٌ من الراحة".

"انسي الأمر".

"نعم"، قالت. هذه نصيحة جيدة وتنوي الأخذ بها.

14 ديسمبر 2020

1

توقعت هولي ليلةً أخرى من التقلُّب على الفراش أرقاً، لكنها نامت نوماً عميقاً إلى أن أيقظها منبّه هاتفها بلطف (أغنية "سيول نهر أورينوكو") وشعرت أنها استعادت كامل نشاطها وحيويتها من جديد. ركعت على رُكبتَيها وأدَّت جلسة تأمُّلاتها الصباحية القصيرة، ثم تناولت فطورها البسيط الذي تألف من وعاء من دقيق الشوفان، وبعض اللبن الزبادي، وكوب شاي كبير.

راحت تقرأ الصحيفة المحلية على جهازها الآيباد وهي تستمتع بوجبتها الصغيرة، ووجدت أن خبر الانفجار في مدرسة ماكريدي أُبعِد عن الصفحة الأولى (التي طغت عليها كالعادة حيل الرئيس البلهاء) إلى صفحة الأخبار المحلية، لأنه لم تطرأ أي تطوّرات جديدة في القضية. قرأت أن المزيد من الجرحى خرجوا من المستشفى، لكن لا تزال حالة ولدَين حرِجة، وذُكر أن أحدهما لاعب كُرة

سلة موهوب. كما قرأت أن الشرطة تدّعي أنها تلاحق عدداً من الخيوط، لكن هولي تشكّ بذلك. لم تجد شيئاً عن تشَتْ أونداوسكي، فهو أول شخص خطر ببالها - ليس أمها، وليس خالها - عندما أيقظها صوت الفنانة إنيا هذا الصباح. هل كانت تحلم بأونداوسكي؟ لا يمكنها أن تتذكَّر.

خرجت من موقع الصحيفة، وشغَّلت سافاري، وكتبت إسم أونداوسكي. أول شيء اكتشفته هو أن إسمه الأول الحقيقي هو تشارلز وليس تشستر، وأنه يعمل منذ سنتين في محطة تابعة لـ NBC في بيتسبرغ وشعاره: مكافحة الجريمة وحماية المجتمع والمستهلِكين.

عثرت هولي على عدد كبير من الفيديوهات، وضغطت على أحدثها وكان عنوانه "WPEN ترحّب بعودة تشَتْ وفْرَد". أظهرَ الفيديو أونداوسكي يدخل غرفة التحرير (مرتدياً بذلة جديدة) وخلفه شابّ يرتدي قميصاً ذا مربعات وبنطلوناً كاكي اللون على جانبيه جيوب كبيرة، واستقبلتهما موجة تصفيق من موظفي المحطة الذين كانوا يظهرون على الهواء مباشرةً وطاقم الستديو معاً. بدا لها أن عددهم يناهز الأربعين أو الخمسين. ابتسم الشابّ - فْرَد - وبدا أونداوسكي متفاجئاً، ثم ارتسمت

على وجهه إمارات استمتاع خفيف، وحتى راح يصفِّق لهم بدوره. اقتربت منه امرأةٌ أنيقةٌ جداً هي مُذيعة أخبار على الأرجح، وقالت، "أنت بطلنا يا تشَتْ"، وقبَّلته على خدّه. "وأنت أيضاً يا فريدي"، لكنها لم تقبِّل الشابّ، بل اكتفت بتربيتة سريعة على كتفه.

"سأُنقِذك في أي وقت يا پيغي"، قال أونداوسكي مثيراً موجةً من الضحك ومزيداً من التصفيق، ثم انتهى الفيديو.

شاهدت هولي بعض الفيديوهات الأخرى التي اختارتها عشوائياً. أظهرَ أحدها تشَتْ واقفاً خارج مبنى سكني يحترق، وأظهرَه آخر في موقع زحمة سير خانقة على جسرٍ، وأظهرَه ثالثٌ يقدِّم تقريراً خلال حفل افتتاح فرع جديد لجمعية YMCA وسُمِعت في الخلفية إحدى أغاني فرقة فيلدج بيبول، وأظهرَه رابعٌ يقرع بشكل متكرر على باب ما يسمى "عيادة الألم" في سِيْويكلي، ولم يحصل على ردّ لآلامه سوى صوت مكتوم يقول "لا أسئلة، ارحل عنا!".

يا له من رجل كثير الحركة، فكَّرت هولي في سرّها. كما لاحظت وهي تشطف الأطباق القليلة في المغسلة أن شامة تشارلز "تشَتْ" أونداوسكي لم تظهر في كل تلك

اللقطات لأن الماكياج يغطيها دائماً. لم تظهر إلا تلك المرة الوحيدة عندما اضطر إلى الظهور على الهواء على عجل. لكن لماذا تُقلقين نفسك بها على أي حال؟ فهذا يشبه الحالة التي تعلق فيها أغنيةٌ مزعجةٌ في ذهن الشخص ولا تبارحه بسهولة.

بسبب استيقاظها باكراً، سيتسنّى لها الوقت لتشاهد حلقةً من مسلسل *المكان الجيد* قبل أن تغادر إلى عملها. لذا دخلت غرفة التلفزيون، وأمسكت جهاز التحكم عن بُعد، لكنها لم تضغط زر تشغيل التلفزيون بل بقيت تحدِّق بالشاشة الفارغة لبعض الوقت، ثم وضعت جهاز التحكم عن بُعد من يدها وعادت إلى المطبخ. فتحت جهازها الآيباد وبحثت عن الفيديو الذي يُظهِر تشَث أونداوسكي يقدِّم تقريره الاستقصائي عن عيادة الألم في سِيْويكلي.

بعد أن أجابه الرجل الذي في الداخل بأن ينصرف عنه، اقتربت الصورة من أونداوسكي قليلاً وأظهرته يحمل ميكروفوناً (شعار WPEN بارز عليه) قريباً من فمه ويبتسم ابتسامة خفيفة. "مثلما سمِعتم فقد رفض ستيفان مولر الذي يلقِّب نفسه 'طبيب الألم' أن يرد على أسئلتنا وطرَدنا. سنرحل لكننا سنواصل العودة إليه

وطرح الأسئلة إلى أن يُجيب عليها. كان معكم تشَتْ أونداوسكي في سِيْويكلي. نعود إليك يا دايفد".

أعادت هولي مشاهدة الفيديو مرة أخرى، وجمَّدت الصورة عند اللحظة التي يقول فيها أونداوسكي *سنواصل العودة*، فقد انخفض الميكروفون قليلاً في تلك اللحظة، مما مكَّنها من إلقاء نظرة جيدة على فمه. بقيت تباعد أصابعها عن بعضها لكي تكبِّر الصورة إلى أن ملأ فمه الشاشة، وتأكدت من عدم وجود شامة هناك. فهي كانت سترى ولو طيفها حتى وإن غُطيَّت بالماكياج.

لم تعد تفكِّر بحلقة مسلسل *المكان الجيد* أبداً.

التقرير الأولي لأونداوسكي من مكان الانفجار غير موجود على موقع WPEN على الانترنت بل على موقع NBC نيوز. فذهبت إليه وبقيت تباعد أصابعها مرة أخرى لتكبِّر الصورة إلى أن ملأ فم تشَتْ أونداوسكي الشاشة، وكانت المفاجأة. هذه ليست شامة أبداً. هل هذا وسخٌ؟ لا تعتقد ذلك، بل تعتقد أنه شعرٌ. ربما بقعة نسي أن يحلقها.

أو ربما هو شيء آخر.

ربما بقايا شارب مزيَّف.

لم تعد تفكِّر أيضاً بالذهاب إلى المكتب باكراً لكي تتفحَّص آلة الردّ على المكالمات الهاتفية وتُنجز بعض الأعمال المكتبية بهدوء قبل وصول پيت. لذا نهضت ودارت مرتين في أرجاء المطبخ، وقلبها يخفق بقوة في صدرها. لا يُعقل أن يكون ما تفكِّر به صحيحاً بل غباءً تاماً، لكن ماذا لو كان صحيحاً؟

بحثت عن *انفجار متوسطة ماكريدي* في غُوغل ووجدت صورة شاب التوصيل/المفجِّر، واستخدمت أصابعها لتكبِّرها وتركِّز على شاربه. تذكَّرت تلك الحالات التي تقرأ عنها من وقت لآخر والتي يتبيَّن فيها أن مُشعِل حرائق تسلسلي هو رجل إطفاء في الواقع، إما يعمل في مركز الإطفاء أو عضو في فريق المتطوِّعين هناك. وقد نُشر كتاب جرائم حقيقية عن هذا الموضوع عنوانه *عاشق الحرائق* تأليف جوزيف وامبو، وقد قرأته عندما كانت طالبة في الثانوية.

هذا شنيع جداً، ولا يُعقل أن يكون صحيحاً.

لكن هولي وجدت نفسها تتساءل للمرة الأولى كيف وَصَل تشَث أونداوسكي إلى موقع الانفجار بتلك السرعة وقبل كل المراسِلين الآخرين بـ... حسناً، لا تعرف الفترة الزمنية، لكنها تعرف أنه كان أول الواصلين إلى هناك.

لكن مهلاً، هل تعرف ذلك حقاً؟ صحيح أنها لم تر أي مراسِل آخر يقدِّم تقريراً مباشراً خلال تلك التغطية الأولى، لكن هل يمكنها أن تكون متيقّنة من ذلك؟

راحت تفتّش في حقيبتها ووجدت هاتفها. منذ القضية التي تعاونت فيها مع رالف أندرسون - القضية التي انتهت بتبادل إطلاق نار في فجوة ميريسقيل - أصبحت تتحدَّث كثيراً مع رالف، وفي الصباح الباكر عادة. يتصل بها أحياناً؛ وأحياناً أخرى هي التي تتصل به. حامَ إصبعها فوق رقمه لكنه لم يحطّ عليه، فقد سافر رالف في إجازة غير متوقعة (ومستحَقة بحق) مع زوجته وإبنه، وحتى لو لم يعد نائماً عند السابعة صباحاً، إلا أن وقته هذا مخصَّصٌ لعائلته. هل تريد أن تزعجه بهذا الأمر التافه؟

ربما يمكنها أن تستخدم الحاسوب وتحل المسألة بنفسها، وتطمئن بالها. فقد تعلَّمت من الأفضل في هذا المجال.

شغَّلت هولي حاسوبها، وفتحت صورة شاب التوصيل/المفجِّر، وطبعتها. ثم اختارت عدة صور لوجه تشَتْ أونداوسكي - هناك صور كثيرة له بما أنه مراسل إخباري - وطبعتها أيضاً. أخذتها كلها إلى المطبخ حيث

ضوء الصباح أقوى، ورتَّبتها في مربعٍ واضعةً صورة المفجِّر في الوسط وصور أونداوسكي حولها، وبقيت تدرسها بعناية لدقيقةٍ كاملةٍ. ثم أغمضت عينيها، وعدَّت إلى ثلاثين، ودرستها مرة أخرى. تنهَّدت تعبيراً عن خيبة أملها وسخطها، لكن تعبيراً عن ارتياحها في الأغلب.

تذكَّرت حديثاً أجرته مع بيل قبل شهر أو شهرين من قضاء سرطان البنكرياس على شريكها الشرطي السابق، وقد سألته فيه إن كان يقرأ روايات بوليسية، وأجابها أنه يقرأ فقط روايات *هاري بوش* تأليف مايكل كونيلي وروايات *الدائرة السابعة والثمانين* تأليف إد ماكباين. قال إن تلك الكتب ترتكز على عمل شرطيين فعليين، أما معظم البقية فمجرد "هُراء أغاثا كريستي".

أخبَرها شيئاً عن روايات *الدائرة السابعة والثمانين* لا تزال تتذكَّره حتى الآن: "قال ماكباين إن هناك نوعين فقط من الوجوه البشرية، وجه بومة ووجه ثعلب. ويمكنني أن أضيف أنك ترين أحياناً رجلاً أو امرأةً لديه وجه حصان، لكن هذا نادرٌ. أما أغلب البشر فلديهم إما وجه بومة أو وجه ثعلب".

وجدت هولي ركيزةً مفيدةً في هذا الكلام بينما درست صور الوجوه التي على طاولة مطبخها، فمظهر

الرَجلين مقبولٌ (كانت أمها لتقول على الأرجح إنهما لن يحطّما القلوب)، لكن بطريقتين مختلفتين. وقرَّرت أنها ستسمّي شاب التوصيل/المفجِّر جورج لمجرد تبسيط الأمور، ولأن له وجه ثعلب: ضيقٌ نوعاً ما، والشفتان رفيعتان، والذقن صغير ومشدود. ضِيق الوجه تعزّزه الطريقة التي يبدأ بها شعر جورج الأسود عالياً عند الصدغَين، ثم يصبح قصيراً وممشَّطاً بشكل مشدود فوق الرأس. أما لأونداوسكي وجه بومة، ليس لأنه بشع بأي طريقة من الطرق، بل لأنه مستدير وليس ضيقاً. شعره بنّي فاتح، وأنفه عريض، وشفتاه مكتنزتان، وعيناه مستديرتان، وإن كان يرتدي عدسات تصحيحية، فهو يضع عدسات لاصقة وليس نظّارات. أما عينا جورج (ما يمكنها أن تراه منهما خلف نظّاراته) فتبدوان مائلتين عند طرفَيهما. لون البشرة مختلف أيضاً، فأونداوسكي أبيض نموذجي، وتعود جذور أسلافه على الأرجح إلى بولندا أو المجر أو مكان مماثل، أما بشرة المفجِّر جورج فزيتونية قليلاً. وأكثر شيء مميَّز هو الغمّازة في وسط ذقن أونداوسكي، مثل ذقن كيرك دوغلاس.

ليسا بنفس الطول على الأرجح، فكَّرت هولي في سرّها، رغم أنه من المستحيل الجزم في ذلك.

رغم كل ما سبق، أمسكت هولي قلماً خطّاطاً من الكوب الذي على منضدة المطبخ وخربشت شارباً على إحدى صور وجه أونداوسكي، ثم وضعت تلك الصورة بجانب صورة جورج التي التقطتها كاميرا المراقبة. لم ينفعها هذا بأي شيء، فهذان الشخصان لا يُعقَل أن يكونا الرجل نفسه.

ومع ذلك... وطالما أنها هنا...

عادت إلى حاسوبها (وهي لا تزال ترتدي بيجامتها) وبدأت البحث عن تغطية مُبكرة أخرى ربما تكون محطة أخرى قد عرضتها - ABC أو فوكس أو CBS - واستطاعت رؤية شاحنة محطة WPEN في خلفية اثنتين منها. كما رأت مصوِّر أونداوسكي في فيديو ثالث يلفّ سلكاً كهربائياً استعداداً للانتقال إلى مكان جديد. فرغم أنه كان يحني رأسه إلى أسفل، إلا أن هولي تعرَّفت عليه بفعل السروال الفضفاض الكاكيّ اللون ذي الجيوب الجانبية. إنه فَرْد من فيديو الترحيب. لا يظهر أونداوسكي في ذلك الفيديو، لذا فالأرجح أنه بدأ المساعدة في جهود الإنقاذ من قبل.

عادت إلى غُوغل لتبحث عن محطة مستقلة ربما تكون قد وصلت إلى مكان الانفجار، فكتبت *WPIT*

خبر عاجل *مدرسة ماكريدي* في محرِّك البحث وعثرت على فيديو يُظهِر شابةً تبدو أنها بالكاد تخرَّجت من الثانوية من فترة قصيرة. كانت تقدِّم تقريرها الإخباري بجانب كوز الصنوبر المعدني العملاق المزيَّن بأضواء احتفال الشتاء الوامضة، وظهرت شاحنة محطتها مركونة في ممر الصيانة بجانب الطريق خلف سيارة سوبارو.

من الواضح أن المراسِلة اليافعة مذعورة فقد كانت تتلعثم وتقدِّم تقريرها بشكل غير متقن لن يمكّنها أبداً من أن تحظى بوظيفة (أو حتى بمقابلة توظيف) لدى إحدى المحطات الكبيرة المهمة. لم تكترث هولي لذلك. وعندما قرَّب مصوِّر الشابة عدسته نحو الجانب المهدَّم في المدرسة وركّز على فنّيي الطوارئ الطبية ورجال الشرطة ومدنيين يحفرون في الحُطام وآخرين يحملون نقالات، استنفرت (كلمة بيل) عند رؤيتها تشَت أونداوسكي. كان يحفر مثل كلبٍ، حيث بدا منحني الظهر ويقذف أحجار الطوب وقِطع الخشب المحطَّمة بين رِجليه المتباعدتين. يبدو أن الخدوش على يديه صحيحة.

"وصل إلى هناك باكراً"، قالت هولي. "ربما لم يكن أول الواصلين، لكنه سبق كل المحطات التلفزيونية الأخرى -"

رنَّ هاتفها. لا يزال في غرفة النوم، لذا ردَّت عبر حاسوبها بفضل ميزة صغيرة أضافها جيروم خلال إحدى زياراته.

"هل أنتِ في طريقك إلى هناك؟"، سأل پيت.

"إلى أين؟"، ردَّت هولي بارتباك حقيقي، وقد شعرت كما لو أن أحداً أيقظها من حلمٍ بالقوة.

"ثُوماي فورد"، قال. "هل نسيتِ حقاً؟ هذا ليس من عادتك يا هولي".

ليس من عادتها أن تنسى، لكنها نسيت. فقد أخبرهم مالك الوكالة توم ثُوماي أنه متيقّن أن أحد أفضل الباعة لديه - دِكْ إليس - يقدِّم مبالغ مخفَّضة في تقاريره المالية ربما ليغطي مصاريف حبيبة سرية أو ربما ليموِّل تعاطيه المخدرات ("فهو يستنشق كثيراً"، قال ثُوماي، "ويدّعي أن ذلك بسبب مكيِّف الهواء. في ديسمبر؟ بالله عليكم"). اليوم هو يوم عطلة إليس، مما يعني أن الفرصة مثالية لكي تدقِّق هولي بعض الأرقام، وتُجري بعض المقارنات، وترى إن كان هناك أي خطأ فيها.

يمكنها أن تختلق أي عذر لپيت، لكن هذا سيكون كذباً، وهي لا تكذب... إلا عند الضرورة القصوى. "لقد نسيتُ. آسفة".

"هل تريدينني أن أذهب إلى هناك؟".

"لا". إذا كانت الأرقام تؤكِّد صحة شكوك ثُوماي، فسيكون على پيت الذهاب إلى هناك لاحقاً ولقاء إليس، فهو جيد في هذه الأمور على عكس هولي بما أنه شرطي سابق. "أخبِر السيد ثُوماي أنني سألاقيه على الغداء، أينما يريد، وعلى حساب فايندرز".

"حسناً، لكنه سيختار مطعماً غالياً". سكت قليلاً. "هل تطاردين شيئاً يا هولي؟".

هل تطارد شيئاً؟ ولماذا خطر رالف أندرسون ببالها فوراً؟ هل هناك شيء لا تصارح نفسها به؟

"هل لا تزالين معي يا هولي؟".

"نعم"، قالت، "أنا معك. أطلتُ في النوم فحسب".

إذاً فقد كذبت في النهاية.

2

استحمّت هولي بسرعة، ثم ارتدت إحدى بذلاتها الرسمية غير الملفتة للنظر وهي لا تنفكّ تفكّر بتشَث أونداوسكي. خطر ببالها أنها قد تعرف طريقةً للإجابة على السؤال الرئيسي الذي يؤرقها، لذا عادت إلى حاسوبها وفتحت فايسبوك. لم تجد أي دلالة على وجود تشَث أونداوسكي في ذلك الموقع، أو حتى في إنستغرام، وهذا أمر مستغرب لشخصية تلفزيونية، فذلك الصنف من الأشخاص يحبّون مواقع التواصل الاجتماعي عادة.

زارت هولي موقع تويتر، وفرحت كثيراً من إيجاده هناك: تشَث أونداوسكي tondowsky1@.

وقع انفجار المدرسة عند الساعة 2:19، وكتبَ أونداوسكي أول تغريدة له من موقع الانفجار بعد ساعة، وهذا الأمر لم يفاجئ هولي: آه كم كان tondowsky1 مشغولاً. قالت التغريدة، *مدرسة ماكريدي. مأساة رهيبة. 15 قتيلاً حتى الآن، وربما أكثر بكثير. صلّي يا پيتسبرغ، صلّي*. إنها تغريدةٌ تُفطِر القلوب، لكن قلب هولي لم ينفطر، فقد سئمت كثيراً من كل هُراء "التضامن والتباكي"، ربما لأنه يبدو تصنُّعاً

قليلاً، وعلى الأرجح لأنها لا تهتمّ لتغريدات أونداوسكي بعد الحادثة فهي ليست ما تبحث عنه.

أصبحت مسافرة عبر الزمن وراحت تستعرض تغريدات أونداوسكي التي سبقت الانفجار، ووجدت صورة نشرها عند 1:46 بعد الظهر لمطعم صغير قديم أمامه مرأب سيارات، وتقول اللافتة الضوئية المعلَّقة على نافذته *طبخنا منزلي، جوّنا عائلي!* وقد غرَّد أونداوسكي تحت الصورة قائلاً، *مجرد استراحة قصيرة لتناول قهوة وحلوى عند كلاوسون قبل الانطلاق إلى إيدن. شاهدوا تقريري عن أكبر معرض في العالم لبيع أشياء قديمة عند السادسة هذه الليلة على محطة WPEN!*

بحثت هولي عن مطعم كلاوسون في غُوغل ووجدته في بيار فيلدج، بنسلفانيا. وأظهرَ لها بحثٌ آخر في غُوغل (تساءلت ماذا كنا سنفعل لولاه) أن بيار فيلدج تبعُد أقل من خمسة وعشرين كيلومتراً عن پاينبورو ومدرسة ماكريدي، وهذا يفسِّر وصوله مع مصوِّره إلى هناك قبل الآخرين، فقد كان في طريقه ليغطي أكبر معرض في العالم لبيع أشياء قديمة في بلدة تدعى إيدن. كما أظهرَ لها بحثٌ آخر أن بلدة إيدن تبعُد ستة

عشر كيلومتراً شمالي بيار فيلدج، وتبُعد نفس المسافة تقريباً عن پاينبورو. لقد صدفَ وكان في المكان الصحيح - بالقرب منه، على أي حال - في الوقت الصحيح.

بالإضافة إلى ذلك، شعرت بيقين تقريباً أن رجال الشرطة المحلية (أو ربما المحقِّقين من مكتب الشراب والتبغ والأسلحة النارية والمتفجرات) سألوا أونداوسكي والمصوِّر فْرَد عن وصولهما السريع غير المتوقع، ليس لأن أحدهما مشبوهٌ فعليّ بل لأن السلطات تريد وضع النقاط على الحروف في أي حادث تفجير يوقِع قتلى وجرحى.

أخرجت هاتفها من حقيبة يدها واتصلت بتوم تُوماي، وسألته إن كان الوقت متأخراً لكي تأتي إلى الوكالة وتنظر إلى بعض الأرقام. وربما لتلقي أيضاً نظرة سريعة على حاسوب البائع المشبوه؟

"على الإطلاق"، أجابها تُوماي. "لكنني كنتُ أتطلّع إلى تناول الغداء في مطعم ديماسيو. يُعدّون طبق فيتوتشيني ألفريدو بشكل مذهل هناك. هل لا يزال عرضك سارياً؟".

"بالتأكيد"، ردّت هولي وغصّت سراً من الفاتورة الكبيرة التي ستقدِّمها إلى مكتبها لاحقاً - فمطعم ديماسيو ليس رخيصاً. قالت لنفسها وهي تخرج من البيت أن تعتبر هذا تكفيراً لكذبها على پيت. فطريق الكذب منحدرٌ زلقٌ، وكل كذبة تقود إلى كذبتين أخريين عادة.

3

حشر توم ثُوماي منديلاً في ياقة قميصه، وراح يلتهم طبقه فيتوتشيني ألفريدو مُحدثاً الكثير من الأصوات، ثم أتبعه بطبق حلوى باناكوتا مغطى بتشكيلة مكسّرات. وتناولت هولي طبق مقبّلات ورفضت الحلوى مكتفيةً بكوب قهوة منزوعة الكافيين (تتحاشى الكافيين بعد الثامنة صباحاً).

"عليكِ تناول الحلوى حقاً"، قال ثُوماي. "نحن نحتفل. يبدو أنكِ وفّرتي عليّ مبلغاً كبيراً".

"نحن وفّرناه عليك"، قالت هولي. "الشركة. پيت سيجعل إليس يعترف وسيردّ بعض المال على الأقل. وهذا يجب أن يضع خاتمةً للقضية".

"بالضبط! لذا بالله عليك"، قال متملِّقاً إياها، وقد بدا أن المقايضة أسلوبه المفضَّل. "تناولي بعض الحلوى. دلّلي نفسك". تكلَّم كما لو أنه هو الذي كشف لها النقاب للتو عن موظف مختلس.

هزَّت هولي رأسها وأجابت أنها مُتخَمة، لكن الحقيقة هي أنها لم تكن جائعة عندما جلَست، رغم أنها تناولت طبق دقيق الشوفان منذ ساعات. وبقي ذهنها يعود إلى تشَث أونداوسكي باستمرار.

"أظن أنك تحافظين على رشاقتك، أليس كذلك؟".

"نعم"، قالت هولي، وهذه لم تكن كذبةً نوعاً ما؛ فهي تراقب السعرات الحرارية التي تتناولها، ورشاقتها تعتني بنفسها تلقائياً، رغم أنه ليس لديها أحدٌ لتحافظ على رشاقتها من أجله. أما السيد ثُوماي فعليه أن يحافظ على رشاقته لأنه يحفر قبره بشوكته وملعقته، لكن ليس من حقها أن تقول له ذلك.

"يجب أن تُحضِر محاميك ومحاسباً جنائياً إذا كنتَ تنوي مقاضاة السيد إليس"، قالت. "لن تكون أرقامي كافيةً في المحكمة".

"بكل تأكيد"، ردَّ ثُوماي وهو يركِّز على ما بقي من الباناكوتا، ثم رفع نظره إليها. "لا أفهم يا هولي. اعتقَدتْ

أنك ستكونين مسرورة أكثر. فقد قبضتِ على شخصٍ فاسدٍ".

مدى فساد الموظف مسألةٌ تعتمد على سبب اختلاسه المال، لكن هذا ليس شأن هولي. لذا ستكتفي بإعطاء ثُوماي ما يسمّيه بيل عادة ابتسامة موناليزا.

"هل هناك شيء آخر يُشغِل بالك؟"، سأل ثُوماي. "قضية أخرى؟".

"على الإطلاق"، ردّت هولي، وهذه أيضاً لم تكن كذبةً حقاً؛ فالانفجار في مدرسة ماكريدي ليس شأنها أيضاً، لكن تلك الشامة التي لم تكن شامةً لا تبارح تفكيرها. وكل شيء يتعلق بتشَتْ أونداوسكي يبدو شرعياً ما عدا الشيء الذي جعلها تتساءل عنه بدايةً.

هناك تفسير معقول، فكَّرت في سرّها وهي تومئ للنادل لكي يُحضِر الفاتورة. المسألة ببساطة هي أنك لا ترينه، لذا اِنسي الأمر.

اِنسيه فحسب.

4

وجدت المكتب فارغاً عندما عادت، وقد ترك لها پيت ملاحظةً على حاسوبها تقول شُوهد *راتنر* في مقصفٍ

عند البحيرة. *في طريقي إلى هناك. اتصلي بي إن احتجتِ إليَّ.* هربرت راتنر متوارٍ عن الأنظار بعد دفعه الكفالة وله تاريخ طويل بعدم حضور جلسات قضاياه في المحكمة (وهي كثيرة). تمنَّت هولي الحظ لپيت في سرّها وذهبت إلى الملفات التي بدأت ترقمنها منذ مدة، ويعاونها جيروم في ذلك عندما يقدر، ظنّاً منها أن هذا سيُنسيها أونداوسكي قليلاً، لكنها استسلمت بعد خمس عشرة دقيقة فقط وذهبت إلى تويتر.

الفضول يقتل صاحبه، فكَّرت في سرّها، لكن الرضى يعيده. سأتحقّق من شيء واحد فقط، ثم أعود إلى الأعمال الروتينية.

بحثت عن تغريدة أونداوسكي المتعلقة بالمطعم الصغير لأنها ركَّزت على كلماتها في المرة الأولى، أما الآن فراحت تدرس الصورة: مطعم صغير قديم. لافتة ضوئية لطيفة عند النافذة. المرأب في الجهة الأمامية، ونصفه فقط ممتلئ، ولا تظهر شاحنة محطة WPEN في أي مكان فيه.

"ربما ركنوها في الجهة الخلفية"، قالت دون أن تكون لديها أي طريقة على الإطلاق لتعرف إن كانت هناك مواقف إضافية خلف المطعم الصغير أم لا، لكن لماذا

يفعلون ذلك في حين تتوفر مواقف شاغرة كثيرة في الجهة الأمامية، وعلى بُعد خطوات قليلة فقط من الباب؟

بدأت تشيح بنظرها عن التغريدة، ثم توقفت ومالت إلى الأمام إلى أن كاد أنفها يلمس الشاشة وجحظت عيناها. شعرت بالرضى الكبير الذي ينتابها عادة عندما تخطر ببالها أخيراً الكلمة التي بقيت تبحث عنها طويلاً أثناء حل شبكة كلمات متقاطعة، أو عندما تجد أخيراً القطعة الصحيحة المزعجة في أحجية تركيب صورة مقطَّعة [بازل].

أبعدت صورة مطعم أونداوسكي جانباً على شاشة حاسوبها، ثم بحثت عن فيديو التقرير الإخباري للمراسِلة الصحفية غير الكفؤة بجانب كوز الصنوبر العملاق. رأت أن شاحنة تلك المحطة المستقلة - أقدم وأكثر تواضعاً من شاحنات المحطات التابعة للشبكة التلفزيونية - مركونة في ممر الصيانة بجانب الطريق خلف سيارة سوبارو خضراء، وهذا يعني بكل تأكيد أن السوبارو وصلت إلى هناك أولاً، وإلا لكان ترتيب الركن قد انعكس. جمَّدت هولي الفيديو، وعادت إلى صورة المطعم وحملقت فيها بقدر ما تستطيع، وعثرت على

سيارة سوبارو خضراء في مرأب المطعم. النتيجة غير حاسمة، فالكثير من الناس يملكون سيارات سوبارو، لكن هولي متأكدة أنها السيارة نفسها. هذه سيارة أونداوسكي، وقد رَكَنها في ممر الصيانة بجانب الطريق ثم أسرع إلى مسرح الجريمة.

كانت مستغرقة في التفكير لدرجة أنها صرخت صرخةً خفيفةً عندما رنّ هاتفها. إنه جيروم ويريد أن يعرف إن كان لديها أي كلاب ضائعة له... أو أي أولاد مفقودين. قال إنه يشعر أنه جاهز ليرتقي إلى المستوى التالي.

"لا"، أجابته، "لكن يمكنك أن..."

سكتت فجأة ولم تُكمل طلبها منه أن يدّعي أنه مدوِّنٌ أو كاتبٌ في مجلةٍ مثلاً ليتعقّب أي معلومات عن مصوِّر في محطة WPEN يدعى فْرَد، فهي يجب أن تكون قادرة على تعقّب فْرَد بنفسها باستخدام حاسوبها الموثوق. وهناك شيء آخر أيضاً هو أنها لا تريد إشراك جيروم في هذه المسألة. لن تدع نفسها تفكِّر بالسبب الدقيق، لكن يخالجها شعور قوي بشأن هذا.

"يمكنني ماذا؟"، سأل.

"كنتُ سأقول إنك إذا كنت تريد التنقّل بين المقاصف قرب البحيرة، يمكنك أن تبحث عن -"

"أنا أحبّ التنقّل بين المقاصف كثيراً"، قال جيروم.

"لا شكّ عندي بذلك، لكن مهمتك هي البحث عن پيت وليس احتساء شراب الشعير. حاول أن تعرف إن كان بحاجة إلى أي مساعدة في العثور على شخص يدعى هربرت راتنر توارى عن الأنظار بعد دفعه كفالته. راتنر شخص أبيض البشرة، وسنّه حوالي..."

"لديه وشم صقر أو ما شابه على عنقه"، قال جيروم. "رأيتُ الصورة على لوحة الإعلانات يا هوليبيري".

"إنه شخص غير عنيف، لكن كن حذراً فحسب. إذا رأيتَه، لا تقترب منه من دون پيت".

"فهمتُ، فهمتُ"، ردَّ جيروم بحماسة، فهذا أول محتال حقيقي يشارك في القبض عليه.

"كن حذراً يا جيروم"، قالت وقد شعرت بالحاجة إلى تكرار هذا، لأنها ستحزن كثيراً إن حصل أي مكروه لجيروم. "ولا تناديني هوليبيري رجاءً. لقد حان الوقت لتتوقف عن هذا".

وعَدها أنه سيتوقف، لكنها تشكّ بصدق وعده.

أعادت هولي تركيز انتباهها على حاسوبها، وراحت تنقّل نظرها ذهاباً وإياباً بين سيارتَي السوبارو الخضراوين. صارحت نفسها أن هذا لا يعني شيئاً، وأنها تفكِّر بما تفكّر به فقط بسبب ما حصل في تكساس. يسمّي بيل هذه الحالة 'عارض فورد الزرقاء'، قائلاً إن المرء إن اشترى فورد زرقاء، سيبدأ فجأة برؤية سيارات فورد زرقاء في كل مكان. لكن هذه ليست فورد زرقاء بل سوبارو خضراء، ولا يمكنها أن تمنع نفسها من التفكير بما تفكّر به.

لن تشاهد برنامج جون لوه بعد ظهر اليوم، فحين غادرت المكتب، كانت معها معلومات كثيرة، وكانت منزعجة.

5

وصلت هولي إلى منزلها وأعدّت لنفسها وجبة طعام بسيطة، لكنها نسيت ما كانت بعد خمس عشرة دقيقة فقط، ثم اتصلت بأمها لتسألها إن زارت خالها هنري. بعدما ردّت شارلوت إيجاباً، سألتها هولي عن أحواله، فأجابتها أنه مرتبك لكن يبدو أنه يتأقلم. لم تكن لدى هولي أي فكرة إن كان هذا صحيحاً أم لا، لأن لدى أمها

طريقة في تحوير نظرتها إلى العالم إلى أن تراه بالطريقة التي تريد رؤيته بها.

"يريد رؤيتك"، قالت شارلوت، ووعدتها هولي أنها ستزوره حالما تقدر على ذلك - ربما في نهاية هذا الأسبوع - وهي تعرف أنه سيناديها جايني، لأن جايني هي التي يريدها في الواقع. جايني هي التي يحبّها أكثر والتي سيبقى يحبّها دائماً، رغم أنها ماتت منذ ست سنوات. هذه ليست شفقةً على الذات، بل فقط الحقيقة، وعليها أن تتقبَّل الحقيقة.

"عليَّ تقبُّل الحقيقة"، قالت لنفسها. "عليَّ ذلك، شئتُ أم أبَيتُ".

لذا رفعت سمّاعة الهاتف وكادت تتصل برالف، لكنها منعت نفسها مرة أخرى من فعل ذلك. لماذا تنغِّص عليه إجازته لمجرد أن كليهما اشتريا فورد زرقاء في تكساس وهي ترى الآن سيارات فورد زرقاء في كل مكان؟

ثم أدركت أنها غير مضطرة أن تتكلَّم معه، ليس شخصياً على الأقل، لذا أخذت هاتفها وقارورة مشروب غازي بطعم الزنجبيل ودخلت غرفة التلفزيون حيث الجدران مرصوصة بكتب على جانبٍ وبأقراص رقمية على الجانب الآخر، وكل شيء مرتَّب ترتيباً أبجدياً.

جلست على كرسيها المريح، لكن بدلاً من تشغيل تلفزيونها ذي الشاشة الكبيرة، شغَّلت تطبيق التسجيل الصوتي على هاتفها. بقيت تنظر إليه للحظاتٍ، ثم ضغطت الزر الأحمر الكبير.

"مرحبا يا رالف، هذه أنا. إنني أسجِّل هذا في الرابع عشر من ديسمبر. لا أعرف إن كنتَ ستسمعه في يوم من الأيام، لأنني سأحذفه بكل بساطة إن تبيَّن أن ما أفكِّر به مجرد هُراء، وهو كذلك على الأرجح، لكن قوله بصوتٍ مسموعٍ قد يوضِّح لي أفكاري".

أوقفت التسجيل مؤقتاً لتفكِّر كيف يجب أن تبدأ.

"أعرف أنك تتذكَّر ما حصل في ذلك الكهف عندما التقينا الدخيل وجهاً لوجه أخيراً. لم يكن معتاداً على أن يتم اكتشافه، أليس كذلك؟ وقد سألني ما الذي جَعَلني قادرة على التصديق. برايدي هارتسفيلد هو الذي جَعَلني قادرة على ذلك، لكن الدخيل لم يعرف عن برايدي. وقد سأل إن كان السبب هو رؤيتي شخصاً آخر يشبهه في مكان ما. هل تتذكَّر كيف بدا شكله وصوته عندما سأل ذلك؟ أنا أتذكَّر. لم يبدُ متلهّفاً فحسب بل *طمّاعاً*، فقد ظنَّ أنه الوحيد. وأنا ظننتُ ذلك أيضاً، وأعتقد أن كلينا ظننا ذلك. لكنني بدأتُ أتساءل يا رالف إن كان هناك

واحد آخر، في النهاية. ليس واحداً مماثلاً تماماً، لكن مشابهاً - على غرار التشابه بين الكلاب والذئاب مثلاً. ربما هذا فقط ما يسمّيه صديقي القديم بيل هودجز عارض فورد الزرقاء، لكن إن كنتُ محقّةً، عليَّ فعل شيء بشأن ذلك. أليس كذلك؟".

بدا السؤال حزيناً ويائساً. أوقفت التسجيل مؤقتاً مرة أخرى، وفكَّرت بحذف القسم الأخير منه، لكنها عدلت عن ذلك. فالحزن واليأس هما ما تشعر به الآن بالضبط، كما أن رالف لن يسمع هذا أبداً على الأرجح.

فأكملت التسجيل.

"احتاج دخيلنا إلى وقتٍ لكي يتحوَّل، فهناك فترة سبات تمتدّ إلى أسابيع أو أشهر بينما يتغيّر مظهره ليبدو شخصاً آخر، وقد ارتدى سلسلة وجوه على مرّ سنواتٍ وربما حتى قرونٍ. لكن إن كان ما أفكِّر به صحيحاً فبإمكان هذا الرجل أن يتغيَّر بوتيرة أسرع بكثير، وأجد صعوبة في تصديق ذلك، وهذا أمر يدعو إلى السخرية نوعاً ما. هل تتذكَّر ما قلتُه لك في الليلة التي سبقت ملاحقتنا المجرم؟ أن عليك أن تتغاضى عن مفهومك للواقع؟ لم أكترث أن الآخرين لم يصدِّقوا، لكن كنتَ ملزماً أن تصدِّق. وقلتُ لك إننا سنموت على الأرجح إن

لم تصدِّق، وهذا سيمكِّن الدخيل من مواصلة التنقّل مرتدياً وجوه رجال آخرين ثم يتركهم يتحمَّلون الذنب عندما يموت المزيد من الأولاد".

هزّت رأسها، وحتى ضحكت قليلاً.

"كنتُ مثل أحد أولئك الواعظين الذين يحضّون الناس على التوبة، أليس كذلك؟ غير أنني *أنا* الآن التي أحاول عدم التصديق. أحاول إخبار نفسي أن هذا مجرد جنون الارتياب بما أنني أجفل من الظلال مثلما كان يحصل لي قبل أن يعلِّمني بيل كيف أكون شجاعة".

أخذت هولي نَفَساً عميقاً.

"الرجل الذي أشعر بالقلق منه يدعى تشارلز أونداوسكي، رغم أنه يسمّي نفسه *تشَث*. إنه مراسِل تلفزيوني وشعاره: مكافحة الجريمة وحماية المجتمع والمستهلِكين. صحيح أنه يغطي شؤون المجتمع، مثل احتفالات وضع حجر الأساس وأكبر معرض في العالم لبيع الأشياء القديمة، وصحيح أنه يغطي حالات الاحتيال على المستهلِكين - حتى إن هناك فقرة في نشرة الأخبار المسائية لمحطته تدعى *تشَث في المرصاد* - لكن أغلب ما يغطيه هو الجرائم والكوارث. المآسي. الموت. الألم. وسأتفاجأ جداً، أو بالأحرى سأُصدَم، إذا

كان كل ذلك لا يذكِّرك بالدخيل الذي قتل الفتى في مدينة فلينت والفتاتين الصغيرتين في أوهايو".

أوقفت التسجيل مؤقتاً لتشرب كمية كبيرة من مشروبها الغازي - فحنجرتها جافة كالصحراء - وتجشأت بشكل مدوٍ جعلها تقهقه. وبعد أن شعرت بتحسُّن طفيف، ضغطت زر التسجيل وأكملت تقريرها مثلما تفعل تماماً عند تحقيقها في أي قضية - سواء قضية استرداد مُلكية سيارة أو منزل، أو البحث عن كلب ضائع، أو التدقيق وراء بائع سيارات يختلس ستمئة دولار من هنا وثمانمئة دولار من هناك. هذه كلها أمور تُعطيها شعوراً جيداً، شعوراً يشبه تطهير جرحٍ بدأ يُظهِر بعض الاحمرار الخفيف لكن المـُقلِق.

15 ديسمبر 2020

استيقظت هولي في الصباح التالي بكامل نشاطها، وشعرت أنها جاهزة للعمل وجاهزة أيضاً لتضع تشَتْ أونداوسكي وارتيابها منه خلف ظهرها. هل فرويد أو دوروثي پاركر مَن قال ذات مرة إن السيجار أحياناً هو مجرد سيجار؟ مهما يكن القائل فإن البقعة الداكنة بجانب فم مراسِل تلفزيوني أحياناً هي مجرد شعر أو وسخ يشبه شعراً، وسيُخبِرها رالف بذلك لو تسنّى له أن يسمع تسجيلها الصوتي ذات يوم، وهو بالتأكيد لن يسمعه. لكن قولها ذلك بصوتٍ عالٍ أفادها وصفّى لها ذهنها، على غرار جلسات علاجها مع آليْ، لأنه إذا كان باستطاعة أونداوسكي أن يتحوَّر بطريقة أو بأخرى إلى المفجِّر جورج، ثم يتحوَّر عائداً إلى نفسه مرة أخرى، فلماذا سيترك بقعة صغيرة من شارب جورج على وجهه؟ الفكرة مضحكة.

أو لماذا سيقود السوبارو الخضراء التي هي متأكدة أنها سيارة تشَث أونداوسكي؟ لقد اعتبرت أنه من البديهي أن يكون ومصوِّره (تأكدت بسهولة تامة ودون الحاجة إلى جيروم أنه يدعى فْرَد فينكل) قد استقلاّ شاحنة المحطة معاً، لكن ذلك كان مجرد افتراض وليس استنتاجاً، وهولي مقتنعة أن الطريق إلى الجحيم معبَّد بافتراضات خاطئة.

الآن وقد صفا ذهنها، يمكنها أن ترى أن قرار أونداوسكي بالذهاب لوحده قرارٌ منطقيٌ وبريءٌ تماماً، فهو مراسِل مشهور في محطة تلفزيونية كبيرة. بالله عليكم، هذا *تشَث في المرصاد*، وبالتالي يمكنه أن ينام أكثر قليلاً من عامة الشعب، وربما يقوم بزيارة عَرَضية إلى المحطة، ويستمتع لاحقاً بكوب قهوة وفطيرة في مطعمه الصغير المفضَّل بينما يذهب مصوِّره المخلص فْرَد إلى إيدن ويلتقط بعض المشاهد الإضافية، وربما حتى - إذا كان لدى فْرَد أي طموح بالارتقاء في هرمية قسم الأخبار - يُجري مقابلات تمهيدية مع الأشخاص الذين يجب أن يتكلَّم أونداوسكي معهم عندما يقدِّم تقريره الإخباري في نشرة الساعة السادسة عن أكبر معرض في العالم لبيع أشياء قديمة.

إلا أن أونداوسكي تلقى الخبر العاجل بشأن انفجار المدرسة، ربما بفضل جهاز يتنصَّت على تردّدات الشرطة، وهرع إلى المكان، وقد تبعه فْرَد فينكل في شاحنة المحطة. ركنَ أونداوسكي بجانب كوز الصنوبر المضحك ذاك، وانطلق إلى العمل مع فينكل من هناك. هذا تفسير منطقي تماماً، ولا حاجة إلى عناصر خارقة لفهم ما جرى، بل هذه مجرد محقِّقة خاصة على بُعد مئات الكيلومترات صدفَ أنها تعاني من عارض فورد الزرقاء.

وجدتُها.

أمضت هولي يوماً جيداً في المكتب، فقد عثر جيروم على ذلك المجرم المحترف راتنر في مقصفٍ ذي إسمٍ مدهشٍ (بالنسبة لهولي على الأقل) هو ردهة إدموند فيتزجيرالد، ورافقه إلى سجن المقاطعة مع پيت هنتلي. پيت حالياً في وكالة ثُوماي حيث سيواجه ريتشارد إليس.

كما تلقت هولي زيارة مفاجئة من باربرا روبنسون، أخت جيروم، وأخبرتها (باعتدادٍ بالنفس نوعاً ما) أنها أُعفيَت من حصص بعد الظهر لأنها تُعدّ تقريراً عنوانه *تحقيق خاص: الحقيقة والخرافة*، وسألت هولي بضعة

أسئلة (سجّلت الأجوبة على هاتفها)، وساعدتها في ترتيب الملفات. ثم استراحتا عند الساعة الثالثة لمشاهدة جون لوه.

"أحبّ هذا الرجل فهو حاذق جداً"، قالت باربرا بينما شقّ القاضي لوه طريقه إلى مقعده متبختراً.

"لا يوافقك بيت الرأي"، قالت هولي.

"نعم، لكن بيت أبيض"، ردّت باربرا.

نظرت هولي إلى باربرا مُبرِّقةً عينيها وقالت، "أنا بيضاء".

قهقهت باربرا. "حسناً، هناك شخص أبيض وهناك شخص أبيض *حقاً*. هذه ماهية السيد هنتلي".

ضحكتا معاً، ثم شاهدتا القاضي لوه يتولى قضية سارقٍ يدّعي أنه لم يفعل شيئاً وأنه مجرد ضحية للتمييز العرقي، فرمقت هولي وباربرا بعضهما البعض بإحدى النظرات التخاطرية تلك، ثم انفجرتا ضحكاً مرة أخرى.

كان يوماً جيداً جداً، وبالكاد خطر تشَث أونداوسكي ببال هولي إلى أن رنّ هاتفها عند السادسة ذلك المساء بينما كانت تسترخي لتشاهد برنامج *منزل الحيوانات*.

إنه الطبيب كارل مورتون وقد غيَّر اتصاله كل شيء. عندما أنهت هولي المكالمة، أجرت اتصالاً هي أيضاً، ثم تلقت مكالمة أخرى بعد ساعة، عِلماً أنها دوَّنت ملاحظات خلال كل المكالمات الثلاثة.

ثم انطلقت في الصباح التالي نحو پورتلاند، ماين.

16 ديسمبر 2020

1

استيقظت هولي عند الثالثة فجراً رغم أنها وضّبت حقيبتها وطبعت تذكرة سفرها من قبل، وأنها غير مضطرة أن تكون في المطار قبل السابعة والمسافة قصيرة إلى هناك، لكنها لم تعد قادرة على النوم. وما كانت لتظن أنها نامت أبداً في الواقع لولا أن ساعة لياقتها البدنية تُظهِر مرور ساعتين ونصف. لم تقلق بشأن هذه الفترة القصيرة من النوم لأنها تدبّرت أمرها بأقل من ذلك من قبل.

تناولت كوب قهوة وكوب لبن زبادي بينما انتظرتها حقيبتها (المناسب حجمها بالطبع لحجرة الأمتعة فوق مقعد الطائرة) عند الباب. ثم اتصلت بالمكتب وتركت رسالة لپيت تُخبره فيها أنها لن تأتي إلى المكتب اليوم وربما بقية الأسبوع أيضاً لانشغالها بمسألة شخصية،

وكانت على وشك إنهاء المكالمة عندما تذكَّرت شيئاً آخر.

"رجاءً قُل لجيروم أن يُخبِر باربرا أن عليها أن تشاهد أفلام *الصقر المالطي* و*السبات العميق* و*هاربر* كرمى لجزء 'الخرافة' في تقريرها الخاص. كل هذه الأفلام الثلاثة موجودة في مكتبة أفلامي، وجيروم يعرف أين أضع المفتاح الاحتياطي لشقتي".

بعدما انتهت من ذلك، شغَّلت تطبيق التسجيل الصوتي على هاتفها وبدأت تضيف إلى التقرير الذي تُعدّه لرالف أندرسون، وشعرت أنها قد تضطر إلى إرساله له في النهاية.

2

رغم أن آليْ وينترز هي معالِجة هولي النفسية منذ سنوات، إلا أن هولي أجرت بحثاً وقَصَدت كارل مورتون بعد عودتها من مغامراتها الحزينة في أوكلاهوما وتكساس. صحيح أن الطبيب مورتون ألَّف كتابين عن تاريخ بعض الحالات المرَضية التي عالجها، وهذا موضوع يشبه مواضيع كتب أوليفر ساكس لكن أسلوبه سريري جداً ليحقّق مرتبة الأكثر مبيعاً، إلا أنها شعرت

أنه الرجل المناسب، وعيادته قريبة نسبياً، لذا ذهبت إليه.

خضعت لجلستين مع مورتون مدة كل واحدة منهما خمسون دقيقة، وهذه مدة كافية لتروي له القصة الكاملة والصريحة لمواجهاتها مع الدخيل. لم تهتم إن صدَّق الطبيب مورتون كل ما قالته، أو بعضاً منه، أو لم يصدِّق أياً منه، لأن همّها كان أن تُخرج ذلك منها قبل أن ينمو داخلها مثل ورم خبيث. ولم تذهب إلى آليْ لأنها اعتقَدت أن هذا سيسمِّم المجهود الذي كانتا تبذلانه على بقية مشاكلها، وهذا آخر شيء تريده هولي.

لكن هناك سبباً آخر لذهابها إلى شخص علماني يُنصت إلى اعتراف الآخرين أمثال كارل مورتون هو أن الدخيل سألها *هل رأيتِ شخصاً آخر مثلي في مكان ما؟* لم تر هولي - أو رالف - شخصاً آخر مثله، لكن أساطير هكذا مخلوقات شائعة منذ قرون، ويسمّيها اللاتينيون على طرفَي الأطلسي *الكوكو*. لذا... ربما يوجد أشخاص آخرون مثله.

ربما.

قُبيل جلستهما الثانية والأخيرة، قالت هولي، "هل يمكنني أن أُخبِرك ما أعتقد أنه *رأيك* بما سمِعتَه؟ أعرف أن هذا غير ذي صلة بالموضوع كثيراً، لكن هل يمكنني؟".

ابتسم لها مورتون ابتسامةً أرادها أن تكون تشجيعية على الأرجح لكن هولي فسَّرتها أنها ابتسامة تسامُح - لم تكن قراءة تعابيره صعبة مثلما يحبّ أن يعتقد على الأرجح. "تفضَّلي يا هولي، فوقت الجلسة وقتك أنتِ".

"شكراً"، قالت وهي تشبك يديها. "يجب أن تعرف أن بعض قصتي على الأقل صحيحٌ، لأن الأحداث نالت تغطية إعلامية جيدة، من جريمة اغتصاب وقتل فتى عائلة بيترسون في أوكلاهوما إلى الأحداث - بعضها على الأقل - التي حصلت في فجوة ميريسفيل في تكساس. على سبيل المثال، موت المحقق جاك هوسكينز من مدينة فلينت، أوكلاهوما. هل أنا على حق؟".

أومأ مورتون برأسه.

"أما بالنسبة لبقية قصتي - الدخيل ذو الشكل المتغيِّر وما حصل له في ذلك الكهف - فأنت تعتبر أنها أوهام ناجمة عن الإجهاد. هل أنا على حق بشأن هذا؟".

"هولي، لن أصنِّف -"

آه، إعفني من الهُراء العلمي، فكَّرت هولي في سرّها، ثم قاطعته - وهذا شيء ما كانت قادرة على فعله منذ وقت غير بعيد.

"لا يهمّ كيف تصنِّفها، ويحق لك أن تصدِّق ما تريد أن تصدِّقه، لكنني أريد منك شيئاً أيها الطبيب مورتون. أعرف أنك تحضر الكثير من المؤتمرات والندوات لأنني أجريث بحثاً مفصَّلاً عنك على الانترنت".

"ألم نبتعد قليلاً عن موضوع قصتك يا هولي؟ وتصوّراتك لتلك القصة؟".

لا، لأنني رويث تلك القصة، فكَّرت في سرّها. وما يهمّ هو ما سيأتي بعدها، وآمل ألا يأتي شيء، وهو ما سيحصل على الأرجح، لكن لا ضرر أبداً من التأكد. فالتأكد يساعد المرء على أن ينام بشكل أفضل في الليل.

"عندما تذهب إلى تلك المؤتمرات والندوات، أريدك أن تتكلَّم عن حالتي، وأن تصفها. واكتب عنها إن شئتَ أيضاً. أريدك أن تكون دقيقاً بشأن قناعتي، ولديك كامل الحرية إن أردت تصنيفي من فئة المتوهِّمين لتصديقي أنني واجَهتُ مخلوقاً يجدِّد نفسه عبر تغذّيه بألم

المـُحتضَرين. هلاّ فعلتَ ذلك؟ وإذا التقيتَ يوماً *ما* معالِجاً زميلاً - أو تلقيتَ رسالة بريد إلكتروني منه - يقول إن لديه حالياً أو كان لديه في السابق مريض يعاني من نفس الوهم بالضبط، هلاّ أعطيتَ ذلك المعالِج إسمي ورقم هاتفي؟".

عبس مورتون وقال، "هذا لن يكون تصرّفاً أخلاقياً أبداً".

"أنت مخطئ"، ردَّت هولي. "لقد تحقّقتُ من القانون ووجدتُ أن التحدّث مع مريض معالِج آخر هو تصرّف غير أخلاقي، لكن يمكنك إعطاء المعالِج إسمي ورقمي إن أعطيتُك الإذن لتفعل ذلك، وها أنا أعطيك إياه".

وانتظَرت هولي ردّه.

4

أوقفت التسجيل مؤقتاً لتتحقّق من الوقت وتحتسي كوب قهوة ثانياً. صحيح أنه سيسبِّب لها اضطرابات وحرقة في المعدة، لكنها تحتاج إليه.

"رأيتُه يفكّر ملياً"، قالت هولي لهاتفها. "وأعتقد أن ما رجَّح كفّة الميزان هو معرفته الوقع الكبير الذي ستُحدثه قصتي في كتابه أو مقاله القادم أو مقابلته الإعلامية

القادمة. وهذا ما حصل فعلاً، فقد قرأتُ أحد المقالات وشاهدتُ أحد فيديوهات المؤتمر. لقد غيَّر الأماكن، وأسماني كارولين ه، لكنه أبقى بقية التفاصيل كما هي. إنه بارع جداً عندما يتحدّث عما حصل لمجرمنا عندما شنَّيتُ هجوم صفع سعيد عليه - وهذا دفع الجمهور في الفيديو إلى حبس أنفاسه. وسأعطيه حقّه بأنه يُنهي دائماً قصتي في محاضراته بالقول إنه يودّ التحدّث مع أي معالِج لديه مرضى يعانون من حالات توهُّم مشابهة".

أوقفت التسجيل مؤقتاً لكي تفكّر، ثم عاودت التسجيل.

"اتصل بي الطبيب مورتون ليلة أمس بعد أن مرَّ وقت طويل على آخر اتصال بيننا، لكنني عرَفتُ مَن المتصل فوراً، وعرَفتُ أن ذلك سيعيدني إلى أونداوسكي. وقد تذكَّرتُ شيئاً آخر قلتَه لي ذات مرة يا رالف: هناك شر في العالم، لكن هناك خير أيضاً. كنتَ تفكّر بقطعة القائمة التي عثرتَ عليها والتابعة لمطعمٍ في دايتون، لأنها تربط جريمة القتل التي وقعت في مدينة فلينت بجريمتَي القتل المشابهتين في أوهايو. هذا ما ورّطني في القضية، مجرد قصاصة ورق صغيرة كان يمكن أن

تتطاير في الهواء بكل سهولة. ربما هناك شيء *أراد* أن يتم العثور عليها؛ هذا ما أحبّ أن أصدِّقه على أي حال. وربما ذلك الشيء نفسه، تلك القوة، لديه شيء آخر يريدني أن أفعله، لأنه يمكنني أن أصدِّق ما لا يُصدَّق. أنا لا أريد ذلك، لكنني قادرة عليه".

توقفت عن الكلام ووضعت هاتفها في جزدانها. لا يزال الوقت باكراً جداً للذهاب إلى المطار، لكنها ستذهب على أي حال، فهذه طبيعتها.

سأصل باكراً إلى جنازتي حتى، فكَّرت في سرّها، وفتحت جهازها الآيباد لتطلب سيارة أجرة عبر أُوبر.

5

محطة المطار مهجورة بالكامل تقريباً عند الخامسة فجراً، لكن عندما تكتظّ بالمسافرين (وتملأ ثرثراتهم الأجواء)، تصبح الموسيقى الصادرة من مكبِّرات الصوت في السقف بالكاد مسموعة. وبما أنه لا يوجد شيء لتتنافس معه في مثل هذه الساعة سوى همهمة آلة تلميع الأرضية فإن أغنية فليثوود ماك "السلسلة" لا تبدو مُوحِشة فحسب بل تشبه نذير موت أيضاً.

كل المتاجر مغلقة في الباحة ما عدا المقهى، لكن هذا كافٍ لهولي التي قاومت الرغبة بوضع كوب قهوة آخر على صينيتها، واكتفت بدلاً منه بكوب عصير برتقال وقطعة خبز، وأخذت الصينية إلى طاولة في الجهة الخلفية. بعد أن نظرت حولها لتتأكد أن لا أحد قريب منها (إنها الزبونة الوحيدة حالياً في الواقع)، أخرجت هاتفها واستأنفت تسجيل تقريرها بصوتٍ منخفضٍ، وهي تتوقف مؤقتاً بين الحين والآخر لكي تجمّع أفكارها. لا تزال تأمل ألا يسمع رالف هذا أبداً، ولا تزال تأمل أن يتبيَّن أن ما تعتقده وحشاً هو مجرد ظل. لكن إن سمِعه حقاً، تريد التأكد أنه سيسمع كل شيء.

خاصة إن ماتت.

6

من تقرير هولي غيبني إلى المحقق رالف أندرسون:

لا زلتُ في السادس عشر من ديسمبر. وصلتُ إلى المطار باكراً، لذا لديّ بعض الوقت، أو بالأحرى الكثير من الوقت.

[وقفة قصيرة]

أعتقد أنني توقفتُ عند إخبارك أنني عرَفتُ صوت الطبيب مورتون فور إلقائه التحية عليَّ. ادّعى أنه استشار محاميه بعد جلستنا الأخيرة بدافع الحشرية لكي يعرف إن كنتُ محقّة عندما قلتُ إن تمكينه لي من الاتصال بمعالِج مريضٍ آخر يُعدّ مخالفةً أخلاقيةً.

"تبيَّن أن المسألة غير محسومة"، قال، "لذا لم أفعل ذلك، خاصة أنك اخترتِ إيقاف العلاج، معي على الأقل. لكن الاتصال الذي تلقيتُه البارحة من طبيب نفسي في بوسطن يدعى جوْيل ليبرمان جَعَلني أعيد النظر بقراري".

الواقع يا رالف هو أن كارل مورتون تلقى خبراً عن دخيل محتمل آخر منذ أكثر من سنة، لكنه لم يتصل بي... بدافع الخجل. يمكنني أن أتفهَّم ذلك بما أنني إنسانةٌ خجولةٌ، لكن هذا يُفقدني صوابي. لا يجب أن أغضب على الأرجح لأن السيد بَلْ لم يعرف عن أونداوسكي وقتها، لكن ومع ذلك

[وقفة قصيرة]

إنني أستبق الأمور. آسفة. دعني أحاول المحافظة على الترتيب الزمني لهذا.

في عامَي 2018 و2019، كان الطبيب جوْيل ليبرمان يعالج مريضاً يعيش في پورتلاند، ماين ويستقلّ القطار ليذهب إلى موعده الشهري في بوسطن. تبيَّن لي أن ذلك المريض يدعى دان بَلْ، وهو مسنّ محترم بدا منطقياً تماماً للطبيب ليبرمان ما عدا أن لديه اعتقاداً راسخاً بأنه اكتشَف وجود مخلوق خارق سمّاه "مصّاص دماء نفساني". السيد بَلْ مقتنع أن ذلك المخلوق موجود منذ زمن طويل، ستين سنة على الأقل، وربما أطول بكثير.

حضَر ليبرمان محاضرةً ألقاها الطبيب مورتون الصيف الفائت في بوسطن، أي في العام 2019. خلال محاضرته، ناقَش الطبيب مورتون حالة "كارولين ه"، أي أنا، واستجابةً لرغبتي، طلبَ من الحاضرين الذين يعالجون مرضى يعانون من أوهام مشابهة أن يتواصلوا معه. لذا تواصل ليبرمان معه.

هل فهمتَ الصورة؟ تكلَّم مورتون عن حالتي مثلما طلبتُ منه، وسأل إن كان لدى الأطباء أو المعالِجين مرضى يعانون من اقتناعات عُصابية مشابهة، مثلما طلبتُ منه *أيضاً*. لكنه تمنَّع لستة عشر شهراً أن يجعلني على تواصل مع ليبرمان، مثلما *ناشَدتُه* أن يفعل. فقد

منعته خشيته الأخلاقية من فعل ذلك، لكن كان هناك شيء آخر سأُخبرك عنه بعد قليل.

اتصل الطبيب ليبرمان بالطبيب مورتون مرة أخرى البارحة ليُخبره أن مريضه من پورتلاند توقف عن حضور جلساته منذ بعض الوقت، وافترَض ليبرمان أنه لن يراه بعد اليوم. لكن المريض اتصل فجأة بعد يوم على انفجار مدرسة ماكريدي وسأل إن كان يمكنه القدوم لجلسةٍ طارئةٍ. بدا المريض مضطرباً جداً، لذا خصَّص له ليبرمان الوقت المطلوب للجلسة. ادّعى المريض - ويدعى دان بَلْ مثلما أصبحتُ أعرف الآن - أن ليس لديه أي شكّ أن الانفجار في مدرسة ماكريدي من عمل مصّاص الدماء النفساني ذاك، وكان منزعجاً جداً لدرجة أن الطبيب ليبرمان شعر بضرورة استشارته طبيباً آخر وربما حتى إدخاله المستشفى لفترة قصيرة، لكن الرجل هدأ وقال إنه يحتاج إلى مناقشة أفكاره مع شخص يعرف فقط أنه يدعى كارولين ه.

عليّ مراجعة ملاحظاتي هنا.

[وقفة قصيرة]

حسناً، ها هي معي. أريد هنا أن أقتبس كلمات كارل مورتون بأدق ما أستطيع، لأنها السبب الآخر لتردّده

بالاتصال بي.

لقد قال، "لم أتردَّد بسبب الخشية الأخلاقية فقط يا هولي، بل لأن هناك خطراً كبيراً في جمع أشخاصٍ لديهم أوهام متشابهة. فاللقاء يميل إلى تعزيز أوهام بعضهم البعض، وبإمكان ذلك أن يعمِّق العُصاب إلى ذُهان تام. هذا الأمر موثّق جيداً".

"لماذا فعلتَ ذلك إذاً؟"، سألتُه.

"لأن القسم الأكبر من قصتك ارتكز على حقائق معروفة"، قال. "ولأنها تحدَّت معتقداتي إلى حدّ ما. ولأن مريض ليبرمان كان يعرف عنك من قبل، وليس من معالِجه بل من مقال كتَبتُه عن حالتك في مجلة *الفصلية النفسية*. قال إن كارولين ه ستفهمه".

هل فهِمتَ قصدي عن قوة الخير يا رالف؟ كان دان بَلْ يسعى إليَّ تماماً مثلما كنتُ أسعى إليه، وقبل أن أتأكد حتى من وجوده.

"سأعطيكِ رقم عيادة الطبيب ليبرمان ورقم هاتفه الخلوي"، قال الطبيب مورتون. "وهو سيقرِّر إن كان سيدعك تتواصلين مع مريضه أم لا". ثم سأل إن كانت لديَّ هموم أيضاً بشأن انفجار المدرسة المتوسطة في بنسلفانيا، هموم لها علاقة بمناقشاتنا في جلسات

العلاج. كان يتملّق نفسه بشأن ذلك لأنه *لم تحصل* مناقشات، بل أنا كنتُ أتكلّم وهو يُنصت. شَكَرتُه على تواصله معي، لكنني لم أردّ على سؤاله. أظن أنني كنتُ لا أزال حانقة أنه انتظَر كل تلك المدة الطويلة ليتصل بي.

[سُمعت تنهيدةٌ هنا]

لا داعي للافتراض بشأن ذلك في الواقع، فلا أزال بحاجة إلى أن أعالج نزعتي إلى الغضب سريعاً.

سأضطر إلى التوقف قريباً، لكن لا يجب أن أحتاج إلى وقت طويل لأنهي إطلاعك على آخر المستجدات. لقد اتصلتُ بليبرمان على هاتفه الخلوي لأن الوقت كان مساءً، وقدّمتُ نفسي على أنني كارولين ه وطلبتُ منه إسم مريضه ورقم هاتفه. أعطاني المعلومتين، لكن على مضض.

قال، "السيد بَلْ متحمّس ليتحدّث معك، وقرّرتُ أن أوافق بعد تفكير عميق. إنه مسنّ جداً الآن، وطلبه ذاك أشبه بأمنية أخيرة. لكن عليّ أن أضيف أنه لا يعاني أياً من عوارض التدهور الإدراكيّ التي غالباً ما نراها لدى المسنّين غير هوَسه بما يسميه مصّاص الدماء النفساني".

ذكّرني هذا بخالي هنري المُصاب بألزهايمر يا رالف، فقد اضطررنا إلى وضعه في دار رعاية نهاية الأسبوع الفائت. وأحزن كثيراً عندما أتذكّره.

قال ليبرمان إن السيد بَلْ في الحادية والتسعين من عمره، ولا شكّ عندي أنه وجد صعوبة كبيرة في قدومه إلى أحدث موعد له، رغم أن حفيده كان معه ليساعده. وقال إن السيد بَلْ يعاني من عدة علل جسدية، أسوأها هي قصور القلب الاحتقاني، وإنه كان ليقلق في ظروف أخرى من أن تَحدّثه معي سيعزِّز هوَسه العُصابي ويُفسِد بقية ما قد تكون حياةً مثمرةً وإنتاجيةً، لكنه لم يشعر أن هذه مسألة مهمة نظراً لعمر السيد بَلْ وحالته الصحية.

قد يكون هذا انطباعاً متسرِّعاً مني يا رالف، لكنني وجَدتُ الطبيب ليبرمان متفاخِراً نوعاً ما. ومع ذلك فقد قال شيئاً في نهاية حديثنا أثَّر فيّ وعلق في ذهني: "هذا العجوز خائف جداً. حاولي عدم تعزيز خوفه أكثر مما هو عليه".

لا أعرف إن كان يمكنني فعل ذلك يا رالف، فأنا خائفة أيضاً.

[وقفة قصيرة]

بدأ هذا المكان يمتلئ، ويجب أن أذهب إلى بوابة طائرتي، لذا سأختصر قدر الإمكان. اتصلتُ بالسيد بَلْ وقدَّمتُ له نفسي على أنني كارولين ه، لكنه سألني عن إسمي الحقيقي. ربما تجاوزتُ الحدود يا رالف لأنني قلتُ له إنني هولي غيبني وسألتُ إن كان يمكنني زيارته. ردّ قائلاً، "في أسرع وقت ممكن إذا كانت الزيارة عن انفجار المدرسة وعن الشيء الذي يسمّي نفسه أونداوسكي".

7

بعد تغييرها الطائرة في بوسطن، وصلت هولي إلى مطار پورتلاند قُبيل الظهر، حيث نزلت في فندق إيمبسي سويتس واتصلت برقم دان بَلْ. رنَّ الهاتف ست مرات، وهذه مدة طويلة كفاية لكي تتساءل هولي إن تُوفِّي العجوز في الليل تاركاً أسئلتها عن تشارلز "تشَتْ" أونداوسكي بلا إجابة. طبعاً بافتراض أن العجوز يملك بعض الأجوبة فعلاً.

كادت تُنهي المكالمة عندما ردَّ رجلٌ ليس دان بَلْ، فقد بدا أصغر سناً. "ألو؟".

"مرحبا أنا هولي"، قالت. "هولي غيبني. كنتُ أتساءل متى -"

"آه آنسة غيبني، الآن توقيتٌ ممتازٌ لأن جَدّي يشهد يوماً جيداً. لقد نام طوال الليل في الواقع بعد أن تحدَّث معك، ولا يمكنني أن أتذكَّر آخر مرة فعل فيها ذلك. هل لديك العنوان؟".

"19 شارع لافاييت".

"هذا صحيح، وأنا بْراد بَلْ. متى يمكنكِ الوصول إلى هنا؟".

"حالما أجد سيارة أجرة عبر أوبر". وشطيرةً، فكَّرت في سرّها. فالشطيرة ستكون أمراً جيداً أيضاً.

8

رنّ هاتفها وهي تجلس على المقعد الخلفي لسيارة الأجرة. إنه جيروم ويريد أن يعرف أين هي وماذا تفعل وإن كان يمكنه أن يساعدها. اعتذرت منه هولي قائلةً إن الأمر شخصي حقاً، وإنها ستُخبِره لاحقاً إن استطاعت.

"هل الأمر يتعلق بالخال هنري؟"، سأل. "هل تطاردين علاجاً ما؟ فهذا ما يعتقده پيت".

"لا، لا يتعلق بالخال هنري". بل بعجوزٍ آخر، فكَّرت في سرّها. بعجوزٍ قد يتبيَّن أنه إما بكامل قواه العقلية أو مختلّ عقلياً. "لا يمكنني أن أتكلَّم عن هذا حقاً يا جيروم".

"حسناً. طالما أنكِ بخير".

كان سؤالاً حقاً، وافترضت أن لديه الحق بطرحه لأنه يتذكَّر عندما لم تكن بخير.

"أنا بخير". ولكي تبرهن أنها لم تفقد القدرة على الفهم، أضافت: "لا تنسَ أن تُخبر باربرا عن الأفلام البوليسية تلك".

"أخبرتُها من قبل"، قال.

"أخبِرها أيضاً أنها قد لا تتمكن من استخدامها في تقريرها، لكنها ستوفِّر لها خلفية قيّمة". سكتت هولي قليلاً وابتسمت. "كما أنها مسلية جداً".

"سأُخبِرها. وهل أنتِ متأكدة أنكِ -"

"بخير"، قالت وأنهت المكالمة وهي تفكِّر بالرجل - *بالشيء* - الذي واجهته مع رالف في الكهف، وارتعشت. بالكاد يمكنها تحمُّل التفكير بذلك المخلوق، وإذا كان هناك مخلوق آخر، كيف يمكنها أن تواجهه لوحدها؟

طبعاً لن تواجهه هولي مع دان بَلْ ذي الأربعين كيلوغراماً والجالس على كرسي ذي عجلات معلَّق بها خزّان أكسجين. لقد أصبح ظل رجل، وذا رأس أصلع تقريباً، وهناك بُقع أرجوانية داكنة تحت عينيه اللامعتين لكن المُنهكتين، ويعيش وحفيده في بيت قديم من الحجر الأسمر مليء بأثاث فاخر قديم. غرفة الجلوس ذات تهوية جيدة، والستائر مفتوحة للسماح بدخول فيض شمس ديسمبر الباردة، لكن الروائح المختبئة تحت معطِّر الجو (برائحة الكتّان النظيف، إن لم تكن مُخطئة) ذكَّرتها حتماً بالروائح العنيدة التي شمّتها فور دخولها ردهة مركز رعاية المسنّين في رولينغ هيلز: مَستيرول، بنغاي، مسحوق طَّلْق، بَول، ورائحة الموت الوشيك.

أخذها الحفيد، وهو رجل في حوالي الأربعين من عمره بدت ملابسه قديمة الطراز وسلوكياته مهذّبة تقريباً، إلى جدّه. الرواق مزدان بستة بورتريهات لأربعة رجال وامرأتين مرسومة بقلم رصاص ومؤطَّرة، وكلها جيدة ومن الواضح أنها صُنع نفس الرسام، لكن هذه المقدمة الغريبة إلى المنزل صدمتها، فمعظم الوجوه بدت مُقرِفة نوعاً ما. وهناك لوحة زيتية كبيرة جداً فوق

الموقد في غرفة الجلوس، حيث تم إضرام نار صغيرة دافئة، تُظهِر شابةً جميلةً ذات عينين سوداوين مرِحتين.

"زوجتي"، قال بَلْ بصوته الأجش. "تُوفِّيت منذ سنوات عديدة، وأفتقدها كثيراً. أهلاً بكِ في منزلنا يا آنسة غيبني".

دحرج كرسيه نحوها، وراحت أنفاسه تصفر من الجهد الذي تطلَّبه ذلك، لكن عندما تقدَّم الحفيد ليساعده، لوَّح له بَلْ رافضاً. ثم مدَّ يداً حوّلها التهاب المفاصل إلى منحوتة خشبية، وصافحته بحذر.

"هل تناولتِ الغداء؟"، سألها بْراد بَلْ.

"نعم"، قالت هولي. شطيرة سلطة دجاج اِزدرَدتها بسرعة خلال رحلتها القصيرة من الفندق إلى هذا الحي الأنيق.

"هل تفضّلين الشاي أم القهوة؟ آه، ولدينا معجنات لذيذة جداً من مخبز قطّتين بدينتين".

"الشاي من فضلك"، قالت هولي. "منزوع الكافيين، إذا كان متوفراً لديكم. ويسرّني تناول قطعة من تلك المعجنات".

"أريد كوب شاي وفطيرة محلاة"، قال العجوز. "بالتفاح أو الأويسة، لا يهمّ. وأريد شاياً *حقيقياً*".

"على الفور"، قال بْراد وانصرف.

مال دان بَلْ إلى الأمام فوراً، وثبَّت عينيه على عينَي هولي، وقال بصوتٍ تآمري منخفضٍ، "بْراد مثليّ جنسياً للغاية".

"آه"، قالت هولي، ولم تقدر أن تفكِّر بشيء آخر لتقوله سوى *كنتُ متأكدة تماماً من ذلك*، لكن هذا بدا فظّاً.

"مثليّ جنسياً *للغاية*، لكنه عبقري، وقد ساعدني في أبحاثي. يمكن أن أكون متأكداً - لقد كنتُ متأكداً - لكن بْراد هو الذي قدَّم البرهان". راح يهزّ إصبعه نحوها وهو يقول بهدوء تام، "لا جدال في ذلك!".

أومأت هولي برأسها وجلست على كرسي مجنَّح مقرِّبةً رُكبتَيها إلى بعضهما وواضعةً جزدانها على حُضنها. بدأت تعتقد أن بَلْ غارقٌ في الواقع في وهم عُصابي وأنها تركض في زقاق مظلم، لكن هذا لم يغيظها أو يُسخِطها، بل على العكس تماماً، أراحها كثيراً لأنه إذا كان هذا هو حاله، فستكون هذه هي حالها أيضاً على الأرجح.

"أخبِريني عن *مخلوقك*"، قال دان وقد مال إلى الأمام أكثر. "يقول الطبيب مورتون في مقاله إنك تسمّينه دخيلاً". لا تزال عيناه اللامعتان المُنهكتان مركّزتين على عينيها، وتذكَّرت هولي كيف يرسمون نسراً جاثماً على غصن شجرة في أفلام الرسوم المتحركة.

رغم أنه كان من الصعب - من المستحيل تقريباً - على هولي في السابق ألا تفعل ما يطلبه منها الآخرون، إلا أنها هزّت رأسها.

استرخى على كرسيه ذي العجلات خائب الأمل. "لا؟".

"أنت تعرف أغلب قصتي مسبقاً من المقال الذي نشَره الطبيب مورتون في مجلة *الفصلية النفسية*، ومن الفيديوهات التي شاهدتها على الانترنت. لقد أتيتُ لأسمع قصتك *أنت*، وقد وصفتَ أونداوسكي بأنه شيءٌ. أريد أن أعرف كيف يمكنك أن تكون متيقّناً أنه دخيلٌ".

"الدخيل إسمٌ جيدٌ له. جيدٌ جداً". قوَّم بَلْ قُنَيّته الطبية التي انحرفت قليلاً. "إسمٌ جيدٌ جداً. سأخبِرك بينما نحتسي الشاي ونأكل المعجنات في الطابق العلوي، في غرفة عمل بْراد. سأُخبِرك كل شيء، وستقتنعين".

"بْراد -"

"بْراد يعرف كل شيء"، قال دان وهو يلوِّح تلك اليد الخشبية باستخفاف. "إنه فتى مؤدَّب، سواء كان مثليّ جنسياً أم لا". أدركت هولي أن المرء عندما يصبح في تسعيناته فإنه يعتبر الرجال الأكبر من بْراد بَلْ حتى بعشرين سنة فتياناً. "فتى ذكي أيضاً. ولستِ مضطرةً أن تخبريني قصتك إذا كنتِ لا تريدين ذلك - رغم أنني سأفرح إن وضَّحتِ لي بعض التفاصيل التي تثير فضولي - لكن قبل أن أُخبِرك بما أعرفه، يجب أن أصرّ أن تُخبِريني ما الذي جعلك تشتبهين بأونداوسكي من الأصل".

وجدت هذا الطلب معقولاً جداً فقالت، "في الأغلب بسبب بقعة الشعر الصغيرة بجانب فمه التي بقيت تزعجني. بدت لي كما لو أنه يضع شارباً مزيَّفاً وكان على عجلة من أمره عندما نزَعه بحيث أنه لم ينزعه كله. لكن إن كان بإمكانه أن يغيِّر كامل مظهره الجسدي، لماذا *سيحتاج* إلى شارب مزيَّف؟".

لوَّح بَلْ يده باستخفاف. "هل كان هناك شعر على وجه *دخيلك*؟".

فكَّرت هولي وعبست، فأول شخص انتحل الدخيل شخصيته (على حدّ عِلمها) عجوزٌ يدعى هيث هولمز

ولم يكن هناك شعر على وجهه. ولم يكن هناك شعر على وجه الثاني أيضاً. أما هدفه الثالث فكانت لديه سكسوكة، لكن عندما واجَهت هولي ورالف الدخيل في كهف تكساس، لم يكن تحوّله قد اكتمل.

"لا أعتقد. ماذا تقصد أن تقول؟".

"لا أعتقد أنه يمكنهم إنبات شعر على الوجه"، قال دان بَلْ. "أعتقد أنك إذا رأيتِ دخيلك عارياً - لا أظن أن هذا حصل أبداً؟".

"لا"، قالت هولي، ولأنها لم تكن قادرةً على منع نفسها من قول ذلك، أضافت، "يا للهول".

هذا جعل دان يبتسم. "إذا رأيته عارياً، أعتقد أنك لن ترين أي شعر عانة، أو أي شعر تحت الإبطَين".

"كان هناك شعر على رأس الشيء الذي التقينا به في ذلك الكهف. وكذلك الأمر مع أونداوسكي... وجورج أيضاً".

"جورج؟".

"هكذا أسمّي الرجل الذي زرع طرد العبوة في مدرسة ماكريدي".

"جورج. آه، فهمتُ"، ردَّ وبدا أنه يتأمَّل بهذا للحظةٍ، ثم ظهرت ابتسامة خفيفة عند أطراف فمه، ثم اختفت. "لكن شعر الرأس مختلف، أليس كذلك؟ ينبت الشعر على رؤوس الأولاد قبل سنّ البلوغ، وبعضهم يُولدون وهناك شعر على رؤوسهم".

فهمت هولي قصده، وأملت حقاً ألا يكون كلامه مجرد تعبير آخر عن أوهام هذا العجوز.

"هناك أشياء أخرى لا يستطيع المفجِّر - جورج، إن أردتِ - تغييرها مثلما يغيِّر مظهره الجسدي"، قال دان. "فقد احتاج إلى ارتداء زيّ مزيَّف ووضع نظّارات مزيَّفة، واحتاج إلى شاحنة مزيَّفة وقارئة طرود مزيَّفة، واحتاج إلى شارب مزيَّف".

"قد يكون لأونداوسكي حاجبان مزيَّفان أيضاً"، قال بْراد وهو يدخل حاملاً صينيةً عليها كوبا شاي وكومة فطائر محلاة. "لكنني لا أظن ذلك، فقد درستُ صوره بتمعّن شديد وأعتقد أنه زرعهما هناك لكي يبدو طبيعياً ما كان سيبدو مجرد زَغَبٍ... مثلما يبدو حاجبا عيني الطفل مجرد زَغَب". ثم انحنى ليضع الصينية على الطاولة الصغيرة.

"لا، لا، في غرفة العمل"، قال دان. "حان الوقت لننطلق بهذا المشروع. هلاّ دفعتني يا آنسة غيبني - هولي؟ أنا مُتعَب جداً".

"بالطبع".

اجتازوا غرفة طعام رسميةً ومطبخاً ضخماً، ووصلوا في نهاية الرواق إلى درج في أسفله كرسي مصعد يقود إلى الطابق الثاني على سكة فولاذية. أملَت هولي أن يكون موثوقاً أكثر من المصعد الذي في مبنى فريدريك.

"ركَّب بْراد هذا عندما فقدتُ القدرة على استخدام رجليّ"، قال دان. عندها أعطى بْراد هولي الصينية ونقل العجوز إلى الكرسي المصعد بسهولةٍ ناتجةٍ عن تكرار هذا العمل لمدة طويلة، ثم ضغط دان زراً وبدأ يصعد. استعاد بْراد الصينية من هولي وصعدا الدرج بجانب الكرسي البطيء.

"هذا منزل لطيف جداً"، قالت هولي، ثم فكَّرت في سرّها *لا شكّ أنه كلَّف ثروة.*

لكن دان قرأ أفكارها. "جَدّي. مصانع الورق".

وأخيراً فطِنت هولي للأمر، فخزانة التجهيزات المكتبية في فايندرز كيبرز مكدّسة بورق ماركة بَلْ للآلة الناسخة. رأى دان التعبير على وجهها وابتسم.

"نعم، هذا صحيح، *منتجات بَلْ الورقية* وقد أصبحت الآن جزءاً من تكتل يمتدّ إلى ما وراء البحار يحمل الإسم نفسه. قبل عشرينات القرن العشرين، كان جَدّي يمتلك مصانع في كل أرجاء ماين الغربية - لويستون، ليسبون فولز، جاي، ميكانيك فولز - كلها أغلَقت أبوابها الآن، أو تحوّلت إلى مراكز تجارية، لكنه خسِر معظم ثروته في الانهيار الاقتصادي عام 1929، وهي السنة التي وُلدت فيها. لا حياة رخاء لأبي أو لي، فقد اضطررنا إلى العمل لنكسب قوتنا اليومي، لكننا نجحنا في الحفاظ على المنزل".

وصلوا إلى الطابق الثاني حيث نقل بْراد دان إلى كرسي ذي عجلات آخر وأوصله بقارورة أكسجين أخرى. بدا لها أن ذلك الطابق يتألف من غرفة واحدة كبيرة مُنع ضوء شمس ديسمبر من دخولها عبر تغطية النوافذ بستائر سميكة جداً. كما رأت أربعة حواسيب على مكتبَي عمل، وعدة أجهزة ألعاب بدت لها حديثة جداً، وكمية كبيرة من معدّات الصوت، وتلفزيوناً ضخماً ذا شاشة مسطَّحة، وعدة مكبِّرات صوت مثبَّتة على الجدران، اثنين منها موضوعين على جانبَي التلفزيون.

"ضع الصينية من يدك يا بْراد قبل أن ينسكب كل شيء أرضاً".

أشار دان بإحدى يديه المـُصابتين بالتهاب المفاصل إلى طاولةٍ مُغطاة بمجلات حوسبة (العديد منها أعدادٌ لمجلة *ساوندفيل*، وهي مجلة لم تسمع بها هولي أبداً)، ومحرِّكات أقراص وامضة، وأقراص صلبة خارجية، وأسلاك. بدأت هولي تحاول تفريغ مكانٍ لتجلس عليه.

"آه، فقط ضعي كل شيء على الأرض"، قال دان.

نظرت إلى بْراد، الذي أومأ برأسه اعتذاراً وقال، "أنا شخص غير مرتَّب قليلاً".

عندما أصبحت الصينية بأمان على الطاولة، وضع بْراد المعجنات على ثلاثة أطباق. بدت شهية، لكن هولي لم تعد تعرف إن كانت جائعة أم لا، وبدأت تشعر مثل أَلِيس في حفلة الشاي المجنونة. أخذ دان بَلْ رشفةً من كوبه، وتمطَّق بشفتيه، ثم كشَّر ووضع يداً على الجهة اليسرى لقميصه، فاقترب منه بْراد فوراً.

"هل حبوبك معك يا جَدّي؟".

"نعم، نعم"، قال دان وربَّت على الجيب الجانبي لكرسيه ذي العجلات. "أنا بخير، ويمكنك أن تتوقف عن

التحويم حولي. هذه فقط الإثارة من وجود شخص في المنزل - شخص يدري - وهذا مفيد لي على الأرجح".

"لستُ أكيداً جداً من هذا يا جَدّي"، قال بْراد. "ربما من الأفضل أن تأخذ حبّةً".

"قلتُ إنني بخير".

"سيد بَلْ -"، بدأت هولي تقول.

"دان"، قال العجوز وكرّر هزّ إصبعه الملتوي بشكل منفِّر بسبب التهاب المفاصل لكنه لا يزال إصبعاً تحذيرياً. "أنا دان، وهذا بْراد، وأنتِ هولي. كلنا أصدقاء هنا". ضحك مرة أخرى، وبدا صوته لاهثاً هذه المرة.

"عليك أن تُبطئ قليلاً"، قال بْراد، "إلا إذا كنت تريد القيام برحلة أخرى إلى المستشفى".

"نعم يا أمي"، قال دان وكوَّب يده فوق أنفه المسنَّن وأخذ عدة أنفاس عميقة من قارورة الأكسجين. "أعطني الآن إحدى الفطائر المحلاة هذه. ونحتاج إلى مناديل".

لكن لم تكن هناك مناديل. "سأُحضِر بعض المناشف الورقية من الحمّام"، قال بْراد وذهب.

استدار دان إلى هولي وقال، "ينسى كثيراً. آه كم ينسى. أين وصلتُ في الحديث؟ وهل هذا يهمّ حقاً؟".

هل أيٌّ من هذا يهمّ؟ تساءلت هولي في سرّها.

"كنتُ أُخبِرك أنني اضطررتُ وأبي إلى العمل لنكسب لقمة عيشنا. هل رأيتِ الرسوم في الطابق السفلي؟".

"نعم"، قالت هولي. "أظنها رسومك".

"نعم، كلها رسومي". ثم رفع يديه المفتولتين وقال، "قبل حصول هذا/".

"إنها جيدة جداً"، قالت هولي.

"ليست سيئة كثيراً"، قال، "رغم أن الرسوم التي في الرواق ليست الأفضل، فتلك كانت للعمل، وقد أصرَّ بْراد على تعليقها. كما أنجزتُ بعض الأغلفة لروايات ورقيّة الغلاف في الخمسينات والستينات لناشرين أمثال غولد ميدال ومونارش. تلك كانت أفضل بكثير، وأغلبها روايات جرائم - فتيات نصف عاريات يحملن رشّاشات يتصاعد منها دخان الرصاصات. لقد أكسبتني بعض المال الإضافي، وهذا أمر يدعو إلى السخرية عندما تتذكَّرين أن عملي الرئيسي هو شرطي في پورتلاند. تقاعدتُ في الثامنة والستين".

ليس فناناً فحسب بل شرطياً آخر، فكَّرت هولي في سرّها. بيل أولاً، ثم پيت، ثم رالف، والآن هذا الرجل.

أدركت مرة أخرى كيف أن قوةً خفيةً لكن قوية تشدّها إلى هذا، وتصرّ بكل هدوء على تشابهاتٍ وتكملاتٍ.

"كان جَدّي رأسمالياً يملك مصانع، لكن حياتنا أصبحت كئيبةً منذ ذلك الوقت. فعمِل أبي شرطياً، ونسجتُ على منواله، ثم نسجَ إبني على منوالي، أقصد والد بْراد الذي تُوفِّي في حادث تحطّم أثناء مطاردته رجلاً ثملاً يقود سيارةً مسروقةً على الأرجح. نجا ذلك الرجل، وربما لا يزال حيّاً حتى الآن".

"يؤسفني هذا كثيراً"، قالت هولي.

تجاهل دان محاولتها تعزيته. "حتى والدة بْراد عملت في تجارة العائلة. حسناً إلى حد ما، فقد كانت مختزِلة في المحكمة. وعندما ماتت، أخذتُ الفتى تحت كنفي. لا يهمّني إن كان مثليّاً جنسياً أم لا، وكذلك الأمر مع مديرية الشرطة، رغم أنه لا يعمل هناك بدوام كامل. المسألة لديه مجرد هواية، فأغلب عمله هو... هذا"، قال ولوَّح يده المشوَّهة نحو معدّات الحاسوب.

"أصمّم أصواتاً للألعاب من موسيقى وتأثيرات سمعية وما شابه"، قال بْراد بهدوء وقد عاد ومعه لفّة مناشف ورقية. أخذت هولي اثنتين منها وبسطتها على حُضنها.

أكمل دان حديثه وقد بدا أنه شرد في الماضي. "بعد انتهاء أيام دورياتي في الشرطة - لم أترقَّ أبداً إلى رتبة محقق، ولم أرغب بذلك أبداً - عمِلتُ كموزِّع أغلب الأوقات. لا يحبّذ بعض رجال الشرطة الوظيفة المكتبية، لكنني لم أمانع ذلك أبداً، لأنه كان لديَّ عمل آخر أيضاً، عملٌ أبقاني مشغولاً بعد فترة طويلة على تقاعدي. يمكنكِ القول إن هذا أحد وجهَي العملة، وما يفعله بْراد عندما يستدعونه هو الوجه الآخر. بصراحة يا هولي، لقد ظفرنا بهذا *الحقير* بعد أن كان تحت أنظارنا لسنواتٍ".

كانت هولي قد أخذت أخيراً قضمة من الفطيرة المحلاة، لكنها فتحت فمها الآن سامحةً لرشقٍ بشعٍ من الفتات بالوقوع على الطبق والمنشفتين الورقيتين الموضوعتين على حُضنها. *"لسنواتٍ؟"*.

"نعم"، قال دان. "وقد عرَف بْراد ذلك منذ أن كان في عشريناته، فقد عمِل معي على هذه القضية منذ 2005 تقريباً. أليس هذا صحيحاً يا بْراد؟".

"أكثر من ذلك بقليل"، قال بْراد بعد أن بلع قضمةً من فطيرته المحلاة.

هزّ دان كتفيه، وبدت عليه إمارات الألم. "يبدأ كل شيء بالذوبان ببعضه عندما تصبح في عمري"، قال ثم

وجَّه نظرة شبه ساخطة نحو هولي مقرِّباً حاجبَيه الكثيفين (لا شيء مزيَّف فيهما) من بعضهما. "لكن هذا ليس حالي مع أونداوسكي، حسبما يسمّي نفسه الآن، فالصورة صافية تماماً بشأنه، وإلى البداية... أو على الأقل إلى النقطة التي دخَلتُ عندها. لقد أعدَّينا عرضاً جيداً لك يا هولي. هل الفيديو الأول حاضر يا بْراد؟".

"كل شيء جاهز يا جَدّي"، أجاب بْراد وأمسك جهازه الآيباد واستخدم جهاز التحكم عن بُعد ليشغِّل التلفزيون الكبير الذي لم يعرض أي شيء حالياً سوى شاشة زرقاء وكلمة *جاهز*.

أملَت هولي أن تكون جاهزة هي أيضاً.

10

"كنتُ في الحادية والثلاثين عندما رأيتُه لأول مرة"، قال دان. "أنا متأكد من ذلك لأن زوجتي وإبني أقاما لي حفلة ذكرى ولادة صغيرة قبل أسبوع فقط. أشعر أن هذا حصل منذ وقت طويل كما أشعر أنه حصل البارحة. كنتُ لا أزال وقتها أقوم بدوريات في سيارة الشرطة، وقد ركنَ مارسيل دُوشان سيارتنا خلف رُكام ثلجي في شارع مارجينل وايْ بانتظار مرور أشخاص يقودون

بسرعة جنونية، رغم أن ذلك غير مرجَّح صباح أحد أيام الأسبوع. كنا نأكل كعكات مقلية ونشرب القهوة، وأتذكَّر أن مارسيل راح يقرِّعني بشأن غلاف رواية رسمتُه ويسألني عما سيكون شعور زوجتي من رسمي نساء مثيرات في سراويلهن الداخلية. أعتقد أنني كنتُ أُخبره أن زوجته هي التي وقفت لي لكي أرسم ذلك الغلاف عندما ركَض شابّ إلى سيارتنا وقرَع على زجاج نافذة السائق". سكت دان قليلاً وهزّ رأسه. "المرء يتذكَّر دائماً أين كان عند تلقيه خبراً سيئاً، أليس كذلك؟".

تذكَّرت هولي اليوم الذي تلقت فيه خبر وفاة بيل هودجز. فقد اتصل بها جيروم ليُخبرها، وهي متأكدة تماماً أنه كان يبذل جهداً كبيراً ليحبس دموعه.

"أنزلَ مارسيل زجاج نافذته وسأل الشابّ إن كان يحتاج إلى مساعدة، فأجاب لا. كان يحمل راديو ترانزستور - هذا ما كان يتوفر لنا بدلاً من أجهزة الآيبود والهواتف الخلوية في تلك الأيام - وسأل إن سمِعنا عما حصل للتو في نيويورك".

سكت دان قليلاً ليقوِّم قُنَيّته ويعدِّل انسياب الأكسجين من الخزان المثبَّت بكرسيه.

"لم نكن قد سمِعنا أي شيء ما عدا ما يُبَثّ على لاسلكي الشرطة، لذا أطفأه مارسيل، وشغَّل راديو السيارة، وبحث عن نشرة الأخبار. هذا ما كان المهروِل يتكلَّم عنه. هيا شغِّل أول فيديو يا بْراد".

أمسك حفيد دان جهازه اللوحيّ الإلكتروني الذي يضعه على حُضنه، وأداره صوب هولي وقال لها، "سأزامن ما يُعرَض هنا على الشاشة الكبيرة. لحظة واحدة... حسناً، ها هو".

ظهرت بطاقة عنوان لفيلم إخباري قديم على الشاشة ترافقها موسيقى كئيبة: *أسوأ حادث تحطم طائرة في التاريخ*. ثم تبعت ذلك مشاهدٌ بالأسود والأبيض لشارعٍ في مدينة بدا كأن قذيفة انفجرت فيه.

"العواقب الفظيعة لأسوأ كارثة جوية في التاريخ!"، أعلن المُذيع بصوتٍ رخيمٍ. "في أحد شوارع بروكلين تقبع البقايا المحطَّمة لطائرة شحن اصطدمت بطائرة أخرى في سماء نيويورك الضبابية". استطاعت هولي رؤية كلمة *يونايتد* على ذيل الطائرة - أو ما بقي منه. "فقد سقطت طائرة شركة الطيران يونايتد إيرلاينز على منازل حي سكني مما أدى إلى وفاة ستة أشخاص على

الأرض بالإضافة إلى الركاب والطاقم البالغ عددهم أربعة وثمانين شخصاً".

رأت هولي الآن رجال إطفاء يرتدون خوذات قديمة الطراز ويبحثون بكل اندفاعٍ بين الحُطام، وبعضهم يحملون نقّالات عليها جثث مُغطاة ببطانيات.

"من المفترض"، أكمل المـُذيع يقول، "أن تكون طائرة يونايتد هذه بعيدة عدة كيلومترات عن طائرة TWA التي اصطدمت بها، لكن طائرة TWA - الرحلة رقم 266، وتحمل أربعة وأربعين شخصاً بين راكب وأفراد الطاقم - كانت بعيدةً جداً عن مسارها، وقد تحطّمت فوق ستاتن آيلند".

ظهر مزيدٌ من الجثث المـُغطاة على مزيدٍ من النقّالات، وظهرت عجلة طائرة ضخمة وقد تمزّق مطاطها والدخان لا يزال يتصاعد منها. جالت الكاميرا على حُطام الرحلة 266، ورأت هولي هدايا لاحتفال الشتاء ملفوفة بأوراق زاهية مبعثرة في كل مكان، ثم اقتربت عدسة الكاميرا من إحداها لتُظهِر مجسماً صغيراً لسانتا كلوز مربوطاً بعقدتها، والدخان يتصاعد منه وقد اسوَدَّ لونه من السُخام.

"يمكنك إيقافه هنا"، قال دان، فضغط بْراد على جهازه اللوحيّ وعاد التلفزيون الكبير ليعرض الشاشة الزرقاء.

استدار دان إلى هولي.

"تُوفِّي مئة وأربعة وثلاثون شخصاً. ومتى حصل ذلك؟ في السادس عشر من ديسمبر 1960، أي منذ ستين سنة بالضبط حتى يومنا هذا".

مجرد صُدفة، فكَّرت هولي في سرّها، لكن أصابتها قشعريرةٌ رغم ذلك، وفكَّرت مرة أخرى كيف أنه يمكن أن تكون هناك قوى في هذا العالم تحرّك الناس (رجالاً ونساءً) مثلما تشاء كأنهم بيادق على رقعة شطرنج. يمكن أن يكون تشابه التواريخ صُدفةً، لكن هل يمكنها أن تقول ذلك عن كل ما جرى وقادها لتأتي إلى هذا المنزل في پورتلاند، ماين؟ لا. فسلسلة الأحداث تقود إلى وحش آخر يدعى برايدي هارتسفيلد، عِلماً أن برايدي هو الذي سمح لها أن تصدِّق من الأصل.

"كان هناك ناجٍ واحد"، قال دان بَلْ وأخرجها من شرود ذهنها جافلةً.

أشارت هولي إلى الشاشة الزرقاء كما لو أن الفيلم الإخباري لا يزال يُعرَض هناك. "شخصٌ ما نجا من هذا؟".

"ليوم واحد فقط"، قال بْراد. "وقد أسمته الصحف *الفتى الذي سقط من السماء*".

"لكن شخصاً آخر هو الذي صاغ هذه الجملة"، قال دان. "في تلك الأيام الخوالي في منطقة العاصمة في نيويورك، كانت هناك ثلاث أو أربع محطات تلفزيونية مستقلة إلى جانب شبكات التلفزة، وWLPT إحداها. صحيح أنها اختفت من زمن بعيد الآن، لكن إن كان قد تم تصوير أي شيء فالاحتمال كبير أن تجديه على الانترنت. استعدّي لصدمةٍ أيتها الشابة". ثم أومأ برأسه لبْراد الذي بدأ يضغط على جهازه اللوحيّ مرة أخرى.

تعلّمت هولي في صغرها (وبموافقة ضمنية من أبيها) أن الإظهار العلني للمشاعر ليس مُحرِجاً وبغيضاً فحسب بل مُخزياً أيضاً. وحتى بعد مرور سنوات على عملها مع آليْ وينترز، لا تزال تُخفي مشاعرها عادة، حتى بين أصدقائها. لكن رغم أن هذين الرجلين غريبان بالنسبة لها، إلا أنها لم تستطع منع نفسها من أن تصرخ عندما بدأ عرض الفيديو التالي على الشاشة الكبيرة.

"هذا هو! هذا أونداوسكي!".

"أعرف"، قالَ دان بَلْ.

إلا أن معظم الأشخاص سيقولون إنه ليس هو، وهولي تعرف ذلك.

سيقولون *آه نعم، هناك شبه بينهما، تماماً مثل الشبه بين السيد بَلْ وحفيده، أو بين جون لينون وإبنه جوليان، أو بيني وبين العمّة إليزابيث.* وسيقولون أيضاً *هذا بالتأكيد جَدّ تشَتْ أونداوسكي. يا إلهي كم صحيحة مقولة هذا الشبل من ذاك الأسد، أليس كذلك؟*

لكن هولي تعرف، تماماً مثلما يعرف العجوز على الكرسي ذي العجلات.

الرجل الذي يحمل ميكروفون WLPT القديم الطراز ذو وجه مكتنز أكثر من وجه أونداوسكي، والخطوط على ذلك الوجه تقترح أنه أكبر منه سناً بعشر سنوات وربما حتى عشرين سنة. شعره قصير تتداخله خصلٌ داكنةٌ وفاتحةٌ، ولديه سُربة بسيطة أعلى جبهته غير موجودة على رأس أونداوسكي. كما تبدو عليه طلائع خدَّين ممتلئين، على عكس أونداوسكي.

رأت بعض رجال الإطفاء يهروِلون خلفه على الثلج السُخامي ويلتقطون الرُزم والأمتعة، بينما يوجِّه بعضهم الآخر خراطيم مياه نحو بقايا طائرة يونايتد ومبنيين

يحترقان خلفها. ثم رأت سيارة إسعاف قديمة كبيرة تنطلق بأضوائها الوامضة.

"معكم پول فريمان في بروكلين من موقع أسوأ حادث تحطم طائرة في التاريخ الأميركي"، قال المراسِل وهو يزفر بخاراً أبيض مع كل كلمة. "قُتل جميع ركاب طائرة يونايتد إيرلاينز هذه ما عدا فتى واحد"، وأشار إلى الإسعاف المغادِرة. "لم يُعرَف بعد إسم الفتى الموجود في تلك الإسعاف. إنه -"، وسكت المراسِل الذي يسمّي نفسه پول فريمان والتأثُّر واضح على وجهه. "- الفتى الذي سقط من السماء! فقد قُذف من القسم الخلفي للطائرة وهو لا يزال يحترق، وحطَّ على رُكام ثلجي. وقد دحرَجه متفرِّجون مذعورون على الثلج ليُطفئوا نيرانه، لكنني رأيتُه يُوضع في الإسعاف، ويمكنني إخباركم أن إصاباته تبدو خطيرة. لقد احترقت ملابسه بالكامل تقريباً، أو ذابت والتصقت ببشرته".

"أوقفه هنا"، أمَر العجوز، وأطاعه حفيده. استدار دان إلى هولي وعيناه الزرقاوان باهتتان لكنهما لا تزالان شرِستين. "هل ترين يا هولي؟ هل تسمعين؟ أنا متأكد أنه بدا مذعوراً للجمهور ويؤدّي عمله في ظروف صعبة، لكنه -"

"ليس مذعوراً"، قالت هولي وتذكَّرت أول تقرير لأونداوسكي عن انفجار مدرسة ماكريدي، وهي ترى الآن بشكل أوضح. "إنه متحمِّس".

"نعم"، قال دان وأومأ برأسه. "بالفعل. لقد فهمتِ، وهذا جيد".

"الحمد لله أن شخصاً آخر يفهم"، قال بْراد.

"الفتى يدعى ستيفن بالتز"، قال دان، "وپول فريمان هذا رأى الفتى المحترق، وربما سمِع صرخات ألمه - لأن شهوداً قالوا إن الفتى كان واعياً، في البداية على الأقل. وهل تعرفين رأيي؟ ما أصبحتُ مقتنعاً به؟ أنه كان يتغذَّى".

"بالطبع كان يتغذَّى"، قالت هولي وقد شعرت بخَدر في شفتيها. "يتغذَّى بألم الفتى ورعب المتفرِّجين. *بالموت*".

"نعم. جهِّز الفيديو التالي يا بْراد"، قال دان واسترخى على كرسيه وقد بدا مُتعَباً. لم تهتمّ هولي لذلك فهي تحتاج إلى معرفة الباقي، تحتاج إلى معرفة كل شيء. لقد عادت لها حماستها القديمة.

"متى بدأتَ تبحث عن هذا؟ وكيف عرفتَ؟".

"رأيتُ في البدء اللقطات التي شاهدتِها للتو ليلة تحطم الطائرة، في *تقرير هنتلي-برينكلي*"، ثم سكت وقد رأى الحيرة على وجهها وابتسم. "أنتِ يافعة جداً لكي تتذكّري تشَتْ هنتلي ودايفد برينكلي. البرنامج يدعى الآن *المسائية على NBC*".

قال بْراد، "إذا وصل فريق عمل محطةٍ مستقلةٍ إلى موقع حدثٍ كبيرٍ قبل غيرهم واستطاعوا التقاط مشاهد جيدة، يبيعون التقرير إلى إحدى شبكات التلفزة. لا شكّ أن هذا ما حصل هنا، وهكذا استطاع جَدّي مشاهدته".

"وَصَل فريمان إلى هناك أولاً"، قالت هولي متأملةً. "هل تقصد أن تقول... هل تعتقد أن فريمان سبَّب تحطّم تلك الطائرتين؟".

هزّ دان بَلْ رأسه بشكل جازم لدرجة جعلت بقايا شعره المتناثر تتطاير. "لا، كان محظوظاً فحسب، أو تصرَّف استباقياً لأن هناك مآسي دائماً في المدن الكبرى، أليس كذلك؟ والاحتمالات كبيرة بحصول شيء يمكنه أن يتغذّى به. ومَن يدري، ربما مخلوقٌ مثله قد يكون مفطوراً على تفهُّم أسلوب وقوع الكوارث الكبرى. ربما هو مثل بعوضةٍ - يمكنه أن يشمّ رائحة الدم على بُعد

كيلومترات. كيف يمكننا أن نجزم عندما لا نعرف طبيعته حتى؟ شغّل الفيديو التالي يا بْراد".

شغَّل بْراد الفيديو، والرجل الذي ظهر على الشاشة الكبيرة هو أونداوسكي مرة أخرى... لكنه بدا مختلفاً. بدا أنحف وأصغر سناً من "پول فريمان"، وأصغر سناً من نسخة أونداوسكي الذي يقدِّم تقريره بالقرب من الجانب المدمَّر لمدرسة ماكريدي، لكنه هو. الوجه مختلف، لكن الوجه هو نفسه. والميكروفون الذي يحمله يُظهِر الأحرف KTVT، وهناك ثلاث نساء معه، إحداهن ترتدي زر كينيدي السياسي، وأخرى تمسك لافتةً متجعِّدةً وبائسةً نوعاً ما مكتوب عليها *على طول الطريق مع JFK في انتخابات 64!*

"معكم دايف فان پيلت من ساحة ديلي العامة، مقابل مستودع كتب مدرسة تكساس، حيث -"

"جمِّده"، قال دان ونفَّذ بْراد. ثم استدار دان إلى هولي وقال، "هذا هو مرة أخرى، صح؟".

"نعم"، قالت هولي. "لستُ متأكدةً أن أي شخص آخر سيلاحظ ذلك، ولستُ متأكدةً كيف لاحظتَه *أنت* بعد فترة طويلة على تقرير تحطّم الطائرة، لكنه هو. أخبَرني أبي ذات يوم شيئاً عن السيارات، حيث قال إن الشركات

- فورد، شيفروليه، كرايسلر - تقدِّم الكثير من الطُرُز المختلفة، وتغيِّرها من سنة إلى أخرى، لكنها كلها مصنوعة من القالب نفسه. وهذا... أونداوسكي..."، لكن لسانها انعقد ولم تستطع سوى التأشير بيدٍ مرتعشةٍ إلى الصورة السوداء والبيضاء المعروضة على الشاشة.

"نعم"، قال دان بلطف. "عبَّرتِ عنه أفضل تعبير. إنه طُرُز مختلفة، لكنه من القالب نفسه. ما عدا أن هناك قالبين على الأقل، وربما أكثر".

"ماذا تقصد؟".

"سأصل إلى هذه النقطة"، ردَّ بصوت أجش أكثر من أي وقت مضى، وشرب بعض الشاي ليطرّيه. "رأيتُ هذا التقرير بالصُدفة، لأنني كنتُ من متابعي برنامج هنتلي-برينكلي عندما عُرض في نشرة أخبار المساء. لكن بعد اغتيال كينيدي، انتقل الجميع مثلي إلى والتر كرونكايت لأن CBS قدَّمت أفضل تغطية، فقد اغتيل كينيدي يوم جمعةٍ، وعُرض هذا التقرير في *مسائية CBS* في اليوم التالي، أي السبت. هيا يا بْراد، لكن اعرضه من بدايته".

بدأ المراسِل اليافع ذو السترة الرياضية ذات المربعات الرهيبة يتكلَّم من جديد. "معكم دايف فان پيلت من ساحة ديلي العامة، مقابل مستودع كتب مدرسة

تكساس، حيث اغتيل البارحة جون ف. كينيدي، الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة. أنا هنا مع غريتا دايسون ومونيكا كيلوغ وخوانيتا ألڤاريز وهنَّ من أنصار كينيدي وكنَّ واقفات هنا بالذات حيث أقف الآن عندما أُطلقت الرصاصات. هل يمكنكنَّ إخباري بما رأيتنَّ؟ آنسة دايسون؟".

"رصاصات... دم... تطاير الدم من الجهة الخلفية *لرأسه* المسكين..."، وبدأت غريتا دايسون تبكي بشدّة لدرجة أنه لم يعد يمكن فهم ما تقوله، وافترضت هولي أن هذا هو المقصود نوعاً ما، فالمشاهدون في منازلهم يبكون معها على الأرجح، على اعتبار أن حزنها يعبِّر عن حزنهم أيضاً... وعن حزن أمّة بأكملها. إلا أن المراسِل...

"إنه يلتهمه"، قالت. "يتظاهر أنه متأثّر، لكنه ليس بارعاً جداً في ذلك".

"على الإطلاق"، قال دان. "بعدما تنظرين إلى المشهد بالطريقة الصحيحة، يصبح من المستحيل أن تفوتك رؤية ذلك. وانظري إلى السيدتين الأخريين. إنهما تبكيان أيضاً. تباً، الكثير من الناس بكوا ذلك السبت، واستمروا يبكون طوال الأسابيع التي تلت الجريمة. أنتِ محقّة بأنه يلتهمه".

"وتعتقد أنه عرَف أنها ستقع؟ مثلما تشمّ البعوضة رائحة الدم؟".

"لا أعرف"، قال دان. "لا أعرف فحسب".

"نعرف فقط أنه بدأ عمله في KTVT ذلك الصيف"، قال بْراد. "لم أتمكن من معرفة الكثير عنه، لكنني اكتشفتُ هذا القدر من تاريخ المحطة على الانترنت. وقد غادر المحطة في ربيع 1964".

"المرة التالية التي ظهر فيها - أو المرة التي أعرف عنها، على أي حال - كانت في ديترويت"، قال دان. "عام 1967 خلال ما سمّي وقتها تمرُّد ديترويت، أو شغب الشارع الثاني عشر. بدأت أعمال الشغب تلك عندما داهمت الشرطة مقصفاً لا يزال فاتحاً أبوابه بعد مواعيد العمل المسموحة له، وامتدّت إلى كل أنحاء المدينة، وقُتل فيها ثلاثة وأربعون شخصاً وجُرح ألف ومئتان. بقي هذا الحدث يحتلّ صدارة نشرات الأخبار لخمسة أيام، وهي المدة التي دام بها التمرُّد. ما سترينه صوّرته محطة مستقلة أخرى، لكن NBC اشترته وعرضته في مسائيتها. هيا يا بْراد".

ظهر مراسِلٌ يُجري مقابلة مع رجل أسود يسيل الدم على وجهه أمام واجهة محل تحترق. بدا الرجل غير

موزون تقريباً من الحزن وهو يقول إن مصبغته هي التي تحترق وراءهما، ولا يعرف أين زوجته وإبنته بعد أن أضاعهما في المعارك الدائرة في كل شوارع المدينة. "لقد خسرتُ كل شيء"، قال. *"كل شيء"*.

والمراسِل الذي يسمّي نفسه هذه المرة جيم آيفيري؟ إنه موظف في تلفزيون في مدينة صغيرة بالتأكيد، وجسمه ممتلئ أكثر من "پول فريمان" ويكاد يميل إلى البدانة، وقامته قصيرة (الرجل الأسود يفوقه طولاً بكثير)، ورأسه أصلع. طرازٌ مختلفٌ، لكن القالب نفسه. إنه تشَث أونداوسكي مدفونٌ في ذلك الوجه البدين، وپول فريمان أيضاً، وكذلك دايڤ ڤان پيلت.

"كيف تكهّنتَ بهذا يا سيد بَلْ؟ بالله عليك كيف -"

"دان، هل تتذكّرين؟ إسمي دان".

"كيف استطعتَ أن ترى أن الشبه لم يكن مجرد شبه؟".

نظر دان وحفيده إلى بعضهما البعض وتبادلا ابتسامةً. عندما رأت هولي تلك الابتسامة السريعة، تذكّرت فكرة *الطُرُز مختلفة، لكن القالب نفسه*.

"لقد لاحظتِ الرسوم في الرواق، أليس كذلك؟"، سأل بْراد. "كانت هذه مهمة جَدّي الأخرى عندما كان في

الشرطة. لديه موهبة فطرية لهذه الأمور".

فطِنت هولي للأمر مرة أخرى، فاستدارت إلى دان. "كنتَ فنان رسوم تخطيطية، وهذه كانت مهمتك الأخرى في الشرطة!".

"نعم، رغم أنني كنتُ أُنجز أكثر من مجرد رسوم تخطيطية. لم أكن رساماً كاريكاتورياً، بل رسام *بورتريهات*". فكّر قليلاً ثم أضاف، "لقد سمِعتِ أشخاصاً يقولون إنهم لا ينسون الوجوه أبداً؟ أغلبهم يبالغون أو يكذبون. أنا لستُ مثلهم". فكّرت هولي في سرّها أن العجوز يتكلّم بنبرة واقعية، وأنه إذا كانت هذه موهبة لديه، فهي قديمة مثله وتعود إلى أيام شبابه. ربما كانت تُدهشه ذات يوم، لكنه يعتبرها من المسلّمات الآن.

"لقد رأيتُه يعمل"، قال بْراد. "ولولا التهاب المفاصل في يديه لاستطاع أن يستدير نحو الجدار، ويرسمك في عشرين دقيقة يا هولي، وبأدق التفاصيل. تلك الرسوم في الرواق؟ أُلقي القبض على كل أولئك الأشخاص بناءً على بورتريهات جَدّي".

"ومع ذلك -"، بدأت تقول بارتياب.

"ميزة تذكّر الوجوه هي مجرد جزء من العملية"، قال دان. "ولا تفيد عند الحاجة إلى رسم صورة دقيقة

للمتّهم، لأنني *لستُ* مَن رآه. هل تفهمين؟".

"نعم"، قالت هولي، عِلماً أنها مهتمة بهذا لأسباب أخرى غير تعرُّفه على أونداوسكي في أشكاله العديدة المختلفة. فهي مهتمة بهذا لأنها لا تزال تتعلَّم في مهنتها كمحقِّقة.

"يدخل الشاهد، وفي بعض الحالات - سرقة سيارة تحت تهديد السلاح أو عملية سلبٍ مثلاً - يدخل عدة شهود، ويصفون الفاعل. لكن المسألة تشبه قصة الرجال العميان والفيل. هل تعرفين تلك القصة؟".

هولي تعرفها، حيث أن الرجل الأعمى الذي يُمسِك ذيل الفيل يقول إنه نبتة معترشة، والرجل الذي يُمسِك الخرطوم يظنّ أنه ثعبان كبير، والرجل الذي يُمسِك الساق يكون متأكداً أنه جذع شجرة نخيل قديمة كبيرة. وفي نهاية المطاف يتشاجر الرجال العميان حول مَن المحقّ بينهم.

"كل شاهد يرى المتّهم بطريقة مختلفة قليلاً"، قال دان. "وإذا كان شاهداً واحداً فإنه يراه بطرق مختلفة مع مرور الأيام، ويعود قائلاً لا، لا، كنتُ مخطئاً، وجهه بدين جداً، أو نحيل جداً. لديه سكسوكة. لا، كان شارباً.

عيناه زرقاوان. لا، بعد التفكير ملياً طوال الليل أظن أنهما رماديتان في الواقع".

أخذ نَفَساً عميقاً آخر من قارورة الأكسجين، وبدا مُتعَباً أكثر من أي وقت مضى، لكن عينيه في مَحجِريهما الأرجوانيين بدتا ساطعتين ومركِّزتين. شعرت هولي أنه إذا رأى ذاك الشيء المدعو أونداوسكي هاتين العينين فقد يخاف، وقد يرغب أن يُغمضهما قبل أن تريا المزيد.

"مهمتي هي أن أنظر إلى ما وراء كل تلك الاختلافات وأرى أوجه الشبه. هذه هي الموهبة الحقيقية وما أضعه في رسومي. وهذا ما وَضَعتُه في رسومي الأولى لذلك الرجل. انظري".

أخرجَ مجلداً صغيراً من الجيب الجانبي لكرسيه وأعطاها إياه. وجدت فيه ست أوراق رسم رقيقة أصبحت هشّة مع العمر، وكل واحدة منها تُظهِر نسخةً مختلفةً لتشارلز "تشَث" أونداوسكي. صحيح أنها لم تكن مفصَّلة مثل معرضه في الرواق، لكنها رائعة. وجدت نفسها تنظر إلى پول فريمان ودايف فان پيلت وجيم آيفيري في الرسوم الثلاثة الأولى.

"هل رسمتَ هذه من ذاكرتك؟"، سألت.

"نعم"، قال دان بنبرة غير خالية من التبجّح فحسب، بل بنبرة تعرض الحقيقة فقط لا غير. "رسمتُ هذه الرسوم الثلاثة الأولى بُعيد رؤيتي آيفيري في صيف 1967. لقد صنعتُ نُسخاً عنها، لكن هذه هي الأصلية".

قال بْراد، "تذكّري الإطار الزمني يا هولي، فقد رأى جَدّي هؤلاء الرجال على التلفزيون قبل أن تكون هناك أجهزة تسجيل على كاسيتات أو أقراص مضغوطة وقبل ظهور الانترنت. الوضع بالنسبة للمُشاهد العادي في تلك الأيام هو أنه يرى ما يراه ثم يختفي، وعليه أن يتّكل على ذاكرته".

"وهؤلاء الرجال الآخرين؟"، قالت ونشرت الرسوم الثلاثة الأخرى التي تُظهر وجوهاً ذات تسريحات شعر مختلفة، وعيون وأفواه مختلفة، وخطوط مختلفة، وأعمار مختلفة. كلها طُرُز مختلفة من القالب نفسه. كلها أونداوسكي. يمكنها أن تلاحظ ذلك لأنها رأت الفيل، وقد اعتبرت أن قدرة دان بَلْ على ملاحظة ذلك في تلك الأيام أمرٌ مدهش، بل عبقريٌ حقاً.

أشار إلى الرسوم التي تُمسكها، الواحد تلو الآخر. "هذا ريجينالد هولدر الذي قدّم تقريره من وَستفيلد، نيوجيرسي بعد أن قتل جون لِيسْت كل أفراد عائلته،

وقد أجرى مقابلات مع أصدقائه المنتحبين وجيرانه. والتالي هو هاري ڤايل الذي قدَّم تقريره من جامعة ولاية كاليفورنيا في فولّرتون بعد أن أطلقَ بوّابٌ يدعى إدوارد ألاواي النار وقتل ستة أشخاص. وصل ڤايل إلى مسرح الجريمة قبل أن يجفّ دم الضحايا، وأجرى مقابلات مع الناجين. أما هذا الأخير، والذي نسيتُ إسمه -"

"فْرَد ليبرمانينباخ"، قال بْراد. "مراسل محطة WKS في شيكاغو، وقد غطّى حالات التسمُّم بالتايلينول عام 1982 التي تسبَّبت بوفاة سبعة أشخاص، وقد تكلَّم مع أنسبائهم الحزينين. لديَّ كل تلك الفيديوهات إن كنتِ تريدين مشاهدتها".

"هناك عدد كبير من الفيديوهات له، وقد كشفنا سبع عشرة نسخةً مختلفةً لتشَث أونداوسكي"، قال دان.

"سبع عشرة نسخة؟"، ردَّت هولي مذهولةً.

"هذه فقط التي اكتشفناها. لا داعي لمشاهدتها كلها، فقط ارفعي هذه الرسوم الثلاثة الأولى أمام التلفزيون يا هولي. صحيح أنه ليس مثل الصندوق المضيء الذي يستخدمه طبيب الأشعة، لكن يجب أن يفي بالغرض".

رفعتها أمام الشاشة الزرقاء وهي تعرف أنها سترى وجهاً واحداً.

وجه أونداوسكي.

وجه دخيلٍ.

12

عندما نزلوا إلى الطابق السفلي، لم يكن دان بَلْ يجلس على الكرسي المصعد، بل بدا كأنه يتدلى عليه، فهو لم يعد مُتعَباً فحسب، بل أصبح منهكاً. لا تريد هولي أن تُتعبه أكثر حقاً، لكن لا بدّ من ذلك.

ودان بَلْ أيضاً يعرف أنهم لم ينتهوا بعد، فطلب من بْراد أن يُحضر له كوب شراب اسكتلندي.

"تذكَّر يا جَدّي ما قاله الطبيب -"

"تباً للطبيب والحصان الذي يركبه"، قال دان. "الشراب سيحفّز ذهني، وسننتهي قريباً. هيا أرِ هولي ذلك... الشيء الأخير... ثم سأستلقي وأستريح. لقد نمتُ ليلة أمس بأكملها، وأنا أكيد أنني سأفعل ذلك مرة أخرى هذه الليلة بما أنني أكون قد رفعتُ هذا الحمل الثقيل عن كاهلي".

لكنه أصبح على كاهلي الآن، فكَّرت هولي في سرّها. أتمنّى لو أن رالف كان هنا، وأتمنّى حتى أكثر لو أن بيل كان هنا.

أحضرَ بْراد كوباً بالكاد فيه ما يكفي من شراب ليبلِّل جَدّه شفتيه. نظر دان إلى الكوب بحنق لكنه تقبَّله دون أي تعليق، ثم أخرج قارورة حبوب ذات غطاء مناسب لكبار السنّ من الجيب الجانبي لكرسيه ذي العجلات، وهزَّها ليُخرج حبّة منها لكن وقعت ست حبّات أخرى على الأرض.

"تباً"، قال العجوز. "التقطها يا بْراد".

"أنا سألتقطها"، قالت هولي وفعلت ذلك. في غضون ذلك، وضع دان الحبّة في فمه وابتلعها مستخدماً الشراب الاسكتلندي.

"أعرف الآن أن هذه ليست فكرة جيدة يا جَدّي"، قال بْراد متزمِّتاً.

"لن يقول أحد في جنازتي إنني متُّ يافعاً ووسيماً"، ردَّ دان وقد ظهر بعض اللون على خدَّيه، واستوى جالساً على كرسيه مرة أخرى. "لديَّ حوالي عشرين دقيقة يا هولي قبل أن يزول مفعول تلك الجرعة العديمة الجدوى من الشراب الاسكتلندي، أو نصف ساعة بالحد الأقصى.

أعرف أن لديك المزيد من الأسئلة، وهناك شيء آخر يجب أن تريه، لكن دعينا نحاول أن نختصر".

"جوْيل ليبرمان"، قالت. "الطبيب النفسي الذي رأيتَه في بوسطن بدءاً من العام 2018".

"ماذا بشأنه؟".

"لم تذهب إليه لأنك اعتقَدت أنك مجنون، أليس كذلك؟".

"بالطبع لا. ذهَبتُ إليه لنفس الأسباب التي أظن أنكِ ذهبتِ من أجلها لرؤية كارل مورتون، صاحب كل تلك الكتب والمحاضرات عن الأشخاص الذين يعانون من حالات عُصاب غريبة. ذهَبتُ لأروي كل شيء أعرفه لشخصٍ يقبض مالاً لكي يُنصِت للآخرين، ولأجد شخصاً آخر لديه أسباب تجعله يصدِّق ما لا يُصدَّق. كنت أبحث عنك يا هولي، تماماً مثلما كنتِ تبحثين عني".

نعم، هذا صحيح، لكنها بقيت تعتقد أن لقاءهما أعجوبةٌ... أو القدر.

"رغم أن مورتون غيَّر كل الأسماء والأماكن في مقاله، إلا أن بْراد لم يجد صعوبة في إيجادك. على فكرة، الشيء الذي يسمّي نفسه أونداوسكي لم يكن يقدِّم

تقاريره الإخبارية من كهف تكساس، فقد شاهدتُها وبْراد كلها".

قالت هولي، "دخيلي لم يظهر في شريطٍ أو فيلمٍ، وهناك فيديو كان يجب أن يتواجد ضمن الحَشد الظاهر فيه، لكنه لم يكن هناك". ثم أشارت إلى رسوم أونداوسكي في مختلف أشكاله، وأضافت، "أما هذا المجرم فيظهر على التلفزيون *طوال* الوقت".

"إذاً فهو مختلف"، قال العجوز وهزّ كتفيه. "مثلما أن القطط المنزلية والقطط البرية مختلفة لكن متشابهة - القالب نفسه، الطُرُز مختلفة. أما بالنسبة لك يا هولي، فبالكاد ذُكرتِ في التقارير الإخبارية، وليس بالإسم أبداً، بل فقط كمواطنة عادية ساعدت في التحقيق".

"أنا طلبتُ عدم ذكر إسمي"، ردَّت هولي بصوتٍ خافتٍ.

"كنتُ قد قرأتُ وقتها عن كارولين ه في مقالات الطبيب مورتون، وحاوَلتُ الوصول إليك مع الطبيب ليبرمان - قمتُ برحلة إلى بوسطن لرؤيته، وهذا لم يكن سهلاً. عرَفتُ أنكِ حتى لو لم تُدركي حقيقة أونداوسكي فسيكون لديكِ سبب وجيه لتصدِّقي قصتي إن سمِعتها. ثم اتصل ليبرمان بمورتون وها أنتِ هنا".

هناك شيءٌ يزعج هولي كثيراً، فقالت، "لماذا الآن؟ فقد عرَفتَ عن هذا الشيء لسنواتٍ، وقد كنتَ تطارده -"

"لا أطارده"، قال دان. "بل *أتعقبّه*. بْراد يراقب الانترنت منذ 2005 تقريباً، ونبحث عنه في كل مأساةٍ، في كل حادث إطلاق نار جماعي. أليس كذلك يا بْراد؟".

"نعم"، قال بْراد. "لا يتواجد في مسرح الجريمة دائماً، فهو لم يكن في ساندي هُوك أو في لاس فيغاس عندما قتل ستيفن پادوك كل روّاد الحفلة الموسيقية أولئك، لكنه كان يعمل في WFTV في أورلاندو عام 2016، وقد أجرى مقابلات مع الناجين من حادث إطلاق النار في النادي الليلي پالس في اليوم التالي. يختار دائماً أكثر الأشخاص اضطراباً، الأشخاص الذين كانوا في الداخل أو الذين فقدوا بعض أصدقائهم هناك".

بالطبع سيفعل ذلك، فكَّرت هولي في سرّها، فحزنهم لذيذ المذاق.

"لكننا لم نعرف أنه كان في النادي الليلي إلا بعد انفجار المدرسة الأسبوع الفائت"، قال بْراد. "أليس كذلك يا جَدّي؟".

"نعم"، وافقه دان الرأي. "رغم أننا تفحّصنا كل الفيديوهات الإخبارية عن پالس خلال الحادثة وبعدها".

"كيف فاتتك رؤيته؟"، سألت هولي. "فقد وقعت حادثة پالس منذ أكثر من أربع سنوات! وقلتَ إنك لا تنسى وجهاً أبداً، وكنتَ قد أصبحتَ تعرف أونداوسكي وقتها، ووجهه وجه بومة دائماً حتى بكل تلك التغييرات".

نظرا إليها عابسين، لذا شرحت لهما هولي ما أخبَرها إياه بيل عن أن معظم الأشخاص لديهم إما وجه بومة أو وجه ثعلب. وفي كل نسخة منه رأتها هنا، كان وجه أونداوسكي مستديراً، أحياناً قليلاً وأحياناً أخرى كثيراً، لكنه وجه بومة دائماً.

بقي بْراد يبدو مُحتاراً، لكن جَدّه ابتسم. "هذا جيد، ويعجبني. رغم أن هناك استثناءات، فلبعض الأشخاص - "

"وجه حصان"، أكملت هولي جملته.

"هذا ما كنتُ سأقوله بالضبط. ولبعض الأشخاص وجه ابن عرس... رغم أنني أفترض أنه يمكنك القول إنه لأبناء عرس بعض ملامح الثعالب، أليس كذلك؟ فيليب هانيغان بالطبع..."، ثم سكت وانخفت صوته. "نعم. في *تلك* الهيئة، أنا أكيد أن له وجه ثعلب دائماً".

"لا أفهمك".

"لكنك ستفهمين"، قال دان. "أرِها فيديو پالس يا بْراد".

شغَّل بْراد الفيديو وأدار الآيباد نحو هولي. أظهرَ الفيديو مرة أخرى مراسِلاً يقدِّم تقريراً إخبارياً، هذه المرة أمام كومة ضخمة من الزهور وبالونات على شكل قلوب ولافتات تقول أشياء مثل *حُب أكثر وكراهية أقل*. بدأ المراسِل يُجري مقابلة مع شابّ منتحب تلطِّخ خدّاه ببقايا إما أوساخ أو مَسكَرة. لم تُنصت هولي، ولم تصرخ هذه المرة لأنها لم تملك القوة لتفعل ذلك. فالمراسِل - ويدعى فيليب هانيغان - يافعٌ نحيلٌ وشعره أشقر، وبدا كما لو أنه بدأ وظيفته هذه فور تخرّجه من المدرسة الثانوية، ونعم كان لديه ما يسمّيه بيل هودجز وجه ثعلب. بقي ينظر إلى الشابّ في المقابلة بنظرات يمكنها أن تكون نظرات قلق... أو تعاطف... أو شفقة... أو طمع بالكاد مقنَّع.

"جمِّده"، قال دان لبْراد، ثم قال لهولي: "هل أنتِ بخير؟".

"هذا ليس أونداوسكي"، ردَّت هامسةً. "هذا جورج. إنه الرجل الذي زرع القنبلة في مدرسة ماكريدي".

"آه، *لكنه* أونداوسكي"، قال دان بلطف، وبحنان تقريباً. "لقد أخبَرتُك ذلك من قبل. لا يملك هذا المخلوق قالباً واحداً فقط، بل قالبين *على الأقل*".

13

كانت هولي قد أطفأت هاتفها قبل أن تقرع على باب عائلة بَلْ، ولم تنتبه أن تعيد تشغيله إلا بعدما عادت إلى غرفتها في فندق إيمبسي سويتس، فقد كانت أفكارها تتطاير مثل أوراق خريف في مهبّ رياح عاتية. عندما أعادت تشغيله لتواصل تقريرها إلى رالف، رأت أن هناك أربع رسائل نصية، وخمس مكالمات فائتة، وخمس رسائل بريد صوتي. كل المكالمات الفائتة ورسائل البريد الصوتي من أمها، عِلماً أن شارلوت تعرف كيف ترسل رسائل نصية - فقد علّمتها هولي كيف تفعل ذلك - لكنها لم تتكبّد عناء القيام بذلك أبداً، على الأقل عندما تتعلق المسألة بإبنتها، لأن هولي تعتقد أن أمها وجدت أن التراسل النصيّ غير كافٍ عندما تريد إشعارها بالذنب بشكل فعّال حقاً.

فتحت الرسائل النصية أولاً.

بيت: *كل شيء بخير؟ إنني أراقب المتجر، لذا أكملي ما تفعلينه. وإذا احتجتِ إلى شيء، لا تترددي في طلبه.*

ابتسمت هولي.

باربرا: *لقد حصلتُ على الأفلام.* تبدو جيدة. شكراً، *سأعيدها.* ☺

جيروم: *ربما حصلتُ على معلومة عن كلب اللابرادور البني ذاك في پارما هايتس. سأتحقّق. إذا احتجتِ إلى شيء، اتصلي بهاتفي الخلوي. لا تترددي.*

والرسالة النصية الأخيرة من جيروم أيضاً: *يا هوليبيري.* ☺

رغم كل ما تعلّمته في المنزل في شارع لافاييت، عليها أن تضحك، وعليها أن تدمع قليلاً أيضاً. فالكل يهتمون لأمرها، وهي تهتمّ لأمرهم، وهذا مدهش. ستحاول أن تتذكّر هذا بينما تتعامل مع أمها، فهي تعرف من قبل كيف ستنتهي كل رسالة بريد صوتي من رسائل شارلوت.

"أين أنتِ يا هولي؟ اتصلي بي". هذه الرسالة الأولى.

"أحتاج إلى التكلّم معك يا هولي بشأن زيارة خالك في نهاية هذا الأسبوع. اتصلي بي". وهذه الرسالة

الثانية.

"أين أنتِ؟ لماذا هاتفك مُطفأ؟ هذا تصرّف غير مُراعٍ لشعور الآخرين. ماذا لو حصلت حالة طارئة؟ اتصلي بي!". وهذه الرسالة الثالثة.

"اتصلت تلك المرأة من رولينغ هيلز، السيدة برادوك، لم ترُق لي فقد بدت مُعجَبة بنفسها كثيراً، وقالت إن الخال هنري منزعج جداً! لماذا لا تعاودين الاتصال بي؟ اتصلي بي!". وهذه الرسالة الرابعة.

الرسالة الخامسة بسيطة تماماً: "اتصلي بي!".

دخلت هولي الحمّام، وفتحت حقيبة خردواتها، وأخذت منها حبّة أسبرين. ثم ركعت على رُكبتَيها، وشبكت يديها وأسندتهما على حافة المغطس. "يا إلهي، أنا هولي. عليّ أن أتصل بأمي الآن. ساعدني على تذكُّر أنه يمكنني أن أدافع عن نفسي دون أن أكون لئيمة وضعيفة ودون أن أدخل في جدال معها. ساعدني على إنهاء يوم آخر من دون تدخين فأنا لا أزال أشتاق للسجائر، خاصة في أوقات كهذه. ولا أزال أفتقد بيل أيضاً، لكنني مسرورة أن جيروم وباربرا موجودان في حياتي. وپيت أيضاً، رغم أنه يمكن أن يكون بليد الذهن قليلاً أحياناً". بدأت تهمّ بالنهوض، ثم عادت إلى

وضعيتها. "أفتقد رالف أيضاً، وآمل أن تكون إجازته لطيفة مع زوجته وإبنه".

بعد تحصّنها هذا (أو هكذا أملت)، اتصلت هولي بأمها، لكن شارلوت تكلَّمت معظم الوقت، وقد غضبت جداً لأن هولي لم تُخبِرها أين هي، أو ماذا تفعل، أو متى ستعود. شعرت هولي بالخوف تحت كل ذلك الغضب، لأن هولي فرَّت، لأن لهولي حياةً خاصةً بها، وهذا أمر لم يكن يُفترَض أن يحصل.

"مهما يكن الذي تفعلينه، *عليكِ* أن تعودي في نهاية هذا الأسبوع"، قالت شارلوت. "علينا زيارة هنري معاً، فنحن *عائلته*، وكل ما تبقّى له".

"قد لا أتمكن من فعل ذلك يا ماما".

"لماذا؟ أريد أن أعرف لماذا!".

"لأنني..."، *لأنني أطارد قضية*. هذا ما كان بيل سيقوله. "لأنني أعمل".

بدأت شارلوت تبكي. طوال السنوات الخمسة الأخيرة تقريباً، أصبح البكاء ملجأها الأخير دائماً عندما تتعلق المسألة بإخضاع هولي. صحيح أن هذه الحيلة لم تعد تنفع، لكنها لا تزال حلّها الافتراضي وهذا مؤلم.

"أحبك يا ماما"، قالت هولي وأنهت المكالمة.

هل هذا صحيح؟ نعم. الوَلَع هو الذي انتهى، والحبّ من دون وَلَع يشبه سلسلةً توجد أصفاد عند طرفَيها. هل يمكنها أن تحطّم السلسلة؟ أن تفكّ الأصفاد؟ ربما. لقد ناقشت هذا الاحتمال مع آليْ وينترز عدة مرات، خاصة بعدما أخبَرتها أمها - وبفخر - أنها صوَّتت لدونالد ترامب (يا للهول). هل ستفعل ذلك؟ ليس الآن، وربما لن تفعله أبداً. عندما كانت هولي طفلة، علّمتها شارلوت غيبني - بصبر، وربما حتى بنيّة طيبة - أنها طائشة، عاجزة، بائسة، مُهمِلة. أنها *أقل*. بقيت هولي تصدِّق ذلك إلى أن التقت بيل هودجز الذي وجد أنها *أكثر*. والآن لديها حياةٌ، وهي حياةٌ سعيدةٌ في أغلب الأحيان. وإذا انفصلت عن أمها، فإن ذلك سيقلِّل من شأنها.

لا أريد أن أكون أقل، فكَّرت هولي في سرّها وهي تجلس على السرير في غرفتها في الفندق. لقد مررتُ بهكذا تجربة، ولا أريد تكرارها.

أخذت عبوة كولا من البرّاد الصغير في الغرفة (تباً للكافيين)، ثم فتحت تطبيق التسجيل الصوتي في هاتفها وتابعت تقريرها لرالف. يساعدها هذا التقرير على

تصفية ذهنها، وحين تنتهي، ستعرف كيف ستمضي قدماً.

14

من تقرير هولي غيبني إلى المحقق رالف أندرسون:

من الآن وصاعداً يا رالف، سأحاول أن أنقل لك ما قيل حرفياً خلال حديثي مع دان وبْراد بَلْ بينما لا يزال واضحاً في ذهني. لن يكون ذلك دقيقاً بالكامل، لكنه سيكون قريباً. نعم، كان عليّ أن أسجِّل حديثنا، لكن الفكرة لم تخطر ببالي أبداً. آه، لا يزال هناك الكثير لأتعلّمه في هذه المهنة، وآمل فقط أن تسنح لي الفرصة.

كان واضحاً لي أن السيد بَلْ - السيد بَلْ العجوز - أراد أن يُكمل الحديث، لكنه لم يعد قادراً على ذلك بعدما زالَ مفعول تلك الجرعة الصغيرة من الشراب الاسكتلندي، فقال إنه يحتاج إلى أن يستلقي ويستريح. وآخر شيء قاله لبْراد كان عن التسجيلات الصوتية. لم أفهم قصده وقتها، لكنني أفهم الآن.

دفعَه حفيده على كرسيه ذي العجلات إلى غرفة نومه، لكنه أعطاني جهازه الآيباد أولاً وفتحَ لي دفق صور فوتوغرافية. تصفَّحتُ الصور بينما ابتعدا، ثم

أعدتُ تصفّحها مرة أخرى، وكنتُ لا أزال أتصفَّحُها عندما عاد بْراد. كانت سبع عشرة صور فوتوغرافية أُخذت كلها من فيديوهات منشورة على الانترنت لتشَتْ أونداوسكي في مختلف

[وقفة قصيرة]

مختلف تجسُّداته، أظن أنه يمكنك قول هذا. وكانت هناك صورة ثامنة عشرة أيضاً تُظهِر فيليب هانيغان خارج النادي الليلي پالس منذ أربع سنوات. لا شارب، وشعر أشقر بدلاً من شعر داكن، وبدا أصغر سناً مما بدا عليه في صورة جورج التي التقطتها كاميرا المراقبة وهو يرتدي زيّ عامل التوصيل المزيَّف، لكنه هو بالتأكيد. نفس الوجه، نعم نفس وجه الثعلب، لكنه ليس نفس وجه أونداوسكي. لا يمكن أن يكون هو على الإطلاق.

عاد بْراد ومعه قارورة وكوبَين فارغَين وقال، "هل تريدين القليل من الشراب الاسكتلندي لجَدّي؟". عندما قلتُ لا، صَبَّ مقداراً كبيراً منه في أحد الكوبَين وأضاف، "حسناً، أنا أحتاج إلى بعضٍ منه. هل أخبرك جَدّي أنني مثليّ جنسياً؟ مثليّ جنسياً *للغاية*؟".

قلتُ إنه أخبرني ذلك، وابتسم بْراد.

"هكذا يبدأ كل حديث عني"، قال. "يريد الإفصاح عن ذلك فوراً ليُظهِر أنه لا يمانِع، لكنه يمانِع بالطبع. يحبّني، لكنه يمانِع".

عندما قلتُ إن هذا يشبه شعوري تجاه أمي، ابتسم وقال إن هناك قاسماً مشتركاً بيننا، وأظنه محقٌّ.

قال إن جَدّه لطالما اهتمّ بما يسمّيه "العالم الثاني". قصصٌ عن التخاطر، والأشباح، والاختفاءات الغريبة، والأضواء في السماء. ثم أضاف، "يجمِّع بعض الأشخاص الطوابع، أما جَدّي فيجمِّع قصصاً عن العالم الثاني. وكانت لديَّ شكوكٌ بشأن كل تلك الأمور إلى أن حصل هذا".

ثم أشار إلى الآيباد حيث كانت صورة جورج لا تزال معروضة على شاشته؛ جورج المنتظر مع طرده المليء بالمتفجرات أن يُسمَح له بدخول مكتب مدرسة ماكريدي.

قال بْراد، "أعتقد الآن أنه يمكنني أن أصدِّق أي شيء بدءاً من الصحون الطائرة وصولاً إلى المهرِّجين القتلة، لأن هناك عالماً ثانياً حقاً، وهو موجود لأن الناس يرفضون تصديق وجوده".

أعرف أن هذا صحيح يا رالف، وأنت تعرف ذلك أيضاً. فبهذه الطريقة نجا الشيء الذي قَتَلناه في تكساس طول هذه المدة.

طلبتُ من بْراد أن يشرح لي لماذا انتظَر جَدّه كل هذه المدة، رغم أنه كانت قد تكوَّنت لديَّ فكرة جيدة عن السبب.

قال إن جَدّه اعتقد أنه غير مؤذٍ مبدئياً، أنه أشبه بحرباء غريبة، وإذا لم يكن آخر حيّ من جنسه، فهو أحد قلّة باقية منه. صحيح أنه يقتات الحزن والألم، وربما هذا ليس شيئاً لطيفاً، لكنه لا يختلف كثيراً عن اليرقات التي تقتات اللحم المتحلّل، أو عن الصقور الحوّامة والنسور التي تقتات الحيوانات التي تصدمها السيارات على الطرقات.

"هذه طريقة عيش ذئاب القيّوط والضباع أيضاً"، أضاف بْراد. "إنها عمّال نظافة مملكة الحيوان. لكن هل نحن أفضل منها حقاً؟ ألا يُبطئ الأشخاص سياراتهم ليلقوا نظرة طويلة على حادثٍ على الطريق الرئيسي؟ يمكننا تشبيه أولئك الضحايا أيضاً بالحيوانات التي تصدمها السيارات على الطرقات".

أجبتُه أنني أشيح بنظري دائماً، وأنني أصلّي أن يكون الأشخاص الذين تعرّضوا للحادث بخير.

قال إنه إذا كان كلامي صحيحاً فهذا يجعلني استثناءً لأن معظم الناس يحبّون الألم، طالما أنه ليس ألمهم. ثم أضاف، "أفترض أنك لا تشاهدين أفلام الرعب أيضاً؟".

حسناً، أنا أشاهد تلك الأفلام يا رالف، لكنها خيالية. فعندما يُعلن المخرج عن وقف التصوير، تنهض فوراً الفتاة التي ذبحها جايسن أو فريدي وتُمسِك كوب قهوة. لكنني قد أتوقف عن مشاهدتها بعد هذا...

[وقفة قصيرة]

لا تهتمّ، ليس لديَّ وقتٌ لأستطرد. لقد قال بْراد، "لكل فيديو عن حادثة قتل أو كارثة جمَّعتُها وجَدّي، هناك المئات غيره، وربما الآلاف. هناك قول شائع بين الأشخاص العاملين في مجال الأخبار: إن كان ينزف، سيقود إلى المقترف. هذا لأن أكثر الأخبار التي تهمّ الناس هي الأخبار السيئة. عمليات القتل. التفجيرات. حوادث السيارات. الزلازل. الأمواج العارمة. الناس يحبّون هذه الأمور، ويحبّونها حتى أكثر الآن لأن هناك فيديوهات تسجِّلها الهواتف الخلوية. الفيديو الذي سجَّلته كاميرا المراقبة داخل پالس عندما كان عمر

متين لا يزال هائجاً؟ شاهده ملايين الأشخاص. أكرِّر *ملايين* الأشخاص".

لقد قال إن السيد بَلْ اعتبر أن ذلك المخلوق النادر كان يفعل فقط ما يفعله كل الأشخاص الذين يشاهدون الأخبار: يتغذى على المأساة. والوحش - لم يسمّه دخيلاً - كان محظوظاً كفاية ليعيش لفترة أطول جرّاء فعله ذلك. لكن السيد بَلْ بقي مسروراً من المشاهدة والتعجُّب إلى أن رأى الصورة التي التقطتها كاميرا المراقبة لمفجِّر مدرسة ماكريدي، فقد اشتغلت ذاكرته القوية للوجوه فوراً وعرَف أنه رأى نسخةً من ذلك الوجه في عمل عنفيّ ما منذ وقت غير بعيد. احتاج بْراد إلى أقل من ساعة ليحدِّد أنه فيليب هانيغان.

"لقد عثرتُ على مفجِّر مدرسة ماكريدي ثلاث مرات أخرى حتى الآن"، قال بْراد وأراني صوراً للرجل ذي وجه الثعلب - مختلفٌ دائماً لكنه جورج في الخفاء دائماً - خلال تقديمه ثلاثة تقارير إخبارية مباشرة مختلفة: إعصار كاترينا عام 2005، وأعاصير إيلينوي عام 2004، ومركز التجارة العالمي عام 2001. "أنا متأكد أن هناك المزيد، لكن لم يتسنَّ لي الوقت الكافي لأتصيّدها كلها".

"ربما هو رجل مختلف أو مخلوق مختلف"، قلتُ وأنا أفكِّر أنه إذا كان هناك اثنان - أونداوسكي وذاك الذي قَتَلناه في تكساس - فقد يكون هناك ثلاثة، أو أربعة، أو حتى ستة. تذكَّرتُ أنني شاهدتُ برنامجاً عن الأجناس المعرَّضة للانقراض على محطة PBS ذُكر فيه أنه لم يعد يوجد سوى ستين وحيد قرن أسود وسبعين نمراً من نمور آمور في العالم، لكن هذا أكثر من ثلاثة بكثير.

"لا"، قال بْراد. "إنه الرجل نفسه".

سألته كيف يمكنه أن يكون متيقّناً من ذلك.

"كان جَدّي يرسم رسوماً تخطيطيةً للشرطة"، أجابَ. "وأنا أحياناً أجهِّز تنصّتاً لرجال الشرطة بناءً على أوامر المحكمة، وقد جهَّزتُ تنصُّتاً لرجال شرطة متخفِّين عدة مرات. لم نعد نستخدم ميكروفونات تحت القمصان، بل أصبحنا نستخدم أزرار أكمام أو أزرار قمصان مزيَّفة هذه الأيام، وذات مرة وضعتُ ميكروفوناً في الشعار الذي على قبعة فريق ريد سوكس. لكن هذا جزء فقط مما أفعله. شاهدي هذا".

قرَّب كرسيه إلى كرسيِّ لكي نتمكن من مشاهدة جهازه الآيباد معاً، وفتَح تطبيقاً يدعى معرفة_صوتية فيه عدة ملفات أحدها يدعى *پول فريمان*. إنه نسخة

أونداوسكي التي قدَّمت تقرير حادث تحطّم الطائرة عام 1960.

ضغط بْراد زر التشغيل وسمِعتُ صوت فريمان، لكنه بدا أكثر نضارةً وحيويةً لأن بْراد قال إنه نظَّفه وأزال منه الضجة الخلفية، في عملية سمّاها *تطهير المسار*. سمِعتُ الصوت من مكبّر صوت الآيباد، لكن كان بإمكاني رؤيته على الشاشة، مثلما يمكنك أن ترى الموجات الصوتية في أسفل هاتفك أو جهازك اللوحيّ عندما تضغط رمز الميكروفون الصغير بقصد إرسال رسالة صوتية. سمّى بْراد ما أراه صورةً طيفيةً لبصمة الصوت، وادّعى أنه فاحصٌ مُعتمَدٌ لبصمات الأصوات، وأنه قدَّم شهادته في المحكمة مرات عديدة.

هل يمكنك أن ترى تلك القوة التي تكلَّمنا عنها تعمل هنا يا رالف؟ أنا قادرة على رؤيتها لدى الجَدّ والحفيد، فأحدهما بارع بالصور، والآخر بارع بالأصوات. لولاهما لبقي هذا الشيء (دخيلهما) يرتدي وجوهاً مختلفةً ويُخفي نفسه على مرأى من الجميع. سيعتبر البعض أن هذه مجرد صُدفة، مثل اختيار الأرقام الفائزة في القرعة، لكنني لا أصدّق ذلك. لا أقدر على ذلك ولا أريده.

وضع بْراد ملف فريمان الصوتي لتقرير تحطّم الطائرة في وضعية التكرار المتواصل، ثم فتَح ملف أونداوسكي الصوتي لتقريره من مدرسة ماكريدي ووضعه في وضعية التكرار المتواصل أيضاً. تداخل الصوتان ببعضهما البعض، وتحوَّل كل شيء إلى تمتمة بلا معنى. ثم كتمَ بْراد الصوتين واستخدَم إصبعه ليفصل الصورتين الطيفيتين عن بعضهما، واضعاً فريمان في النصف العلوي لجهازه الآيباد وأونداوسكي في النصف السفلي.

"أنتِ ترين، أليس كذلك؟"، سألني، وبالطبع كنتُ أرى أن نفس القمم والوديان تسير في الملفين بشكل متزامن تقريباً. صحيح أنه كانت هناك بضعة فروق طفيفة، لكنهما الصوت نفسه مبدئياً، رغم أن الفارق الزمني بين التسجيلين حوالي ستين سنة. سألتُ بْراد كيف يمكن أن يبدو الشبه قوياً بين شكل الموجتين في حين أن فريمان وأونداوسكي يقولان أشياء مختلفة.

"وجهه يتغيَّر وجسمه يتغيَّر"، قال بْراد، "لكن صوته لا يتغيَّر أبداً. هذا يسمّى الفرادة الصوتيّة. *يحاول* أن يغيِّره - فيعلّي طبقته أحياناً ويُخفِضها أحياناً، وحتى يحاول

أحياناً أخرى اعتماد لكنة خفيفة - لكنه لا يبذل جهداً كبيراً".

قلتُ، "لأنه واثق أن التغييرات الجسدية كافية، إلى جانب التغييرات في المكان".

"أعتقد ذلك"، قال بْراد. "إليكِ شيئاً آخر. للجميع أيضاً طريقة تقديم فريدة؛ إيقاعٌ معينٌ يحدّده عدد الأنفاس. انظري إلى القمم عندما يشدّد فريمان على بعض الكلمات، وانظري إلى الوديان عندما يأخذ نَفَساً. انظري الآن إلى أونداوسكي".

كانت نفسها يا رالف.

"هناك شيء آخر"، قال بْراد. "الصوتان يتوقفان دائماً عند الكلمات التي تحتوي على حرف س أو ث. أعتقد أنه في مرحلة ما في قديم الزمان لا أحد يعرف مقدارها، كان هذا الشيء يعاني من لثغة في كلامه، لكن بالطبع لا يستطيع المراسِل التلفزيوني أن يلثغ، لذا علّم نفسه تصحيح ذلك عبر لمسه سقف فمه بلسانه لكي يُبعده عن أسنانه، لأن هناك مكان حصول اللثغة. اللثغة خفيفة، لكنها موجودة. اسمعي جيداً".

شغّل لي اللقطة الصوتية لأونداوسكي في المدرسة المتوسطة حيث يقول "ربما كانت العبوة الناسفة

موضوعةً في المكتب الرئيسي".

ثم سألني بْراد إن سمِعتُها، فطلبتُ منه أن يعيد تشغيل اللقطة مرة أخرى لأتأكد أن خيالي لم يكن يحاول فحسب سماع ما قال بْراد إنه موجود. لم يكن خيالي هو السبب لأن أونداوسكي قال، "ربما كانت العبوة النا... سفة موضوعةً في المكتب الرئي... سي".

ثم شغَّل لقطةً صوتيةً لپول فريمان من موقع تحطّم الطائرة عام 1960 قال فيها، "فقد قُذف من القسم الخلفي للطائرة وهو لا يزال يحترق". أعدتُ سماعها مرة أخرى يا رالف ولاحظتُ التوقف القصير جداً في كلمة *القسم*، عندما لمس لسانه سقف فمه ليمنع اللثغة.

عرضَ بْراد صورةً طيفيةً ثالثةً على جهازه اللوحيّ للمقابلة التي أجراها فيليب هانيغان مع الشابّ من پالس ذي الخدَّين الملطَّخين بالمَسكَرة. لم أستطع سماع الشابّ لأن بْراد أزال صوته مع كل الضجيج الخلفي، مثل صفارات الإنذار وثرثرات الناس، ولم يترك غير هانيغان (أو جورج) وشعرتُ كما لو أنه معنا في الغرفة. "كم كان الوضع سيئاً في الداخل يا رودني؟ وكيف نجوتَ بنفسك؟".

كرَّر لي بْراد اللقطة ثلاث مرات، ورأيتُ كيف أن القمم والوديان في الصورة الطيفية طابَقت تلك التي في الصورتين الطيفيتين اللتين لا تزالان تشتغلان فوقها - فريمان وأونداوسكي. يمكنني تقدير كل تلك الأمور التقنية يا رالف، لكن ما صدمني حقاً وما سبَّب لي القشعريرة هو تلك التوقفات القصيرة جداً. توقفات قصيرة في جمل مثل *كم كان الوضع سيئاً*، وتوقفات أطول قليلاً في كلمات مثل *بنفسك*، التي لا شك أنها صعبة جداً على الذين يلثغون.

سألني بْراد إن كنتُ أشعر بالرضى، وقلتُ إنني راضية، رغم أن أي شخص شهِد ما شهدناه لن يكون راضياً. فهو ليس مثل دخيلنا الذي يحتاج إلى الدخول في حالة سبات خلال تحوّلاته ولا يمكن رؤيته في فيديو، لكنه بالتأكيد النسيب الأول أو الثاني لذلك الشيء. هناك أمور كثيرة نجهلها عن تلك الأشياء، وأظن أننا لن نعرفها أبداً.

عليّ أن أتوقف الآن يا رالف، فلم أتناول أي شيء اليوم سوى قطعة خبز وشطيرة دجاج وفطيرة محلاة صغيرة، وسيُغمى عليّ على الأرجح إن لم آكل أي شيء قريباً.

نُكمِل لاحقاً.

15

طلبت هولي بيتزا صغيرة بالخُضار وكوب كولا كبيراً من مطعم دومينوز، وعندما وصل الشابّ، أعطته بقشيشاً وفقاً لقاعدة بيل هودجز: خمسة عشر بالمئة من قيمة الفاتورة إذا كانت الخدمة مقبولة، وعشرين بالمئة إذا كانت جيدة. وبما أن هذا الشابّ وصل بسرعة فقد أعطته القيمة الكاملة.

جلست إلى الطاولة الصغيرة الموضوعة قرب النافذة، وراحت تأكل وتراقب بدء حلول الغسق فوق مرأب سيارات إيمبسي سويتس. هناك شجرة احتفال شتاء تومض أضواءها في الأسفل، لكن هولي لم تشعر أبداً من قبل في حياتها بعدم الحماسة لاحتفال الشتاء مثلما تشعر الآن. فالشيء الذي حقَّقت بأمره اليوم كان مجرد صور فوتوغرافية على شاشة تلفزيون وصور طيفية على جهاز آيباد، لكن إذا سارت الأمور حسبما تأمل غداً، فستجد نفسها وجهاً لوجه معه، وهذا سيكون أمراً مخيفاً.

لا مفرّ من القيام بذلك، فليس لديها خيار آخر لأن دان بَلْ مسنّ جداً وبْراد بَلْ خائف جداً، فقد رفض رفضاً

قاطعاً، حتى بعد أن شرحت له هولي أن ما تنوي أن تفعله في پيتسبرغ لن يعرِّضه للخطر أبداً.

"لستِ أكيدةً من ذلك"، قال بْراد. "وذلك الشيء حسب معلوماتك يملك قدرة على التخاطر".

"لقد قابلتُه وجهاً لوجه"، رَدَّت هولي. "لو كان يملك قدرةً على التخاطر يا بْراد، لكنتُ ميتة الآن ولكان لا يزال حيّاً".

"لن أذهب"، قال بْراد بشفتين ترتعشان. "جَدّي يحتاج لي، وقلبه ضعيف جداً. أليس لديكِ أي أصدقاء؟".

لديها أصدقاء، وأحدهم شرطي بارع جداً، لكن حتى لو كان رالف في أوكلاهوما، هل ستخاطر بحياته؟ لا، فلديه عائلة، على عكسها. أما بالنسبة لجيروم... لا يمكنها على الإطلاق. صحيح أن الجزء من خطتها الذي سيجري في پيتسبرغ لا يجب أن يكون خطيراً حقاً، لكن جيروم سيريد أن يشارك في كل مراحل خطتها، وهذا الذي سيكون خطيراً. هناك پيت أيضاً، لكن شريكها لا يملك أي ذرّة من الخيال، ورغم أنه سيقبل أن يفعل ذلك، إلا أنه سيتعامل مع القضية بأكملها كأنها نكتة، وإذا كانت هناك أي صفة لا يمكنها أن تصف تشَتْ أونداوسكي بها فهي أنه نكتة.

ربما كان دان بَلْ سيقبل أن يواجه ذلك الشيء الذي يحوِّر شكله عندما كان أصغر سناً، لكنه اكتفى في السنوات الأخيرة بمجرد مراقبته مفتوناً عندما ينبثق من وقت لآخر، وتعامل مع المسألة كأنها لعبة عليه فيها إيجاد شخص معيَّن وسط حشد كبير من الناس، وربما حتى شعَرَ ببعض الأسى تجاهه. لكن الأمور تغيَّرت الآن، ولم يعد ذلك الشيء يكتفي بالعيش على المآسي ليزدرد الحزن والألم قبل أن يجفّ الدم.

فقد سبَّب المجزرة هذه المرة، وإذا أفلتَ من عواقب فعلته مرةً، سيكرّرها مرة أخرى، لكن عدد القتلى قد يكون أكبر بكثير في المرة المقبلة، وهولي لن تسمح بحصول ذلك.

فتحت حاسوبها المحمول على مكتبها المتواضع وبحثت عن رسالة البريد الإلكتروني التي كانت تتوقعها من بْراد بَلْ.

مرفق بهذه الرسالة ما طلَبته. استخدمي المواد بحكمة رجاءً، وأبقنا خارج القضية رجاءً. فقد قمنا ما بوسعنا.

حسناً ليس تماماً، فكَّرت هولي في سرّها، ثم نزَّلت الإرفاق واتصلت بهاتف دان بَلْ متوقعةً أن يردّ بْراد مرة

أخرى، لكن العجوز هو الذي ردَّ عليها، وبدا صوته منتعشاً نسبياً. لا شيء يضاهي القيلولة ليعطي هكذا نتيجة، وهولي تأخذ قيلولةً كلما استطاعت، لكن الفرصة لا تسنح لها هذه الأيام بالقدر الذي ترغب به.

"دان، أنا هولي. هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً آخر؟".

"تفضَّلي".

"كيف ينتقل من وظيفة إلى أخرى دون أن يُكتشَف أمره؟ نحن في عصر مواقع التواصل الاجتماعي، ولا أفهم كيف يجري هذا الأمر".

بقيت لبضع ثوانٍ لا تسمع سوى صوت تنفّسه الثقيل بمساعدة قارورة الأكسجين، ثم قال، "لقد ناقشتُ هذا الأمر مع بْراد ولدينا بعض الأفكار. إنه... مهلاً، بْراد يريد الهاتف اللعين".

سمِعَت بعض الكلام المبهم لم تستطع فهمه، لكنها فهِمت جوهر الجدال: العجوز لا يحبّذ أن يشاركه أحدٌ الحديث. ثم أصبح بْراد على الخط، "هل تريدين معرفة كيف يواصل الحصول على وظيفة في التلفزيون؟".

"نعم".

"هذا سؤال جيد حقاً. لا يمكننا الجزم، لكننا نعتقد أنه يستخدم مُخلاً".

"يستخدم مُخلاً؟".

"هذا مصطلح في عالم البث الإذاعي والتلفزيوني يشير إلى الأسلوب الذي يترقّى فيه مذيعو الإذاعات ومراسِلو التلفزيونات في سلّم الوظيفة. فهناك دائماً محطة تلفزيونية محلية واحدة على الأقل، محطة صغيرة مستقلة تدفع رواتب زهيدة جداً، وتغطي شؤون المجتمع في الأغلب. كل شيء من افتتاح جسر جديد إلى حملات الجمعيات الخيرية إلى اجتماعات المجلس البلدي. ورجلنا هذا يظهر على الهواء هناك لبضعة أشهر، ثم يقدِّم طلب توظيف إلى إحدى المحطات الكبيرة مستخدماً أشرطة تقاريره الإخبارية من المحطة المحلية الصغيرة. وأي شخص يشاهد تلك الأشرطة سيرى فوراً أنه بارع في عمله، أنه محترف". ضحِك بْراد ضحكة قصيرة وأكمل قائلاً، "لا شك أنه محترف، أليس كذلك؟ فهو يفعل هذا منذ ستين سنة لعينة على الأقل. التدريب سبيل الإتقان -"

قاطعه العجوز بشيء، وقال بْراد إنه سيُخبِرها، لكن هذا لم يشفِ غليل هولي، لذا عيل صبرها من كليهما

فجأة، فقد كان يومها طويلاً ومُتعِباً.

"بْراد، ضع الهاتف في وضعية مكبّر الصوت".

"ماذا؟ آه، حسناً، فكرة جيدة".

"أعتقد أنه كان يفعل ذلك على الراديو أيضاً!"، صاح دان كما لو أنه يعتقد أنهم يتواصلون عبر عبوتَي صفيح موصولتين بخيط مشمَّع، فجفلت هولي وأبعدت سمّاعة الهاتف عن أذنها.

"لستَ مضطراً إلى التكلّم بصوتٍ صاخبٍ يا جَدّي".

أخفَض دان صوته، لكن قليلاً فقط. "على الراديو يا هولي! حتى قبل أن تصبح هناك محطات تلفزيونية! وقبل أن تكون هناك إذاعات، ربما كان يغطي حوادث سفك الدماء للصحف! الله أعلم كم عمره".

"ولا شكّ أيضاً"، قال بْراد، "أن لديه ملف مراجع متداولة. وعلى الأرجح الشيء الذي تسمّينه جورج يكتب بعضاً لأونداوسكي، والشيء الذي تسمّينه أونداوسكي كتبَ بعضاً لجورج. هل تفهمين؟".

هولي تفهم... نوعاً ما، فهذا ذكَّرها بنكتة رواها لها بيل ذات يوم عن سماسرة تقطّعت بهم السبل على جزيرة قاحلة فاغتنوا عبر المتاجرة بملابس بعضهم البعض.

"دعني أتكلَّم، تباً"، قال دان. "أفهم مثلك تماماً يا برادلي فأنا لستُ غبياً".

تنهَّد بْراد، وفكَّرت هولي في سرّها أن العيش مع دان بَلْ لا يمكن أن يكون سهلاً. ومن جهة أخرى، العيش مع بْراد بَلْ ليس سهلاً أيضاً على الأرجح.

"هذا ينجح معه يا هولي لأن الموهبة التلفزيونية ميزة مرغوبة لدى المحطات المحلية الكبرى. البعض يترقّون في السلّم الوظيفي، والبعض يترك المهنة... وهو بارع في عمله".

سمِعت سعالاً وبْراد يُخبِر جَدّه أن يأخذ إحدى حبوبه.

"يا للهول، هلاّ توقفتَ عن التصرّف كعجوزة شمطاء؟".

فيليكس وأوسكار يصيحان بوجه بعضهما البعض عبر الأجيال، فكَّرت هولي في سرّها. قد يشكِّل هذا مشهداً مضحكاً في مسلسل كوميديا موقف جيد، لكنه ضعيف جداً عندما تتعلق المسألة بالحصول على معلومات.

"دان؟ بْراد؟ هلاّ توقفتما عن..."، *المشاحنة* هي الكلمة التي تبادرت إلى ذهنها، لكنها لم تستطع أن تُجبِر نفسها على قولها رغم أنها متوترة جداً. "هلاّ توقفتما عن الكلام لدقيقةٍ؟".

سكتنا والحمد لله.

"أفهم ما تقولانه وهو منطقي إلى حدّ ما، لكن ماذا بشأن تاريخه الوظيفي؟ ما هي كلّية الإعلام التي درس فيها؟ ألا يتساءلون؟ ألا يطرحون أسئلة؟".

ردَّ دان بصوت أجش، "يُخبِرهم على الأرجح أنه ترك المهنة لبعض الوقت ثم قرَّر العودة إليها".

"لكننا لا نعرف ذلك حقاً"، قال بْراد بصوتٍ بدا حانقاً، إما لأنه لا يمكنه أن يجيب على سؤال هولي بما يرضيها (أو بما يرضيه)، أو لأنه منزعج من وصفه بعجوزة شمطاء. "اسمعي، كان هناك ولد في كولورادو ادّعى أنه طبيب لأربع سنوات تقريباً وصف خلالها أدوية للمرضى، وحتى أجرى عمليات جراحية. ربما قرأتِ عنه. كان في السابعة عشرة وتظاهر أنه في الخامسة والعشرين، ولم يكن قد حاز شهادة جامعية في *أي اختصاص*، ناهيك عن الطب. إذا استطاع النجاح في خدعته، فباستطاعة هذا الدخيل النجاح أيضاً".

"هل انتهيتَ؟"، سأل دان.

"نعم يا جَدّي"، أجابه وتنهَّد.

"جيد، لأنه *لديَّ* سؤال. هل ستلتقين به يا هولي؟".

"نعم"، ومعها الصور الطيفية التي زوّدها بها بْراد لفريمان وأونداوسكي وفيليب هانيغان - الملقَّب جورج المفجِّر. بالنسبة لهولي، كل الصور الثلاثة تبدو متماثلة.

"متى؟".

"آمل غداً، وأتمنى عليكما عدم إخبار أحد، رجاءً. هلاّ فعلتما ذلك؟".

"سنفعل"، قال بْراد. "بالطبع سنفعل، أليس كذلك يا جَدّي؟".

"طالما أن تُخبريننا بما يجري"، قال دان. "إذا كنتِ قادرة على ذلك طبعاً. كنتُ شرطياً فيما مضى يا هولي، وبْراد يعمل مع الشرطة، ولا داعي لأن نُخبرك على الأرجح أن اللقاء به يمكن أن يكون خطيراً. سيكون خطيراً".

"أعرف"، قالت هولي بصوتٍ خافتٍ. "أعمل مع شرطي سابق أيضاً"، وفكّرت في سرّها أنها عمِلتْ مع شرطي أبرع منه قبله.

"هل ستكونين حذرة؟".

"سأحاول"، قالت هولي، لكنها تعرف أنه دائماً ما تأتي لحظةٌ على المرء التوقف فيها عن الحذر. لقد تكلَّم

جيروم عن طائرٍ ينقل الشر مثل فيروسٍ، وقد وصفه بطائرٍ أشعث كريه الرائحة ورمادي أشيب. إذا أرادت القبض عليه وقصف عنقه اللعين، سيأتي وقتٌ عليها التوقف فيه عن الحذر. لم تعتقد أن ذلك سيحصل غداً، لكنه سيحصل قريباً.

قريباً.

16

حوَّل جيروم مرأب عائلة روبنسون إلى غرفة للكتابة وأصبح يستخدمها ليعمل على كتابه عن جَدّ جَدّه ألتون، المعروف أيضاً بالبومة السوداء. كان يكدح عليه هذا المساء عندما دخلت باربرا وسألته إن كانت تقاطعه، فأخبرها أنه يمكنه الاستفادة من استراحة قصيرة، لذا أحضرا عبوتَي كولا من البرّاد الصغير المحشور تحت طُنُف السقف المنحدِر.

"أين هي؟"، سألته باربرا.

تنهّد جيروم وأجاب، "ألن تسألي *كيف يسير كتابك يا جيروم*؟ أو *هل وجدتَ كلب اللابرادور البني يا جيروم*؟ عِلماً أنني وجدتُه سليماً معافى".

"حسناً فعلتَ. وكيف يسير كتابك يا جيروم؟".

"وصلتُ إلى الصفحة 93"، قال ومدَّ ذراعه ولوَّحها في الهواء. "إنني *أُبحر*".

"هذا جيد. الآن أين هي؟".

أخرج جيروم هاتفه من جيبه ولمس تطبيقاً يدعى مُراقِب_الويب، وقال لها، "شاهدي بنفسك".

تمعَّنت باربرا بالشاشة وقالت، "المطار في پورتلاند؟ پورتلاند، *ماين*؟ ماذا تفعل هناك؟".

"لما لا تتصلين بها وتسألينها؟"، ردَّ جيروم. "فقط قولي لها، 'دسَّ جيروم تطبيق تعقّب في هاتفك يا هوليبيري، لأننا قلِقان عليك، لذا ماذا تنوين أن تفعلي؟ هيا اعترفي يا فتاة'. هل تعتقدين أن هذا سيعجبها؟".

"لا تمزح"، قالت باربرا. "ستحنق كثيراً، وهذا سيئ، لكنها ستشعر بالإهانة، وهذا أسوأ. كما أننا نعرف ما هو الموضوع، أليس كذلك؟".

اقترَح جيروم - مجرد اقتراح - أن بإمكان باربرا أن تختلس النظر إلى محفوظات البحث في حاسوب هولي المنزلي عندما تذهب لتأخذ تلك الأفلام لتقريرها المدرسي، طبعاً إذا كانت كلمة مرور هولي في المنزل هي نفسها كلمة المرور التي تستخدمها في العمل.

تبيَّن أنها كلمة المرور نفسها، ورغم أن باربرا شَعَرت بحشرية بغيضة جداً إن تفحَّصت محفوظات بحث صديقتها، إلا أنها فعلت ذلك لأن هولي لم تعد هي نفسها بعد رحلتها إلى أوكلاهوما والرحلة التي تلتها إلى تكساس، حيث كادت تُقتَل على يد شرطي خرج عن رُشده يدعى جاك هوسكينز. لقد تضمَّنت الحادثة أكثر بكثير من مجرد موتها ذلك اليوم، وكلتاهما تعرفان ذلك، لكن هولي رفضت التحدّث عن الموضوع. وقد بدا ذلك مقبولاً في البدء، لأن نظرات الرعب زالت من عينيها شيئاً فشيئاً وعادت إلى طبيعتها، لكنها رحلت الآن لتفعل شيئاً رفضت التحدّث عنه.

لذا قرّر جيروم تعقّب مكان هولي بواسطة التطبيق مُراقِب_الويب.

وقد تفحَّصت باربرا محفوظات بحث هولي.

وهولي - الواثقة بالآخرين، أو بأصدقائها على الأقل - لم تحذفها.

اكتشَفت باربرا أن هولي شاهدت عدة عروض ترويجية لأفلام قادمة، وزارت موقعَي روتن توميتوز وهافينغتون بوست، وزارت موقع مواعدة يدعى *قلوب وأصدقاء* (وهذا غير متوقع) عدة مرات، لكن العديد من

عمليات بحثها الحالية تعلَّقت بعملية التفجير الإرهابية في متوسطة ألبرت ماكريدي. وكانت هناك عمليات بحث أيضاً عن المراسِل التلفزيوني في محطة WPEN في پيتسبرغ تشَش أونداوسكي، وعن مكان يدعى مطعم كلاوسون في بيار، بنسلفانيا، وعن شخص يدعى فْرَد فينكل تبيَّن أنه مصوِّرٌ في محطة WPEN.

أخذت باربرا كل هذه المعلومات إلى جيروم وسألته إن كان يعتقد أن هولي على شفير الإصابة بأحد الأنواع الغريبة من الإنهيارات العصبية بسبب الانفجار في مدرسة ماكريدي. "ربما عادت بها الذاكرة إلى نسيبتها جايني التي قتلتها العبوة التي زرعها برايدي هارتسفيلد".

خطَر ببال جيروم أن عمليات بحث هولي مكَّنتها بلا شكّ أن تلتقط خيطاً يقود إلى رجل شرير آخر، لكن هناك شيئاً آخر بدا - له على الأقل - مُقنِعاً بشكل مماثل.

"قلوب وأصدقاء"، قال لأخته الآن.

"ماذا بشأنه؟".

"لا تشهقي، لكن ألم يخطر ببالك أن هولي ربما تواعد أحدهم؟ أو على الأقل تلتقي شاباً تبادلت بعض رسائل البريد الإلكتروني معه؟".

حدَّقت به باربرا بفمٍ فاغرٍ وكادت تضحك، ثم اكتفت بهزّ رأسها.

"ماذا يعني هذا؟"، قال جيروم. "أعطيني معلومةً. أنت تتشاركين أسرار الفتيات معها -"

"أنت متعصِّب ضد حقوق المرأة يا جيروم".

تجاهل هذا وقال، "هل لديها صديق ذكر؟ الآن أو في أي وقت آخر؟".

فكَّرت باربرا بهذا ملياً وردَّت، "لا أعتقد. أظن أنها لا تزال عذراء".

وماذا عنك يا باربرا؟ هذه هي الفكرة التي لمعت في ذهن جيروم فوراً، لكن هناك بعض الأسئلة التي لا يجب أن يطرحها الأخ الكبير على أخته البالغة الثامنة عشرة من عمرها.

"ليست *مثليّة جنسياً*، أو أي شيء من هذا القبيل"، ردَّت باربرا على عجل. "لا تفوِّت أبداً أي فيلم من أفلام جوش برولِن، وعندما شاهدنا ذلك الفيلم الغبي عن أسماك القرش منذ سنتين، راحت *تئنّ* في الواقع عندما رأت جايسن ستايثم خالعاً قميصه. هل تعتقد حقاً أنها قطعت كل تلك المسافة إلى *ماين* من أجل موعدٍ؟".

"تعقَّدت حبكة الرواية"، قال وهو يحدِّق بهاتفه. "ليست في المطار، وإذا كبّرنا المعاينة، سنرى أنها في فندق إيمبسي سويتس. إنها على الأرجح تحتسي شراباً بالفقاقيع مع شابّ يحبّ شراباً مُثلَّجاً مع عصير الحامض والسكر، وتتجوَّل شابكةً ذراعه تحت ضوء القمر، وتناقش معه الأفلام الكلاسيكية".

تظاهرت باربرا بأنها ستلكمه على وجهه، ثم فتحت قبضتها في اللحظة الأخيرة.

"اسمعي"، قال جيروم. "أعتقد أنه من الأفضل أن نتركها وشأنها في هذا".

"حقاً؟".

"نعم، أعتقد ذلك. وعلينا أن نتذكّر أنها نجت من برايدي هارتسفيلد مرتين. ومهما حصل في تكساس فإنها تجاوزت ذلك أيضاً. إنها متزعزعة قليلاً من الخارج، لكنها صلبة كالفولاذ في أعماقها".

"أصبتَ في ذلك"، قالت باربرا. "والتجسّس على مستعرض الوب في حاسوبها... جَعَلني أشمئز من نفسي".

"هذا يجعلني أشمئز من نفسي"، قال وضغط النقطة الوامضة على هاتفه التي تشير إلى إيمبسي سويتس.

"سأؤجّل البتّ بالمسألة إلى الغد، لكن إذا لم يتغيَّر شعوري عند الصباح، سأنسى الأمر. إنها امرأة طيبة، شجاعة، ووحيدة أيضاً".

"وأمها مشعوِذة"، أضافت باربرا.

لم يعارضها جيروم بل قال، "ربما يجب أن نتركها وشأنها لكي تحلّ المسألة بنفسها، مهما تكن تلك المسألة".

"نعم ربما"، لكن باربرا بدت حزينة.

مال جيروم إلى الأمام وقال لها، "شيء واحد أنا متيقّن منه يا باربرا وهو أنها لن تعرف أبداً أننا تعقَّبنا مكانها، أليس كذلك؟".

"صح"، قالت باربرا. "أو أنني اختلَستُ النظر إلى عمليات بحثها".

"جيد، نحن متفقان إذاً. هل يمكنني أن أعود إلى كتابي الآن؟ أريد إنهاء صفحتين أخريين قبل أن أتوقف عن العمل اليوم".

هولي غير مستعدة أبداً لتتوقف عن العمل اليوم، بل تتحضَّر في الواقع لتبدأ العمل الحقيقي لهذا المساء. فكَّرت بالركوع للتضرُّع قليلاً أولاً، ثم قرَّرت أن هذا سيكون مجرد مماطلة، وذكَّرت نفسها أن السماوات تساعد الذين يساعدون أنفسهم.

لبرنامج تشَث أونداوسكي *تشَث في المرصاد* صفحة ويب خاصة به تذكُر أن بإمكان الأشخاص الذين لديهم مشكلة الاتصال على رقم مجاني يردّ عليه شخصٌ (رجلٌ أو امرأةٌ) على مدار الساعة، وتدّعي الصفحة أن كل الاتصالات ستبقى سرية للغاية.

أخذت هولي نَفَساً عميقاً واتصلت بذلك الرقم. بعد رنّة واحدة فقط، ردَّت امرأةٌ قائلةً، "*تشَث في المرصاد*، معكم مونيكا، كيف يمكنني المساعدة؟".

"مونيكا، أحتاج إلى التكلّم مع السيد أونداوسكي. الأمر عاجل جداً".

أجابت المرأة بهدوء ودون أي تردّد، وتيقَّنت هولي أن هناك لائحةً أمامها على الشاشة فيها كل الردود المختلفة المحتملة، "آسفة يا سيدتي، لكن تشَث إما غادر لأن عمله انتهى اليوم أو خرج في مهمة. يسرّني أن آخذ معلومات الاتصال بك وأنقلها له. كما أن بعض المعلومات

حول طبيعة شكوى المستهلِك التي لديك ستكون مفيدة أيضاً".

"هذه ليست شكوى مستهلِك"، قالت، "لكنها تتعلق بالاستهلاك. هلاّ أخبرته هذا، رجاءً؟".

"سيدتي؟". بدا لها واضحاً أن مونيكا مُحتارة.

"أحتاج إلى التكلّم معه هذه الليلة، وقبل التاسعة مساءً. أخبريه أن الأمر يتعلق بتحطّم الطائرة وپول فريمان. هل دوَّنتِ هذا؟".

"نعم، سيدتي". واستطاعت هولي سماع صوت أصابع المرأة على لوحة المفاتيح.

"أخبريه أيضاً أن الأمر يتعلق بدايڤ فان پيلت في دالاس وجيم آيفيري في ديترويت. وأخبريه - وهذا مهم جداً - أنه يتعلق بالنادي الليلي پالس وفيليب هانيغان".

هذا أجفلَ مونيكا وأبعدها عن صوتها الهادئ. "أليس هذا المكان الذي أطلق فيه الرجل النار -"

"نعم"، قالت هولي. "أخبريه أن يتصل بي قبل التاسعة، وإلا سآخذ معلوماتي إلى مكان آخر. ولا تنسي

إخباره أن المسألة لا تتعلق بالمستهلكين، لكنها عن الاستهلاك. سيفهم معنى كلامي هذا".

"سيدتي، يمكنني أن أمرِّر له الرسالة، لكن لا يمكنني أن أضمن لكِ -"

"إذا مرَّرتها له، سيتصل بي"، قالت هولي وأملت أن تكون محقّة، لأنه ليست لديها خطة بديلة.

"أحتاج إلى معلومات الاتصال بك يا سيدتي".

"لديكِ رقمي على شاشتك"، قالت هولي. "سأنتظر أن يتصل بي السيد أونداوسكي لأعطيه إسمي. أتمنّى لك ليلة هادئة".

أنهت هولي المكالمة، ومسحت العرق عن حاجبها، وتفحَّصت ساعة لياقتها البدنية لتجد أن معدل ضربات قلبها يبلغ 89. هذا ليس سيئاً، لأن هكذا مكالمة فيما مضى كانت لترفع المعدل إلى أكثر من 150. ثم نظرت إلى الساعة ورأت أنها السابعة والربع. أخرجت كتابها من حقيبة سفرها وأعادته إليها فوراً، فهي متوتّرة جداً لكي تقرأ، لذا بدأت تذرع المكان ذهاباً وإياباً.

عند الثامنة إلا رُبعاً، خلعت قميصها ودخلت الحمّام لتغسل إبطَيها (فهي لا تستخدم مزيل الرائحة، لأنه رغم أن كلوروهيدرات الألومنيوم يُفترَض أن يكون آمناً، إلا

أنها تشكّ في ذلك)، عندما رنّ هاتفها. أخذت نَفَسين عميقين وتمنَّت من كل قلبها أن تحافظ على رباطة جأشها، وردَّت.

18

أظهرت شاشة هاتفها أن الرقم مجهول، ولم تتفاجأ هولي، فهو يتصل من هاتفه الشخصي أو ربما من رقم مؤقت اشتراه خصيصاً لهذا الاتصال.

"أنا تشَتْ أونداوسكي، مع مَن أتكلَّم؟"، قال بصوتٍ هادئٍ وودودٍ، بصوت مراسِلٍ تلفزيونيٍ متمرِّسٍ.

"إسمي هولي، وهذا كل ما تحتاج إلى معرفته في الوقت الحاضر"، ردَّت عليه وشعرت أنها بخير حتى الآن. تفحّصت ساعة لياقتها البدنية ورأت أن معدل نبضاتها يبلغ 98.

"ما المشكلة يا هولي؟"، أجاب بنبرة اهتمام تدعو إلى الثقة. هذا ليس الرجل الذي قدّم تقريراً إخبارياً عن الحادث الدموي المروّع في بلدة پاينبورو، بل هذا تشَتْ في المرصاد ويريد أن يعرف كيف أن الشابّ الذي رصفَ ممر منزلها الخاص خدعها بالسعر، أو عدد الكيلوواطات التي تطالبها بها شركة الكهرباء رغم أنها لم تستهلكها.

"أعتقد أنك تعرف"، قالت، "لكن دعنا نتأكد من ذلك. سأرسل لك بعض الصور. أعطني عنوان بريدك الإلكتروني".

"إذا تفحَّصتِ صفحة *تَشَث في المرصاد* على الويب يا هولي، ستجدين -"

"عنوان بريدك الإلكتروني *الشخصي*، لأنك لا تريد حقاً أن يراها أي شخص آخر غيرك".

ساد صمتٌ طويلٌ كفاية لتظنّ هولي أنها ربما فقدته، لكنه أعطاها العنوان بعد ذلك، فدوَّنته على ورقة من مفكرة إيمبسي سويتس.

"سأرسلها فوراً"، قالت. "انتبه جيداً للتحليل الصوتي وصورة فيليب هانيغان، وعاود الاتصال بي في غضون خمس عشرة دقيقة".

"هولي، هذا غير اعتيا -"

"*أنت* مَن هو غير اعتيادي يا سيد أونداوسكي، أليس كذلك؟ عاود الاتصال بي في غضون خمس عشرة دقيقة، وإلا سأكشف ما أعرفه لعامة الناس. يبدأ وقتك حالما تُرسَل رسالة البريد الإلكتروني من عندي".

"هولي -"

أنهت المكالمة، وأفلتت الهاتف على السجادة، وانحنت واضعةً رأسها بين رُكبتَيها ويديها على وجهها، وأمرت نفسها *إياكي أن تفقدي وعيك*.

عندما شعرت أنها بخير مرة أخرى - بخير بقدر ما يمكنها في هذه الظروف العصيبة جداً - فتحت حاسوبها المحمول وأرسلت المواد التي أعطاها إياها بْراد بَلْ دون أن تتكبّد عناء إضافة نص إلى الرسالة، فالصور هي الرسالة.

ثم انتظرت.

أضاء هاتفها بعد إحدى عشرة دقيقة، فأمسكته حالاً لكنها تركته يرنّ أربع مرات قبل أن تردّ.

لم يضيِّع وقته بإلقاء التحية بل قال فوراً، "هذه لا تبرهن شيئاً"، وهو لا يزال يستخدم نبرته الملطَّفة تماماً لشخصية التلفزيون المتمرِّسة، لكن كل الدفء زال منها. "أنتِ تعرفين هذا، صح؟".

قالت هولي، "انتظر حتى يقارن الناس صورتك كفيليب هانيغان بالصورة التي تقف فيها خارج المدرسة حاملاً الطرد بيديك، فالشارب المزيَّف لن يخدع أحداً. وانتظر إلى أن يقارنوا الصورة الطيفية لصوت فيليب هانيغان بالصورة الطيفية لصوت تشَتْ أونداوسكي".

"مَن هم الذين تقصدينهم يا هولي؟ الشرطة؟ سيسخرون منك بينما يرافقونك إلى خارج المخفر".

"آه لا، ليس الشرطة"، قالت هولي. "يمكنني أن أفعل ما هو أفضل من ذلك. إذا لم يهتمّ الموقع الإخباري TMZ بما لديَّ فأنا متأكدة أنه سيهمّ موقع *الإشاعات الشرِهة*، أو موقع *غطس عميق*، أو موقع *تقرير الكادحين*، فكل تلك المواقع تهتمّ دائماً بالأمور الغريبة. وهناك *النسخة الداخلية* و*مشاهير على التلفزيون*، لكن هل تعرف إلى أين سأذهب أولاً؟".

صمتٌ من الطرف الآخر، لكن يمكنها سماع أنفاسه.

"مجلة الفضائح *نظرة داخلية*"، قالت. "فقد واصلت نشر تفاصيل قصة المسافر الليلي لأكثر من سنة، وقصة الرجل النحيل لسنتين، ويمكنك القول إنها استنزفت تلك القصتين بالكامل. لا يزال حجم تداولها يفوق ثلاثة ملايين نسخة، وستلتهم قصتك هذه التهاماً".

"لا أحد يصدِّق ذلك الهُراء".

هذا ليس صحيحاً، وكلاهما يعرف ذلك.

"سيصدِّقون هذا، فلديَّ الكثير من المعلومات يا سيد أونداوسكي، وأظن أنكم معشر المراسِلين تسمّون هذا الأمر 'خلفية عميقة'، وعندما يُنشر الخبر - إذا نُشر الخبر

- سيبدأ الناس بالتنقيب في ماضيك، *كل* ماضيك، ولن ينكشف قناعك فحسب بل سينفجر". مثل القنبلة التي زرعتها لتقتل أولئك الأولاد، فكَّرت في سرّها.

لا شيء.

راحت هولي تعض مفاصل أصابعها وتنتظره. صحيح أن هذا صعبٌ عليها، لكنها فعلته.

سألها أخيراً، "من أين حصلتِ على هذه الصور؟ مَن أعطاكِ إياها؟".

عرَفت هولي أنه سيسألها هذا، وعرَفت أن عليها أن تعطيه معلومةً. "رجل يتابعك منذ مدة طويلة. لا تعرفه ولن تجده أبداً، لكنك لست مضطراً إلى أن تقلق منه أيضاً، فهو عجوز جداً. أنا مَن عليك أن تقلق منها".

ساد صمت طويل آخر، وأصبح أحد مفاصل أصابع هولي ينزف الآن. أخيراً وصل السؤال الذي كانت تنتظره: "ماذا تريدين؟".

"سأخبِرك غداً عندما نلتقي ظهراً".

"لديَّ مهمة -"

"ألغِها"، أمرته المرأة التي عاشت حياتها ذات يومٍ مُخفضةً رأسها ومحدِّبةً كتفَيها. "هذه مهمتك الآن، ولا

أعتقد أنك تريد أن تفشل فيها".

"أين؟".

كانت هولي مستعدة لهذا السؤال، وقد قامت بأبحاثها. "باحة الطعام في مركز مونروفيل التجاري. إنه يبعُد أقل من خمسة وعشرين كيلومتراً عن محطة التلفزيون التي تعمل فيها، لذا يجب أن يكون ذلك المكان مريحاً لك وآمناً لي. اذهب إلى كشك سبارو، وانظر حولك، وستراني هناك مرتديةً سترة جلدية بنّية مفتوحة فوق كنزة زهرية ذات ياقة عالية مبرومة، وآكل شرحة بيتزا وأشرب قهوة في كوب ستاربكس. إذا لم تكن هناك عند الثانية عشرة وخمس دقائق ظهراً، سأغادر وأبدأ التسوّق".

"أنتِ مجنونة ولن يصدِّقك أحد"، قال بصوتٍ غير واثقٍ، لكنه لم يبدُ خائفاً بل غاضباً. لا بأس، فكَّرت هولي في سرّها، يمكنني التعامل مع هذا.

"مَن تحاول أن تُقنِع يا سيد أونداوسكي؟ أتُقنِعني أنا أم تُقنِع نفسك؟".

"أنتِ غريبة الأطوار يا سيدة. هل تعرفين ذلك؟".

"سيكون معي صديق يراقبني من بعيد"، قالت. هذا ليس صحيحاً، لكن أونداوسكي لن يعرف ذلك. "لا تقلق

فهو لا يعرف ما هو الموضوع، لكنه هناك ليراقبني". سكتت قليلاً ثم أضافت، "وليراقبك".

"ماذا تريدين؟"، سألها مرة أخرى.

"غداً"، قالت هولي وأنهت المكالمة.

لاحقاً وبعد أن أجرت الترتيبات لتسافر إلى پيتسبرغ في الصباح التالي، تمدَّدت على السرير آملةً أن تنام، لكنها لم تتوقع ذلك كثيراً، وراحت تتساءل - مثلما فعلت عندما رسمت هذه الخطة - إن كانت بحاجة إلى لقائه وجهاً لوجه حقاً. تعتقد أنها بحاجة إلى فعل ذلك، وتعتقد أنها أقنعته أن لديها أدلة ضده. عليها الآن أن تنظر إلى عينيه مباشرة وتعطيه طوقاً للنجاة. عليها أن تقنعه أنها مستعدة لعقد صفقة معه. لكن أي نوع من الصفقات؟ كانت فكرتها الرعناء الأولى أن تُخبره أنها تريد أن تكون مثله، أنها تريد أن تعيش... ربما ليس إلى الأبد، فهذا سيبدو متطرّفاً جداً، لكن لمئات السنوات. هل سيصدِّق ذلك، أم سيعتقد أنها تخدعه؟ المخاطرة كبيرة.

المال إذاً. الجواب هو المال بكل تأكيد.

فهو سيصدِّق ذلك لأنه يراقب الطبائع البشرية منذ مدة طويلة، وينظر إليها بازدراء. سيصدِّق أونداوسكي أنه بالنسبة للكائنات الأقل شأناً منه، لمخلوقات القطيع

التي ينحدر إلى مستواها أحياناً، الأمور تتمحور حول المال دائماً.

في وقت من الأوقات بعد منتصف الليل، غفت هولي أخيراً وحلَمت بكهفٍ في تكساس. حلَمت بشيء بدا يشبه رجلاً إلى أن ضربته بجورب مليء بأسناد كروية وانهار الرأس الذي كان أشبه بواجهة مزيَّفة.

راحت تبكي في نومها.

17 ديسمبر 2020

1

بصفتها مدرِّسة فخرية لطلاب السنة الأخيرة في ثانوية هوتون، يحق لباربرا روبنسون أن تذهب إلى حيثما تشاء في وقت فراغها الذي يمتدّ من 9:00 إلى 9:50 صباحاً. لذا عندما رنّ الجرس ليحرِّرها من حصة التأليف الأدبي، ذهبت إلى غرفة الفنون التي تكون مهجورة في مثل هذا الوقت، وأخرجت هاتفها من جيبها واتصلت بجيروم. تيقَّنت من صوته أنها أيقَظته من نومه. آه على حياة الكتّاب، فكَّرت في سرّها.

لم تضيِّع باربرا أي وقت وسألته، "أين هي هذا الصباح يا جيروم؟".

"لا أعرف"، قال. "لقد حذفتُ إشارة تعقّبها".

"فعلاً؟".

"فعلاً".

"حسناً... لا بأس".

"هل يمكنني أن أعود إلى النوم الآن؟".

"لا"، قالت، فهي مستيقظة منذ الساعة 6:45، والبؤس يحبّ الرفقة. "حان الوقت لتنهض وتُمسِك العالم بمنفرج ساقيه".

"انتبهي إلى ألفاظك يا أختاه"، قال واختفى فجأة.

كانت باربرا تقف قرب لوحة مائية سيئة حقاً لبحيرةٍ رسمها أحد الأولاد، وراحت تحدِّق بهاتفها عابسةً. جيروم محقّ على الأرجح، فقد ذهبت هولي لتلتقي شابّاً تعرَّفت عليه عبر موقع المواعدة ذاك، ليس بقصد مضاجعته، فهذه ليست طبيعة هولي، لكن هل بقصد إجراء تواصلٍ بشريٍ مثلما بقيت معالِجتها النفسية تُخبرها بلا شكّ أن عليها أن تفعل؟ هذا أمر تستطيع باربرا أن تصدِّقه، وپورتلاند تبعُد ثمانمئة كيلومتر على الأقل من موقع ذلك التفجير الذي كانت مهتمةً جداً به، وربما أكثر.

ضعي نفسك مكانها، قالت باربرا لنفسها. ألن ترغبي ببعض الخصوصية؟ ألن تغضبي جداً إذا اكتشفتِ يوماً ما أن أصدقاءك - ما تعتبرينهم أصدقاءك - كانوا يتجسّسون عليك؟

لن تكتشف هولي ذلك، لكن هل هذا يغيِّر المعادلة الأساسية؟

لا.

هل لا تزال قلِقة (*قلِقة قليلاً*)؟

نعم. لكن على المرء أن يتعايش مع بعض القلق.

أعادت هاتفها إلى جيبها وقرَّرت أن تذهب إلى غرفة الموسيقى وتتمرَّن على الغيتار إلى أن يحين وقت حصة التاريخ الأميركي في القرن العشرين، فهي تحاول أن تُجيد عزف أغنية ويلسون پيكتّ القديمة "عند منتصف الليل". لا تزال تجد صعوبة مع الأوتار النصفية، لكنها ستنجح يوماً ما.

كادت تصطدم بجاستن فرايالاندر في طريقها للخروج، وهو طالب من الأعضاء المؤسِّسين لفرقة عشّاق الدراسة في هوتون، والذي تقول الإشاعة إنه متيّم بها كثيراً. ابتسمت له وتورَّد خدّا جاستن فوراً إلى ذلك الأحمر الداكن الذي لا يقدر عليه سوى الفتيان البيض، فتأكَّدت صحّة الإشاعة. خطرَ ببال باربرا فجأة أن هذا قد يكون قدرها.

فقالت له، "مرحبا يا جاستن. أتساءل إن كنتَ تستطيع مساعدتي في شيء؟".

وأخرجت هاتفها من جيبها.

2

بينما تفحَّص جاستن فرايلاندر هاتف باربرا (الذي لا يزال دافئاً من وجوده في جيبها الخلفي)، كانت هولي تهبط في مطار پيتسبرغ الدولي، ثم أصبحت بعد عشر دقائق تقف في الصف تنتظر دورها عند شباك شركة أڤيس لتأجير السيارات. صحيح أن أُوبر ستكون أرخص، لكن استخدامها سيارة خاصة بها سيكون قراراً أكثر حكمة. فبعد حوالي سنة من انضمام پيت هنتلي إلى فريق عمل فايندرز كيبرز، أخد كلاهما مقرّراً تعليمياً عن كيفية القيادة بقصد المراقبة والمراوغة للهروب - وكان ذلك المقرّر تذكيرياً له وجديداً لها. لا تتوقع أن تحتاج إلى المراقبة اليوم، لكن اللجوء إلى المراوغة للهروب ليس أمراً غير وارد على الإطلاق، فهي ستلتقي رجلاً خطيراً.

ركنت في مرأب أحد فنادق المطار لتضيِّع بعض الوقت (لا يزال الوقت باكراً لجنازتي، فكَّرت في سرّها مرة أخرى)، واتصلت بأمها. لم تردّ عليها شارلوت، لكن هذا لا يعني أن هاتفها ليس معها؛ فالبريد الصوتي هو أحد أساليبها القديمة في المعاقبة عندما تشعر أن إبنتها عصَت أمرها. ثم اتصلت هولي بپيت، الذي سألها مرة

أخرى ما الذي تفعله ومتى ستعود. راحت تفكّر بدان بَلْ وحفيده المثليّ جنسياً *للغاية* وأخبرته أنها تزور بعض الأصدقاء في نيو إنغلاند وستعود إلى المكتب باكراً صباح الاثنين.

"من الأفضل لك أن تكوني هناك"، قال پيت. "فعليك تقديم شهادتك في المحكمة يوم الثلثاء. وحفلة المكتب لاحتفال الشتاء ستُقام يوم الأربعاء، وأنوي تقبيلك تحت نبتة الهَدال".

"يا للهول"، قالت هولي لكنها كانت تبتسم.

وصلت إلى مركز مونروفيل التجاري عند الحادية عشرة والرُبع وأجبرت نفسها على البقاء في السيارة لخمس عشرة دقيقة أخرى، حيث استمرت تتنقّل بين تفحُّص ساعة لياقتها البدنية (معدل نبضات قلبها يتجاوز 100 بقليل) وبين الدعاء بأن تكون قوية وهادئة... ومُقنِعة أيضاً.

دخلت المركز التجاري عند الحادية عشرة والنصف وقامت بنزهة بطيئة أمام واجهات بعض المتاجر - جاز جيمي، كلاتش، بوبالو لعربات الأطفال - ليس بقصد تفقُّد معروضاتها بل لمحاولة التقاط لمحة خاطفة منعكسة لنظرات تشَتْ أونداوسكي الذي لا شكّ أنه يراقبها.

وسيكون تشَتْ، لأن ذاته الأخرى، تلك التي تسمّيها جورج، هي أكثر رجل مطلوب في أميركا الآن. افترَضت هولي أنه ربما يملك قالباً ثالثاً، لكنها تعتقد أن هذا غير محتمل؛ فلديه ذاتٌ بوجه بومةٍ وذاتٌ بوجه ثعلبٍ، ولماذا سيعتبر أنه بحاجة إلى ذاتٍ أخرى؟

عند الثانية عشرة إلا عشر دقائق، وقفت في طابور ستاربكس لتشتري كوب قهوة، ثم وقفت في طابور سبارو لتشتري شرحة بيتزا لا تريدها. ثم فكَّت سحّاب سترتها لكي تُظهر الياقة العالية المبرومة لكنزتها الزهرية، وجلست إلى طاولة شاغرة في باحة الطعام التي بدت غير مزدحمة رغم أنها استراحة الغداء، وهذا وتّرها قليلاً، لكن المركز التجاري نفسه غير مزدحم بالزوّار، وهذا مستغرب خاصة في موسم التسوّق لاحتفال الشتاء. يبدو أن المركز يعاني من أوقات صعبة، فالجميع يشترون من أمازون هذه الأيام.

حلّ الظهر. أبطأ شابٌّ يرتدي نظّارات شمسية جميلة وسترة مبطّنة (تتدلّى شارتان لمصعد التزلّج من سحّابها برشاقة) خُطاه كما لو أنه يريد أن يتعرَّف عليها، ثم أكمل سيره، فتنفَّست هولي الصعداء. لطالما كانت غير

بارعة كثيراً في مهارات الصدّ، ولم تجد أبداً أي سبب لتطويرها.

بدأت تظن بعد خمس دقائق أن أونداوسكي لن يأتي، ثم بعد دقيقتين سمِعت رجلاً يتكلَّم من خلفها، وبالصوت الدافئ الودود لمراسل تلفزيوني محنّك. "مرحبا يا هولي".

جفلت وكادت تسكب قهوتها، فهذا هو الشابّ ذو النظّارات الشمسية الجميلة. ظنّت في البدء أنه يستخدم قالباً ثالثاً في النهاية، لكن عندما خلع نظّاراته رأت أنه أونداوسكي. بدا وجهه نحيلاً قليلاً، والثنيات حول فمه اختفت، وعيناه أقرب إلى بعضهما (ليس شكلاً جيداً للتلفزيون)، لكنه هو، ولا يبدو يافعاً أبداً. لم تتمكن من رؤية أي خطوط وتجاعيد على وجهه، لكنها أحسَّت بها، وشعرت أن عددها قد يكون كبيراً. هذا تنكّرٌ جيدٌ، لكنه أشبه بالبوتوكس أو بجراحة تجميلية من هذه المسافة القصيرة.

لأنني أعرف، فكَّرت في سرّها. أعرف ماهيته.

"اعتقَدتُ أنه سيكون أفضل إن بدوتُ مختلفاً قليلاً فقط"، قال. "عندما أكون تشَتْ، يتعرَّف عليَّ الناس.

صحيح أن المراسلين التلفزيونيين ليسوا توم كروز، لكن..."، وأنهى فكرته بهزّ كتفيه قليلاً.

رأت شيئاً آخر بعد أن خلع نظّاراته الشمسية: هناك وميض خفيف في عينيه، كما لو أنهما تحت الماء... أو كما لو أنهما غير موجودتين أبداً. وألا ينطبق هذا على فمه أيضاً؟ تذكَّرت هولي كيف تبدو الصورة عندما تنزَع نظّاراتك بينما تشاهد فيلماً ثلاثي الأبعاد في السينما.

"أنتِ ترين ذلك، أليس كذلك؟"، قال بنفس ذلك الصوت الدافئ والودود الذي تناسبَ جيداً مع الابتسامة الخفيفة التي أحدثت غمّازتين عند طرفَي فمه. "معظم الأشخاص لا يرونه. هذا ناتج عن التحوُّل، وسيزول بعد خمس دقائق، أو عشرة بالحد الأقصى، فقد اضطررتُ إلى القدوم إلى هنا من المحطة مباشرة. لقد سبَّبتِ لي بعض المشاكل يا هولي".

أدركت أنه يمكنها سماع السكوت القصير جداً عندما يضع لسانه على سقف فمه من وقت لآخر ليمنع اللثغة.

"يذكّرني هذا بإحدى أغاني تراقيس تريت الريفية القديمة"، ردَّت بصوتٍ هادئٍ كفاية دون أن تتمكّن من أن تُبعد عينيها عن عينيه، حيث يتلألأ بياضهما في القزحية والقزحية تتلألأ في البؤبؤ. بدتا لها في الوقت

الحاضر كأنهما دولتان حدودهما غير مستقرة. "أغنية 'إليك رُبع دولار، اتصل بشخص يكترث'".

ابتسم لها، وبدا أن شفتيه ابتعدا عن بعضهما كثيراً، ثم انطبقتا بسرعة! بقيت الارتعاشات الخفيفة في عينيه، لكن فمه تصلَّب مرة أخرى. ثم نظر إلى يساره حيث يجلس عجوز يرتدي معطفاً وقبعة صوفية خشنة يقرأ مجلةً، وقال، "هل هذا صديقك؟ أم ربما صديقك هو تلك المرأة التي لا تزال تنظر إلى نافذة متجر فورإيفر 21 منذ فترة طويلة تدعو إلى الارتياب؟".

"ربما الاثنان معاً"، قالت هولي وقد بدأ توتّرها يخفّ قليلاً بما أن المواجهة بدأت الآن. لكن تلك العينين مزعجتان ومُربِكتان، والنظر إليهما لفترة طويلة جداً سيسبِّب لها صُداعاً، وسيفسِّر إشاحة نظرها عنهما كعلامة ضَعف. وسيكون محقّاً في ذلك.

"أنتِ تعرفينني، لكن كل ما أعرفه هو إسمكِ. ما بقيته؟".

"غيبني. هولي غيبني".

"وماذا تريدين يا هولي غيبني؟".

"ثلاثمئة ألف دولار".

"ابتزاز"، قال وهزّ رأسه قليلاً كما لو أن أمله خاب منها. "هل تعرفين ما هو الابتزاز يا هولي؟".

تذكَّرت إحدى الحِكم القديمة (وهناك العديد منها) للراحل بيل هودجز: لا تجيبي على أسئلة المجرم، بل المجرم يُجيب على أسئلتك. لذا بقيت تنتظر صامتةً وطاويةً يديها الصغيرتين بجانب شرحة البيتزا التي لا تريدها.

"الابتزاز حيلةٌ حقيرةٌ"، قال. "وهي حيلةٌ يعرفها تشَتْ في المرصاد جيداً. لنفترض أنني أملك ثلاثمئة ألف دولار، وأنا لا أملكها - هناك فرق كبير بين ما يتقاضاه المراسِل التلفزيوني وبين ما يتقاضاه الممثل التلفزيوني. لكن لنفترض فحسب".

"لنفترض أنك متواجد منذ مدة طويلة جداً"، قالت هولي، "وتدّخر المال على طول الطريق أيضاً. ولنفترض أن هذه هي الوسيلة التي تموِّل بها..."، ماذا يمكنها أن تسمّي ذلك بالضبط؟ "نمط حياتك، وخلفيتك. الهويات المزيَّفة وكل شيء".

ابتسم ابتسامة فاتنة. "حسناً لنفترض ذلك يا هولي غيبني، لكن المشكلة المركزية بالنسبة لي تبقى أن الابتزاز حيلةٌ حقيرةٌ. عندما تُدفَع الثلاثمئة ألف،

ستعودين مع الصور التي عدَّلتها في برنامج فوتوشوب وبصمات الأصوات التي عدَّلتها إلكترونياً وتهدِّدينني بفضيحةٍ مرة أخرى".

هولي جاهزة لهذا، ولم تحتج إلى أن يُخبرها بيل أن أفضل جلسات السمر هي تلك التي تحتوي على أكبر قدر من الحقيقة. "لا"، قالت. "ثلاثمئة ألف هو كل ما أريده، لأنه كل ما أحتاج إليه". سكتت قليلاً ثم أضافت، "رغم أن *هناك* شيئاً آخر".

"وما هو؟"، ردَّ بتلك النبرة التلفزيونية اللطيفة التي أصبحت متعالية.

"دعنا نكتفي بالمال في الوقت الحاضر. فقد تم تشخيص خالي هنري مؤخراً بالألزهايمر، وأخذناه إلى مركز لرعاية المسنّين متخصِّص في إيواء وعلاج الأشخاص مثله. المركز مُكلِف جداً، لكن هذا خارج الموضوع حقاً لأنه يكره ذلك المكان، وهو منزعج جداً، وتريد أمي إعادته إلى المنزل، لكن لا يمكنها أن تعتني به. تعتقد أنه يمكنها أن تعتني به، لكن لا يمكنها ذلك حقاً. فهي تتقدَّم بالسنّ، ولديها مشاكل صحية خاصة بها، ويجب تعديل منزلها لإقامة شخصٍ عاجزٍ فيه". ثم تذكَّرت دان بَلْ وأضافت، "منحَدَرات وكرسي مصعد

ورافعة للسرير كبدايةٍ، لكن كل تلك الأشياء ثانوية. أريد توظيف فريق رعاية له على مدار الساعة، بما في ذلك ممرِّضة خلال النهار".

"كل هذه الأمور مُكلِفة يا هولي غيبني. لا شكّ أنك تحبّين خالك العجوز كثيراً".

"أجل"، قالت هولي.

هذه هي الحقيقة رغم أن الخال هنري شخصٌ مزعجٌ. الحبّ نعمةٌ، كما أنه سلسلة يوجد أصفادٌ عند طرفيها.

"صحته العامة سيئة، ومشكلته الرئيسية هي قصور القلب الاحتقاني"، قالت وهي تقتبس من حالة دان بَلْ مرة أخرى. "يبقى جالساً على كرسي ذي عجلات ويحتاج إلى قارورة أكسجين. قد يعيش سنتين أخريين، ومن الممكن أن يعيش ثلاث سنوات أخرى. لقد احتسبتُ المصاريف ووجدتُ أن ثلاثمئة ألف دولار ستُبقيه حياً لخمس سنوات".

"وإذا عاش لست سنوات، ستعودين".

وجدت نفسها تتذكَّر الشاب فرانك پيترسون الذي قتله ذلك الدخيل الآخر في مدينة فلينت بأشنع الطرق وأكثرها إيلاماً، وشعرت فجأة بالحنق من أونداوسكي ومن صوته المدرَّب للتلفزيون وابتسامته المتعالية. بدا

لها كريهاً مثل كتلة براز، عِلماً أن *البراز* وصفٌ ملطَّفٌ كثيراً. فمالت إلى الأمام وركّزت نظرها على تلك العينين (اللتين بدأتا تستقرّان أخيراً لحسن الحظ).

"اسمعني جيداً أيها الحقير قاتل الأطفال. لا أريد أن أطلب منك المزيد من المال، وحتى لم أرغب أن أطلب منك هذا/ المال، فأنا لا أريد رؤيتك مرة أخرى أبداً. لا يمكنني أن أصدّق أنني أنوي تركك تنجو بأفعالك، وإذا لم تنزع هذه الابتسامة اللعينة عن وجهك، فقد أغيِّر رأيي".

ارتدّ أونداوسكي إلى الوراء كما لو أنه صُفعَ، واختفت ابتسامته فعلاً. هل كلَّمه أحدٌ بهذه الطريقة من قبل؟ ربما، لكن منذ مدة طويلة جداً. فهو صحافي تلفزيوني محترَم! وعندما يكون تشَتْ في المرصاد، يرتجف أمامه المقاولون الغشّاشون والأطباء المخادعون الذي يُكثرون من وصف الأدوية بلا حاجة! ثم اكفهرّ وجهه وتقوّس حاجبا عينيه (لاحظت أنهما رفيعان جداً، كما لو أن الشعر لا يريد أن ينمو هناك حقاً) وقال، "لا يمكنكِ -"

"اصمت واسمعني"، قاطعته هولي بصوتٍ قويٍ منخفضٍ، ومالت أكثر إلى الأمام بحركة لم تغزُ فضاءه فحسب بل أشعرته بالتهديد. هذه هولي لم ترها أمها

أبداً من قبل، رغم أن شارلوت رأت ما يكفي في السنوات الخمسة أو الستة الأخيرة لتعتبر أن إبنتها شخصٌ غريبٌ عنها، وربما حتى طفلٌ استُبدل بطفلتها سراً في الطفولة. "هل تسمعني جيداً؟ يجدر بك ذلك وإلا سألغي كل هذه العملية وأنصرف. لن أحصل على ثلاثمئة ألف دولار من *نظرة داخلية*، لكنني أراهنك أنني سأحصل على خمسين ألفاً، وهذه بدايةٌ فحسب".

"إنني أسمعك"، ردَّ بإحدى تلك التوقفات القصيرة وسط الكلمة، لكن هذا التوقف بدا أطول. لأنه منزعج، حسب تقدير هولي، وهذا جيد لأنها تريده أن يكون منزعجاً.

"ثلاثمئة ألف دولار نقداً، وبأوراق من فئة الخمسينات والمئات. ضعها في علبة مثل تلك التي أخذتها إلى مدرسة ماكريدي، رغم أنك لست مضطراً إلى تكبُّد عناء لفّها بورق احتفال الشتاء وبارتداء زيّ مزيَّف. ثم أحضِرها إلى مكان عملي مساء السبت عند السادسة مساءً، وهذا يعطيك بقية اليوم وكل الغد لتحضِّر المال، ولا تتأخر مثلما تأخرت اليوم وإلا فسيُقضى على آمالك. عليك أن تتذكّر كم أنا على وشك فضح هذه القصة، فأنت تُشعرني بالاشمئزاز". سكتت وشعرت أنها إذا

ضغطت زر ساعة لياقتها البدنية الآن ستجد أن معدل نبضاتها حوالي 170.

"من باب العِلم بالشيء فقط لا غير، أين مكان عملك؟ وما طبيعته؟".

تعرف هولي أن إجابتها على هذين السؤالين قد تكون أشبه بتوقيعها أمر إعدامها، لكن الأوان فات لتتراجع الآن. "مبنى فريدريك في وسط المدينة. عند السادسة يوم السبت، وسيكون المكان بأكمله شاغراً لنا قُبيل احتفال الشتاء. الطابق الخامس. فايندرز كيبرز".

"ما هي فايندرز كيبرز بالضبط؟ نوعٌ من أنواع وكالات تحصيل الأموال؟"، سأل مجعِّداً أنفه كما لو أنه شمَّ رائحة كريهة.

"نؤدّي بعض مهام التحصيل"، أقرَّت هولي. "وأشياء أخرى في أغلب الأحيان. نحن وكالة استقصائية".

"يا إلهي، هل أنتِ *محقِّقة خاصة* حقيقية؟"، قال وقد استعاد ما يكفي من برادة دمه ليربِّت بسخرية على صدره قرب قلبه (هذا إذا كان لديه قلبٌ، وهولي مستعدة أن تراهن أنه قلب أسود).

لم تكن لدى هولي أي نيّة بالانجرار إلى هذا النوع من الأحاديث. "الساعة السادسة، الطابق الخامس. ثلاثمئة

ألف دولار. خمسينات ومئات في علبة. ادخل من الباب الجانبي. واتصل بي عندما تصل وسأرسل لك رمز فتح القفل في رسالة نصية".

"هل هناك كاميرا؟".

السؤال لم يفاجئ هولي أبداً، فهو مراسِل تلفزيوني، وخلافاً للدخيل الذي قتل فرانك پيترسون، الكاميرات محور حياته.

"نعم، لكنها تعطّلت من العاصفة الثلجية التي ضربت بداية هذا الشهر، ولم يتم إصلاحها بعد".

يمكنها أن ترى أنه لا يصدِّق ذلك، لكن يصدف أنها الحقيقة. فالمُشرِف على المبنى آل جوردن كسولٌ وكان يجب طرده من عمله (برأي هولي المتواضع، وبرأي پيت) منذ مدة طويلة. فالمسألة لا تتعلق بكاميرا المدخل الجانبي المعطَّلة فحسب؛ لأنه لولا جيروم، لكان العاملون في المكاتب التي تعلو الطابق الثامن لا يزالون حتى الآن يصعدون الدرجات وصولاً إلى أعلى المبنى.

"هناك كاشف معادن داخل الباب، وهو *يعمل*. إنه مثبَّت داخل الجدران، ولا توجد أي طريقة لتفاديه. لذا سأعرف إن أتيتَ باكراً، وسأعرف أيضاً إذا حاولتَ إحضار مسدَّس معك. هل تفهم ما أقوله؟".

"نعم"، ردَّ دون أي ابتسامة الآن، ولم تكن بحاجة إلى أن تكون تخاطرية لكي تعرف أنه يعتبرها سافلة ومتطفِّلة ومزعجة، لكن هولي لا تمانع ذلك، فهذا أفضل بكثير من أن تكون جبانة خائفة من ظلّها.

"استقلّ المصعد. سأسمعه فصوته صاخب. وعندما يُفتح بابه، ستجدني بانتظارك في الرواق. سنجري التبادل هناك. كل شيء موجود على محرِّك أقراص وامض".

"وكيف ستتم عملية التبادل؟".

"لا تهتمّ في الوقت الحاضر. فقط صدِّق أنها ستنجح لكي ينصرف كل واحد منا لعمله".

"ويُفترَض بي أن أثق بك بشأن ذلك؟".

هذا سؤال آخر ليست لديها نيّة بالإجابة عليه. "دعنا نتكلّم عن الشيء الآخر الذي أحتاجه منك". هذا ما سيجعلها إما تُبرِم الاتفاق... أو تلغيه.

"ما هو؟"، سأل بصوتٍ بدا كئيباً تقريباً.

"العجوز الذي أخبَرتُك عنه، ذاك الذي كشفك -"

"كيف؟ كيف استطاع أن يفعل ذلك؟".

"لا تهتمّ بهذا أيضاً. المهم هو أنه بقي يراقبك منذ سنوات. منذ عقودٍ".

راقبت وجهه عن كثب وسُرَّت مما رأته يتجلى عليه: صدمةٌ.

"ترَكك وشأنك لأنه اعتقَد أنك ضبعٌ، أو غرابٌ... شيءٌ يعيش على الحيوانات التي تصدمها السيارات على الطرقات. لستَ شيئاً لطيفاً، لكنك جزءٌ... لا أعرف، من النظام البيئي ربما. لكنك قرَّرتَ بعدها أن ما تفعله ليس كافياً، أليس كذلك؟ وتساءلتَ لماذا تنتظر وقوع مأساةٍ أو مجزرةٍ ما، في حين أنه يمكنك التسبّب بواحدةٍ. كارثة من صنع يديك، صح؟".

لا شيء من أونداوسكي، بل اكتفى بالنظر إليها، ورغم أن عينيه أصبحتا جامدتين الآن، إلا أنهما بدتا مريعتين. إنه أمر إعدامها، نعم، وهي لا توقّعه فحسب، بل تكتبه بنفسها.

"هل فعلتَ هذا من قبل؟".

بقي صامتاً لفترة طويلة، وعندما قرَّرت هولي أنه لن يجيب على سؤالها - صمته بحد *ذاته* جوابٌ - أجابها قائلاً، "لا، لكنني كنتُ جائعاً"، وابتسم، مما جعلها تشعر

برغبة بالصراخ. ثم أضاف، "تبدين خائفة يا هولي غيبني".

لا فائدة من الكذب بشأن ذلك. "نعم، لكنني مصمِّمة أيضاً". ثم مالت إلى الأمام لتغزو فضاءه مرة أخرى، وهذا أحد أصعب الأشياء التي فعلتها في حياتها كلها. "لذا إليك الشيء الآخر. سأدعك تنجو بفعلتك هذه المرة، لكن *إياك أن تكرِّرها* مرة *أخرى أبداً*. وسأعرف إن فعلتَ ذلك".

"ماذا ستفعلين عندها؟ ستطاردينني؟".

جاء دور هولي الآن لأن تصمت.

"كم نسخة لديك من هذه المواد يا هولي غيبني؟".

"واحدة فقط"، قالت هولي. "كل شيء مخزَّن على محرِّك الأقراص الوامض، وسأعطيك إياه مساء السبت، *لكنني*"، وأشارت إليه بإصبعها، وسُرَّت من رؤية أنه لا يرتعش. "أعرف وجهك، بل *وجهَيك*. وأعرف صوتك، بل أعرف أشياء عنه قد لا تعرفها بنفسك". قالت هذا وهي تفكِّر بالتوقفات القصيرة لمنع اللثغة. "امضِ في سبيلك وكُل طعامك العَفِن، لكن إذا *اشتبهتُ* ولو للحظة أنك سبَّبت مأساةً أخرى - مدرسة ماكريدي أخرى - عندها سأطاردك نعم، وسأدمِّر حياتك".

جال أونداوسكي بنظره في باحة الطعام الفارغة تقريباً، ورأى أن العجوز ذا القبعة الصوفية الخشنة والمرأة التي كانت تحدِّق بالأزياء المعروضة في نافذة متجر فورإيفر 21 رحلا. صحيح أن هناك أشخاصاً واقفين في طابور كشك الوجبات السريعة، لكنهم يديرون ظهورهم لهما. "لا أعتقد أن *أي* شخص يراقبنا يا هولي غيبني. أعتقد أنك لوحدك، وأعتقد أنه يمكنني أن أمدّ يديَّ الآن وأكسر عنقك الهزيل وأختفي من هنا قبل أن يدرك أي شخص ماذا حصل. أنا سريع جداً".

إذا رأى أنها مرتعبة - وهي مرتعبة حقاً لأنها تعرف أنه يائس وحانق من إيجاد نفسه في هذا الموقف - فقد يفعلها. *على الأرجح* سيفعلها. لذا أجبرت نفسها على أن تميل إلى الأمام مرة أخرى وقالت، "قد لا تكون سريعاً كفاية لتمنعني من صراخ إسمك الذي أعتقد أن الجميع في منطقة العاصمة في پيتسبرغ يعرفونه. أنا سريعة جداً أيضاً. هل تودّ أن تجازف؟".

مرَّت لحظةٌ بدا فيها أنه إما يقرِّر ماذا سيفعل أو يتظاهر بذلك. ثم قال، "مساء السبت عند السادسة، مبنى فريدريك، الطابق الخامس. أنا أُحضِر المال، وأنتِ تعطينني محرّك الأقراص الإبهامي. هذا هو الاتفاق؟".

"هذا هو الاتفاق".

"وستلزمين الصمت".

"نعم، إلا إذا تكرَّرت حادثة مدرسة ماكريدي، فعندها سأبدأ صراخ ما أعرفه عن أسطح البيوت، وسأواصل الصراخ إلى أن يصدِّقني أحدهم".

"حسناً".

مدَّ يده، لكنه لم يبدُ متفاجئاً عندما رفضت هولي أن تصافحها، أو حتى أن تلمسها، فنهض عن كرسيه وابتسم مرة أخرى تلك الابتسامة التي تُشعرها برغبة بالصراخ.

"كانت المدرسة خطأً، وقد فهمتُ هذا الآن".

ارتدى نظّاراته الشمسية وأصبح في منتصف باحة الطعام تقريباً قبل أن يتسنّى لهولي أن تلاحظ رحيله. لم يكن يكذب بشأن سرعته، وراودها الشكّ بأنها كانت ستنجح في تجنّب يديه لو مدَّهما عبر الطاولة الصغيرة. فتلةٌ سريعةٌ من يديه وسيرحل تاركاً امرأةً مُخفِضةً ذقنها على صدرها كما لو أنها غفت فوق غداءها الصغير. لكن ما حصل مجرد تأجيل لحُكم الإعدام.

حسناً، قال فحسب، وبلا تردّد، ودون أن يطلب أي ضمانات، ودون أن يسألها كيف يمكنها أن تكون أكيدة

أن انفجاراً ما في المستقبل يتسبَّب بوقوع عدة ضحايا - حافلة، قطار، مركز تسوّق مثل هذا - ليس من صنعه.

كانت المدرسة خطأً، قال، *وقد فهمتُ هذا الآن.*

لكنها هي الخطأ، وهذا خطأ يجب تصحيحه.

لا ينوي أن يدفع لي، بل ينوي أن يقتلني، فكَّرت في سرّها وهي تأخذ شرحة البيتزا التي لم تلمسها وكوب قهوة ستاربكس إلى أقرب سلة مهملات، ثم كادت تضحك.

كما لو أنني لم أعرف هذا من البداية؟

3

مرأب سيارات المركز التجاري بارد وتذروه الرياح، وكان يجب أن يكون مزدحماً في ذروة فترة شراء الهدايا للعيد، لكنه نصف ممتلئ فقط، وهولي تُدرك جيداً أنها لوحدها، وأن هناك مساحات فارغة كثيرة تستطيع الرياح أن تفعل فعلها فيها فتـُخدِر وجهها وتجعلها تكاد تترنَّح أحياناً، لكن هناك مجموعات من السيارات المركونة أيضاً، ومن الممكن أن يكون أونداوسكي مختبئاً خلف إحداها، جاهزاً لينقضَّ عليها *(أنا سريع جداً)* ويُمسِكها.

ركضت الخطوات العشرة الأخيرة إلى سيارتها المستأجرة، وبعدما أصبحت داخلها، ضغطت الزر الذي يُقفِل كل الأبواب. بقيت جالسةً هناك لنصف دقيقة تحاول أن تستعيد رباطة جأشها، ولم تتفحَّص ساعة لياقتها البدنية لأنه لن يروق لها ما ستراه عليها.

خرجت هولي من المركز التجاري، وبقيت تنظر عبر مرآة الرؤية الخلفية كل بضع ثوانٍ. لا تعتقد أن أحداً يلحقها، لكنها اعتمدت صيغة القيادة المراوِغة على أي حال. درهم وقاية خير من قنطار علاج.

تعرف أن أونداوسكي قد يتوقعها أن تركب الطائرة لتعود إلى منزلها، لذا عزمت أن تقضي ليلتها في پيتسبرغ وتستقلّ القطار غداً. ركنت في مرأب أحد فنادق هوليداي إن اكسبرس وشغَّلت هاتفها لتتحقَّق من رسائلها قبل أن تدخل الفندق وتجد رسالةً من أمها.

"هولي، لا أعرف أين أنتِ، لكن خالك هنري تعرَّض لحادثٍ في ذلك المكان اللعين رولينغ هيلز، وربما انكسرت ذراعه. اتصلي بي رجاءً. *رجاءً*". سمِعت هولي استغاثة أمها واتهامها المعهود: احتجتُ إليك وخيَّبتِ لي أملي مرة أخرى.

وصل إصبعها على بُعد ملليمتر واحد من معاودة الاتصال بأمها، فمن الصعب التخلّص من العادات القديمة، ومن الصعب تغيير ردود الأفعال الافتراضية، وشعرت بتورّد الخِزي يغمر جبهتها وخدَّيها وحنجرتها، وأصبح ما ستقوله عندما تردّ عليها أمها جاهزاً على لسانها من قبل: *آسفة*. ولما لا؟ فقد أمضت كل حياتها تعتذر لأمها التي تسامحها دائماً بذلك التعبير على وجهها الذي يقول *آه يا هولي، لن تتغيّري أبداً، وستخيِّبين لي أملي دائماً*. لأن لشارلوت غيبني ردّة فعلها الافتراضية أيضاً.

لكن هولي أوقفت إصبعها هذه المرة وراحت تفكِّر.

لماذا عليها أن تتأسف؟ وعما ستعتذر لها؟ عن أنها لم تكن موجودة لتُنقذ الخال هنري المشوَّش الذهن من كسر ذراعه؟ عن أنها لم تردّ على هاتفها *لحظة* اتصال أمها بها، كما لو أن حياة شارلوت هي الحياة المهمة، هي الحياة الحقيقية، وأن دور هولي في الحياة هو أن تكون مجرد ظل أمها؟

كانت مواجهة أونداوسكي صعبة، ورفضها الاستجابة لمناشدة أمها فوراً كانت بنفس الصعوبة تماماً، وربما حتى أصعب، لكنها فعلت ذلك رغم أنه جعلها تشعر أنها

إبنة سيئة. اتصلت بمركز رعاية المسنّين في رولينغ هيلز بدلاً من أن تتصل بأمها، وعرّفت عن نفسها وطلبت التحدّث مع السيدة برادوك. وضعتها عاملة الهاتف في صيغة الانتظار واضطرت أن تتحمّل موسيقى أغنية "الطبّال الصغير" إلى أن أصبحت السيدة برادوك على الخط، وشعرت هولي أنها موسيقى مناسبة لترافق عمليات الانتحار.

"آنسة غيبني!"، قالت السيدة برادوك. "هل الوقت مُبكر جداً لأتمنى لك عطلةً سعيدةً؟".

"على الإطلاق، وشكراً لك يا سيدة برادوك. لقد اتصلت بي أمي وقالت إن خالي تعرَّض لحادثٍ".

ضحكت السيدة برادوك. "بل بالأحرى *جنَّبنا* واحداً! لقد اتصلتُ بأمك وأخبَرتُها ذلك. صحيح أن حالة خالك الذهنية ربما تدهورت بعض الشيء، لكن الأكيد أنه لا يوجد أي خلل في ردود فعله اللاإرادية".

"ماذا حصل؟".

"لم يرغب أن يخرج من غرفته في اليوم الأول"، قالت السيدة برادوك، "لكن هذا ليس أمراً غير اعتيادي، فكل الواصلين الجدد يكونون مرتبكين دائماً، وحزينين في أغلب الأحيان. يكون حزنهم كبيراً أحياناً، لذا

نعطيهم في تلك الحالة شيئاً ليهدئ لهم أعصابهم قليلاً. لم يحتج خالك إلى ذلك، وخرج البارحة من غرفته من تلقاء نفسه وجلس في غرفة الجلوس العامة، وحتى ساعد السيدة هاتفيلد في تركيب أحجية صورتها. كما شاهد برنامج ذلك القاضي المجنون الذي يحبّه -"

جون *لوه*، فكَّرت هولي في سرّها وابتسمت، وبالكاد أدركت أنها تتفحَّص مراياها باستمرار لتتأكد أن تشَتْ أونداوسكي *(أنا سريع جداً)* لا يراقبها.

"- وجبات خفيفة لبعد الظهر".

"عذراً"، قالت هولي. "لم أسمع آخر ما قلتِه".

"قلتُ إنه عندما ينتهي البرنامج، يتوجَّه بعضهم إلى قاعة الطعام حيث توجد وجبات خفيفة لبعد الظهر. كان خالك يسير مع السيدة هاتفيلد، وهي في الثانية والثمانين من عمرها وخطواتها غير متوازنة، عندما تعثَّرت وكادت تسقط سقوطاً سيئاً، لكن هنري أمسَكها، وقد وصفت إحدى ممرِّضاتنا سارة ويتلوك أن ردّة فعله كانت سريعة جداً 'مثل البرق'. على أي حال، تحمَّل وزنها بجسمه وسقط على الجدار، حيث توجد مُطفئة حريق حسبما ينصّ عليه القانون، وتعرَّض لرضّة قوية،

لكنه ربما أنقذ السيدة هاتفيلد من ارتجاج في الدماغ أو حتى من أسوأ من ذلك، فهي ضعيفة جداً".

"لم يكسر خالي هنري أي شيء؟ عندما ارتطم بمُطفئة الحريق؟".

ضحكت السيدة برادوك مرة أخرى وأجابت، "الحمد لله لا!".

"هذا جيد. أخبري خالي أنه بطل".

"سأفعل ذلك. ومرة أخرى، أتمنى لك عطلةً سعيدةً".

"وأنتِ أيضاً"، قالت وأنهت المكالمة على ضحكة السيدة برادوك، ثم راحت تنظر إلى حائط الطوب الممل لفندق هوليداي إن اكسبرس لبعض الوقت، وقد شبكت ذراعيها فوق صدرها النحيل، وتقطّب وجهها في تفكير عميق. ثم اتّخذت قرارها واتصلت بأمها.

"آه يا هولي، أخيراً! أين كنتِ؟ ألا يكفيني أن عليَّ أن أقلق بشأن أخي دون أن أضطر إلى أن أقلق بشأنك أيضاً؟".

عاودتها الرغبة العارمة بأن تقول *آسفة*، وذكّرت نفسها مرة أخرى أنه لا يوجد أي شيء لتعتذر عنه.

"أنا بخير يا ماما. أنا في پيتسبرغ -"

"بيتسبرغ!".

"- لكن يمكنني أن أعود في غضون ساعتين تقريباً، إذا لم تكن زحمة السير كبيرة وإذا سمحت لي أقيس بأن أعيد السيارة هناك. هل غرفتي مرتَّبة؟".

"إنها مرتَّبة *دائماً*"، قالت شارلوت.

بالطبع هي مرتَّبة، فكَّرت هولي في سرّها، لأنني سأعود إلى رشدي في نهاية المطاف وأعود للإقامة فيها.

"رائع"، قالت هولي. "سأكون عندك قُبيل العشاء، ويمكننا مشاهدة التلفزيون قليلاً ونذهب لزيارة خالي هنري غداً، إذا كان ذلك -"

"أنا قلِقة جداً عليه!"، صاحت شارلوت.

لكنك لستِ قلِقة بما فيه الكفاية لتهرعي إلى سيارتك وتذهبي إليه، فكَّرت هولي في سرّها، لأن السيدة برادوك اتصلت بك وطمأنتكِ، والمسألة لا تتعلق بأخيك، بل بكيفية إخضاع إبنتك. لقد فات الأوان على ذلك، وأعتقد أنكِ تعرفينه، لكنك لن تتوقفي عن المحاولة، وهذه من ردود فعلك الافتراضية أيضاً.

"أنا متأكدة أنه بخير يا ماما".

"هذا ما يقولونه، لكنهم بالطبع سيقولون ذلك، أليس كذلك؟ فتلك الأماكن تأخذ حذرها دائماً من الدعاوى القضائية".

"سنزوره ونرى بأنفسنا"، قالت هولي. "صح؟".

"آه، أظن ذلك". سكتت قليلاً ثم أضافت، "أفترض أنكِ ستغادرين بعد زيارته، وتعودين إلى تلك المدينة". المعنى الضمني: إلى سدوم تلك، إلى عمورة تلك، إلى حفرة الخطايا والانحطاط تلك. "سأُمضي احتفال الشتاء لوحدي بينما تتناولين عشاء احتفال الشتاء مع أصدقائك"، بما فيهم ذلك الشابّ الأسود الذي يبدو كأنه يتعاطى المخدرات.

"ماما"، ردّت هولي وهي تشعر أحياناً أنها تريد أن تصرخ بينما تكلِّمها. "دعتني عائلة روبنسون منذ أسابيع، وتحديداً بُعيد يوم الشُكر. لقد أخبَرتُك بذلك، وقلتِ إنك لا تمانعين"، لكن ما قالته شارلوت في الواقع كان *حسناً، إذا كانت هذه رغبتُك*.

"حصل ذلك عندما اعتقَدتُ أن هنري سيظل هنا".

"حسناً، ما رأيكِ لو بقيتُ عندك ليلة الجمعة أيضاً؟". يمكنها أن تفعل ذلك كرمى لأمها، ويمكنها أن تفعله كرمى لنفسها أيضاً، فهي واثقة أن أونداوسكي قادر

تماماً على معرفة مكان سكنها في المدينة ويذهب إلى هناك قبل أربع وعشرين ساعة بنيّة ارتكاب جريمة قتل. "يمكننا أن نحتفل باحتفال الشتاء قبل موعده".

"هذا سيكون رائعاً"، قالت شارلوت بابتهاجٍ. "يمكنني أن أشوي دجاجةً، مع الهليون! أنتِ تحبّين الهليون!".

هولي تكره الهليون، لكن لا جدوى من إخبارها أمها ذلك. "فكرة جيدة يا ماما".

4

أبرمت هولي الاتفاق مع أفيس (مع دفع رسم إضافي طبعاً) وانطلقت في رحلتها، وتوقفت مرة واحدة فقط لتتزوّد بالوقود، وتأكل همبرغر بالسمك لدى ماكدونالد، وتُجري اتصالين هاتفيين أخبرت فيهما جيروم وپيت أنها أنهت مهمتها الشخصية، وأنها ستمضي معظم نهاية الأسبوع مع أمها وتزور خالها في مسكنه الجديد، وستعود إلى العمل صباح الاثنين.

"باربرا غارقة في الأفلام"، أخبرها جيروم، "لكنها تقول إنها مُضجرة كلياً، وإن المرء يظن عند مشاهدتها أنه لا وجود للسود في الدنيا".

"أخبِرها أن تضع ذلك في تقريرها"، قالت هولي. "وسأعطيها فيلم *شافْت* عندما تسنح لي الفرصة. عليّ العودة إلى الطريق الآن فحركة المرور كثيفة جداً، رغم أنني لا أعرف إلى أين يذهب كل هؤلاء الناس، فقد ذهَبتُ إلى مركز تجاري وكان نصفه فارغاً".

"إنهم يزورون أنسباءهم، مثلك تماماً"، قال جيروم. "فالأنسباء هم الشيء الوحيد الذي لا يستطيع موقع أمازون توصيله".

مع عودة هولي إلى الطريق I-76، خطر ببالها أن أمها لا شك أحضرت لها هدية لاحتفال الشتاء، وعليها أن تُحضِر شيئاً لشارلوت لأنه يمكنها منذ الآن رؤية نظرات أمها الحزينة عندما تصل إلى بابها فارغة اليدين.

لذا توقفت في مركز التسوّق التالي، رغم أن ذلك يعني أنها لن تصل إلى منزل أمها إلا بعد حلول الظلام (تكره القيادة في الليل)، واشترت خُفّاً لأمها ورداء حمّام جميلاً. وتأكدت من الاحتفاظ بقسيمة الشراء لأنها ستحتاج إليها عندما تُخبِرها شارلوت أنها اشترت القياس الخطأ.

بعدما عادت إلى الطريق مرة أخرى، وأصبحت آمنة داخل سياراتها المستأجرة، أخذت هولي نَفَساً عميقاً

وزفرته في صرخةٍ.

أفادها هذا.

5

عانقت شارلوت إبنتها عند عتبة الباب، ثم شدّتها إلى الداخل، وعرَفت هولي ما سيأتي بعد ذلك.

"لقد فقدتِ بعضاً من وزنك".

"لا يزال وزني كما هو في الواقع"، ردَّت هولي، ورمقتها أمها بتلك النظرة التي تقول *مَن يُصاب بفقدان الشهية مرةً يُصاب بها طول حياته*.

كان العشاء عبارة عن وجبة جاهزة من ذلك المطعم الإيطالي الذي عند الناصية، وراحت شارلوت تتكلَّم أثناء تناولهما الطعام عن صعوبة الحياة من دون هنري، كما لو أن أخاها رحل منذ خمس سنوات وليس منذ خمسة أيام، وليس إلى مركز قريب لرعاية المسنّين بل ليقضي شيخوخته في إنجاز أمور غبية بعيداً جداً في بلد آخر - ليدير متجراً للدرّاجات الهوائية في استراليا أو ليرسم غروب الشمس في جُزُر استوائية - ولم تسأل هولي عن حياتها أو عملها أو ماذا كانت تفعل في پيتسبرغ. عندما حلّت الساعة التاسعة وأصبحت هولي قادرة إلى حد ما

أن تتحجَّج بالتعب وتذهب إلى سريرها، بدأت تشعر كما لو أنها صغُرت في السنّ والحجم إلى تلك الفتاة الحزينة والوحيدة والفاقدة الشهية التي عاشت في هذا المنزل - نعم، هكذا كانت حالها، على الأقل طوال كابوسها في الصف التاسع في المدرسة الثانوية، عندما كانوا ينادونها جيبا-جيبا غيبا-غيبا.

لا تزال غرفة نومها على حالها بتلك الجدران الزهرية الداكنة التي لطالما ذكَّرتها باللحم نصف المطبوخ، ولا تزال حيواناتها المحشوة موضوعة على الرفّ فوق سريرها الضيق، حيث يحتلّ السيد أرنب مركز الصدارة بينها بأذنيه الرثّتين اللتين كانت معتادة أن تقضمهما عندما لا تستطيع أن تنام، ولا يزال المُلصق الإعلاني لسيلفيا بلاث معلّقاً على الجدار فوق المكتب حيث كَتَبت هولي شِعرها السيئ وحيث تخيَّلت نفسها أحياناً تنتحر على طريقة محبوبها. راحت تفكِّر وهي تخلع ملابسها أنها ربما كانت لتفعل ذلك، أو تحاول فعله على الأقل، لو كان فرنهم يعمل على الغاز وليس على الكهرباء.

من السهل جداً عليها أن تعتبر أن غرفة الطفولة هذه لا تزال تنتظرها مثل وحش في قصة مرعبة، وقد نامت

فيها عدة مرات خلال سنوات سن بلوغها العقلانية (العقلانية *نسبياً*)، ولم تأكلها أبداً. أمها أيضاً لم تأكلها أبداً. *هناك* وحشٌ، لكنه ليس في هذه الغرفة أو في هذا المنزل، وتعرف هولي أنه يجدر بها أن تتذكّر ذلك، وأن تتذكّر مَن هي. فهي ليست الطفلة التي قضمَت أذنَي السيد أرنب، وليست المراهِقة التي تقيأت فطورها معظم الأيام قبل الذهاب إلى المدرسة، بل هي المرأة التي أنقذت أولئك الأولاد في مجمّع الغرب الأوسط للثقافة والفنون بمساعدة بيل وجيروم، وهي المرأة التي نجت من شَرك برايدي هارتسفيلد، وهي المرأة التي واجَهت وحشاً آخر في كهفٍ في تكساس. لقد زالت تلك الفتاة التي كانت تختبئ في هذه الغرفة ولا تريد الخروج منها أبداً.

ركعت، وأدّت صلاتها الليلية، واندسّت في سريرها.

18 ديسمبر 2020

1

جلست شارلوت وهولي والخال هنري في إحدى زوايا الغرفة المشتركة في رولينغ هيلز التي تم تزيينها لاحتفال الشتاء بأشرطة مبهرَجة وأكاليل شوح عَطِرة تكاد تطغى على العبير الدائم للبَول ومساحيق التبييض، وبشجرة مزدانة بأضواءٍ وقِطع حلوى على شكل عُصي. كما ملأت موسيقى احتفال الشتاء المكان من مكبِّرات الصوت، وهي ألحان مُتعَبة تستطيع هولي أن تعيش بسعادة من دونها لبقية حياتها.

لم يبدُ أن أجواء الاحتفال تغمر بقية المقيمين بالحماس، فمعظمهم يشاهد إعلاناً لآلة لتمرين عضلات المعدة تظهر فيه شابّة جذّابة ترتدي زيّاً برتقالياً ضيقاً على الجسم، وبعضهم الآخر يجلس بعيداً عن التلفزيون إما صامتين أو يتحدّثون مع بعضهم البعض، أو حتى

يتحدّثون مع أنفسهم. وهناك عجوزة ترتدي معطفاً منزلياً أخضر منحنية فوق أحجية صورة ضخمة.

"هذه السيدة هاتفيلد"، قال الخال هنري. "لا أتذكَّر إسمها الأول".

"أخبرتنا السيدة برادوك أنك أنقذتها من سقطة شنيعة"، قالت هولي.

"لا، تلك كانت جوليا"، قال الخال هنري. "عند طرف حفرة السباحة *القديييمة*"، وضحك مثلما يضحك المرء عندما يتذكَّر الأيام الخوالي، فقلبت شارلوت عينيها. ثم أضاف، "كنتُ في السادسة عشرة، وأظن أن جوليا كانت في..."، وانخفت صوته.

"دعنى أرى ذراعك"، أمرته شارلوت.

رَفَع الخال هنري رأسه. "ذراعي؟ لماذا؟".

"دعنى أراها فحسب"، ثم أمسكتها ورفعت كُمّ قميصه فظهرت رضّة كبيرة إلى حد ما لكن غير ملفتة للنظر كثيراً. بدت لهولي أشبه بوشمٍ بشعٍ.

"إذا كانت هذه هي طريقة رعايتهم للأشخاص، علينا إذاً أن نقاضيهم بدلاً من أن ندفع لهم"، قالت شارلوت.

"نقاضي مَن؟"، سأل الخال هنري، ثم أضاف ضاحكاً: "هورتون يسمع هووو! الأولاد يحبّون هذا الفيلم!".

نهضت شارلوت وقالت، "سأذهب لإحضار بعض القهوة، وربما إحدى قِطع الحلوى الصغيرة تلك أيضاً. هولي؟".

هزّت هولي رأسها.

"ها أنتِ لا تأكلين من جديد"، قالت شارلوت وابتعدت قبل أن يتسنّى لهولي أن تردّ عليها.

راقبها هنري ترحل. "لا تستسلم أبداً، أليس كذلك؟".

جاء دور هولي لكي تضحك هذه المرة، ولم تستطع منع نفسها من فعل ذلك. "لا. لا تستسلم".

"لا تفعل ذلك أبداً. أنتِ لستِ جايني".

"لا"، وانتظرته.

"أنتِ..."، وشعرت أنها تسمع صوت تروس صدئة تدور. "هولي".

"هذا صحيح"، وربّتت على يده.

"أودّ العودة إلى غرفتي، لكنني لا أتذكّر مكانها".

"أعرف الطريق"، قالت هولي. "سآخذك إليها".

سارا ببطء في الرواق.

"مَن جوليا؟"، سألت هولي.

"جميلةٌ كالفجر"، قال الخال هنري، وقرَّرت هولي أن هذا الجواب كافٍ، فهو أفضل من أي بيت شِعر كَتَبته في حياتها.

حاولت أن ترشده إلى الكرسي الذي قرب النافذة في غرفته، لكنه أفلت من يدها وجلس على السرير شابكاً يديه بين فخذَيه، وبدا أشبه بولدٍ مسنٍّ. "أعتقد أنني سأستلقي وأستريح يا حبيبتي. أنا مُتعَب، فشارلوت تُتعبني".

"تُتعبني أنا أيضاً أحياناً"، قالت هولي شيئاً ما كانت لتبوح به أبداً في الأيام الخوالي للخال هنري، الذي كان في كثير من الأحيان يشارك أمها في التآمر عليها، لكنه رجل مختلف الآن... رجل ألطف بكثير بطريقة ما. كما أنه سينسى ما قالته له بعد خمس دقائق، وبعد عشرة، سينسى أنها كانت هنا.

انحنت لتقبِّل خدّه، ثم توقفت وشفتاها فوق بشرته مباشرة عندما قال، "هل من سوء؟ لماذا أنتِ خائفة؟".

"لستُ -"

"آه، بلى، بلى".

"نعم، أنا خائفة"، وشعرت بارتياح كبير لإقرارها بهذا، لقوله بصوتٍ عالٍ.

"أمك... أختي... إسمها على طرف لساني..."

"شارلوت".

"نعم. تشارلي جبانة. لطالما كانت جبانة، حتى في صغرنا. وترفض أن تنزل الماء في... ذلك المكان... لا يمكنني أن أتذكَّره. أنتِ كنتِ جبانة أيضاً، لكنك تغلَّبتِ على خوفك".

نظرت إليه مندهشةً وعجزت عن الكلام.

"تغلَّبتِ على خوفك"، كرَّر لها ثم خلع خفّه ورفع قدميه إلى السرير. "سآخذ قيلولةً يا جايني. هذا المكان ليس سيئاً كثيراً، لكن أتمنّى لو معي ذلك الشيء... ذلك الشيء الذي تفتلينه..."، وأغمض عينيه.

ذهبت هولي إلى الباب مُخفضةً رأسها، والدموع تسيل على وجهها، فأخذت محرمةً من جيبها ومسحتها لأنها لا تريد أن تراها شارلوت. "أتمنّى لو يمكنك أن تتذكَّر إنقاذك تلك المرأة من السقوط"، قالت. "وقد أخبرتنا الممرِّضة أنك تحرَّكت كالبرق".

لكن الخال هنري لم يسمعها، فقد غفا فوراً.

2

من تقرير هولي غيبني إلى المحقق رالف أندرسون:

توقَّعتُ إنهاء هذا ليلة أمس في أحد فنادق بنسلفانيا، لكن طرأت مسألة عائلية وذهبتُ إلى منزل أمي بدلاً من ذلك. وجودي هنا صعب، فهناك ذكريات كثيرة، والعديد منها ليس جيداً، لكنني سأبقى هنا هذه الليلة، وهذا أفضل لي. ماما خرجت لتشتري بعض الحاجيات لعشاء احتفال شتاء مُبكر لن يكون لذيذ المذاق على الأرجح، فالطبخ لم يكن إحدى مواهبها أبداً.

آمل أن أُنهي المسألة مع تشَتْ أونداوسكي - أو الشيء الذي يسمّي نفسه بهذا الإسم، على أي حال - مساء الغد. لا جدوى من إنكار أنني خائفة، فقد وعَدني أنه لن يفعل أي شيء مماثل لحادثة مدرسة ماكريدي أبداً، لكنه وعَدني فوراً ودون حتى أن يفكّر ملياً، ولا أصدِّقه. لن يصدِّقه بيل، وأنا متأكدة أنك لن تصدِّقه أنت أيضاً، فقد أصبح يستسيغ ذلك الآن، وربما أصبح يستسيغ أن يكون البطل المنقِذ، رغم أنه يعرف بلا شكّ أن لفت الأنظار إليه فكرةٌ سيئةٌ.

هاتَفتُ دان بَلْ وأخبَرتُه أنني أنوي أن أضع حدّاً لأونداوسكي، وكنتُ محقّة في شعوري أنه سيتفهَّم ذلك

وسيوافق عليه بما أنه شرطي سابق، لكنه أخبَرني أن أحذر. سأحاول فعل ذلك، لكن سأكون كاذبةً إن لم أقل إن عندي شعور سيئ جداً بشأن هذا. كما اتصلتُ بصديقتي باربرا روبنسون أيضاً وأخبَرتُها أنني سأبيت ليلة السبت في منزل أمي، لأنني أحتاج إلى التأكد أنها ستظّن وأخوها جيروم أنني لن أكون في المدينة غداً، فمهما سيجري لي، أحتاج إلى معرفة أنهما لن يكونا في خطر.

أونداوسكي قَلِقٌ بشأن ما قد أفعله بالمعلومات التي معي، لكنه واثقٌ أيضاً، وأعرف أنه سيقتلني إن استطاع ذلك. لكن ما لا يعرفه هو أنني مررتُ بمواقف مماثلة من قبل، ولن أستخف به.

لقد ذكرني صديقي وشريكي أحياناً بيل هودجز في وصيّته، فقد شملني في لائحة المستفيدين من بوليصة التأمين على حياته، لكن هناك تذكارات أخرى تعني لي أكثر من ذلك حتى، أحدها هو سلاح خدمته، وهو مسدَّس سميث وويسون عيار .38، وقد أخبَرني بيل أن معظم رجال شرطة المدينة الآن يحملون مسدَّس غلوك 22، الذي يتَّسع مخزنه لخمس عشرة طلقة بدلاً من ستة، لكنه شخصياً غير مجارٍ للعصر وفخور بمسدَّسه.

لا أحبّ المسدَّسات - أكرهها، في الواقع - لكنني سأستخدم مسدَّس بيل غداً ودون أي تردّد، فقد أجريتُ حديثاً واحداً مع أونداوسكي وهو كان كافياً بالنسبة لي. سأطلق النار على صدره، وليس فقط لأن أفضل طلقة هي دائماً تلك التي تُسدَّد على وسط أي كتلة ضخمة، وهذا شيء تعلّمتُه في حصة إطلاق النار التي أخذتُها منذ سنتين.

السبب الحقيقي هو

[وقفة قصيرة]

هل تتذكَّر ما حصل في الكهف، عندما ضربتُ الشيء الذي وجَدناه هناك على رأسه؟ بالطبع تتذكَّر، فكلانا يحلم بذلك، ولن ننساه أبداً. أظن أن القوة - القوة *المادية* - التي تحرِّك تلك الأشياء هي نوعٌ من أنواع الأدمغة الفضائية استبدَل الدماغ البشري الذي كان يتواجد في ذلك الجسد قبل أن يستولي عليه. لا أعرف منشأه ولا يهمّني أن أعرف، وإطلاق النار على صدر ذلك الشيء قد لا يقتله، لكن هذا ما أتكّل عليه في الواقع يا رالف، وأظن أن هناك طريقة أخرى للتخلّص منه إلى الأبد، لأن هناك شائبةً.

لقد وصلت أمي للتو. سأحاول إنهاء هذا لاحقاً اليوم أو غداً.

3

لم تدع شارلوت هولي تساعدها في الطبخ؛ فكلما دخلت إبنتها المطبخ، تلوِّح لها شارلوت بيدها لتصرفها. مرَّ اليوم طويلاً على هولي، لكن ساعة العشاء حلَّت أخيراً، فارتدت شارلوت الفستان الأخضر الذي ترتديه كل سنة على احتفال الشتاء (تفتخر بحقيقة أن قياسه لا يزال مناسباً عليها)، وشبكت دبوس ذكرى احتفال الشتاء في مكانه المعتاد فوق ثديها الأيسر.

"عشاءٌ أصيلٌ لاحتفال الشتاء، مثل الأيام الخوالي تماماً!"، هتفت وهي تقود هولي إلى غرفة الطعام بمِرفقها... مثل سجينٍ يُقاد إلى غرفة الاستجواب، فكَّرت هولي في سرّها. "لقد أعدَّيتُ كل الأطباق المفضَّلة لديك!".

جلستا مقابل بعضهما البعض، وأشعلت شارلوت شموعها العطرية التي انبعثت منها رائحة الإذخر [أو طِيب العَرَب] التي تجعل هولي تريد أن تعطس، وملأتا كوبَيهما بشراب العنب وتمنّتا لبعضهما احتفال شتاء

سعيداً. ثم جاء دور سلطةٍ متَّبلةٍ مسبقاً بصلصة تشبه المخاط تكرهها هولي (تظن شارلوت أنها تحبّها)، وديك رومي جاف كورق البردي لا يمكن بلعه إلا مع كثير من صلصة مرق اللحم من أجل تشحيم ممره إلى البطن. وجدت هالي البطاطا المهروسة كثيرة الكتل، والهليون المبالَغ في طهيه مترهّلاً وكريهاً كالعادة. فقط قالب الحلوى بالجزر (اشترته أمها من المتجر) كان لذيذ المذاق.

أكلت هولي كل شيء في طبقها ومدحت أمها التي ابتهجت كثيراً.

بعد انتهائهما من غسل الأطباق (تتولى هولي عملية تنشيفها كالعادة، فأمها تدّعي أنها لا تزيل أبداً كل "اللطخات" عن الأوعية)، قصدتا غرفة الجلوس حيث بحثت شارلوت عن القرص الرقمي لفيلم *إنها حياة رائعة*. آه كم عدد احتفالات الشتاء التي شاهدوا فيها هذا الفيلم؟ عشرة على الأقل، وربما أكثر، وكان بمقدور الخال هنري أن يردِّد كل جملة فيه غيباً. ربما لا يزال قادراً على فعل ذلك، فكَّرت هولي في سرّها، فبحثت عن مرض ألزهايمر في غُوغل وقرأت أنه لا توجد أي طريقة

للجزم بشأن المناطق في الدماغ التي تبقى سليمة بما أن الدارات تتوقف عن العمل الواحدة تلو الأخرى.

قبل أن يبدأ الفيلم، أعطت شارلوت هولي قبعة رجل احتفال الشتاء... وباحتفالية كبيرة. "أنتِ دائماً ترتدين هذه عندما نشاهد هذا الفيلم"، قالت. "منذ أن كنتِ فتاة صغيرة. إنه *تقليدٌ*".

لطالما كانت هولي هاوية أفلام طوال حياتها وتجد أشياء ممتعة حتى في الأفلام التي يسخر منها النقّاد (تعتبر مثلاً أن فيلم *كوبرا* للممثل ستالون تم الاستخفاف به على نحو يُرثى له)، لكن فيلم *إنها حياة رائعة* هو الذي يجعلها متضايقة دائماً. صحيح أنه يمكنها أن تتعاطف مع جورج بايلي في بداية الفيلم، لكنه يصدمها في نهايته كشخصٍ يعاني من ثنائية قطبية خطيرة وصلت إلى مرحلة الهوس في دورتها، وحتى تساءلت إن كان سيتسلّل من سريره بعد انتهاء الفيلم ويقتل كامل أفراد عائلته.

شاهدتا الفيلم وشارلوت مرتديةً فستانها المخصَّص لاحتفال الشتاء وهولي مرتدية قبعة رجل احتفال الشتاء. وراحت هولي تفكِّر في سرّها أنها تنتقل إلى مكان آخر الآن، أنها تشعر بنفسها ترحل من هذا المكان

الحزين المليء بالظلال، من هذا المكان الذي تعرف فيه أن الموت قريب جداً.

على الشاشة، تقول جايني بايلي، "رجاءً يا إلهي، هناك مشكلة يعاني منها أبي".

عندما نامت هولي تلك الليلة، حلَمت بتشَتْ أونداوسكي يخرج من مصعد مبنى فريدريك بسترته الممزَّقة عند الكُمّ والجيب، ويديه الملطَّختين بغبار الطوب والدم، وعينيه المتلألئتين، وعندما افترقت شفتاه في ابتسامة عريضة، راحت حشرات حمراء تخرج من فمه وتزحف على ذقنه.

19 ديسمبر 2020

1

وجدت هولي نفسها عالقة في زحمة سير خانقة على الطريق الرباعي الممرات المتّجه جنوباً ولا تزال ثمانون كيلومتراً تفصلها عن المدينة، وفكَّرت في سرّها أنه إذا لم يبدأ هذا الطابور الطويل من السيارات الممتدّ على مدى العين والنظر بالتحرّك قريباً، ستتأخر على جنازتها بدلاً من أن تصل إليها باكراً.

على غرار العديد من الأشخاص الذين يعانون من القلق وعدم اليقين، هولي مهووسة بالتخطيط المسبق للأمور، وبالتالي تصل باكراً إلى مواعيدها دائماً، لذا كانت تتوقَّع أن تصل إلى مكتبها في فايندرز كيبرز عند الواحدة بعد ظهر هذا السبت على أبعد تقدير، لكن الآن حتى الساعة الثالثة بدأت تبدو لها تفاؤلاً مُفرطاً. فالسيارات حولها (وشاحنة قلاّبة قديمة كبيرة أمامها، ومؤخرتها القذرة تلوح فوقها مثل جرف فولاذي) جعلها

تشعر برُهاب الأماكن الضيقة وبأنها مدفونة حيّةً (هذه جنازتي). لو كانت معها سجائر في السيارة، لدخَّنتها الواحدة تلو الأخرى، لكنها لجأت بدلاً من ذلك إلى أقراص السعال التي تسمّيها أجهزة مكافحة التدخين، غير أنها لم تضع إلا ست حبّات فقط في جيب معطفها وستنتهي قريباً. هذا لا يُبقي لها سوى أظافرها، لولا أنها قصَّتها إلى طول قصير جداً ولا يمكنها أن تقبض عليها بأسنانها.

لقد تأخرتُ على موعد مهم جداً.

لم يكن ذلك بسبب تبادل الهدايا الذي جرى بعد تناولها فطور أمها التقليدي لاحتفال الشتاء والذي يتألف من كعكات وافل وقِطع لحم مقدَّد (لن يحلّ احتفال الشتاء قبل أسبوع تقريباً، لكن هولي كانت مستعدة لتدّعي ذلك مع شارلوت). قدَّمت شارلوت لهولي بلوزةً حريريةً مكشكَشةً لن ترتديها أبداً (حتى ولو بقيت حيّة)، وحذاءً ذا كعب متوسط الارتفاع (مجدداً)، وكتابين: *طاقة اللحظة الراهنة* و*القلِق بلا طائل: إيجاد الهدوء في عالم فوضوي*. لم تسنح الفرصة لهولي كي تلفّ هداياها، لكنها اشترت كيس هدية من أجواء احتفال الشتاء لتضعها

فيه. واندهشت شارلوت من الخفّ المبطّن بالفرو وهزّت رأسها بتسامح عندما رأت رداء حمّامها وثمنه 79.50$.

"هذا أكبر بقياسين على الأقل. لا أظن أنكِ احتفظتِ بقسيمة الشراء يا حبيبتي".

ردّت هولي التي كانت متيقّنة أنها فعلت ذلك، "أظنها في جيب معطفي".

كل شيء جيد حتى الآن، لكن شارلوت اقترحت فجأة أن تزورا هنري وتتمنّيا له احتفال شتاء سعيداً، بما أن هولي لن تكون هنا في يوم الاحتفال الفعلي، فألقت هولي نظرة سريعة على ساعتها ورأت أنها التاسعة والربع. كانت تأمل أن تكون على الطريق متوجِّهةً جنوباً عند التاسعة، لكنها شعرت أن ذلك سيكون من باب السلوك الوسواسي المتطرّف جداً - فلماذا ستريد أن تصل أبكر بخمس ساعات؟ كما أنه إذا سارت الأمور بشكل سيئ مع أونداوسكي فإن هذه ستكون فرصتها الأخيرة لترى هنري، وكانت فضولية بشأن ما قاله لها: *لماذا أنتِ خائفة؟*

كيف عرَف ذلك؟ فهو لم يبدُ أبداً من قبل حسّاساً جداً لمشاعر الآخرين، بل على العكس في الواقع.

لذا وافَقت هولي على زيارته، وأصَرَّت شارلوت على أن تقود بنفسها، وتعرَّضتا لحادث بسيط عند لافتة توقف لتقاطعٍ رُباعي الاتجاهات. لم تُفتَح الوسادات الهوائية، ولم يتأذَّ أحدٌ، ولم تُستدعَ الشرطة، لكن الحادث تضمَّن بعض التبريرات المتوقَّعة من شارلوت، فتحجَّجت بوجود بقعة جليد وهمية، وتجاهلت حقيقة أنها أبطأت فحسب بدلاً من أن تتوقف كلياً عند التقاطع، مثلما تفعل دائماً؛ فطوال سنوات قيادتها وشارلوت غيبني تفترض أن لديها الحق بالمرور.

تصرَّف الرجل في المركبة الأخرى بلباقة كبيرة بشأن الحادث، وراح يومئ برأسه ويوافق على كل ما تقوله شارلوت، لكنهما تبادلا بطاقتَي تأمينهما، وحين استأنفتا رحلتهما من جديد (كانت هولي متأكدةً تماماً أن الرجل الذي صدمتا رفرافه غمزها قبل أن يعود إلى سيارته)، كانت قد أصبحت الساعة العاشرة، وتبيَّن لها أن الزيارة فاشلة كلياً، على أي حال، فلم تكن لدى هنري أي فكرة مَن هما، وقال إن عليه أن يرتدي ملابسه ليذهب إلى عمله وطلب منهما أن تتوقفا عن إزعاجه. عندما قبَّلته هولي لتوديعه، نظَرَ إليها بارتياب وسألها عن سبب هذه القبلة المستهجَنة.

"قودي أنت هذه المرة"، قالت شارلوت عندما أصبحتا في الخارج. "فأنا منزعجة جداً".

لم تمانع هولي فعل ذلك أبداً.

كانت قد ترَكت حقيبة سفرها في الرواق الأمامي للمنزل، وعندما وضعتها على كتفها واستدارت إلى أمها لتودّعها وداعهما الاعتيادي - قبلتين عاجلتين على الخدّ - رمت شارلوت ذراعيها حول الإبنة التي بقيت تنتقدها وتحطّ من قدرها طوال حياتها (ليس دائماً عن جهل) وأجهشت بالبكاء.

"لا ترحلي، وابقي يوماً آخر رجاءً. وإذا كنتِ لا تقدرين أن تبقي حتى احتفال الشتاء، ابقي حتى آخر عطلة نهاية الأسبوع. لا يمكنني أن أتحمَّل البقاء لوحدي الآن. ربما بعد احتفال الشتاء، لكن ليس الآن".

كانت أمها تُمسِكها كأنها غريقةٌ، واضطرت هولي أن تقمع رغبةً عارمةً ليس بدفعها عنها فحسب بل بصدّها بعنف في الواقع، وتحمَّلت عناقها قدر ما تستطيع، ثم حرَّرت نفسها منها.

"عليَّ أن أذهب يا ماما. لديَّ موعد".

"تقصدين موعداً مع شابّ؟"، قالت شارلوت وابتسمت ابتسامةً غير لطيفة تضمَّنت عدداً كبيراً من الأسنان.

ظنَّت هولي أن حقبة شعورها بالصدمة من أمها انتهت، لكن بدا لها أنها مخطئة في ذلك. "حقاً؟ *أنتِ؟*".

تذكَّري أن هذه قد تكون آخر مرة ترينها فيها، فكَّرت هولي في سرّها، وإذا كانت آخر مرة فعلاً، فلن ترغبي أن ترحلي عنها بكلمات غاضبة. يمكنك أن تغضبي منها مرة أخرى إذا بقيتِ حيّة بعد ذلك.

"إنه شيء آخر"، قالت. "لكن دعينا نحتسي بعض الشاي. عندي وقتٌ لذلك".

لذا شربتا الشاي وأكلتا الكعكات المحشوة بالتمر التي لطالما كرهتها هولي (مذاقها شرير نوعاً ما)، وشارفت الساعة على الحادية عشرة عندما تمكَّنت أخيراً من الهروب من منزل أمها الذي لا يزال يعبق برائحة شموع الإذخر. قبَّلت شارلوت على خدّها عندما وقفتا عند العتبة وقالت لها، "أحبك يا ماما".

"وأنا أحبك أيضاً".

ما كادت هولي تصل إلى باب سياراتها المستأجرة وتلمس مقبضه حتى نادتها شارلوت. استدارت هولي وهي تتوقع أن ترى أمها تنزل درجات منزلها بسرعة فاتحةً ذراعيها، وعاقفةً أصابعها على شكل مخالب، وصارخةً *ابقي! يجب أن تبقي! آمرك بذلك!*

لكن شارلوت كانت لا تزال عند العتبة وقد لفَّت ذراعيها حول خصرها وهي ترتعش. بدت عجوزةً وحزينةً. "ارتكبتُ خطأً بشأن رداء الحمّام"، قالت. "قياسه *مناسب*. لا شكّ أنني أخطأتُ في قراءة البطاقة".

ابتسمت هولي. "هذا جيد يا ماما، ويسرّني ذلك".

قادت حتى نهاية الممر الخاص للمنزل، وتحقّقت من حركة المرور، واستدارت نحو الطريق الرئيسي. إنها الحادية عشرة وعشر دقائق. هناك متّسع من الوقت.

هذا ما ظنَّته وقتها.

2

عدم قدرة هولي على اكتشاف سبب العرقلة في السير زاد من قلقها فحسب، والمحطات الإذاعية المحلية لم تُخبِرها بشيء، بما فيها تلك التي يُفترَض بها تقديم معلومات عن حركة المرور على الطرقات الرئيسية. وكان تطبيق ويز الموثوق عادة عديم الجدوى كلياً، وأظهرت شاشته رجلاً صغيراً مبتسماً وهو يحفر حفرةً بِمجرفة وتحته الرسالة *نحن قيد التشييد حالياً لكننا سنعود قريباً!*

تباً.

إذا استطاعت اجتياز ستة عشر كيلومتراً أخرى، ستتمكن من دخول المخرج 56 وسلوك الطريق العام 73، لكن الطريق العام 73 بدا الآن كأنه موجود على كوكب المشتري. راحت تتلمّس داخل جيب معطفها، ووجدت قرص السعال الأخير، وفتحت لفافته وهي تحدِّق بمؤخرة الشاحنة القلاّبة حيث يوجد مُلصَق على مخفِّف الصدمات يقول *كيف هي قيادتي؟*

يجب أن يتواجد كل هؤلاء الناس في المراكز التجارية، فكَّرت هولي في سرّها، وفي المتاجر الصغيرة في وسط المدينة ليتسوّقوا ويساعدوا الاقتصاد المحلي بدلاً من يعطوا أموالهم إلى أمازون وUPS وفدرال اكسبرس. يجب أن تبتعدوا كلكم عن هذا الطريق العام اللعين لكي يستطيع الأشخاص الذين لديهم أعمال فعلية من...

بدأ السير يتحرَّك، فأطلقت هولي صرخة انتصار ما كادت تخرج من فمها حتى توقفت الشاحنة القلاّبة مرة أخرى. على يسارها رجلٌ يثرثر على هاتفه، وعلى يمينها امرأةٌ تجدِّد أحمر شفتيها، وأخبرتها الساعة الرقمية في سياراتها المستأجرة أنه لم يعد بإمكانها أن تتوقع

الوصول إلى مبنى فريدريك قبل الساعة الرابعة... بالحد الأدنى.

هذا لا يزال يُبقي لي ساعتين، فكَّرت هولي في سرّها. رجاءً، رجاءً دعوني أصل إلى هناك في الوقت المناسب لكي أستعدّ له. لكي أستعدّ للوحش.

3

وضعت باربرا روبنسون نسختها من كتالوغ الكلّية الذي كانت تدرسه جانباً، وشغَّلت هاتفها، وذهبت إلى التطبيق مُراقِب_الويب الذي وضعه لها جاستن فرايلاندر هناك.

"تعرفين أن تعقّب شخصٍ من دون إذنه ليس عملاً أخلاقياً، صح؟"، قال جاستن. "ولستُ أكيداً إن كان عملاً قانونياً حتى".

"أريد فقط أن أتأكد أن صديقتي بخير"، قالت باربرا وابتسمت له ابتسامةً متألقةً قضت على أي تحفّظات ربما كانت لديه.

لدى باربرا تحفّظات خاصة بها في الواقع؛ فمجرد النظر إلى النقطة الخضراء الصغيرة على الخريطة يجعلها تشعر بالذنب، خاصة وأن جيروم حذف تعقّبه.

لكن ما لا يعرفه جيروم (وما لن تُخبِره باربرا إياه) هو أن هولي ذهَبت إلى پيتسبرغ بعد پورتلاند. وإذا ما أضافت باربرا هذا إلى عمليات البحث على الويب التي وجدتها على حاسوب هولي المنزلي فإن ذلك يجعلها تعتقد أن هولي مهتمة بانفجار مدرسة ماكريدي في النهاية، وأن اهتمامها ذاك يبدو مركَّزاً إما على المراسِل الصحفي لمحطة WPEN تشارلز "تشَشْ" أونداوسكي الذي كان أول الواصلين إلى مسرح الجريمة، أو على مصوِّره فْرَد فينكل. تعتقد باربرا أن هولي مهتمة بأونداوسكي بكل تأكيد، لأن عمليات البحث المتعلقة به أكثر عدداً بكثير. حتى إن هولي دوَّنت إسمه على الدفتر الصغير الذي بجانب حاسوبها... مع وضعها علامتَي استفهام بعده.

لا تريد باربرا الافتراض أن صديقتها تعاني من أحد أنواع الخبل الذهني، أو ربما حتى إنهيار عصبي، كما لا تريد تصديق أن هولي وضعت يدها بطريقة أو بأخرى على طرف خيط يقود إلى مفجِّر المدرسة... لكنها تعرف أن هذا الأمر وارد جداً، فهولي غير مستقرة نفسياً، وتُمضي وقتاً *طويلاً جداً* في الشكّ بنفسها، لكنها ذكية أيضاً. هل من الممكن أن يكون أونداوسكي وفينكل

(وهذا فريقٌ يذكِّرها حتماً بسايمون وغارفَنكل) قد عثرا بطريقة أو بأخرى على دليل يقود إلى المفجِّر دون أن يعرفا ذلك، أو حتى دون أن يُدركا ذلك؟

هذه الفكرة ذكَّرت باربرا بفيلم شاهدته مع هولي عنوانه *انفجار* وتدور أحداثه حول مصوِّر فوتوغرافي يصوِّر العشّاق في منتزهٍ سراً ويلتقط عن غير قصد صورةً لرجل يختبئ في الأجمات ويحمل مسدَّساً. ماذا لو حصل شيء من هذا القبيل في مدرسة ماكريدي؟ ماذا لو عاد المفجِّر إلى مسرح الجريمة ليبتهج بنتيجة عمله، وصوَّره المراسل التلفزيوني ومصوِّره وهو يتأمل المكان (أو حتى يتظاهر بالمساعدة)؟ ماذا لو أدركت هولي ذلك بطريقة ما؟ عرَفت باربرا أن هذه الفكرة بعيدة الاحتمال وتقبَّلت ذلك، لكن ألا تقلِّد الحياة مجريات الأعمال الفنية أحياناً؟ ربما ذهَبت هولي إلى بيتسبرغ لتقابل أونداوسكي وفينكل، وافترَضت باربرا أن خطوتها تلك آمنةٌ كفايةً، لكن ماذا لو كان المفجِّر لا يزال في المنطقة، ولاحَقته هولي؟

ماذا لو كان *المفجِّر* هو الذي *يلاحقها*؟

رغم أن كل هذا مجرد كلام فارغ على الأرجح، إلا أن باربرا شعرت بالارتياح عندما أظهر لها تطبيق

مُراقِب_الويب أن هولي غادرت پيتسبرغ وتتوجّه إلى منزل أمها، وحتى كادت تحذف عملية التعقّب عندها، ففعل ذلك سيريح لها ضميرها طبعاً، لكن هولي اتصلت بها البارحة بدون أي سبب على ما يبدو سوى لإخبارها أنها ستبيت ليلة السبت في منزل أمها. ثم قالت لها هولي في نهاية المكالمة، "أحبك".

حسناً، بالطبع هولي تحبّها، وباربرا تحبّها أيضاً، لكن هذا شعور ضمني وليس من صنف الأمور التي يقولها المرء بصوتٍ عالٍ، ما عدا ربما في المناسبات الخاصة. مثلاً بينما تتصالح مع صديقتك بعد نشوب جدال عنيف بينكما، أو إذا كنت ستغيب في رحلة طويلة، أو إذا كنت ذاهباً للمشاركة في حربٍ. باربرا متأكدة أن هذا هو آخر شيء يقوله الرجال لأهاليهم أو زوجاتهم قبل المغادرة لفعل ذلك.

كما أن هولي قالت ذلك بنبرةٍ حزينةٍ تقريباً لم ترق لباربرا. والآن تُخبِرها النقطة الخضراء أن هولي لن تبيت ليلتها في منزل أمها في النهاية، بل يبدو أنها عائدة إلى المدينة. هل غيّرت خطتها؟ ربما تجادلت مع أمها؟

أو هل كذَبت عليها بلا وجل؟

ألقت باربرا نظرة سريعة على مكتبها ورأت الأقراص الرقمية التي استعارتها من هولي لتقريرها، *الصقر المالطي* و*السبات العميق* و*هارپر*، وشعرت أنها ستشكّل عذراً مثالياً لها لكي تكلّم هولي عندما تعود. ستتظاهر بالتفاجؤ من إيجاد هولي في منزلها، ثم تحاول معرفة ما الذي كان مهماً جداً في پورتلاند وپيتسبرغ. وحتى قد تعترف لها باستخدامها المتعقِّب - هذا يعتمد على طريقة سير الأمور.

تفحصت موقع هولي على هاتفها مرة أخرى، ورأت أنها لا تزال على الطريق الرئيسي. لا شكّ أن الزحمة كبيرة والسير ربما متوقف بسبب أعمال صيانة أو وقوع حادثٍ. نظرت إلى ساعتها، ثم إلى النقطة الخضراء مرة أخرى، وشعرت أن هولي ستكون محظوظة بالعودة قبل الساعة الخامسة.

وسأكون في شقتها عند الخامسة والنصف، فكّرت باربرا في سرّها. آمل ألا تكون في ورطة... لكنني أعتقد أنها ربما في ورطة.

4

يزحف السير قليلاً... ثم يتوقف.

يزحف... ويتوقف.

يتوقف.

سأفقد صوابي، فكَّرت هولي في سرّها، أو حتى سينفجر عقلي بينما أجلس هنا أنظر إلى مؤخرة هذه الشاحنة القلاّبة. وسأسمع صوت الانفجار على الأرجح، مثل صوت غصن ينكسر.

بدأ ضوء يوم ديسمبر هذا يتلاشى، فنحن على بُعد يومين فقط من أقصر يوم في السنة. أخبرتها الساعة في لوحة قيادتها الآن أن أبكر وقت يمكنها أن تأمل الوصول عنده إلى مبنى فريدريك هو الساعة الخامسة، وأن ذلك سيحصل فقط إذا بدأ السير يتحرَّك مرة أخرى قريباً... وإذا لم ينفد الوقود في سيارتها، فلم يعد لديها سوى رُبع الخزّان.

قد يأتي ويرحل، فكَّرت في سرّها. فبإمكانه أن يصل ويتصل بي لأرسل له رمز فتح الباب، ولن يحصل على جواب، وسيعتقد أن شجاعتي خارت.

فكرة أن الصُدفة، أو قوةً خبيثةً ما (طائر جيروم بريشه الأشعث والأشيب)، أمَرَت بعدم حصول اللقاء الشخصي الثاني لها مع أونداوسكي لم تُشعرها الارتياح، لأنها لم تعد على لائحة أهدافه الشخصية فحسب الآن،

بل أصبحت في أعلى تلك اللائحة. ومواجهته في ملعبها ووفق خطتها كانت معركةً لمصلحتها، وإذا خسرتها، سيحاول أن يزيلها من الصورة... ويمكنه أن ينجح في ذلك.

مدَّت يدها إلى هاتفها لتتصل ببيت وتُخبره أن رجلاً خطيراً سيصل إلى الباب الجانبي لمبناهم، وأن عليه أن يتعامل معه بحذر شديد، لكن أونداوسكي معسول اللسان وسيُخرج نفسه من الموضوع بسهولة، فالكلام وسيلته لكسب لقمة عيشه. وحتى لو لم يفعل ذلك فإن بيت يتقدَّم بالسنّ وقد ازداد وزنه عشرة كيلوغرامات على الأقل مما كان عليه عندما تقاعد من الشرطة، وأصبحت حركته بطيئةً، بينما الشيء الذي يدّعي أنه مراسِل تلفزيوني فسريعٌ. لن تقبل أن تعرِّض حياة بيت للخطر، فهي مَن أخرج الجنيّ من الفانوس.

انطفأت الأضواء الخلفية للشاحنة القلاّبة التي أمامها، وتقدَّمت حوالي خمسة عشر متراً وتوقفت من جديد. لكن التوقف كان أقصر هذه المرة والتقدّم إلى الأمام الذي تلاه كان أطول. هل يُعقَل أن الزحمة بدأت تنقشع؟ بالكاد تجرّأت على تصديق ذلك، لكنها تفاءلت خيراً.

تبيَّن لها أنها محقّة في تفاؤلها، لأن سرعتها بلغت حوالي ستين كيلومتراً في الساعة في غضون خمس دقائق، وتسعين كيلومتراً في الساعة بعد سبع دقائق، وبعد إحدى عشرة دقيقة، داست هولي على دوّاسة الوقود إلى أقصى حد ممكن وتزعَّمت الممر الذي تقود فيه. وعندما تجاوزت السيارات الثلاثة المصطدمة ببعضها التي سبَّبت الزحمة الخانقة، بالكاد ألقت نظرة خاطفة على الحُطام الذي دُفع جانباً إلى الشريط الوسطي.

إذا استطاعت إبقاء سرعتها عند حوالي مئة وعشرة كيلومترات في الساعة إلى أن تخرج من الطريق الرئيسي عند وسط المدينة، وإذا استطاعت اجتياز معظم إشارات المرور، تقدِّر أنه يمكنها بلوغ المبنى عند الخامسة والثلث.

5

وصلت هولي إلى جوار مبناها عند الخامسة وخمس دقائق في الواقع، ووجدت وسط المدينة مزدحماً جداً خلافاً لمركز مونروفيل التجاري القليل الزوّار بشكل غريب. هذا أمر جيد وسيئ معاً، لأن احتمالات لمحها

أونداوسكي في وسط حشود المتسوِّقين في شارع بيول ضئيلةٌ، لكن احتمالات إمساكه لها (إذا كان ينوي فعل ذلك، ولن تستبعد هذه النيّة) ضئيلةٌ بشكل مماثل.

كما لو أن القدر أراد التعويض لها عن حظها السيئ على الطريق الرئيسي، رأت سيارةً تخرج من مكان ركنها أمام مبنى فريدريك تقريباً، فانتظرتها إلى أن ابتعدت، ثم أرجعت سيارتها بحذر لتركنها هناك، مع محاولتها تجاهل ضغط الحقير الذي خلفها لبوق سيارته بلا توقف، فهكذا إزعاج صوتي متواصل في ظروف مشحونة أقل كان ليدفعها إلى التخلّي عن مساحة الركن، لكنها لا ترى مساحة أخرى في الحيّ بأكمله. وهذا لا يترك لها سوى المرأب المتعدد الطوابق حيث لن تجد مكاناً شاغراً إلا في أحد الطوابق العليا على الأرجح، وقد شاهدت هولي أفلاماً كثيرةً تحدث فيها أمور سيئة للنساء في هكذا مرائب. خاصة بعد حلول الظلام، وقد حلّ الظلام الآن.

تجاوزها ضاغط البوق حالما أفسحت له مقدمة سيارة هولي المستأجرة مجالاً كافياً لكي يمرّ، لكن الحقيرة - تبيّن أنها أنثى وليس ذكراً - أبطأت بما يكفي لتتمنّى لهولي احتفال شتاء سعيداً وهي تمدّ لها إصبعها الوسطي.

حصل هدوء في حركة السير عندما ترجّلت هولي من سيارتها، وبالتالي يمكنها أن تجتاز الشارع إلى الجهة الأخرى بعيداً عن المكان المخصص للمارّة، لكنها انضمت إلى حَشدٍ من المتسوِّقين ينتظرون أن يُضاء ضوء المشاة عند الناصية المجاورة بدلاً من ذلك، ففي الجماعة السلامة. حملت مفتاحها للباب الأمامي للمبنى في يدها، فليست لديها النيّة باستخدام المدخل الجانبي، لأنه موجود في زقاق الخدمات حيث ستكون هدفاً سهلاً.

عندما أدخلت المفتاح في القفل، مرّ بجانبها رجلٌ يضع خِماراً فوق النصف السفلي لوجهه وقد أنزل قبعةً روسيةً حتى حاجبَيه، وكان على مسافة قريبة بما فيه الكفاية ليصطدم بها. أونداوسكي؟ لا. *ربما* لا. كيف يمكنها أن تكون أكيدةً؟

الردهة الصغيرة جداً فارغةٌ، والأضواء خافتةٌ، والظلال تتمدّد إلى كل مكان. أسرعت إلى مصعد الركاب الوحيد في الجهة الغربية لهذا المبنى القديم في وسط المدينة الذي يبلغ ارتفاعه ثمانية طوابق فقط. صحيح أنه فسيحٌ ويُفترَض أنه حديثٌ تقنياً، لكنه يبقى المصعد الوحيد للناس في المبنى، وقد تذمّر النزلاء بشأن ذلك،

وكل الذين على عجلة من أمرهم يستخدمون السلالم في أغلب الأحيان، خاصة أولئك العاملين في الطوابق السفلى. تعرف هولي أن هناك مصعد شحن أيضاً، لكنه سيكون مُقفلاً في نهاية الأسبوع. لذا ضغطت زر استحضار المصعد، وشعرت فجأة أنه سيكون معطلاً مرة أخرى وستفشل خطتها، لكن باب المصعد فُتح فوراً ورحّب بها صوت آلي أنثوي، "أهلاً بكم في مبنى فريدريك". بدا الصوت لهولي في هذه الردهة الفارغة كما لو أنه صوتٌ شبحيٌ في فيلم رعب.

انغلق الباب فضغطت الزر 5. هناك عادة شاشة تلفزيون تعرض أخباراً وإعلانات خلال أيام الأسبوع، لكنها مطفأة الآن. كما لا توجد موسيقى لاحتفال الشتاء أيضاً، الحمد لله.

"صعود"، قال الصوت الآلي.

سيكون بانتظاري، فكّرت في سرّها، فقد تمكّن من دخول المبنى بطريقة ما، وسيكون بانتظاري عندما يُفتح باب المصعد، ولا يوجد أي مكان لأهرب إليه.

لكن الباب فُتح على رواق فارغ. تجاوزت فتحة إسقاط البريد (قديمة الطراز بقدر ما هو المصعد الناطق عصريٌ)، وتجاوزت حمّامات النساء والرجال، وتوقفت

عند باب مدوَّن عليه *سلالم*. الجميع يشكون من آل جوردن، وعن حق؛ فالمُشرِف على المبنى شخص كسول وغير كفوء، لكن لا شك أن لديه صِلات قوية، لأنه لا يزال في وظيفته رغم كومات النفايات المكدَّسة في القبو، وكاميرا المدخل الجانبي المعطَّلة، والتسليم البطيء - والغريب تقريباً - للطرود. ثم هناك مسألة المصعد الياباني الفاخر، الذي أحنقَ *الجميع*.

أملَت هولي من كل قلبها أن يصادفها المزيد من إهمال آل بعد ظهر اليوم، لكي لا تضطر أن تضيِّع الوقت في إحضار كرسي من المكتب لتقف عليه، ففتحت الباب المؤدي إلى السلالم، ورأت أنها محظوظة، حيث عثرت على مجموعة كبيرة من مواد التنظيف على منبسط الدَرَج - تسدّ الطريق إلى الطابق السادس، وهذه مخالفة لقانون الحرائق على الأرجح - تتضمن ممسحةً متكئةً على حاجز الدرج وكاشطة مطاطية معلَّقة بدلو نصفه مليء بماء للشطف.

فكَّرت هولي برمي محتويات الدلو العكِرة على الدرجات - هذا سينفع آل - لكنها لم تستطع في النهاية إجبار نفسها على فعل ذلك، بل دفعته إلى حمّام النساء، ونزعت الكاشطة المطاطية، وأفرغت المياه القذرة في

إحدى المغاسل. ثم دحرجته إلى المصعد وجزدانها يتدلّى بشكل مُربك على ثنية ذراعها، وضغطت زر استدعائه. فُتح الباب وأخبرها الصوت الآلي (في حال نسيت فقط)، أن "هذا الطابق الخامس"، وتذكَّرت هولي اليوم الذي دخل فيه پيت المكتب وهو ينفخ غضباً وقال، "هل يمكنك برمجة ذلك الشيء ليقول 'أخبِروا آل أن يُصلحني، ثم اقتلوه'؟".

قلبت هولي الدلو رأساً على عقب، ورأت أنها إذا قرَّبت قدميها من بعضهما البعض بما يكفي (وكانت حذرة)، ستتمكن من الوقوف عليه بين دواليبه. لذا أخرجت موزِّعة شريط لاصق من جزدانها وحزمةً صغيرةً ملفوفةً بورق بنّي، وألصقتها على الزاوية اليسرى البعيدة لسقف مقصورة المصعد وهي تقف على رؤوس أصابعها وقد مطَّت جسمها إلى أن خرج أسفل قميصها من بنطلونها. ها قد أصبحت الحزمة عالية فوق مستوى العين، حيث يميل الناس إلى عدم النظر (وفقاً لبيل هودجز الراحل). من الأفضل لأونداوسكي ألا ينظر إلى هناك، لأن أمرها سيُفتضَح إن فعل ذلك.

أخرجت الهاتف من جيبها، ورفعته عالياً، والتقطت صورة للحزمة. إذا سارت الأمور حسبما تأمل فإن

أونداوسكي لن يرى هذه الصورة أبداً، عِلماً أنها لا تُعتبر حمايةً كافيةً على كل حال.

انغلق باب المصعد مرة أخرى، فضغطت هولي زر فتحه ودحرجت الدلو إلى الرواق، وأعادته إلى حيث وجَدته على منبسط الدرَج. ثم تجاوزت شركة *منتجات الجمال المتألّق* (حيث لا يبدو أن أحداً يعمل هناك ما عدا رجل في منتصف العمر ويذكّر هولي بشخصية كرتونية قديمة تدعى *الكلب المتهدِّل*) وصولاً حتى فايندرز كيبرز في النهاية، وفتحت الباب ودخلت وهي تتنفَّس الصعداء، ثم نظرت إلى ساعتها ورأت أنها الخامسة والنصف تقريباً. لقد أصبح الوقت ضيقاً جداً الآن.

ذهبت إلى خزنة المكتب وفتحتها باستخدام تركيبة أرقامها السرية، وأخرجت مسدَّس السميث وويسون الذي كان للراحل بيل هودجز. رغم أنها تعرف أنه محشو - فالمسدَّس غير المحشو عديم الجدوى حتى كهراوةٍ، وهذا قول آخر من أقوال مرشدها - فتحت المخزن لتتأكد، ثم أغلقته.

كتلة المركز، فكَّرت في سرّها، حالما يخرج من المصعد. ولا تقلقي بشأن العلبة التي فيها المال؛ فإن

كانت من الكرتون، ستخترقها الرصاصة بسهولة، حتى لو كان يحملها أمام صدره. وإن كانت من الفولاذ، عليّ أن أسدِّد على رأسه. ستكون المسافة قصيرة، ويمكن أن تملأ قذارته المكان، لكن -

فاجأت نفسها بضحكة خفيفة.

لكن آل ترك بعض مواد التنظيف.

نظرت هولي إلى ساعتها. إنها 5:34، وهذا يترك لها ستاً وعشرين دقيقة قبل قدوم أونداوسكي، بافتراض أنه دقيق في مواعيده. لا تزال لديها أمور كثيرة مهمة لتفعلها، لكنها لن تجد صعوبة في تحديد أياً منها هو الأكثر أهمية، لأنها إذا لم تخرج حيّة من هذا، يجب على أحدهم أن يعرف عن الشيء الذي فجّر مدرسة ماكريدي بهدف أن يأكل ألم الناجين والثكلان، وهناك شخص واحد سيصدِّقها.

شغّلت هاتفها، وفتحت تطبيق التسجيل، وبدأت تتكلّم.

6

أهدت عائلة روبنسون إبنتها سيارة فورد فوكوس صغيرة جميلة في ذكرى ولادتها الثامنة عشرة، وبينما

كانت هولي تركن في شارع بيول في وسط المدينة، كانت باربرا تتوقف عند ضوء أحمر على بُعد ثلاثة مربعات سكنية من مبنى هولي السكني، فاغتنمت الفرصة لتُلقي نظرة سريعة على تطبيق مُراقِب_الويب في هاتفها وهمست "تباً". لم تذهب هولي إلى منزلها، بل ها هي في المكتب، رغم أن باربرا لا يمكنها أن تفهم سبب ذهابها إلى هناك مساء سبتٍ قريبٍ جداً من احتفال الشتاء.

يقع مبنى هولي إلى الأمام مباشرة، لكن عندما أضاء الضوء الأخضر، استدارت باربرا يميناً نحو وسط المدينة، فلن تحتاج إلى وقت طويل لتصل إلى هناك. صحيح أن الباب الأمامي لمبنى فريدريك سيكون مُقفلاً، لكنها تعرف رمز فتح الباب الجانبي في زقاق الخدمات، فقد زارت مكاتب فايندرز كيبرز مع أخيها مرات عديدة، وكانا يدخلان بتلك الطريقة أحياناً.

سأفاجئها فحسب، فكّرت باربرا في سرّها. واصطحبها لاحتساء القهوة في مقهى ما وأعرف ماذا يجري معها. وربما حتى سنتناول بعض الطعام السريع ونشاهد فيلماً.

هذه الفكرة جعلتها تبتسم.

7

من تقرير هولي غيبني إلى المحقق رالف أندرسون:

لا أعرف إن أخبَرتُك كل شيء يا رالف، وليس لديَّ الوقت لأعود وأتحقَّق من ذلك، لكنك تعرف أهم شيء: لقد وقعتُ على دخيل آخر، ليس نفس الدخيل الذي تعامَلنا معه في تكساس، لكنه ذا صلة به. يمكنك القول إنه طراز جديد ومحسَّن.

أنا أنتظره في صالة الاستقبال الصغيرة في فايندرز، وأنوي أن أطلق عليه النار حالما يخرج من المصعد ومعه المال، وأعتقد أن هذه هي الطريقة التي سيتم بها الأمر. أعتقد أنه سيأتي ليدفع لي بدلاً من أن يقتلني، لأنني أعتقد أنني أقنَعتُه أنني أريد مالاً فحسب، إلى جانب وعده لي بأنه لن يرتكب أي جريمة قتل جماعية أخرى أبداً، رغم أنني لا أعتقد أنه ينوي أن يفي بذلك الوعد.

لقد حاولتُ التفكير بهذا منطقياً قدر الإمكان، لأن حياتي على المحكّ. فلو كنتُ مكانه، لدفعتُ المال لمرة واحدة ثم راقبتُ ماذا يجري. هل أنوي ترك وظيفتي في محطة پيتسبرغ بعد ذلك؟ ربما، لكنني قد أبقى فيها لكي أختبر نوايا المُبتَزّ، فإن عادت المرأة وحاولت تكرار ابتزازها لي، عندها *سأقتلها* وأختفي لسنة أو سنتين ثم

أستأنف أسلوبي القديم. ربما في سان فرانسيسكو، وربما في سياتل، وربما في هونولولو، حيث سأحصل على هوية جديدة ومراجع جديدة وأبدأ العمل في محطة محلية مستقلة، ثم أترقّى في السلّم الوظيفي. الله أعلم كيف يمكنهم الصمود في عصر الحواسيب ومواقع التواصل الاجتماعي هذا يا رالف، لكنهم يصمدون بطريقة ما، أو هم صامدون حتى الآن فحسب.

هل سيقلق من نقلي ما أعرفه إلى شخص آخر؟ ربما إلى محطته التلفزيونية؟ لا، لأنني بعدما أبتزّه، أصبح متواطئة في جريمته. وأكثر ما أتّكل عليه هو ثقته بنفسه وغطرسته، ولماذا لن يكون واثقاً من نفسه ومتغطرساً؟ فهو يُفلت من عواقب أعماله منذ مدة طويلة جداً.

لكن صديقي بيل علّمني أن أضع خطة بديلة دائماً. "حزام وحمّالات بنطلون يا هولي"، هكذا بقي يقول لي. "حزام وحمّالات بنطلون".

إذا شكّ أنني أنوي قتله بدلاً من ابتزازه بثلاثمئة ألف دولار، فسيحاول أخذ احتياطاته. ما هي تلك الاحتياطات؟ لا أعرف. لا شكّ أنه يعرف أن معي سلاحاً نارياً، لكنني لا أعتقد أنه يستطيع إحضار واحد معه لأن

عليه أن يفترض أن كاشف المعادن سينبّهني من ذلك. قد يصعد على السلالم، وهذه يمكن أن تكون مشكلة لي حتى لو سمعتُ وقع أقدامه، لأنني سأضطر عندها إلى الاتكال على سمعي.

[وقفة قصيرة]

مسدَّس بيل في حزامي؛ والحزمة التي ألصقتُها بسقف المصعد هي حمّالات بنطلوني، بوليصة تأميني. معي صورة له سيريد الحصول عليها، لكن لا يوجد شيء في تلك الحزمة سوى قلم أحمر شفاه.

لقد قمتُ بأفضل ما بوسعي يا رالف، لكن ذلك قد لا يكون كافياً. ورغم كل احتياطاتي فإن هناك احتمالاً ألا أخرج من هذا حيّةً. إذا كان الحال هكذا، أريدك أن تعرف كم كانت صداقتك تعني لي. وإذا توفَّيتُ، وقررتَ متابعة ما كنتُ قد بدأتُ به، كن حذراً رجاءً فلديك زوجة وابن.

8

إنها 5:43، والوقت يمرّ بسرعة.

يا لزحمة السير اللعينة تلك! إذا وصل باكراً قبل أن أصبح جاهزة...

إذا حصل ذلك سأختلق شيئاً لأُبقيه منتظراً عند الباب السفلي لبضع دقائق. لا أعرف بماذا سأتحجَّج، لكنني سأفكِّر بشيء.

شغَّلت هولي حاسوب صالة الاستقبال. صحيح أن لديها مكتبها الخاص، لكنها تفضِّل هذا الحاسوب لأنها تحبّ أن تكون في الواجهة بدلاً من أن تكون مدفونة في الجهة الخلفية، كما أنه الحاسوب الذي تستخدمه وجيروم عندما يتعبان من الاستماع إلى پيت يشكو من الاضطرار إلى صعود السلالم إلى الطابق الخامس. ما فعلاه لم يكن قانونياً بالطبع، لكنه حلَّ المشكلة ومن الأفضل أن تبقى تلك المعلومات مخزَّنة في هذا الحاسوب، وإلا لقُضي عليها. ربما سيُقضى عليها على أي حال، إن استخدم أونداوسكي السلالم. فإن فعل ذلك، فهي متأكدة تسعين بالمئة أنه آتٍ ليقتلها بدلاً من أن يدفع لها.

الحاسوب عبارة عن جهاز آيماك برو حديث وسريع جداً، لكن يبدو أنه يحتاج اليوم إلى ما لا نهاية لكي يشتغل، لذا استخدمت هاتفها بينما تنتظر لترسل ملف الصوت الذي يحتوي على تقريرها إلى نفسها في رسالة بريد إلكتروني. ثم أخرجت محرِّك أقراص وامض من

جزدانها - إنه محرِّك الأقراص الذي يحتوي على مختلف الصور الفوتوغرافية التي جمَّعها دان بَلْ، زائد صور بْراد بَلْ الطيفية - وبينما أوصلته بالجهة الخلفية للحاسوب، شعرت أنها سمعت المصعد يتحرَّك. هذا مستحيل، إلا إذا كان هناك شخصٌ آخر في المبنى.

أونداوسكي مثلاً.

هرعت هولي إلى باب المكتب شاهرةً المسدَّس بيدها، وفتحته بسرعة، وأطلَّت برأسها. لم تسمع شيئاً، والمصعد هادئ ولا يزال في الطابق الخامس. كان ذلك من خيالها.

تركت الباب مفتوحاً وأسرعت عائدةً إلى المكتب لتُنهي ما كانت تفعله. لديها خمس عشرة دقيقة، وهذه مدة يجب أن تكون كافية، بافتراض أنه يمكنها أن تزيل التصحيح الذي اكتشَفه جيروم وتعيد تطبيق الشائبة البرمجية التي بقيت تُجبر الجميع على صعود السلالم.

سأعرف، فكَّرت في سرّها. إذا نزل المصعد بعد خروج أونداوسكي منه، سأكون بخير. سأكون بحالة ممتازة. وإذا لم...

لكن لا جدوى من التفكير بذلك.

تفتح المتأخر أبوابها حتى وقت متأخر بسبب فترة احتفال الشتاء - وهي الفترة الزمنية التي نحتفل بها بولادة الحكيم العظيم عبر تكبير فاتورة بطاقات إئتماننا إلى الحد الأقصى، فكّرت باربرا في سرّها - ورأت فوراً أنها لن تجد مكاناً لتركن فيه في شارع بيول، لذا أخذت تذكرةً عند مدخل المرأب المتعدد الطوابق مقابل مبنى فريدريك ووجدت أخيراً مكاناً شاغراً في الطابق الرابع، تحت السطح مباشرة. ثم أسرعت إلى المصعد، وهي تنظر حولها باستمرار، ويدها تشدّ على جزدانها، فقد شاهدت باربرا عدداً كبيراً من الأفلام التي تحدث فيها أمور سيئة للنساء في المرائب المتعدد الطوابق.

عندما وصلت إلى الشارع بأمان، أسرعت إلى الناصية في الوقت المناسب لكي تجتاز الشارع بينما ضوء المشاة لا يزال مُضاءً. ثم رفعت نظرها عندما وصلت إلى الجهة الأخرى ورأت ضوءاً في الطابق الخامس في مبنى فريدريك، فانعطفت يميناً عند الناصية التالية. هناك على مسافة قصيرة منها في آخر الشارع يوجد زقاقٌ عند مدخله لافتتان تقولان *السيارات ممنوعة ومركبات الخدمات فقط*. سلكته باربرا وتوقفت أمام

المدخل الجانبي للمبنى، وعندما انحنت لتضغط رمز الباب، أمسكت يدٌ كتفها.

10

فتحت هولي رسالة البريد الإلكتروني التي أرسلتها إلى نفسها ونقلت الإرفاق إلى محرِّك الأقراص الوامض. تردَّدت للحظةٍ وهي تنظر إلى مربع العنوان الفارغ الذي تحت رمز محرِّك الأقراص، ثم كتبت *إن كان ينزف* وهي تشعر أنه عنوان كافٍ جداً. فهذه في النهاية قصة الحياة اللعينة لذلك الشيء، فكَّرت في سرّها، وما يُبقيه حيّاً. الدم والألم.

نزعت محرِّك الأقراص من حاسوب صالة الاستقبال حيث يُجرون كل مراسلاتهم البريدية، وبالتالي هناك الكثير من المغلفات وكلها بأحجام مختلفة. لذا أخذت مغلفاً صغيراً مبطَّناً، ووضعت محرِّك الأقراص الوامض فيه، وأغلقته، ثم انتابتها لحظة ذعر عندما تذكَّرت أن بريد رالف يصل إلى منزل جاره هذه الأيام. تعرف عنوان رالف غيباً ويمكنها أن ترسل المغلف إلى هناك، لكن ماذا لو وقع في يد أحد قراصنة صناديق البريد؟

الفكرة كارثية. ما كان إسم ذلك الجار؟ كولسون؟ كارفر؟ كوتس؟ كل هذه الأسماء غير صحيحة.

الوقت ينفد لديها سريعاً.

كانت على وشك أن تعنون المغلف إلى جار *رالف أندرسون المجاور* عندما تذكَّرت الإسم: كونراد. فألصقت الطوابع ودوَّنت بسرعة على الجهة الأمامية للمغلف:

المحقق رالف أندرسون
619 شارع أكاسيا
مدينة فلينت، أوكلاهوما 74012

ثم أضافت تحت هذا *بواسطة عائلة كونراد (المنزل المجاور)* وعدم *الإحالة والاحتفاظ به حتى الوصول*. وجدت أن هذا يجب أن يكون كافياً، لذا أخذت المغلف وهرعت بسرعة إلى فتحة إسقاط البريد بالقرب من المصعد، ورمته فيه. تعرف أن آل كسولٌ بشأن تجميع البريد مثلما هو كسولٌ في كل شيء آخر، وقد يقبع المغلف في أسفل المَسقَط (وهو للأمانة شيءٌ تستخدمه قلّة من الناس في هذا العصر) لأسبوعٍ، أو حتى أطول - نظراً لأننا في فترة الاحتفال. لكن لا داعي للعجلة حقاً، فالرسالة ستُرسَل في نهاية المطاف.

وفقط لتتأكد أنها تتخيَّل الأمور، ضغطت زر استدعاء المصعد ففُتح بابه وظهرت المقصورة أمامها فارغة. إذاً فقد كان ذلك من نسج خيالها حقاً. هرعت عائدةً إلى فايندرز كيبرز، دون أن تلهث فعلاً لكنها راحت تتنفّس بصعوبة، وبعض ذلك سببه الركض بسرعة، أما معظمه فناتج عن الإجهاد.

جاء دور الشيء الأخير الآن، فذهبت إلى مربع البحث في الحاسوب وكتبت الإسم الذي أطلقه جيروم على حلّهما: إيريبيتا. إنها العلامة التجارية لمصعدهم المزعج، كما هي كلمة يابانية تعني مصعداً... أو هكذا ادّعى جيروم.

بقي آل جوردن متعنّتاً برفضه الاتصال بشركة محلية لإصلاح الشائبة، وبقي يصرّ على أن ينفّذ ذلك مُصلِح أجهزةٍ معتمَدٌ لدى إيريبيتا، مشيراً إلى احتمالات مريعة في حال نُفِّذَ أي شيء آخر ووقع حادثٌ يوماً ما: مسؤولية جنائية ودعاوى قضائية للمطالبة بتعويضات بملايين الدولارات، ومن الأفضل مجرد إغلاق المصعد كلياً بشريط أصفر مدوَّنة عليه كلمة "معطَّل" وانتظار قدوم المصلِح الملائم. وقد طمأن آل نزلاءه الغاضبين بأن ذلك لن يطول أكثر من أسبوع بالحد الأقصى،

وتأسَّف لهم على الإزعاج، لكن الأسابيع طالت إلى حدود شهر تقريباً.

"لا شيء مزعج بالنسبة له"، قال پيت متذمِّراً. "فمكتبه في القبو حيث يجلس على مؤخِّرته طوال اليوم يشاهد التلفزيون ويأكل الدونات".

تدخَّل جيروم أخيراً مُخبراً هولي خبيرة الحواسيب شيئاً تعرفه من قبل: إذا كان المرء يستطيع استخدام الانترنت، يمكنه إيجاد حلّ لكل شائبة. وهذا ما فعلاه، عبر مزاوجة هذا الحاسوب بالذات بالحاسوب الأبسط منه بكثير الذي يتحكَّم بالمصعد.

"ها هو"، قال جيروم مشيراً إلى الشاشة بينما كان وهولي بمفردهما بعد أن خرج پيت ليقوم بجولات ضمان الكفالات دعماً لازدهار أعمال مؤسستهم. "هل ترين ماذا يجري؟".

نعم، كانت ترى أن حاسوب المصعد توقف عن "رؤية" محطات الطوابق، وكل ما يراه هو نقاطه الطرفية الأولى والأخيرة.

كل ما عليها فعله الآن هو نزع الضمادة اللاصقة التي وضعاها على برنامج المصعد ثم تأمل خيراً، لأنه لن يكون لديها أي وقت لاختبار ذلك، فالوقت ضيق جداً.

إنها السادسة وأربعة دقائق. استدعت قائمة الطوابق التي تبيِّن تمثيلاً بالوقت الحقيقي لبئر المصعد، فأظهرت المحطات معلّمة ق حتى 8، والمقصورة متوقفة عند 5، والكلمة *جاهز* ظاهرة بالأخضر في أعلى الشاشة.

لا لستَ جاهزاً بعد، فكَّرت هولي في سرّها، لكنني آمل أن تصبح كذلك.

رنّ هاتفها بعد دقيقتين، بينما كانت تُنهي ما تفعله بالضبط.

11

صرخت باربرا صرخةً خافتةً واستدارت حول نفسها عند المدخل الجانبي، ورفعت نظرها لتنظر إلى الشكل الداكن للرجل الذي أمسكها.

"جيروم!"، وربَّتت يدها على صدرها. "لقد أخفتني! ماذا تفعل هنا؟".

"كنتُ على وشك أن أسألك هذا السؤال نفسه"، قال جيروم. "فمن المتعارف عليه أن الفتيات والأزقة المظلمة لا ينسجمان".

"لقد كذَبتَ بشأن حذف المتعقِّب عن هاتفك، أليس كذلك؟".

"حسناً، نعم"، ردَّ جيروم مُقِرّاً. "لكن بما أنه من الواضح أنكِ وضعتِ متعقِّباً خاصاً بك، لا أعتقد أنه يمكنك التظاهر بالعفّة الأخلاقية -"

تلك كانت اللحظة التي لاح فيها شكل داكن آخر خلف جيروم... ما عدا أنه لم يكن داكناً كلياً، فعيناه تتوهّجان مثل عينَي قطة سُلِّط ضوء مشعل كهربائي عليهما. وقبل أن تتمكّن باربرا من الصراخ لجيروم بأن يحذر، لوَّح الشكل شيئاً على رأس أخيها، وسمِعت صوت لطمة فظيعة وانهار جيروم أرضاً.

أمسكها الشكل، ودفعها نحو الباب، وثبَّتها هناك ولفَّ يداً مكسوةً بقفّاز حول عنقها، ثم أفلت من يده الأخرى قطعة طوب مكسورة، أو ربما هي قطعة أسمنتية. كل ما تعرفه باربرا هو أنها كانت تنزف بدم أخيها.

انحنى صوبها بما فيه الكفاية لترى وجهاً مستديراً غير باهر تحت إحدى تلك القبعات الروسية المكسوة بالفراء، وقد زال ذلك الوهج الغريب من عينيه. "لا تصرخي يا حبيبتي، فأنتِ لا تريدين فعل ذلك".

"لقد قتلته!"، قالت وأنفاسها تصفُر قليلاً، فهو لم يخنقها كلياً، على الأقل ليس بعد، لكنه قطع معظم الهواء عنها. "لقد قتلتَ أخي!".

"لا، لا يزال حيّاً"، قال الرجل وابتسم مُظهِراً صفَي أسنان مثالية. "كنتُ سأعرف إن مات، صدِّقيني، لكن يمكنني أن *أجعله* يموت. اصرخي أو حاولي الفرار - أو بمعنى آخر أزعجيني بأي حركة - وسأواصل ضربه إلى أن يتطاير دماغه من جمجمته. هل ستصرخين؟".

هزّت باربرا رأسها.

اتّسعت ابتسامة الرجل كثيراً وقال، "أنتِ حبيبة مؤدَّبة يا حبيبتي. أنتِ خائفة، أليس كذلك؟ يعجبني هذا"، ثم راح يتنفس عميقاً كما لو أنه يستنشق رعبها. "يجب أن تكوني خائفة فمكانك ليس هنا، لكنني مسرور أنكِ أتيتِ".

مال صوبها أكثر، واستطاعت أن تشمّ رائحة عطره وتشعر بلحم شفتيه وهو يهمس في أذنها.

"مذاقك لذيذ".

12

مدّت هولي يدها نحو هاتفها وعيناها مثبَّتتان على الحاسوب حيث لا تزال قائمة طوابق المصعد معروضة على الشاشة، لكن يظهر الآن تحت الرسم البياني للبئر مربع اختيار يعرض الخيارين *تنفيذ* و*إلغاء*. تتمنّى فقط

لو يمكنها أن تكون متأكدة بالكامل أن اختيار الخيار تنفيذ سيجعل شيئاً يحصل، وأنه سيكون الشيء الصحيح.

أخذت الهاتف، جاهزةً لترسل رسالة نصية إلى أونداوسكي فيها رمز فتح الباب الجانبي، وجمدت في أرضها لأن شاشة هاتفها لا تعرض *أونداوسكي*، كما لا تعرض *متصل مجهول*، بل تعرض الوجه المبتسم لصديقتها اليافعة باربرا روبنسون.

يا للهول، فكَّرت هولي في سرّها. رجاءً لا.

"باربرا؟".

"هناك رجل يا هولي!"، قالت باربرا باكيةً وبصوتٍ بالكاد كان مفهوماً. "لقد ضرب جيروم بشيء وأفقده وعيه، أعتقد أنها طوبة وهو ينزف *كثيراً* -"

ثم اختفت وأصبح الشيء المتنكّر بهيئة أونداوسكي على الخط، وراح يكلّم هولي بصوته التلفزيوني المدرَّب. "مرحبا يا هولي، أنا تشَث".

جمُدت هولي من الصدمة لمدةٍ لم تبدُ طويلة للعالم الخارجي، أقل من خمس ثواني على الأرجح، لكنها بدت أطول بكثير في ذهنها. هذا الخطأ خطؤها، فقد حاوَلت

إبقاء صديقيها خارج الموضوع، لكنهما أتيا على أي حال. أتيا لأنهما قلِقا عليها، وهذا *يجعل* الخطأ خطأها.

"هولي؟ هل لا تزالين معي؟"، قال وابتسامةٌ في صوته، لأن الأمور سارت على ما يشتهيه، وهو يستمتع بذلك. "هذا يغيِّر الأوضاع، ألا توافقين؟".

لا يمكنكِ أن تصابي بالذعر، فكَّرت هولي في سرّها. يمكنني أن أضحّي بحياتي وسأضحّي بها إن كان ذلك سينقذ حياتهما، لكن لا يمكنني أن أصاب بالذعر، فإن فعلتُ ذلك، سنموت *كلنا*.

"هل تغيَّرت حقاً؟"، قالت. "لا يزال معي ما تريده. إن أذيتَ هذه الفتاة، أو فعلتَ أي شيء آخر لأخيها، سأدمِّر حياتك ولن يمنعني شيء عن ذلك".

"هل معكِ مسدَّس أيضاً؟"، لكنه لم يعطها فرصةً للإجابة. "بالطبع معك واحدٌ، على عكسي، لكنني أحضرتُ سكيناً خزفياً حادّاً جداً. تذكَّري أن الفتاة ستكون معي عندما أصعد إلى لقائنا الصغير وجهاً لوجه. لن أقتلها إذا رأيتُ مسدَّساً في يدك، فهذا سيكون هدراً لرهينةٍ جيدةٍ، لكنني سأشوِّهها تحت أنظارك".

"لن يكون هناك مسدَّس".

"أعتقد أنني سأثق بك في ذلك"، ردَّ بنبرة لا تزال مستمتعة، وبدا مسترخياً وواثقاً. "لكنني لا أعتقد أننا سنتبادل مالاً لقاء محرِّك الأقراص الوامض، في النهاية. فبدلاً من المال، يمكنك أن أعيد لك حبيبتي الصغيرة. ما رأيك؟".

هذه كذبةٌ، فكَّرت هولي في سرّها.

"تبدو صفقة مقبولة. دعني أكلِّم باربرا مرة أخرى".

"لا".

"إذاً لن أعطيك الرمز".

ضحِك في الواقع. "إنها تعرفه، فقد كانت تستعد لتُدخله عندما دنا منها أخوها. كنتُ أراقب من خلف المكَبّ، وأنا متأكد أنه يمكنني إقناعها بإعطائي إياه. هل تريدينني أن أُقنعها؟ هكذا؟".

صرخت باربرا صوتاً جعل هولي تغطي فمها. هذا خطؤها، خطؤها، كل هذا خطؤها.

"توقف. توقف عن إيذائها. أريد فقط معرفة إن كان جيروم لا يزال حيّاً".

"في الوقت الحاضر، فهو يُصدِر أصوات خنّة خافتة غريبة. ربما لديه إصابة في الدماغ. لقد ضربته بقوة

شَعَرتُ أنني مضطر لها، فهو شخص ضخم".

إنه يحاول إفزاعي، فلا يريدني أن أفكِّر بل أن أتجاوب معه فحسب.

"إنه ينزف كثيراً"، تابع أونداوسكي. "أنت تعرفين كيف هي جروح الرأس. لكن الطقس بارد جداً، وأنا متأكد أن هذا سيساعد في تخثّر الدم. بمناسبة الحديث عن البرد، دعينا نُقلع عن هذا الحديث السخيف، وأعطيني الرمز إلا إذا كنتِ تريدينني أن أفتل ذراعها مرة أخرى، وسأخلعه هذه المرة".

"أربعة-سبعة-خمسة-ثلاثة"، قالت هولي.

13

الرجل يحمل سكيناً بالفعل: المقبض أسود، والشفرة بيضاء طويلة. ثم أشار بطرف السكين إلى لوحة أزرار القفل وهو يُمسك باربرا بذراعها التي أذاها. "أنا بانتظارك يا حبيبتي".

ضغطت باربرا الأرقام، وانتظرت الضوء الأخضر، ثم فتحت الباب. "هل يمكننا إدخال جيروم؟ يمكنني أن أسحبه بنفسي".

"أنا متأكد أنه يمكنكِ ذلك"، قال الرجل، "لكن لا. يبدو رجلاً حلو المعشر، لكننا سندعه يستمتع بهذا الجو المنعش قليلاً أكثر".

"سيجمد حتى الموت!".

"حبيبتي، ستنزفين حتى الموت إذا لم تتحرَّكي".

لا، لن تقتلني، فكَّرت باربرا في سرّها. على الأقل ليس قبل أن تحصل على ما تريده.

لكن يمكنه أن يؤذيها، أن يُطفئ إحدى عينيها، أن يسلخ جلدها عن خدّها، أن يقطع أذنها، فسكينه تبدو حادّة جداً.

دخلت.

14

وقفت هولي عند الباب المفتوح لفايندرز كيبرز تنظر إلى الرواق، وعضلاتها تنبض من الأدرينالين، وفمها جاف كالصحراء. حافظت على مكانها عندما سمعت المصعد يبدأ بالنزول، فلا يمكنها أن تضغط زر التنفيذ في البرنامج إلا بعد أن يصعد إلى طابقها.

عليَّ أن أنقذ باربرا، فكَّرت في سرّها، وجيروم أيضاً، إلا إذا كانت حاله قد أصبحت ميؤوس منها.

سمِعت المصعد يتوقف في الطابق الأرضي، ثم يعاود التحرّك بعد مدة بدت لا تنتهي. خطت هولي إلى الوراء دون أن ترفع نظرها عن باب المصعد المُغلق في نهاية الرواق، وأخذت هاتفها الموجود بجانب وسادة فأرة الحاسوب ودسَّته في الجيب الأمامي الأيسر لبنطلونها، ثم أخفضت نظرها لفترة زمنية طويلة كفاية لتضع مؤشر الفأرة فوق الزر تنفيذ.

سمِعت صرخةً كتمتها مقصورة المصعد الصاعدة، لكنها صرخة فتاة. إنها باربرا.

هذا خطئي.

كله خطئي.

15

أمسك الرجل الذي أذى جيروم بذراع باربرا كما لو أنه يرافق حبيبته إلى قاعة تُقام فيها حفلة رقص كبيرة. لم يكن قد جعلها تتخلّى عن جزدانها (أو تجاهل ذلك على الأرجح)، فأطلق كاشف المعادن صفرةً خافتةً عندما مرّا عبره، بسبب هاتفها على الأرجح. تجاهل آسرها ذلك

الصوت، ومرّا بجانب الدرج الذي بقي مقيمو مبنى فريدريك الممتعِضون يستخدمونه كل يوم حتى وقت قريب، ثم دخل ردهة المبنى حيث يمرّ متسوِّقو احتفال الشتاء ذهاباً وإياباً في العالم الآخر الذي خارج بابه حاملين أكياسهم وهداياهم.

كنتُ هناك، قالت باربرا لنفسها متعجّبةً، منذ خمس دقائق فقط، عندما كانت الأمور لا تزال بخير. عندما كنتُ لا أزال حمقاء مصدِّقة أن هناك حياة تنتظرني لأحياها بسعادة.

ضغط الرجل زر المصعد، وسمِعا صوت المقصورة تنزل.

"كم كان يُفترَض أن تدفع لها؟"، سألت باربرا وقد أشعرها خوفها بخيبة أمل من أن هولي ستتعاطى مع هذا الرجل.

"لا يهمّ الآن"، قال، "لأنك معي يا حبيبتي".

توقف المصعد، وفُتح بابه، ورحّب بهما الصوت الآلي في مبنى فريديريك وقال، "صعود". ثم انغلق الباب وبدأت المقصورة ترتفع.

أفلت الرجل باربرا، وخلع قبعة الفرو الروسية، ورماها بين قدميه، ورفع يديه بحركة دائرية. "راقبي هذا.

أعتقد أنه سيعجبك، وبالطبع تستحق آنستنا غيبني أن تراه، بما أنه ما جَعَل كل هذه المتاعب تحصل من الأصل".

ما جرى بعد ذلك كان رهيباً بشكل يتخطى مفهوم باربرا لهذه الكلمة. لو كان هذا فيلماً، لاعتبرت ما تراه مجرد مؤثرات خاصة جميلة، لكنها في الحياة الحقيقية، وقد راح تموّجٌ يغمر وجهه الدائري الذي في منتصف عمره بدءاً من الذقن وصعوداً ليس حول الفم بل عبره، وأصبح الأنف يرتعش، والخدّان يتمدَّدان، والعينان تتلألآن، والجبهة تنقبض. ثم فجأة أصبح الرأس بأكمله هلامياً شبه شفاف، وأخذ يرتجِف ويتمايل ويرتخي وينبض، وظهرت داخله خطوط متشابكة مضطربة تحوي أشياء حمراء متلوِّية لم تكن دماً، فتلك المادة الحمراء كانت مليئةً ببُقع سوداء متدفّقة. زعقت باربرا وتراجعت نحو جدار المصعد، وارتخت ساقاها، وانزلق جزدانها عن كتفها وارتطم بالأرض مُحدثاً صوتاً مدوّياً. نزلت أرضاً وظهرها يحفّ على جدار المصعد، وجحظت عيناها من مَحجِريهما، وأفرغت أحشاؤها ومثانتها ما في داخلهما.

ثم تصلّب الرأس الهلامي، لكن الوجه الذي ظهر عليه بدا مختلفاً كلياً عن وجه الرجل الذي أفقد جيروم وعيه وأجبرها على مرافقته إلى المصعد. إنه وجه أضيق، والبشرة داكنة أكثر بدرجتين أو ثلاث، والعينان مائلتان عند أطرافهما بدلاً من مستديرتين، والأنف حادّ أكثر وأطول من المنقار الكليل للرجل الذي جرّها إلى المصعد، والفم أرفع.

هذا الرجل يبدو أصغر سناً بعشر سنوات من الرجل الذي قبض عليها.

"ألن تقولي إنها خدعة جيدة؟"، حتى صوته بدا مختلفاً.

ما أنت؟ حاولت باربرا أن تسأل، لكن لم تخرج أي كلمة من فمها.

انحنى وأعاد وضع حزام جزدانها على كتفها بلطف، وارتدّت باربرا من ملمس أصابعه لكنها لم تستطع تجنُّبها كلياً. "لن تريدي أن تضيّعي محفظتك وبطاقات إئتمانك، أليس كذلك؟ فهي ستساعد رجال الشرطة على التعرّف عليك، في حال... حسناً، فقط في حال"، وأمسك أنفه الجديد في حركة هزلية. "يا للهول، هل تعرَّضنا لحادث

صغير؟ آه حسناً، تعرفين ما يقولون، المصائب تحصل"، ثم ضحِك بفتور.

توقف المصعد، وفُتح بابه الجرّار إلى رواق الطابق الخامس.

16

عندما توقف المصعد، ألقت هولي لمحة سريعة أخرى على شاشة الحاسوب، ثم ضغطت زر الفأرة، ولم تنتظر لترى إن أصبحت محطات الطوابق، ق حتى 8، رمادية مثلما كانت عندما أجرت وجيروم عملية التصليح وفق الخطوات التي وجَدها جيروم في صفحة ويب عنوانها *مشاكل إيريبيتا وكيفية إصلاحها*، فهي لا تحتاج إلى ذلك لأنها ستعرف بطريقة أو بأخرى.

عادت إلى باب المكتب ونظرت إلى الرواق ذي الأمتار الخمسة والعشرين التي تؤدي إلى المصعد، ورأت أونداوسكي متأبطاً ذراع باربرا... فقط عندما رفع نظره حتى رأت أنه لم يعد هو. إنه جورج الآن، ناقص الشارب والزي البنّي لرجل التوصيل.

"هيا يا حبيبتي"، قال، "حرِّكي هذه القدمين".

مشت باربرا مشية متعثّرة، وبدت عيناها جاحظتين وفارغتين ودامعتين، وأصبحت بشرتها الداكنة الجميلة بلون الطين، وقد سال لعاب من أحد طرفَي فمها. بدت متخشِّبة تقريباً، وهولي تعرف السبب: رأت أونداوسكي يتغيَّر.

هذه الفتاة المروَّعة مسؤوليتها، لكن هولي لا تستطيع التفكير بذلك الآن، فعليها أن تبقى في اللحظة، أن تُنصت، أن تحافظ على أملها... رغم أن الأمل لم يبدُ نائياً بهذا الحدّ أبداً من قبل.

انغلق باب المصعد. مع خروج مسدَّس بيل من المعادلة، أصبحت أي فرصة تتوفر لهولي تعتمد الآن على ما سيجري تالياً، لكن لم يحدث شيءٌ في البدء وشعرت بانقباض قوي في قلبها، ثم بدلاً من بقائه مكانه، حسبما تُبرمَج مصاعد إيريبيتا أن تفعل إلى أن تُستدعى، سمعته ينزل. الحمد لله أنها سمعته ينزل.

"إليك حبيبتي الصغيرة"، قال جورج قاتل الأولاد. "إنها حبيبة شقية نوعاً ما، وأظن أنها بوَّلت وتبرَّزت في بنطلونها. اقتربي يا هولي، وستشمّين ذلك بنفسك".

لم تبتعد هولي عن المدخَل، بل قالت، "عندي فضول، هل أحضرتَ أي مبلغ من المال فعلاً؟".

ابتسم جورج كاشفاً عن أسنان غير ملائمة كثيراً للتلفزيون بعكس أسنان ذاته الأخرى. "في الواقع، لا. هناك صندوق كرتوني خلف المكَبّ حيث اختبأتُ عندما رأيتُ هذه وأخاها قادمين، لكنه لا يحتوي سوى على كتالوغات، ومن الصنف الذي يأتي معنوناً إلى *المقيم الحالي*".

"إذاً فأنت لم تنوِ أبداً أن تدفع لي"، قالت هولي وخطت اثنتي عشرة خطوة في الرواق، وتوقفت عندما أصبحت على بُعد خمسة عشر متراً منهما. لو كانت هذه مباراة في كُرة القدم الأميركية، لأصبحت في المنطقة الحمراء الآن. "أليس كذلك؟".

"تماماً مثلما لم تنوي أنتِ أبداً إعطائي محرِّك الأقراص الوامض ذاك وتركي أذهب في حالي"، قال. "لا يمكنني أن أقرأ الأفكار، لكن لديَّ تاريخ طويل في قراءة لغة الجسد... والوجوه. ووجهك مشرَّع بالكامل، رغم أنني متأكد أنك تظنين عكس ذلك. الآن أَخرجي قميصك من تحت بنطلونك وارفعيه إلى أعلى. ليس إلى الحد الأقصى فذانك النتوءان على صدرك لا يهمّانني بشيء، لكن ارفعيه مسافةً كافيةً لكي أتأكد أنك لا تحملين سلاحاً".

رفعت هولي قميصها واستدارت استدارة كاملة دون أن يطلب منها ذلك.

"ارفعي الآن ساقَي بنطلونك".

فعلت ذلك أيضاً.

"لا يوجد سلاح مخفي. هذا جيد"، قال جورج وهو يميل رأسه وينظر إليها مثلما ينظر ناقد فني ليدرس لوحة زيتية. "يا إلهي، أنتِ شيء بشع جداً، أليس كذلك؟".

لم تردّ عليه هولي.

"هل حظيتِ في حياتك كلها ولو بموعد واحد مع أي شابّ؟".

لم تردّ عليه هولي.

"لقيطة صغيرة بشعة لم يتعدَّ سنّها الخمسة والثلاثين لكنها بدأت تصبح شيباء من قبل، ولا تتكبَّد عناء إخفاء ذلك أيضاً، وإذا كان هذا لا يُعَدّ تلويحاً بالعَلَم الأبيض، فلا أعرف ماذا يُعَدّ استسلاماً. هل ترسلين بطاقة معايدة إلى عضوك الذكري الاصطناعي المطاطي في يوم العشّاق؟".

لم تردّ عليه هولي.

"أظن أنكِ تعوِّضين عن شكلك والقلقلة التي لديك ببعض..."، ثم سكت وأخفض نظره إلى باربرا. "لا للهول كم أنتِ ثقيلة! ورائحتك كريهة!".

أفلت ذراع باربرا فانهارت أمام باب حمّام النساء وقد انبسطت يداها، وارتفعت مؤخرتها، والتصقت جبهتها بالأرض. كانت شهقاتها منخفضة، لكن هولي تستطيع سماعها. آه نعم، تستطيع سماعها بشكل جيد جداً.

تغيَّر وجه جورج، لكن ليس عائداً إلى تشَتْ أونداوسكي، بل إلى وجهٍ ساخرٍ متوحشٍ أظهَرَ لهولي المخلوق الحقيقي الذي داخله. لأونداوسكي وجه بومة، ولجورج وجه ثعلب، لكن هذا وجه إبن آوى، وجه ضبع، وجه طائر جيروم الرمادي. ركلَ مؤخرة باربرا، فأصدرت عويلاً من الألم والمفاجأة.

"ادخلي إلى هنا!"، صرخَ بها. "ادخلي إلى هنا ونظِّفي نفسك، ودعي الراشدين ينهون أعمالهم!".

أرادت هولي أن تركض تلك الأمتار الخمسة عشرة الأخيرة وهي تصرخ به أن يتوقف عن ركلْها، لكن هذا ما يريده بالضبط. وإذا تقصَّد حقاً تخبئة رهينته في حمّام النساء فإن ذلك قد يعطيها الفرصة التي تحتاج إليها، أو

بالحد الأدنى قد يفتح أمامها ساحة اللعب، لذا بقيت مكانها.

"ادخلي... *إلى هنا!*"، قال وركلها مجدداً. "سأتعامل معك بعدما أتعامل مع هذه السافلة المتطفِّلة، وستتمنّين من كل قبلك ألا تكون خبيثة معي".

دفعت باربرا باب حمّام النساء برأسها وهي تشهق وزحفت إلى الداخل، لكن ليس قبل أن يسدِّد جورج ركلة أخرى على مؤخرتها. ثم نظرَ إلى هولي وقد اختفت النظرة الساخرة عن وجهه، وعادت الابتسامة. شعرت هولي أنه يفترض أنها تبدو فاتنة، وقد تبدو كذلك على وجه أونداوسكي، لكن ليس على وجه جورج.

"حسناً يا هولي، لقد دخلت حبيبتي المرحاض وأصبحنا لوحدنا الآن. يمكنني أن أدخل وأبقُر لها بطنها بهذه..."، ورفع لها السكين، "... أو يمكنك إعطائي ما أتيتُ من أجله وسأتركها وشأنها. سأترككما وشأنكما في الواقع".

أنا أعقل من ذلك، فكَّرت هولي في سرّها، فبعدما تحصل على ما أتيتَ من أجله، لن تترك أحداً وشأنه، بما في ذلك جيروم... هذا إذا لم يكن قد تُوفِّي من قبل.

حاولت إظهار ارتيابٍ وأملٍ في آن. "لا أعرف إن كان يمكنني تصديقك".

"يمكنك تصديقي. فبعدما آخذ محرِّك الأقراص، سأختفي... من حياتك ومن عالم البث في پيتسبرغ. لقد حان الوقت للمضي قدماً، وقد عرَفتُ ذلك حتى قبل أن يقوم هذا الشابّ -"، ومرَّر اليد التي لا تحمل السكين على طول وجهه ببطء كما لو أنه يُنزل خِماراً عليه، "- بزرع القنبلة. أعتقد أن هذا هو السبب المرجَّح لزرعه لها. لذا نعم، يمكنك تصديقي يا هولي".

"ربما يجب أن أعود بسرعة إلى المكتب وأقفل الباب"، قالت وأملَت أن يُظهِر وجهها أنها تفكّر بفعل ذلك حقاً. "واتصل بـ 911".

"وتتركين الفتاة تحت رحمتي الحنونة؟"، قال جورج وأشار سكينه الطويلة نحو باب حمّام النساء وابتسم. "لا أعتقد، فقد رأيتُ كيف نظرتِ إليها. كما أنني سأكون قد قضيتُ عليك قبل أن تخطي ثلاث خطوات، فأنا سريع مثلما أخبَرتُك في المركز التجاري. كفى ثرثرةً، وأعطيني ما أريده وسأرحل".

"هل لديَّ خيار؟".

"ما رأيك؟".

بقيت ساكتة، ثم تنهّدت ورطّبت شفتيها، وأومأت برأسها أخيراً. "لقد فزتَ. فقط اتركنا أحياء".

"سأفعل ذلك"، ردَّ بسرعة كبيرة جداً مثلما فعل في المركز التجاري، فلم تصدِّقه. وهو يعرف ذلك ولا يكترث.

"سأُخرِج هاتفي الخلوي من جيبي"، قالت هولي. "عليَّ أن أُريك صورةً".

لم يقل شيئاً، لذا أخرجته ببطء شديد، وفتحت مجموعة صورها، واختارت الصورة التي التقطتها في المصعد، ومدّت له الهاتف لكي يرى.

أخبِرني الآن، فكّرت في سرّها. لا أريد أن أفعل ذلك شخصياً، لذا أخبِرني أيها الوغد.

وفعل ذلك. "لا يمكنني أن أرى. اقتربي أكثر".

خطت هولي نحوه وهي لا تزال تمدّ الهاتف بعيداً عنها. خطوتين. ثلاث. ثم أصبحت تبعُد عنه اثني عشر متراً، ثم عشرة أمتار. إنه يُحوِل عينيه بالهاتف. ثمانية أمتار الآن، وهل ترى كم أنا متردِّدة؟

"اقتربي أكثر يا هولي، فعيناي لا تريان جيداً لبضع دقائق بعدما أتغيّر".

أنت كذّاب لعين، فكَّرت في سرّها لكنها خطت خطوة أخرى وهي لا تزال تمدّ الهاتف بعيداً عنها. سيأخذها معه بكل تأكيد عندما ينزل، هذا إذا نزل، ولا بأس بذلك.

"هل تراه؟ إنه في المصعد. مُلصَقٌ بالسقف. فقط خذه وارحـ -"

حتى في حالتها اليقظة جداً، بالكاد تمكَّنت هولي من رؤية جورج يتحرَّك. ففي لحظةٍ كان يقف خارج حمّام النساء يُحوِل عينيه بالصورة التي على هاتفها، وفي اللحظة التالية، أصبح يلفّ خصرها بإحدى ذراعيه ويُمسك يدها الممدودة بذراعه الأخرى. يبدو أنه لم يكن يمزح بشأن سرعته. سقط هاتفها على الأرض بينما سحبها نحو المصعد، وتوقَّعت أنه سيقتلها بعدما يصبحان داخله، ثم يأخذ الحزمة الملصقة بالسقف ويدخل الحمّام ويقتل باربرا.

هذه هي خطته على الأقل، لكن لدى هولي خطة أخرى.

"ماذا تفعل؟"، صرخت هولي - ليس لأنها لا تعرف، بل لأن هذا ما يتوقّعه منها الآن.

لم يُجيبها، بل ضغط زر استدعاء المصعد الذي لم يُضء، لكن هولي سمِعته يهمهِم متحرِّكاً. إنه يصعد.

ستحاول التحرّر منه في اللحظة الأخيرة، كما سيحاول التحرّر *منها* عندما يفهم ماذا يجري. لا يمكنها أن تدع ذلك يحصل.

ارتسمت ابتسامة على وجه جورج الثعلب الضيق. "هل تعرفين؟ أظن أن كل هذا سيسير على ما يرام تما -"

سكت لأن المصعد لم يتوقف، بل مرَّ متجاوزاً الطابق الخامس - أمكنهما رؤية ضوءه الداخلي يمرّ مسرعاً وهو يستمر في صعوده. وارتخت قبضته عليها من المفاجأة للحظةٍ فقط، لكنها كانت كافية لكي تُفلت هولي نفسها منه وتتراجع إلى الوراء.

ما جرى بعد ذلك لم يستغرق أكثر من عشر ثوانٍ، لكن حالتها الشديدة التيقّظ مكّنتها من رؤية كل شيء.

فُتح الباب الذي يؤدي إلى السلالم بعنف وخرج منه جيروم متطوِّحاً، وراح يحدِّق بعينين غطّاهما دم متخثّر، وهو يُمسك بيديه الممسحة التي كانت على منبسط الدرج وقد سوّى قصبتها الخشبية. رأى جورج وانقضَّ عليه وهو يصيح: *"أين باربرا؟ أين أختي؟"*.

دفع جورج هولي جانباً، فارتطمت بالجدار بقوة كبيرة وغُشّي بصرها بنقاط سوداء. ثم مدَّ جورج يده نحو

قصبة الممسحة وانتزعها من يدَي جيروم بسهولة، وشدَّها إلى الوراء بقصد أن يضرب جيروم بها، لكن باب حمّام النساء فُتح في تلك اللحظة بعنف.

خرجت باربرا مسرعةً وهي تحمل مرشّة الفلفل من جزدانها بيدها، وأدار جورج رأسه نحوها في الوقت المناسب لكي يتلقى جرعة كبيرة منها على وجهه، فراح يصرخ وغطى عينيه.

وصل المصعد إلى الطابق الثامن، وتوقفت همهمة آليته.

همَّ جيروم بالانقضاض على جورج، لكن هولي صرخت، "جيروم، *لا!*"، وأقحمت كتفها ببطنه، فاصطدم بأخته وارتطم الاثنان بالجدار الموجود بين بابَي الحمّامين.

انطلق إنذار المصعد في نهيق صاخب يشبه صفّارة سيارة الاسعاف.

أدار جورج عينيه الحمراوين والدامعتين نحو الصوت وفُتحت أبواب المصعد في اللحظة ذاتها. ليس فقط الباب في الطابق الخامس، بل في كل الطوابق. هذه هي الشائبة التي أجبرتهم على إيقاف تشغيل المصعد.

ركضت هولي نحو جورج وهي تمدّ ذراعيها، واندمج صراخ حنقها بزعيق الإنذار، ودفعته نحو بئر المصعد عندما اتصلت يداها الممدودتان بصدره. بدا للحظةٍ كأنه جامد في الهواء هناك، جاحظاً عينيه وفاغراً فمه من الرعب والمفاجأة، ثم بدأ وجهه يرتخي ويتغيَّر، لكنه اختفى قبل أن يتمكن جورج من أن يصبح أونداوسكي مرة أخرى (إذا كان ذلك ما يجري). وبالكاد لاحظت هولي اليد السمراء القوية - يد جيروم - التي أمسكت الجهة الخلفية لقميصها وأنقذتها من السقوط خلف جورج في البئر.

راح الدخيل يصرخ وهو يهوي.

شعرت هولي، التي تعتبر نفسها شخصاً مُسالِماً، بابتهاج قوي من ذلك الصوت.

قبل أن يمكنها سماع صوت ارتطام جسمه بالقعر، انغلقت أبواب المصعد في هذا الطابق وفي كل الطوابق الأخرى، وتوقف الإنذار وبدأت المقصورة بالنزول نحو القبو، محطتها الختامية الأخرى، وراح ثلاثتهم يراقبون الوميض الموجز لضوء المصعد أثناء مرور المقصورة في الطابق الخامس.

"*أنتِ فعلت هذا*"، قال جيروم.

"بكل تأكيد"، قالت هولي.

17

انطوت رُكبتا باربرا وسقطت شبه مغمى عليها، ووقعت عبوة رذاذ الفلفل من يدها المسترخية وتدحرجت لتتوقف عند باب المصعد.

ركع جيروم بجانب أخته، فدفعته هولي بعيداً بلطف وأمسكت يد باربرا، ورفعت لها كُمّ معطفها، لكن قبل أن تتمكّن حتى من بدء قياس نبضاتها، حاولت باربرا أن تستوي جالساً.

"مَن... ما كان هذا؟".

هزّت هولي رأسها وقالت، "لا أحد". وهذه قد تكون الحقيقة في الواقع.

"هل رحل؟ هولي، *هل رحل؟*".

"لقد رحل".

"نزولاً في بئر المصعد؟".

"نعم".

"جيد. جيد"، وبدأت تنهض.

"ابق مستلقية لدقيقة يا باربرا فقد غبتِ عن وعيك قليلاً، لكنني قلِقة جداً بشأن جيروم".

"أنا بخير"، قال جيروم. "رأس صلب. هذا كان رجل التلفزيون، أليس كذلك؟ كوزلوفسكي، أو شيء من هذا القبيل".

"نعم". ولا. "تبدو كأنك فقدتَ نصف ليتر من الدم على الأقل يا صاحب الرأس الصلب. انظر إليَّ".

نظر إليها، ورأت أن بؤبؤَيه بنفس الحجم، وهذا أمر جيد.

"هل يمكنك أن تتذكَّر إسم كتابك؟".

رمقها بنظرة نفاد صبرٍ عبر طبقة دمه المتخثّر وأجابها، "*البومة السوداء: صعود وهبوط رجل عصابات أميركي*"، وضحك في الواقع. "لو شوَّش دماغي يا هولي، لما استطعتُ أن أتذكَّر أبداً رمز فتح الباب الجانبي. مَن *كان* هذا؟".

"الرجل الذي فجّر تلك المدرسة في بنسلفانيا. طبعاً لن نذكر هذا لأي شخص أبداً، لأن ذلك سيطرح أسئلة كثيرة. أخفِض رأسك يا جيروم".

"تحريكه يؤلمني"، قال. "أشعر أن عنقي انفتل".

"افعل ذلك على أي حال"، قالت باربرا.

"لا أقصد أن أتدخّل بشؤونك الشخصية يا أختاه، لكن رائحتك ليست طيبة".

قالت هولي، "الحل عندي يا باربرا. هناك بنطلون وبعض القمصان التائية في خزانتي، وأعتقد أنها ستناسب قياسك. خذي منها ما يعجبك، ونظِّفي نفسك في الحمّام".

من الواضح أن باربرا تريد أن تفعل ذلك بالضبط، لكنها تلكّأت. "أنت متأكد أنك بخير يا جيروم؟".

"نعم"، قال. "اذهبي".

اجتازت باربرا الرواق إلى فايندرز كيبرز، وتحسّست هولي الجهة الخلفية لعنق جيروم، ولم تجد أي تورّم، وكرّرت طلبها منه أن يُخفِض رأسه. رأت تمزُّقاً طفيفاً في الأعلى وجرحاً بليغاً في الأسفل، لكن لا شكّ أن العظم القذالي تلقّى (وتحمّل) الوطأة الكبرى للضربة. تعتقد أن جيروم كان محظوظاً.

تعتقد أنهم كلهم كانوا محظوظين.

"أحتاج إلى تنظيف نفسي أيضاً"، قال جيروم ونظر إلى حمّام الرجال.

"لا، لا تفعل ذلك. وربما ما كان يجب أن أدع باربرا تفعل ذلك أيضاً، لكنني لم أرغب أن تراها الشرطة... في حالتها الفوضوية تلك".

"أشعر أن لديك خطة"، قال جيروم ثم لفّ يديه حول نفسه. "يا إلهي كم أشعر بالبرد".

"هذا بسبب الصدمة. تحتاج إلى مشروب ساخن على الأرجح. كنتُ لأُعدّ لك الشاي، لكن ليس هناك وقت لذلك". ثم خطرت ببالها فكرة مفاجئة رهيبة: لو كان جيروم قد استقلّ المصعد، لفشلت كل خطتها - ولو أنها كانت خطة غير مُحكمة. "لماذا صعدت على السلالم؟".

"لكي لا يسمع قدومي. وحتى مع إصابتي بأسوأ صُداع في العالم، عرَفتُ أين سيكون، فأنتِ الشخص الوحيد في المبنى". سكت قليلاً ثم أضاف، "ليس كوزلوفسكي. *أونداوسكي*".

عادت باربرا حاملة الملابس النظيفة على ذراعيها، وكانت تبكي من جديد. "هولي... لقد رأيتُه يتغيَّر. أصبح رأسه *هلامياً*. لقد... لقد..."

"بالله عليك عما تتكلَّم؟"، سأل جيروم.

"لا تهتمّ الآن. ربما لاحقاً"، ردَّت هولي وعانقتها عناقاً سريعاً. "نظِّفي نفسك وغيِّري ملابسك. ومهما كان يا

باربرا فقد مات الآن. مفهوم؟".

"مفهوم"، ردَّت هامسةً ودخلت الحمّام.

استدارت هولي نحو جيروم. "هل كنتَ تتعقّب هاتفي يا جيروم روبنسون؟ وباربرا أيضاً؟ كان *كلاكما* تتعقَّبان هاتفي؟".

ابتسم الشابّ المُدمَّى الواقف أمامها. "إذا وعدتُك ألا أناديك هوليبيري مرة أخرى *أبداً*، هل عليَّ أن أُجيب على هذه الأسئلة؟".

18

في الردهة، بعد خمس عشرة دقيقة.

بنطلون هولي ضيق وساقاه قصيرتان على باربرا، لكنها تمكَّنت من تزريره، وبدأ الشحوب يتلاشى عن خدَّيها وجبهتها. ستنجو من هذا، فكَّرت هولي في سرّها. صحيح أنها ستحلم أحلاماً مزعجةً، لكنها ستخرج سليمة منها.

بدأ الدم على وجه جيروم يجفّ ويتشقَّق في أخاديد، وقال إنه يعاني من صُداع قوي، لكنه ليس مُصاباً بدُوار ولا يشعر بالغثيان. هولي غير متفاجئة من الصُداع، ومعها تايلينول في جزدانها، لكنها لم تتجرّأ أن تعطيه أي

حبّة. سيتلقى غُرَزاً - ويخضع لجلسة أشعة سينية بلا شكّ - في قسم الطوارئ، لكن عليها أن تتأكد الآن أن ما سيقولانه للشرطة لن يكون متناقضاً. وبعدما تهتَمّ بذلك، عليها إنهاء تنظيف الفوضى التي تسبَّبت بها.

"لقد أتيتما إلى هنا لأنني لم أكن في المنزل"، قالت. "واعتقدتما أنني بلا شكّ في المكتب أحاول إنهاء ما تأخَّر عليَّ لأنني أمضيتُ بضعة أيام مع أمي. صح؟".

أومأا برأسيهما استجابةً لتعليماتها.

"ذهبتما إلى الباب الجانبي في زقاق الخدمات".

"لأننا نعرف الرمز"، قالت باربرا.

"نعم. وكان هناك سارق. صح؟".

مزيد من الإيماءات.

"ضربك يا جيروم، وحاوَل إمساك باربرا، لكنها رشَّت الفلفل على كامل وجهه من العبوة التي في جزدانها. ثم نهضت بسرعة يا جيروم وأمسكته، لكنه فرّ. ثم دخلتما إلى الردهة واتصلتما برقم الطوارئ 911".

سألها جيروم، "لماذا أتينا لرؤيتك من الأصل؟".

شعرت هولي بالحيرة، فقد تذكَّرت أن تعيد تطبيق حلّ المصعد (فعلت ذلك بينما كانت باربرا في الحمّام تنظِّف

نفسها وتغيِّر ملابسها)، وأعادت مسدَّس بيل إلى حقيبة يدها (فقط في حال)، لكنها لم تفكِّر أبداً بالشيء الذي يسأل عنه جيروم.

"للتسوّق لاحتفال الشتاء"، قالت باربرا. "أردنا جرَّك من المكتب لتذهبي وتتسوّقي لاحتفال الشتاء معنا. أليس كذلك يا جيروم؟".

"آه بلى، هذا صحيح"، قال جيروم. "كنا سنفاجئك. هل كنتِ هنا يا هولي؟".

"لا"، أجابت. "كنتُ قد غادرتُ. في الواقع، أنا *لستُ* هنا الآن، بل أتسوّق لاحتفال الشتاء في الجهة الأخرى للبلدة. ولم تتصلا بي بعد الهجوم فوراً لأنكما... حسناً..."

"لأننا لم نرغب أن نزعجك"، قالت باربرا. "صح يا جيروم؟".

"صح".

"جيد"، قالت هولي. "هل يمكنكما أن تتذكّرا هذه الرواية؟".

أجابا أنهما قادران على ذلك.

"إذاً فقد حان الوقت لكي يتصل جيروم بـ 911".

قالت باربرا، "وماذا ستفعلين يا هولي؟".

"أنظِّف"، وأشارت هولي إلى المصعد.

"آه، يا للهول"، قال جيروم. "نسيتُ أن هناك جثة في القعر".

"أنا لم أنسَ"، قالت باربرا وارتعشت. "يا للهول يا هولي، كيف يمكنك تبرير وجود جثة رجل في أسفل بئر المصعد؟".

تذكَّرت هولي ما حصل للدخيل الآخر. "لا أعتقد أن هذه مشكلة".

"ماذا لو لا يزال حيّاً؟".

"لقد سقط مسافة خمسة طوابق يا باربرا. وستة إذا احتسبنا القبو. ثم المصعد..."، وأدارت هولي راحة يدها إلى أعلى وأطبقت راحة يدها الأخرى عليها بصوتٍ مسموعٍ.

"آه"، قالت باربرا بصوتٍ خافتٍ. "صحيح".

"اتصل بـ 911 يا جيروم. أعتقد أنك بخير مبدئياً، لكنني لستُ طبيبةً".

بينما فعل ذلك، ذهبت إلى المصعد ورفعته إلى الطابق الأول، فقد عاد يعمل بشكل ممتاز بعد إعادة تطبيقها

التصحيح مرة أخرى.

عندما فُتح الباب، رأت هولي قبعة مكسوة بالفراء من النوع الذي يسمّيه الروس أوشنكا، وتذكَّرت الرجل الذي مرَّ بجانبها أثناء فتحها باب الردهة.

عادت إلى صديقيها حاملةً القبعة بيدها. "أخبراني الرواية مرة أخرى".

"سارق"، قالت باربرا، وقرَّرت هولي أن هذا جيد كفاية، فهما ذكيان وبقية الرواية بسيطة. إذا سارت كل الأمور مثلما تعتقد، لن تهتمّ الشرطة لمكان وجودها، على أي حال.

19

تركتهما هولي ونزلت السلالم إلى القبو العابق بالرائحة الكريهة لدخان سجائر قديمة، وخشيت أن يصادفها الكثير من العفن. الأضواء مطفأة واضطرت أن تستخدم هاتفها لتبحث عن الأزرار، فقفزت عليها ظلالٌ عندما سلَّطت ضوءه في الأرجاء، مما سهّل عليها كثيراً أن تتخيَّل اختباء الشيء الذي يسمّي نفسه أونداوسكي في الظلمة، بانتظار أن ينقضّ عليها ويُطبق يديه على عنقها. بشرتها تلمع ببعض العرق، لكن وجهها بارد، واضطرت أن

تكزّ على أسنانها لتوقف اصطكاكها. أنا في صدمةٍ أيضاً، فكَّرت في سرّها.

وجدت صفَي أزرار أخيراً، فنقفتها كلها، وشعشعت مجموعة من الأضواء الفلورية مُحدثةً صوتاً يشبه أزيز قفير نحل. القبو متاهةٌ قذرةٌ من السلال والصناديق المكدّسة، وشعرت مرة أخرى أن المُشرِف على المبنى - الذي يدفعون له راتبه - نموذجٌ مثاليّ للرجل الوقح.

وجَّهت نفسها وذهبت إلى المصعد، فوجدت بابه (الباب هنا قذر والطلاء متشقّق عليه) مغلقاً بإحكام. وضعت هولي حقيبتها على الأرض وأخرجت مسدَّس بيل، ثم أنزلت مفتاح باب المصعد عن خطّافه على الجدار وأقحمته في الفجوة التي في الباب. المفتاح لم يُستخدَم منذ مدة طويلة، ورفض أن يدور بسهولة، لذا وضعت المسدَّس في زنّار سروالها واستخدمت يديها الاثنتين لكي تديره، ثم استلّت المسدَّس مرة أخرى ودفعت الباب لينزلق ويُفتَح.

فاحت رائحة زيت ممزوج بالشحم والغبار في أنفها، ورأت في وسط البئر شيئاً طويلاً يشبه المكبس علمت لاحقاً أنه يسمّى كبّاساً، ومبعثرة حوله بين أعداد كبيرة من أعقاب السجائر وأكياس الوجبات السريعة الملابس

التي كان أونداوسكي يرتديها عندما ذهَب في رحلته الأخيرة. رحلة قصيرة، لكن مميتة.

أما أونداوسكي نفسه، والمعروف أيضاً بتشَتْ في المرصاد، فلم يكن له أي أثر.

الأضواء الفلورية في الطابق السفلي ساطعةٌ، لكن قعر بئر المصعد لا يزال داكناً جداً بالنسبة لهولي، لذا أخذت مشعلاً كهربائياً عن طاولة عمل آل جوردن الفوضوية وسلَّطت ضوءه في أرجاء البئر بحذر، مع تأكدها من التحقّق خلف المكبس. لم تكن تبحث عن أونداوسكي - فقد رحل - بل عن حشرات من جنسٍ غريبٍ، عن حشراتٍ خطيرةٍ ربما تبحث عن مضيف جديد. لم تر أي حشرات، لذا فإن ذلك الشيء الذي غزا أونداوسكي عاش أطول منه، لكن ليس لمدة طويلة. لمحت كيس خَيش في إحدى زوايا القبو المزدحم القذر، فوضعت ملابس أونداوسكي فيه، ثم قبعة الفرو، ثم رمت سرواله الداخلي فوقها وقد أمسكته بطرفَي إصبعيها باشمئزاز. ثم رمت الشورت في الكيس وهي ترتجف قليلاً وتُطلق صرخةً خافتةً ("*يا للهول!*")، واستخدمت راحتَي يديها لتجرّ باب المصعد وتُغلقه. ثم أعادت قفله بواسطة

مفتاحه الخاص، وأعادت تعليقه على خطّافه على الجدار.

ثم جلست تنتظر. وبعدما تأكدت أن جيروم وباربرا ورجال الشرطة رحلوا، وضعت جزدانها على كتفها، وصعدت حاملةً الكيس الذي يحتوي على ملابس أونداوسكي، وخرجت من الباب الجانبي. فكَّرت بأن ترمي الملابس في مكَبّ النفايات، لكنه قريب جداً من المبنى ولن تشعر بالاطمئنان إن فعلت ذلك. لذا أخذت الكيس معها بدلاً من ذلك، ولا بأس بهذا لأنها حالما تصبح في الشارع، ستبدو مثل أي شخص عادي يحمل رزمةً.

بالكاد شغَّلت محرّك سيارتها حتى تلقّت مكالمةً من جيروم أخبرها فيها أنه تعرَّض وباربرا لعملية سرقة بينما كانا على وشك دخول مبنى فريدريك عبر الباب الجانبي، وقال لها إنهما في مستشفى كاينر التذكاري.

"يا إلهي، هذا فظيع"، ردَّت هولي. "كان يجب أن تتصل بي قبل الآن".

"لم أرغب أن تقلقي علينا"، قال جيروم. "نحن بخير مبدئياً، والسارق لم يأخذ أي شيء".

"سأكون هناك حالما أقدر".

رمت هولي كيس الخَيش الذي يحتوي على ملابس أونداوسكي في سلة مهملات في طريقها إلى مستشفى جون م. كاينر التذكاري، وقد بدأ الثلج يتساقط.

شغَّلت الراديو، وكان بورل آيفز يصيح أغنية "احتفال شتاء سعيد" بأعلى صوته اللعين، فأطفأته فوراً لأنها تكره هذه الأغنية أكثر من كل الأغاني الأخرى.

لا يُدرك المرء كل ما يتمنّاه، فكَّرت في سرّها، لكنه *يحصل* أحياناً على ما يحتاج إليه. وهذا حقاً كل ما يستطيع أي شخص عاقل أن يطلبه.

وهي عاقلة.

22 ديسمبر 2020

على هولي أن تُدلي بشهادتها في مكاتب ماكنتاير وكورتس عند العاشرة، وهذا أحد أقل الأشياء المفضَّلة لديها، لكنها مجرد شاهدة ثانوية في قضية الوصاية هذه، وهذا جيد لأنها قضية كلب من فصيلة الساموود وليست قضية ولد، وهذا يخفِّض مستوى التوتّر قليلاً. طُرحَت عليها بضعة أسئلة بغيضة من أحد المحامين، لكن بعد ما مرَّت به مع تشَث أونداوسكي - وجورج - بدا لها الاستجواب مسألة سهلة جداً، وانتهت منه في خمس عشرة دقيقة. شغَّلت هاتفها حالما أصبحت في الرواق، ورأت أن لديها مكالمة فائتة من دان بَلْ.

لكن دان ليس مَن ردَّ عليها عندما أعادت الاتصال به، بل الحفيد.

"تعرَّض جَدّي لنوبة قلبية"، قال بْراد. "نوبة قلبية أخرى. إنها نوبته الرابعة في الواقع، وهو في المستشفى، لكنه لن ينجو منها هذه المرة".

سمِعته هولي يأخذ نَفَساً عميقاً دامعاً على الخط وانتظرت.

"يريد أن يعرف كيف سارت الأمور معك. ما حصل للمراسِل الصحفي. *للشيء*. إذا أمكنني إبلاغه خبراً سعيداً، أعتقد أن ذلك سيسهّل عليه الرحيل".

نظرت هولي حولها وتأكدت أنها لوحدها، لكنها أخفضت صوتها على أي حال. "لقد مات. أخبِره أنه مات".

"هل أنتِ متأكدة؟".

تذكَّرت تلك النظرة الأخيرة النابعة من التفاجؤ والخوف، وتذكَّرت الصرخة أثناء سقوطه، وتذكَّرت الملابس الخالية من أي جسم في أسفل بئر المصعد.

"آه نعم"، قالت. "أنا متأكدة".

"هل ساعَدْنا؟ هل ساعَد جَدّي؟".

"لم يكن بإمكاني فعل ذلك من دونكما. أخبِره أنه ربما أنقذ أرواحاً كثيرةً، وأخبِره أنني أشكره".

"سأفعل". ثم سمِعت نَفَساً عميقاً دامعاً آخر. "هل تعتقدين أن هناك المزيد أمثاله؟".

بعد تكساس، كانت هولي لتقول لا، لكنها لم تعد تستطيع أن تجزم الآن. فالرقم واحد رقم فريد، وعندما يصبح لديك اثنان، قد تبدأ برؤية نمطٍ أمامك. سكتت قليلاً، ثم أعطته جواباً لا تصدِّقه بالضرورة... لكنها تريد أن تصدِّقه. فقد بقي العجوز يراقب لسنواتٍ، لعقودٍ، ويستحق الرحيل وهو يشعر بالنصر.

"لا أعتقد".

"جيد"، قال بْراد. "هذا جيد. بارِكك الله يا هولي. أتمنّى لك احتفال شتاء سعيداً".

لا يمكنها أن تبادله نفس الأمنية في هذه الظروف، لذا شكرته فحسب.

هل هناك المزيد أمثاله؟

نزلت على السلالم بدلاً من أن تستقلّ المصعد.

25 ديسمبر 2020

1

أمضت هولي ثلاثين دقيقة من صباح احتفال الشتاء تحتسي الشاي مرتديةً رداء حمّامها وتتكلَّم مع أمها. فقط تُنصت في الأغلب، بينما خاضت شارلوت غيبني حديثها الاعتيادي الذي يفيض بشكاوى عدوانية سلبية (احتفال الشتاء لوحدها، رُكبتاها تؤلمانها، ظهرها يؤلمها، الخ، الخ)، والذي تتخلّله تنهّدات معاناة طويلة. شعرت هولي أخيراً أنها قادرة، وبضمير مرتاح، على أن تُنهي المكالمة بإخبار شارلوت أنها ستزورها بعد بضعة أيام، وستذهبان لرؤية الخال هنري معاً. وأخبرت أمها أنها تحبّها.

"أنا أحبك أيضاً يا هولي". وبعد تنهيدة أخرى حدَّدت أن هكذا حُب صعب جداً، تمنّت لإبنتها احتفال شتاء سعيداً، وانتهى ذلك الجزء من اليوم.

بقية اليوم مُبهِجة أكثر، فقد أمضته مع أفراد عائلة روبنسون وكلها سرور أن تقضيه وفق تقاليدهم، حيث أقيم غداء مُبكر خفيف عند العاشرة، تلاه تبادل الهدايا. قدَّمت هولي للسيد والسيدة روبنسون اشتراكاً بدورة تعليمية عن شراب العنب وكتب عن هذا الموضوع، وسرّها أن تقدِّم لوالديهما شيئاً سيُفرحهما أكثر قليلاً: يوم كامل في منتجع صحي (يتضمن جلسة تدليك وعناية باليدين والقدمين) لباربرا، وسمّاعات أذن لاسلكية لجيروم.

ولم تتلقَّ بدورها بطاقة هدية بقيمة 300$ في المجمَّع القريب منها الذي يضم 12 صالة سينما فحسب، بل اشتراكاً بنتفليكس لمدة سنة. لكن على غرار العديد من عشّاق السينما أمثالها، يختلج هولي شعورٌ متناقضٌ تجاه نتفليكس وقد قاوَمت هذه المنصة حتى الآن. (تحبّ أقراصها الرقمية لكنها مقتنعة بقوة أن الأفلام يجب أن تُشاهد لأول مرة على الشاشة الكبيرة). ومع ذلك، عليها أن تُقرّ أن نتفليكس وبقية منصات الوسائط المتدفّقة الأخرى تغريها كثيراً، فهي تقدِّم الكثير من الأشياء الجديدة، وطوال الوقت!

أسرة روبنسون لا تميّز بين الجنسين عادة والجميع متساوون، لكن خلال فترة بعد ظهر يوم احتفال الشتاء هناك ارتداد عن هذا المبدأ (ربما بدافع الحنين إلى الأزمنة القديمة) وعودة إلى أدوار الذكور والإناث في القرن السابق، وهذا يعني أن النساء يطبخن بينما يشاهد الرجال كُرة السلة (مع زيارات عَرَضيّة إلى المطبخ لتذوُّق هذا أو ذاك من الأطباق). وعندما جلسوا لتناول عشاء تقليدي آخر للاحتفال - ديك رومي مع كل المكمِّلات ونوعين من الفطائر للحلوى - بدأ الثلج يتساقط.

"هل يمكننا أن يُمسك كل واحد منا يد الآخر؟"، سأل السيد روبنسون.

فعلوا ذلك.

"شكراً يا إلهي لهذا الطعام الذي وهبتنا إياه، وشكراً لهذا الوقت الذي سنتشاركه معاً، وشكراً للعائلة والأصدقاء".

"مهلاً"، قالت تانيا روبنسون. "هذا لا يكفي. شكراً جزيلاً يا إلهي لأن ولديَّ الجميلين لم يتأذيا بشكل كبير من هجوم ذلك الرجل عليهما. كنتُ لأحزن كثيراً لو لم يكونا معنا على هذه الطاولة".

شعرت هولي بيد باربرا تشدّ على يدها، وسمِعت صوتاً خافتاً من حنجرة الفتاة، شيئاً ربما كان صرخةً لو تركته يخرج منها.

"على كل شخص الآن أن يُخبرنا شيئاً واحداً يشعر بالامتنان من أجله"، قال السيد روبنسون.

فعل كل شخص جالس على الطاولة ذلك، وعندما جاء دور هولي، قالت إنها ممنونة لوجودها مع عائلة روبنسون.

2

حاولت باربرا وهولي المساعدة في غسل الأطباق، لكن تانيا طردتهما من المطبخ وأخبرتهما أن "تذهبا وتفعلا شيئاً من أجواء احتفال الشتاء".

اقترحت هولي القيام بنزهة، ربما إلى أسفل التلة، وربما دورة كاملة حول المجمَّع السكني. "ستكون نزهة جميلة على الثلج"، قالت.

راقت الفكرة لباربرا، وأخبرتهما السيدة روبنسون أن تعودا قبل السابعة، لأنهم سيشاهدون فيلم *أنشودة احتفال الشتاء*. أملَت هولي أن تكون نسخة الفيلم

بطولة ألستير سيم، فهي برأيها النسخة الوحيدة التي تستحق المشاهدة.

لم يكن الطقس جيداً في الخارج فحسب، بل جميلاً. وكانتا الشخصين الوحيدين على الرصيف، وحذاءيهما يسحقان خمسة سنتيمترات من الثلج الذي تساقط حديثاً، وشاهدتا أعمدة الإنارة وأضواء احتفال الشتاء مُحاطة بهالات متطايرة. مدَّت هولي لسانها لتلتقط بعض نُدف الثلج، وقلَّدتها باربرا، وهذا أضحكهما، لكن عندما وصلتا إلى أسفل التلة واستدارت باربرا إليها، كانت تبدو وقورة ورصينة.

"حسناً"، قالت. "أصبحنا لوحدنا الآن. لماذا نحن هنا يا هولي؟ ماذا تريدين أن تسأليني؟".

"فقط كيف تتعاملين مع الأمر"، قالت هولي. "لستُ قلقة بشأن جيروم، صحيح أنه ضُرب بقسوة، لكنه لم ير ما رأيتِه".

أخذت باربرا نَفَساً مرتجفاً، ولم تستطع هولي تحديد ما إذا كانت تبكي أم لا بسبب الثلج الذائب على خدَّيها. البكاء قد يكون جيداً لها، والدموع يمكن أن تداويها.

"ليس هذا بالذات"، قالت أخيراً. "أقصد الطريقة التي تغيَّر بها. الطريقة التي بدأ رأسه يتحوَّل إلى هلام. كان

أمراً رهيباً بالتأكيد، ويفتح الباب... تعرفين..."، ووضعت يديها المكسوتين بقفّازين على صدغَيها. "الباب هنا؟".

أومأت هولي برأسها.

"أنتِ تُدرِكين أن *أي* شيء يمكن أن يكون هناك في الخلاء".

"اذهبوا يا ملاعين إلى النار الأبدية؟"، قالت هولي.

"هل هذه من كتاب الحكم القديمة؟".

"لا يهمّ. إذا لم يكن ما رأيتِه هو ما يُقلِقك، فما الذي يُقلقك يا باربرا؟".

"كان بإمكان أمي وأبي أن *يدفانا*!"، صاحت باربرا. "كان من الممكن أن يجلسا إلى تلك الطاولة لوحدهما! لا يأكلان ديكاً رومياً، فلن يريدا أي شيء من هذا القبيل، بل ربما مجرد علبة من اللحم المطبوخ -"

ضحِكت هولي، فلم تكن قادرة على منع نفسها من فعل ذلك، ولم تستطع باربرا منع نفسها من الضحك معها. راح الثلج يتجمّع على قبعتها الصوفية، وبدت يافعة جداً بالنسبة لهولي. بالطبع هي يافعة، لكنها أشبه بفتاة في الثانية عشرة من عمرها أكثر مما هي شابة ستذهب إلى كلّية براون أو پرينستون السنة القادمة.

"هل تفهمين قصدي؟"، سألتها باربرا وأمسكت يدَي هولي المكسوتين بقفّازين أيضاً. "كنا قاب قوسين حقاً من الموت".

نعم، فكَّرت هولي في سرّها، وقلقكما عليَّ هو الذي عرَّضكما للخطر.

عانقت صديقتها تحت الثلج المتساقط وقالت، "حبيبتي، الموت قاب قوسين منا جميعاً، وطوال الوقت".

3

بدأت باربرا صعود الدرج إلى المنزل حيث ستجد بعض الكاكاو والفُشار وسكرُوج يُعلن بصوتٍ عالٍ أن حياته انقلبت رأساً على عقب في ليلة واحدة. لكن هناك أمر أخير عليها فعله هنا في الخارج، لذا أمسكت هولي ذراع باربرا للحظةٍ على الثلج المتكثِّف، وأخرجت بطاقةً كانت قد وضعتها في جيب معطفها قبل أن تأتي إلى منزل عائلة روبنسون، في حال احتاجت إليها فقط لا غير. لم يكن هناك أي شيء مكتوب على البطاقة سوى إسم ورقم.

أخذتها باربرا وقرأتها. "مَن كارل مورتون؟".

"معالِج رأيتُه بعد أن عدتُ من تكساس. زرتُه مرتين فقط لأنني لم أحتج إلى أكثر من ذلك لأروي له قصتي".

"أي قصة؟ هل كانت مثل..."، ولم تُنهي جملتها لأنها لم تكن مضطرة أن تفعل ذلك.

"قد أخبِرك وجيروم يوماً ما، لكن ليس في احتفال الشتاء. اعرفي فقط أنك إذا شعرت بحاجة للتكلّم مع أي شخص، فسيُنصت لك"، وابتسمت. "ولأنه سمِع قصتي، فقد يصدِّق قصتك حتى. لا أقصد أن تصديقه لك مهم، لأن المهم هو أن تروي القصة فحسب. هذا ما حصل معي على الأقل".

"أن تُخرجيها من ذهنك".

"نعم".

"هل سيُخبِر والديَّ؟".

"طبعاً لا".

"سأفكِّر بالمسألة، شكراً"، قالت باربرا ووضعت البطاقة في جيبها وعانقت هولي. وهولي التي كانت تخشى في يوم من الأيام أن يلمسها أحدٌ عانقتها بدورها.. وبقوة.

تبيَّن أنه الفيلم بطولة ألستير سيم فعلاً، وبينما قادت هولي سيارتها ببطء عائدةً إلى منزلها تحت الثلج الكثيف، لم تتمكن من أن تتذكَّر تمضيتها احتفال شتاء ممتعاً أكثر من هذا. وقبل أن تأوي إلى سريرها، استخدمت جهازها اللوحيّ لترسل رسالة نصية إلى رالف أندرسون.

> ستجد طرداً مني عندما تعود. لقد عشتُ مغامرةً شيقةً، لكن كل شيء على ما يرام. سنتكلَّم عنها، لكن يمكنها أن تنتظر. آمل أن تكون وعائلتك قد أمضيتم احتفال شتاء سعيداً (استوائياً). مع محبتي الكبيرة.

صلَّت صلاتها قبل أن تخلد إلى النوم، وأنهتها كعادتها دائماً بالقول إنها لا تدخِّن، وإنها تأخذ دواءها المضاد للاكتئاب، وإنها تفتقد بيل هودجز.

"ليبارِكنا الله جميعاً"، قالت.

أوَت إلى السرير، وأطفأت الضوء.

ونامت.

15 فبراير 2021

تدهورت الحالة العقلية للخال هنري سريعاً، وقد أخبرتهما السيدة برادوك (بأسف) أن هذه هي حال أغلب المرضى بعد دخولهم أي مركز رعايةٍ.

الآن وأثناء جلوس هولي بجانبه على إحدى الأرائك أمام التلفزيون ذي الشاشة الكبيرة في الغرفة المشتركة في رولينغ هيلز، استسلمت أخيراً عن محاولة إجراء محادثة معه، بعد أن سبقتها شارلوت في ذلك وذهبت إلى طاولةٍ في الجهة الأخرى للغرفة لتساعد السيدة هاتفيلد في تركيب أحجية صورتها الحالية. لقد جاء جيروم معهما اليوم، وهو يساعد أيضاً، فقد جعل السيدة هاتفيلد تضحك، وحتى شارلوت لم تتمكن من منع نفسها من الابتسام لبعض ثرثراته اللطيفة. إنه شابّ فاتن، وقد حظي بإعجاب شارلوت أخيراً، وهذا ليس بالشيء السهل.

جلس الخال هنري محملقاً عينيه وفاغراً فمه، ويداه اللتان أصلحتا درّاجة هولي الهوائية ذات يوم بعد اصطدامها بسور أوتاد منزل عائلة ويلسون تركدان الآن بين رِجلَيه المتباعدتين، وبنطلونه منتفخ بسروال التحكّم بالتبوّل تحته. لقد كان رجلاً متورِّداً ذات يوم، وهو شاحب الآن. كان رجلاً بديناً ذات يوم، وملابسه الآن تتدلّى على جسمه بلحمه المرتخي مثل جورب قديم فقَدَ مرونته.

أمسكت هولي إحدى يديه وكانت مجرد عظام أصابع، وشدَّت عليها على أمل أن يشدّ على يدها بدوره، لكنه لم يقم بأي ردّة فعل. سيحين وقت الذهاب قريباً، وهذا يسرّها رغم شعورها بالذنب. هذا ليس خالها، فقد حلت محله دمية حجمها أكبر من المعتاد من دون أن يكون هناك متكلّم من بطنه يُمسكها ليعيرها صوته. لقد غادر المتكلّم من بطنه البلدة ولن يعود.

انتهى إعلانٌ لدواء مضاد لالتهاب المفاصل ألحّ على العجائز الصلع المُجعَّدين أن يُظهِروا "المزيد منكم!"، وحلت محله أغنية فرقة بوبي فولر الموسيقية: "حارَبْتُ القانون". كانت ذقن الخال هنري تغرق نحو صدره، لكنها ارتفعت الآن، ولمع ضوءٌ - منخفض الواطيّة - في عينيه.

ظهرت قاعة المحكمة وأعلن المُذيع بصوتٍ رخيمٍ، "لا تشاهدونا إن كنتم جبناء، لأن جون *لوه* في الأرجاء!".

عندما تقدَّم حاجب المحكمة إلى الأمام، أدركت هولي فجأة لماذا سمَّت مفجِّر مدرسة ماكريدي بذلك الإسم. فالذهن يعمل دائماً وبلا انقطاع، ويُجري مقارنات وتحليلات... أو يحاول ذلك على الأقل.

تكلَّم الخال هنري أخيراً، وبدا صوته منخفضاً وصدئاً من عدم الاستخدام. "لينهض الجميع".

"لينهض الجميع!"، صاح جورج حاجب المحكمة.

لم ينهض المتفرِّجون فحسب، بل نهضوا يرقصون ويصفِّقون ويتمايلون. شقَّ جون لوه طريقه من مكتبه، وأمسك مطرقته وراح يلوِّح بها ذهاباً وإياباً على أنغام الموسيقى، ورأسه الأصلع يلمع، وأسنانه البيضاء تبرق. "ماذا لدينا اليوم يا جورجي، يا أخي الذي لم تلده أمي؟".

"أحبّ هذا الرجل"، قال الخال هنري بصوته الصدئ.

"وأنا أيضاً"، قالت ووضعت ذراعها حوله.

استدار الخال هنري لينظر إليها.

وابتسم.

"مرحباً يا هولي"، قال.

الجرذ

1

عادة، تخطر ببال درُو لارسون أفكار قصته - في الحالات النادرة المتزايدة عندما تخطر بباله من الأصل - رويداً رويداً مثل قطرات ماء سُحبت من بئرٍ جفَّ تقريباً. وتكون هناك دائماً سلسلة روابط يمكنه تعقّب مصدرها إلى شيء رآه أو سمِعه: نقطة وميض حقيقية.

في حالة أحدث قصصه القصيرة، بدأت تلك الأفكار عندما رأى رجلاً يغيِّر عجلة سيارته على منحَدَر مدخل فالموث المؤدي إلى الطريق I-295، وقد قرفص الرجل في وضعية مؤلمة بينما راح الناس يطلقون أبواق سياراتهم له وينعطفون بعيداً عنه. وقد أدّت تلك الحادثة إلى تأليفه قصة "انفجار" التي بقي يعمل عليها لثلاثة أشهر تقريباً، ونشرها في مجلة پراري سكُونر (بعدما رفضتها ست مجلات أكثر انتشاراً منها).

وكتبَ "الأسطوانة الواثبة"، وهي قصته التي نشرها في النيويوركر بينما كان طالب دراسات عليا في الجامعة، والتي بدأت بذورها أثناء استماعه إلى إذاعة

الكلّية في شقته ذات ليلة، عندما حاوَل الطالب منسِّق الموسيقى بثّ أغنية "الكثير من الحبّ" للفرقة زَپ، وبدأت الأسطوانة تتخطّى بعض أجزاء الأغنية. تواصلت عملية التخطي تلك لحوالي خمس وأربعين ثانية إلى أن أوقفها الطالب المنقطع الأنفاس وقال من دون تفكير، "آسف يا شباب، لقد كنتُ أتبرَّز".

لقد ألَّف "الأسطوانة الواثبة" منذ عشرين سنة، ونشر "انفجار" منذ ثلاث سنوات. ونجح بين هاتين القصتين في تأليف أربع قصص أخرى، كلها في نطاق ثلاثة آلاف كلمة، وكلها تطلّبت منه جهود عدة أشهر للتأليف والمراجَعة. لكنه لم يؤلّف رواية أبداً. حاوَل ذلك، لكنه لم ينجح، لذا تخلّى عن ذلك الطموح. وقد سبَّبت له جهود محاولتيه الأولين في تأليف رواية طويلة بعض المشاكل، كما سبَّبت له المحاولة الأخيرة مشاكل خطيرة، فقد حرَق المخطوطة، وكاد يحرق المنزل معها أيضاً.

والآن وصلته هذه الفكرة متكاملةً. وصلته مثل عربة محرِّك طويلة تجرّ قطاراً طال انتظاره يتألف من عدد كبير من العربات الرائعة.

سألته لوسي في أحد أيام سبتمبر الجميلة إن كان لديه مانع أن يقود سيارته إلى مطعم شيَك للأطعمة

الجاهزة ويُحضِر بعض الشطائر للغداء، وأخبَرها أنه يفضِّل أن يذهب إلى هناك سيراً على قدميه، فأومأت له برأسها استحساناً وقالت إن ذلك سيكون مفيداً لمحيط خصره. تساءل لاحقاً كم كانت حياته ستختلف لو أنه قاد السوبربان أو الفولفو إلى هناك. فربما ما كانت الفكرة لتخطر بباله أبداً، وما كان ليذهب إلى كوخ أبيه أبداً، وما كان ليرى الجرذ أبداً على الأرجح.

كان في منتصف الطريق إلى مطعم سْپَك ينتظر عند ناصية الشارع الرئيسي حتى يتغيَّر الضوء، عندما وصل المحرِّك. كان المحرِّك صورةً، وبدت الصورة متألقةً كالواقع تماماً، فوقف درُو مشلولاً وراح يحدِّق بها في السماء. نكزه الطالب الواقف بجانبه وقال، "اللافتة تقول إنه يمكنك السير يا رجل".

تجاهَله درُو فرمقه الطالب بنظرة غريبة واجتاز الشارع، لكن درُو بقي يقف عند حافة الرصيف بينما تحوَّلت اللافتة *سِر* إلى *قِف* ثم إلى *سِر* مرة أخرى.

رغم أنه يتجنَّب روايات الغرب الأميركي (باستثناء حادث *قوس الثور* ورواية دوكتورو الرائعة *أهلاً بكم في الأوقات الصعبة*) ولم يشاهد الكثير من أفلام الغرب الأميركي منذ سنوات مراهقته، إلا أن ما رآه أثناء وقوفه

عند ناصية الشارع الرئيسي كان مقصفاً من الغرب الأميركي تتدلّى من سقفه ثريّا مصنوعة من عجلة عربة مثبّتة فوانيس كاز على أشعتها. استطاع درُو أن يشمّ رائحة الزيت، ويرى الأرضية المصنوعة من ألواح خشبية، ويشاهد ثلاث أو أربع طاولات ألعاب في الجهة الخلفية للغرفة. هناك بيانو أيضاً، والرجل الذي يعزف عليه يرتدي قبعة مستديرة، لكنه لم يكن يعزف عليه الآن فقد استدار ليحدِّق بما يجري عند المشرب. وبجانب عازف البيانو، وقف شخص طويل القامة يحدِّق بنفس الاتجاه أيضاً وقد ربط أكورديوناً بصدره الضيق. عند المشرب، كان شابّ يرتدي بذلة راعي بقر مُكلِفة يصوِّب مسدَّساً على صدغ فتاة ترتدي فستاناً أحمر مكشوف الصدر لدرجة أنه بالكاد يغطي حلمتَي ثدييها. استطاع درُو رؤية ذينك الشخصين مرتين، مرةً حيث يقفان ومرةً من انعكاس صورتهما على المرآة التي خلف المشرب.

هذا كان المحرِّك... والقطار بأكمله خلفه، وقد رأى ركّاب كل عربة: المأمور الأعرج (أُصيب بطلقة نارية في معركة أنتيتم ولا تزال الرصاصة داخل رِجله)، والأب المتغطرس المستعد أن يحاصر بلدة بأكملها لكي يحول

دون أخذ إبنه إلى مقرّ المقاطعة حيث سيُحاكَم ويُشنَق، وقد وزَّع الأب رجالاً مع بنادقهم على الأسطح. كل شيء أمامه هناك.

عندما عاد إلى المنزل، ألقت لوسي نظرة واحدة عليه وقالت، "أنت إما ستمرض بشيء ما قريباً أو خطرت فكرة ببالك".

"إنها فكرة"، قال درُو. "فكرة جيدة. ربما أفضل فكرة خطرت ببالي يوماً".

"قصة قصيرة؟".

شعَرَ أن هذا الذي يأمل حصوله، لكن الذي لا تأمل لوسي حصوله هو زيارة أخرى من مركز الإطفاء بينما تقف وولداها على المَرجة في ثياب النوم.

"رواية".

وَضَعت شطيرة اللحم والجبن من يدها وقالت، "يا للهول".

لم يعتبرا ما حصل بعد الحريق الذي كاد يدمّر منزلهم إنهياراً عصبياً، لكن هذا ما كان عليه. صحيح أنه ليس سيئاً بالقدر الذي كان يمكن أن يكون عليه، لكن فاته نصف فصل دراسي في المدرسة (الحمد لله أنه كان

مثبّتاً في وظيفته) ولم يستعد توازنه إلا بفضل جلسات علاج مرتين في الأسبوع، وبعض الحبوب العجيبة، وثقة لوسي التامة بأنه *سيُشفى*، وثقة الولدين طبعاً. فالولدان كانا بحاجة إلى أب ليس عالقاً في دوّامة لا تنتهي من التفكير على طريقة يجب *أن أُنهي هذه القصة* ولا يمكنني *إنهاء هذه القصة*.

"هذه الفكرة مختلفة، فكل شيء فيها يا لوسي. ملفوف كهدية عملياً. سيكون الأمر أشبه بجلسة إصغاء وتدوين فحسب!".

اكتفت بالنظر إليه وعبوسٌ خفيفٌ يقطّب حاجبها. "أنتَ أدرى".

"مهلاً، لم نؤجِّر كوخ أبي هذه السنة، أليس كذلك؟".

لم تبدُ قلِقة فحسب الآن بل مرتعبة. "لم نؤجّره منذ سنتين، منذ أن تُوفِّي العجوز بيل". كان العجوز بيل كولسون وكيلهما، ووكيل والد ووالدة درُو قبل ذلك. "أنتَ لا تنوي -"

"بلى، لكن لأسبوعين فقط، أو ثلاثة بالحد الأقصى، لكي أبدأ فحسب. يمكنكِ أن تطلبي من ألِيس مساعدتك بالولدين، وتعرفين أنها تحبّ القدوم إلى هنا والولدان

يحبّان خالتهما. وسأعود في الوقت المناسب لأساعدك في توزيع حلوى الهالووين".

"ألا يمكنك أن تؤلّفها هنا؟".

"يمكنني بالطبع، حالما أنطلق بها جيداً"، ثم وَضَع يديه على رأسه كأنه مُصاب بصُداع أليم وأضاف، "الصفحات الأربعون الأولى في الكوخ فقط، أو ربما ستكون مئة وأربعين صفحة، فقد أنجح في كتابة ذلك القدر. إنني أرى كل شيء!". ثم كرَّر، "سيكون الأمر أشبه بجلسة إصغاء وتدوين فحسب".

"أحتاج إلى التفكير بالمسألة"، قالت. "وأنت تحتاج إلى التفكير بها أيضاً".

"حسناً، سأفعل. الآن كُلي شطيرتك".

"فجأة لم أعد جائعة"، قالت.

كان درُو جائعاً، فأكَل بقية شطيرته، ثم معظم شطيرتها.

2

ذهَب بعد ظهر ذلك اليوم ليزور رئيس قسمه القديم آل ستامبر الذي تقاعد فجأة في نهاية فصل الربيع

الدراسي، مما مكّن أرلين أبتون، المعروفة أيضاً بـ *مشعوِذة الدراما الخبيثة*، من أن تتبوأ أخيراً المنصب الذي لطالما حلَمت به، لا بل تاقت إليه توقاً شديداً.

أخبَرته نادين ستامپر أن آل في الفناء الخلفي يشرب الشاي المثُلَّج ويستمتع بأشعة الشمس. بدت قلِقة مثلما بدت لوسي عندما أخبرها درُو بنيّته الصعود إلى المخيَّم في تر-90 لشهر تقريباً، وعندما خرَج إلى الفناء، فهِم درُو السبب، كما فهِم أيضاً لماذا استقال آل ستامپر فجأة بعد أن كان يحكُم قسم الأدب الإنكليزي مثل طاغيةٍ خيِّرٍ طوال السنوات الخمسة عشرة الأخيرة.

"توقف عن التحديق ببلاهة وتناول بعض الشاي فأنت تعرف أنك تريد بعضاً منه". لطالما اعتبر آل أنه يعرف ما يريده الآخرون، وقد بَغَضته أرلين أبتون مبدئياً لأن آل يعرف عادة ما يريدون الآخرون.

جلَس درُو وأخذ الكوب. "كم خسِرت من وزنك يا آل؟".

"خمسة عشر كيلوغراماً. أعرف أنه يبدو لك أكثر من ذلك، لكن هذا لأنني لم أكن أحمل أي وزن زائد من الأصل. إنه البنكرياس". وعندما رأى تعبير درُو، رفع الإصبع الذي كان يستخدمه ليوقف الجدالات في

اجتماعات هيئة التعليم وقال، "لا داعي لكي تبدأ أنت أو نادين أو أي شخص آخر بصياغة أي نعي لي بعد، فقد اكتشفه الأطباء باكراً نسبياً، والآمال كبيرة".

لم يشعر درُو أن آمال صديقه القديم تبدو كبيرة، لكنه لزِمَ الصمت.

"دعنا لا نتكلّم عني، بل عن سبب زيارتك. هل قرَّرت كيف ستُمضي إجازتك؟".

أخبَره درُو أنه يريد القيام بمحاولة أخرى لتأليف رواية، وأخبره أنه متأكد تماماً أنه يمكنه النجاح في ذلك هذه المرة.

"هذا ما قلتَه بشأن *القرية على التلة*"، ردَّ آل، "وكدتَ تفقد زمام الأمور كلياً".

"تتكلّم مثل لوسي ولم أتوقع هذا"، قال درُو.

مال آل إلى الأمام. "اسمعني يا درُو. أنت أستاذ ممتاز، وقد ألَّفتَ بعض القصص القصيرة الممتازة -"

"ستة"، قال درُو. "اتصل بموسوعة غينيس للأرقام القياسية".

لوَّح له آل بيده قائلاً، "ذُكرَت 'الأسطوانة الواثبة' في قائمة أفضل -"

"نعم"، قال درُو. "تلك القائمة التي أعدّها دوكتورو، والذي تُوفِّي منذ سنوات عديدة".

"العديد من الكتّاب الممتازين لم يُنتجوا أي شيء تقريباً سوى قصص قصيرة"، أصرَّ آل. "پو. تشيخوف. كارڤر. ورغم أنني أعرف أنك تميل إلى تحاشي القصص الخرافية الشعبية، إلا أن هناك ساكي وأوليفر هنري على تلك الضفّة، وكذلك هارلان إليسون في العصر الحديث".

"هؤلاء الذين ذكرتهم أنتجوا أكثر بكثير من ست قصص قصيرة. وهذه الفكرة رائعة يا آل. إنها فكرة رائعة حقاً".

"هل تودّ أن تُخبرني عنها قليلاً؟ ولو نظرة عامة فقط؟". ثم حدّق بدرُو وأضاف، "لا تودّ ذلك. يمكنني أن أراه في عينيك".

درُو الذي كان يتوق إلى فعل ذلك بالضبط - لأن الفكرة جميلة! مثالية تقريباً! - هزَّ رأسه. "أفضِّل عدم الإفصاح عنها. سأصعد إلى كوخ أبي القديم لمدة زمنية طويلة كفاية لكي تنطلق العجلة على هذا الشيء".

"آه. تر-90، صح؟ أي، آخر الدنيا. ما رأي لوسي بهذا القرار؟".

"غير مولعة به، لكنها ستطلب من أختها أن تساعدها بالولدين".

"لوسي ليست قلِقة بشأن الولدين يا درُو، وأعتقد أنك تعرف ذلك".

لم يقل درُو شيئاً، بل فكَّر بالمقصف والمأمور. إنه يعرف إسم المأمور من قبل. إنه يدعى جايمس أڤيريل.

رَشَف آل الشاي، ثم وضع كوبه بجانب نسخة من رواية فاولز *المجوس* تحمل علامات بِلى جرّاء قراءتها مرات عديدة. وتوقَّع درُو أن يجد تسطيراً على كل صفحة: أخضر للشخصيات، وأزرق للأفكار الرئيسية، وأحمر للجمل التي يعتبرها آل باهرة. صحيح أن عينيه الزرقاوين لا تزالان ساطعتين، لكنهما أصبحتا رطبتين قليلاً الآن، وحمراوين حول أطرافهما، ولم يرُق لدرُو أن يشعر أنه رأى الموت وشيكاً في تلك العينين، لكنه ربما رآه فيهما.

مال آل إلى الأمام وشبَكَ يديه بين فخذَيه. "أخبِرني شيئاً يا درُو. أخبِرني لماذا هذا مهم جداً لك".

تلك الليلة، سألته لوسي بعد مضاجعته لها إن كان عليه أن يذهب حقاً.

فكَّر درُو بالأمر ملياً، فهي تستحق منه أن يفعل ذلك. آه، تستحق منه أن يفعل ذلك كثيراً، فقد وَقَفت بجانبه دائماً، واتكأ عليها عندما مرَّ بالفترة السيئة. لكنه أبقى الجواب بسيطاً، "لُوس، قد تكون هذه فرصتي الأخيرة".

ساد صمتٌ طويلٌ من جهتها على السرير، لذا انتظَر وهو يعرف أنها إذا أخبَرته أنها لا تريده أن يذهب، فسيطيعها. ثم قالت أخيراً، "حسناً. أريد هذا لك، لكنني بصراحة خائفة قليلاً. عما ستكون الرواية؟ أو لا تريد أن تقول؟".

"أريد، فأنا أتوق شوقاً لأبوح بالفكرة، لكن من الأفضل أن أدع الضغط يتزايد في ذهني، وقد أخبَرتُ آل الشيء نفسه عندما سألني".

"فقط طالما أنها لا تدور حول أكاديميين يضاجعون زوجات بعضهم البعض، ويُكثرون من تناول الشراب، ويعانون من أزمات منتصف العمر".

"بمعنى آخر، ليس مثل *القرية على التلة*".

نكَزته بمِرفقها. "أنتَ مَن قال هذا يا سيد وليس أنا".

"إنها لا تشبهها ولو قليلاً".

"هل يمكنك أن تنتظر يا حبيبي؟ أسبوع؟ فقط لتتأكد أنها حقيقية؟"، ثم أضافت بصوتٍ خافتٍ: "كرمى لي؟".

لم يرغب أن ينتظر، بل أراد أن يذهب شمالاً غداً ويبدأ بعد الغد. لكن... *فقط لتتأكد أنها حقيقية*. ربما هذا ليس اقتراحاً سيئاً.

"يمكنني أن أفعل ذلك".

"جيد. وإذا صعدتَ إلى هناك فعلاً، هل تُقسِم أنك ستكون بخير؟".

"سأكون بخير".

رأى لمحة سريعة من بريق أسنانها عندما ابتسمت. "هذا ما يقوله الرجال دائماً، أليس كذلك؟".

"إذا لم ينفعني الرحيل، سأعود. وإذا بدأتْ تصبح مثل... تعرفين".

لم تردّ بأي كلمة على هذا، إما لأنها صدَّقته أو لأنها لم تصدِّقه. لا بأس بالنسبة لها في الحالتين، ولن يتشاجرا بشأن ذلك، وهذا هو المهم.

اعتقَدَ أنها غفت، أو على وشك أن تغفو، عندما سألته سؤال آل ستامپر، عِلماً أنها لم تسأله أبداً من قبل، سواء

خلال محاولتيه الأولين لكتابة رواية طويلة أو حتى خلال الحالة الفوضوية الجارية التي كانت *القرية على التلة*.

"لماذا تأليف روايةٍ مسألةٌ مهمةٌ لك إلى هذا الحد؟ هل بسبب المال؟ لأن وضعنا بخير بفضل راتبك ووظيفة المحاسبة التي أشغلُها. أم بسبب الهَيبة؟".

"لا هذا ولا ذاك، بما أنه لا ضمانة أبداً أنها ستُنشَر. وإذا انتهى بها المطاف مرمية في جارور مكتبٍ، مثل كل الروايات السيئة في عالمنا المستدير هذا، لن أحزن لذلك". بينما خرَجت هذه الكلمات من فمه، أدرَك أنها حقيقية فعلاً.

"ماذا إذاً؟".

لقد أخبرَ آل عن الشعور بالاكتمال، وعن الإثارة النابعة من استكشاف نواحي مجهولة (لم يعرف إن صدَّق آل ذلك فعلاً، لكنه عرَف أنه سيدغدغ له مشاعره، بما أنه خزّان عواطف)، لكن هكذا كلام فارغ لن يمرّ على لوسي.

"لديَّ الأدوات"، قال أخيراً. "ولديَّ الموهبة، لذا فقد تكون جيدة، وربما حتى تجارية، إذا كنتُ أفهم معنى هذه الكلمة عندما تتعلق المسألة بالقصص الخرافية. أن

تكون الرواية جيدة مسألة تهمّني، لكنها ليست السبب الرئيسي. ليست السبب الأساسي". استدار إليها وأمسك يديها، ووضع جبهته على جبهتها. "كل ما في الأمر هو أنني *أحتاج إلى لمسة أخيرة*. بعد ذلك يمكنني إما أن أعيد الكرَّة مرة أخرى، وبتوتّر أقل بكثير، أو أتخلّى عن العملية برمّتها. لا مانع عندي من كِلا هذين الأمرين".

"بمعنى آخر، خاتمة".

"لا"، فقد استخدَم هذه الكلمة مع آل، لكن فقط لأن آل يستطيع أن يتفهّمها ويتقبّلها. "إنه شيء مختلف... شيء مادي تقريباً. هل تتذكّرين عندما علقت حبّة الطماطم الكرزية في حنجرة براندون؟".

"لن أنسى ذلك أبداً".

كان براندون في الرابعة من عمره، وكانوا يتناولون الطعام في مطعمٍ في غايتس فولز عندما بدأ براندون يُصدِر صوت تقيؤ مخنوق وأمسك حنجرته. لذا سارع درُو وأمسَكه وأداره، وطبَّق عليه مناورة هايمليخ، فطارت حبّة الطماطم من فمه مُحدثةً فرقعةً مسموعةً مثل صوت فلينة من قارورةٍ. لم يُصَب براندون بأي ضرر، لكن درُو لن ينسى أبداً نظرة التضرُّع في عينَي

إبنه عندما أدرَك أنه غير قادر على التنفّس، ويعتقد أن لوسي أيضاً لن تنساها أبداً.

"هذه الحالة مماثلة"، قال. "ما عدا أنها عالقة في ذهني وليس في حنجرتي. إنني لا أختنق بالضبط، لكنني لا أحصل على ما يكفي من هواء أيضاً. *أحتاج إلى لمسة أخيرة*".

"حسناً"، قالت وربّتت على خدّه.

"هل تفهمين؟".

"لا"، قالت. "لكنك تفهم وأظن أن هذا يكفي. أريد أن أنام الآن"، ثم استدارت إلى جهتها.

بقي درُو مستيقظاً لبرهةٍ وهو يفكّر ببلدة صغيرة في الغرب، بجزء من البلد لم يزره أبداً من قبل، لكن هذا غير مهم، فهو متأكد أن خياله سيحمله إلى هناك. ويمكنه أن يُجري أي أبحاث ضرورية لاحقاً، طبعاً بافتراض أن الفكرة لم تتحوّل إلى سراب في الأسبوع القادم.

غفا في نهاية المطاف وحلَم بمأمورٍ أعرج، بإبنٍ فاشلٍ سفيهٍ مسجونٍ في زنزانة سجن صغير جداً، برجالٍ على أسطح المنازل، بمواجهةٍ لن - لا *يمكنها أن* - تدوم طويلاً.

حلَم ببلدة بِتر ريڤر في وايومنغ.

4

لم تتحوّل الفكرة إلى سراب، بل ازدادت قوة وإشراقاً، وبعد أسبوعٍ وفي صباح يوم دافئ من أيام أكتوبر، حمَّل درُو ثلاثة صناديق مؤن - أغلبها طعام معلَّب - في صندوق السوبربان القديمة التي يستخدمونها كمركبةٍ ثانيةٍ، ثم وضع معها حقيبة قماشية مليئة بملابس ومستحضرات عناية شخصية، ثم حاسوبه المحمول والعلبة البالية التي تحتوي على الآلة الكاتبة القديمة لأبيه ماركة أولمبيا، والتي أراد أن يأخذها معه على سبيل الاحتياط لأنه لا يثق بالكهرباء في الكوخ حيث لخطوط الطاقة مَيلٌ إلى السقوط عندما تهبّ الرياح، والبلدات المعزولة تُعتبر آخر أماكن تعود فيها الطاقة بعدما تنقطع.

ودَّع ولديه قبل أن يذهبا إلى المدرسة مطمئناً أن أخت لوسي ستكون هنا لترحّب بهما عند عودتهما إلى المنزل، ثم رافقته لوسي إلى الممر الخاص للمنزل مرتديةً بلوزةً بلا أكمام وسروالها الجينز الباهت اللون.

بدت نحيلة وجذّابة، لكنها كانت تعبس كما لو أن أحد صُداعاتها النصفية ما قبل الحيض أصبح وشيكاً.

"عليك أن تكون حذراً"، قالت، "وليس فقط بشأن عملك، فالمناطق الشمالية تفرَغ بين يوم العمّال وموسم الصيد، وتغطية الهاتف الخلوي تتوقف قبل ستين كيلومتراً من پرَسك آيل. وإذا كسرتَ رِجلك بينما تتمشّى في الغابة... أو تُهتَ..."

"حبيبتي، أنا لا أتمشّى في الغابة. وعندما أتمشّى - هذا *إذا* تمشّيتُ - سأبقى على الطريق"، ردّ وألقى نظرة فاحصة عليها ولم يهتمّ بما رآه، فلم يعد يرى الحاجبين العابسين فحسب، بل ظهر بريق مريب في عينيها. "إن كنتِ تريدينني أن أبقى، سأبقى. فقط قولي ذلك".

"هل ستبقى حقاً؟".

"جرّبيني"، وتمنّى من كل قلبه ألا تجرّبه.

كانت تنظر إلى حذائها الرياضي، لكنها رفعت نظرها الآن وهزّت رأسها. "لا. أفهم أن هذا مهم لك، وكذلك ستايسي وبراندون. لقد سمِعتُ ما قاله عندما ودّعك".

كان براندون ذو السنوات الاثنتي عشرة قد قال، "أعِد لنا واحدة كبيرة يا بابا".

"أريدك أن تتصل بي كل يوم يا سيد، وفي موعد أقصاه الساعة الخامسة، حتى لو كانت قريحتك الأدبية تفيض لحظتها. لن يعمل هاتفك الخلوي، لكن الخط الأرضي يعمل فنحن نتلقى فاتورة له كل شهر، وقد اتصلتُ برقمه هذا الصباح لأتأكد فحسب. لم يرنّ فقط، بل سمِعتُ رسالة أبيك القديمة على آلة الردّ على المكالمات الهاتفية، وقد سبَّبت لي بعض القشعريرة، كأنها صوتٌ قادمٌ من القبر".

"أنا أكيد من ذلك". لقد تُوفِّي والد درُو منذ عشر سنوات، وأبقوا على الكوخ، واستخدموه بضع مرات بأنفسهم، ثم راحوا يؤجّرونه للصيّادين إلى أن مات وكيلهم العجوز بيل. بعد ذلك توقَفوا عن الاكتراث له، فأحد فِرق الصيّادين لم يدفعوا كامل الإيجار وفريق آخر خرَّب المكان تخريباً كبيراً، لذا بدا لهم أن الكوخ بالكاد يستحق العناء.

"عليك أن تسجِّل رسالة جديدة".

"سأفعل ذلك".

"واحذر جيداً يا درُو - إن لم تتصل بي، سأذهب إليك فوراً".

"لن تكون هذه فكرة جيدة يا حبيبتي، فتلك الكيلومترات الخمسة والعشرين الأخيرة على طريق المرحاض ستنزع العادم من تحت الفولفو بكل سهولة، وعلى الأرجح جهاز نقل الحركة أيضاً".

"لا تهتم، لأنني... سأقول هذا فقط، مفهوم؟ عندما تسوء الأمور مع إحدى القصص القصيرة، يمكنك أن تضعها جانباً. سيمرّ أسبوع أو أسبوعان من الكآبة في المنزل، ثم تعود إلى طبيعتك من جديد. كانت *القرية على التلة* شيئاً مختلفاً كلياً، والسنة التي تلتها كانت مخيفة جداً لي وللولدين".

"هذه القصة -"

"مختلفة، أعرف، لقد قلتَ لي هذا ست مرات وأصدِّقك، رغم أن الشيء الوحيد الذي أعرفه عنها هو أنها لا تدور حول مجموعة أساتذة شهوانيين يقيمون حفلات صاخبة. فقط..."، ثم أمسكته بساعدَيه ونظرت إليه نظرة جدّية. "إذا بدأتْ تنحرف وتسوء، إذا بدأتَ تفقد الكلمات مثلما حصل لك مع قصة القرية، عُد إلى المنزل. هل تفهمني؟ *عُد إلى المنزل*".

"أعِدُك بذلك".

"قبِّلني الآن كأنها المرة الأولى لك".

فعل ذلك مُبعِداً شفتيها بلسانه بلطف وحاشراً يده في الجيب الخلفي لسروالها الجينز. وعندما ابتعد عنها، كانت لوسي متورِّدةً. "نعم"، قالت. "هذا الصنف من القُبل".

رَكِب السوبربان وما إن وصل إلى أسفل الممر الخاص للمنزل حتى صرَخت له لوسي، "انتظر! انتظر!" وركضت خلفه. كان متأكداً أنها ستُخبِره أنها غيَّرت رأيها، وأنها تريده أن يبقى ويحاول تأليف الكتاب في مكتبه في الطابق العلوي، وأن عليه أن يقاوم رغبته بالدوس على دوّاسة الوقود ويقود بسرعة فائقة دون أن ينظر في مرآة الرؤية الخلفية. لذا توقَّف والجهة الخلفية للسوبربان تطأ الشارع، وأنزلَ زجاج النافذة.

"الورق!"، قالت وهي تلهث وشعرها يغطي عينيها، ثم نَفَخت شفتها السفلية ثم سحبتها إلى الخلف. "هل معك ورق؟ لأنني أشكّ تماماً أن تجد أي ورق في الكوخ".

ابتسم ولمس خدّها. "رزمتان. هل تعتقدين أنهما ستكونان كافيتين؟".

"نعم، إلا إذا كنتَ تنوي تأليف سيد *الخواتم*"، ثم رمقته بنظرة رزينة وقد اختفى العبوس عن حاجبيها،

في الوقت الحاضر على الأقل. "هيا يا درُو، ارحل من هنا وأعِد لنا واحدة كبيرة".

5

عندما انعطف إلى منحَدَر الطريق I-295 حيث رأى ذات يوم رجلاً يغيِّر عجلة فرُغ منها الهواء، شَعَر درُو بخفّةٍ، فقد أصبحت حياته الحقيقية - الولدين، المأموريات، الأعمال الروتينية في المنزل، إعادة ستايسي وبراندون من نشاطاتهما بعد المدرسة - خلفه. سيعود إليها بعد أسبوعين، أو ثلاثة بالحد الأقصى، وافترَض أنه سيظل لديه القسم الأكبر من الكتاب ليؤلّفه وسط قرقعة تلك الحياة الحقيقية، لكن ما ينتظره هو حياة أخرى، حياة سيعيشها في مخيّلته. لم يتمكن أبداً من أن يعيش تلك الحياة بالكامل بينما عمِل على الروايات الثلاثة الأخرى تلك، ولم يتمكن أبداً من أن ينسى تلك الرغبة بعيشها، وشَعَر أنه سيعيشها هذه المرة. قد يكون جسمه جالساً في كوخ بدائي في غابات ماين، لكن بقيته ستكون في بلدة بِتر ريڤر في وايومنغ، حيث على مأمور أعرج ومعاونيه الثلاثة الخائفين حماية شابّ قتلَ شابّة أصغر منه سناً بدم بارد أمام

أربعين شاهداً على الأقل. لكن حمايته من سكان البلدة الغاضبين هي مجرد جزء من مهمة رجال القانون، فبقية المهمة هي نقله إلى مقرّ المقاطعة حيث سيُحاكَم (هذا إن كانت وايومنغ *تضم* مقاطعات في ثمانينات القرن التاسع عشر؛ سيستعلم عن ذلك لاحقاً). لم يعرف درُو من أين أحضَرَ العجوز بريسكوت جيشه الصغير من البلطجيين الذين يتّكل عليهم لمنع عملية النقل تلك، لكنه متأكد أن الحل سيخطر بباله في نهاية المطاف.

فكل شيء يحصل في نهاية المطاف.

دخل الطريق I-95 عند غاردينر، وتمايَلت السوبربان - 200 ألف كيلومتر حتى اللحظة - عند سرعة مئة، لكن بعدما زاد سرعتها إلى مئة وعشرة، اختفى التمايل وراحت تسير بنعومة الحرير. لا يزال عليه أن يقود لأربع ساعات، والساعة الأخيرة منها على طرقات تضيق أكثر فأكثر إلى أن تصل أخيراً إلى الطريق الذي يسمّيه السكان المحليون *طريق المرحاض*.

كان يتطلّع إلى هذه الرحلة، لكن ليس بقدر تطلّعه إلى فتح حاسوبه المحمول، ووصله بطابعة هيولت باكارد الصغيرة، وإنشاء مستند سيسمّيه *بِتر ريڤر #1*. لمرةٍ في حياته، لم يملأه التفكير بهوّة المساحة الفارغة التي

تحت المؤشر الوامض بمزيج من الأمل والخوف، وكل ما شَعَر به أثناء اجتيازه خط بلدة أوغستا هو نفاد الصبر. الأمور ستكون على ما يرام هذه المرة، وأفضل من ذلك حتى. كل شيء سيكون ممتازاً هذه المرة.

شغَّل الراديو وبدأ يغني معه.

6

في وقت متأخر بعد ظهر ذلك اليوم، توقف درُو أمام المؤسسة التجارية الوحيدة في تر-90 وهي عبارة عن متجر يشهد حركة بطيئة يدعى *متجر 90 الكبير* (كما لو أنه يوجد في مكان ما متجر 90 صغير). ملأ السوبربان بالوقود بعد أن كاد يجفّ منها، مستخدماً مضخّة دوَّارة قديمة صدئة تقول اللافتات المعلَّقة فوقها *نقداً فقط* وعادي فقط و"*الفارّون دون دفع" سيُطارَدون وليبارِك الله أميركا*، وتُظهِر أن سعر الغالون يبلغ $3.90، فالأسعار أعلى في المناطق الشمالية حتى للوقود العادي. ثم توقف درُو على شرفة المتجر ليرفع سمّاعة الهاتف العمومي الملطَّخ بالحشرات الذي لا يزال هنا منذ أن كان ولداً، إلى جانب ما يمكنه أن يُقسِم أنها نفس الرسالة، الباهتة تماماً الآن إلى حدّ أنه أصبح لا يمكن

قراءتها: *لا تضع النقود المعدنية إلى أن يردّ مَن تتصل به*. سمِع درُو طنين الخط المفتوح، وأومأ برأسه، وأعاد السمّاعة إلى حمّالتها الصدئة، ودخل المتجر.

"نعم، نعم، لا يزال يعمل، أليس هذا مدهشاً؟"، قال اللاجئ من *الحديقة الجوراسية* الجالس خلف المنضدة بعينيه الحمراوين، وتساءل درُو إن كان يدخِّن بعض الحشيشة. ثم أخرجَ العجوز منديلاً متلبِّداً بالمُخاط من جيبه الخلفي وعطسَ فيه. "الحساسية اللعينة، أُصاب بها كل خريف".

"مايك ديويت، أليس كذلك؟"، سأل درُو.

"لا، مايك كان أبي. تُوفِّي في فبراير. في سنّ السابعة والتسعين، وآخر عشر سنوات منها لم يعرف إن كان يسير على قدميه أو يمتطي حصاناً. أنا روي"، قال ومدَّ يده فوق المنضدة. لم يرغب درُو أن يصافح تلك اليد فهي التي كان يُمسك بها المنديل، لكنه تربّى على أن يكون مهذّباً، لذا صافحه مصافحةً سريعةً.

أسنَدَ ديويت نظّاراته على طرف أنفه المستدَق وراح يمعن النظر بدرُو. "أعرف أنني أشبه والدي، وهذا أسوأ شيء، وأنت تشبه والدك. أنت إبن بازي لارسون، أليس كذلك؟ لستَ ريكي، بل الإبن الآخر".

"هذا صحيح. ريكي يعيش في ميريلاند الآن. أنا درُو".

"بالتأكيد، هذا صحيح. كنت تزورنا مع زوجتك وطفلَيك، لكنك لم تزرنا منذ فترة طويلة. أستاذٌ، أليس كذلك؟".

"نعم"، وأعطى ديويت ثلاث عشرينات فوَضَعها في دُرج النقود وأرجعَ له ستة دولارات مترهّلة.

"سمِعتُ أن بازي مات".

"نعم، وأمي أيضاً"، قال ليريح نفسه من عناء الإجابة على هذا السؤال.

"يؤسفني هذا. ماذا تفعل هنا في هذا الوقت من السنة؟".

"أنا في إجازة، وفكّرتُ أن أقوم ببعض الكتابة".

"آه، حقاً؟ في كوخ بازي؟".

"إذا كان حال الطريق مقبولاً". قال هذا فقط لكي لا يبدو جاهلاً بأحوال المنطقة بالكامل، فحتى لو كان حال الطريق سيئاً، سيجد طريقةً ليجتازه بالسوبربان، وهو لم يقطع كل هذه المسافة لكي يتراجع الآن.

سكت ديويت قليلاً لينخر بعض البلغم ثم قال، "حسناً، لا يسمّونه طريق المرحاض بلا سبب، وهناك على الأرجح بربخاً أو بربخَين تُلفا من فيضان الربيع، لكن معك سيارة رُباعية الدفع، لذا لا يجب أن تواجهك أي مشكلة. وطبعاً أنت تعرف أن العجوز بيل تُوفِّي".

"نعم. أرسل لي أحد أبنائه بطاقةً، لكننا لم نستطع حضور الجنازة. هل مات بسبب قلبه؟".

"رأسه، فقد وضع رصاصةً فيه"، قال روي ديويت باستمتاع واضح. "كان قد أُصيب بألزهايمر، وقد عثر الشرطي على مفكرة في صندوق القفاز في سيارته كتب عليها جميع أصناف الأمور، من اتجاهاتٍ، وأرقام هواتف، وإسم زوجته، وحتى إسم الكلب اللعين. لم يستطع تحمّل الوضع".

"يا إلهي، هذا فظيع"، قال درُو وكان محقّاً في ذلك، فقد كان بيل كولسون رجلاً لطيفاً معسول اللسان، وشعره ممشَّطاً وثيابه مرتّبة دائماً، ويعبق برائحة عطر أولد سبايس، ومتيقّظاً دوماً ليُخبر والد درُو - ودرُو نفسه لاحقاً - عن أي شيء يحتاج إلى تصليح، وكم سيكلّف ذلك.

"نعم، نعم، وإذا كنت لا تعرف ذلك، سأفترض أنك لا تعرف أنه فعل ذلك في فناء كوخك".

حدَّق به درُو مذهولاً وقال، "هل تمزح؟".

"لن أمزح بشأن..."، وأخرَجَ المنديل، وقد بدا رطباً وموسَّخاً أكثر من أي وقت مضى، وعطسَ ديويت فيه. "... بشأن شيء كهذا. نعم يا سيدي. ركنَ شاحنته، ووضع فوهة بندقيته تحت ذقنه وضغَط الزناد، وخرجت الرصاصة من رأسه وكسرت النافذة الخلفية. كان الشرطي غريغز يقف حيث تقف أنت الآن بالضبط عندما أخبَرني".

"يا للهول"، قال درُو، وشيءٌ ما تغيَّر في ذهنه. فبدلاً من تصويبه مسدَّسه على صدغ الفتاة الراقصة، أصبح آندي بريسكوت - الإبن السفيه - يضعه تحت ذقنها الآن... وعندما ضغَط الزناد، خرَجت الرصاصة من الجهة الخلفية لجمجمتها وكسرت المرآة التي خلف المشرب. لا شك أن استخدامه حادثة موت العجوز بيل هذه ستكون عاملاً مفيداً جداً لقصته.

"حادث مؤسف جداً"، قال ديويت وحاول أن يبدو حزيناً، وربما حتى فلسفياً، لكن كان هناك بريق جليّ في صوته. هو أيضاً يعرف متى يكون أحد الأشياء جيداً

جداً، فكَّر درُو في سرّه. "لكنك تعرف أنه بقي العجوز بيل حتى اللحظة الأخيرة".

"ماذا تقصد؟".

"أقصد أنه أحدثَ تلك الفوضى في الشاحنة وليس في كوخ بازي، فهو لن يفعل هكذا شيء أبداً، على الأقل ليس بينما لا يزال بعض عقله سليماً". بدأ ينخر مرة أخرى، وراح يفتّش عن المنديل، لكنه تأخر قليلاً هذه المرة ليلتقط كل العطسة، وكانت زاخرة.

7

انتهى الزفت بعد ثمانية كيلومترات شمالي متجر 90 الكبير، وبعد ثمانية كيلومترات أخرى من القيادة على طبقة صلدة مغطاة بالزيوت، وصل درُو إلى مفترق طرق، فانعطف يساراً إلى طريق مليء بحصى خشنة راحت تطرق بصوتٍ مدوٍّ على الهيكل السفلي للسوبربان. هذا هو طريق المرحاض، ولم يتغيَّر منذ طفولته. اضطر أن يُبطئ سرعته مرتين إلى ثلاثة أو خمسة كيلومترات بالساعة لكي تتهادى السوبربان على التربة المجروفة حيث تكسّرت البرابخ حقاً بفعل الجريان السطحي للمياه في الربيع، واضطر أن يتوقف

مرتين أخريين، ويخرج من السيارة، ويُبعِد أشجاراً سقطت على الطريق. لحسن حظه أنها كانت أشجار البتولا الخفيفة الوزن، وحتى إن إحداها تهشّمت بين يديه.

وصل إلى مخيَّم كُولُوم المهجور والمغلق مدخله بسلسلة معدنية، فبدأ يعدّ أعمدة الهاتف والكهرباء، مثلما كان يفعل وريكي في صغرهما. كان بعض تلك الأعمدة مائلاً إلى اليمين أو اليسار، لكن لا يزال هناك ستة وستون عموداً بالضبط بين مخيَّم كُولُوم والممر الخاص للكوخ المكسو بالأعشاب - والمغلق بسلسلة معدنية أيضاً - ولا تزال هناك اللافتة الأمامية التي صنعتها لوسي عندما كان الولدان صغيرين: قصر لارسون. يعرف أن وراء هذا الممر الخاص، هناك سبعة عشر عموداً آخر تنتهي عند مخيَّم فارينغتون على ضفاف بحيرة إيغلبيمو.

وما وراء مخيَّم فارينغتون هناك بريّة شاسعة لا تصلها الكهرباء، على الأقل لمئة وستين كيلومتراً على طرفَي الحدود الكندية. كان يغامر أحياناً وريكي ليذهبا وينظرا إلى ما سمّياه العمود الأخير، فقد كان يمثّل نوعاً من الافتتان لهما ولا يوجد أي شيء بعده ليصدّ الليل. حتى

إن درُو أخذ ستايسي وبراندون ذات مرة لينظرا إلى ذلك العمود الأخير، ولا يزال درُو يتذكَّر تعبير عدم الاكتراث الذي طغا عليهما، فقد كانا يفترضان أن الكهرباء - ناهيك عن الانترنت اللاسلكية - تصل إلى كل الأماكن.

خرَج من السوبربان وفكّ السلسلة، وقد اضطر أن يتعارك مع المفتاح قليلاً قبل أن يدور أخيراً. كان عليه أن يُحضِر بعض زيت التشحيم من المتجر، لكن لا يمكنه أن يفكِّر بكل شيء.

يبلغ طول الممر الخاص حوالي خمسمئة متر، وكله أغصانٌ راحت تحفّ بجوانب السوبربان وسقفها، ويعلوه خطا الكهرباء والهاتف. يتذكَّرهما مشدودَين في الأيام الخوالي، لكنهما مرتخيين الآن على طول خط الكهرباء القطري التابع لماين الشمالية القادم من الطريق.

وصل إلى الكوخ، وبدا له مُقفراً منسياً، وقد بدأ الطلاء الأخضر يتقشَّر لعدم وجود بيل كولسون ليجدِّده، والسقف الفولاذي المكلفَن مليء بإبر شوح وأوراق متساقطة، وبدا طبق الأقمار الاصطناعية على السطح (مليء بأوراق وإبر أيضاً) مثل نكتة في هذه البرية. تساءل إن كانت لُوس تدفع الرسم الشهري للطبق مع

فاتورة الهاتف أيضاً. إذا كان الأمر كذلك، فذلك مال ذهب هباءً على الأرجح لأنه يشكّ أنه لا يزال يعمل، ويشكّ أيضاً أن شركة دايركت تي ڤي ستعيد لهم الشيك مع ملاحظة تقول، عذراً، *ها نحن نعيد لهم مالكم لأن طبقكم معطّل*. الشرفة بالية بفعل العوامل الجوية لكنها بدت متينة كفاية (رغم أنه لن يتّكل على ذلك كلياً)، ويمكنه أن يرى تحتها ملاءة خضراء باهتة واقية ضد الماء تغطي كومة حطب - ربما آخر ما أحضَره العجوز بيل.

خرَج ووَقَف قرب السوبربان ووضع يده على الغطاء الساخن، وسمِع غراباً ينعق في مكان ما، ثم ردّ عليه غراب آخر من بعيد. هذه هي الأصوات الوحيدة إضافةً إلى خرير غدير غودفري في طريقه إلى البحيرة.

تساءل درُو إن كان قد رَكَن سيارته في نفس البقعة التي رَكَن فيها بيل كولسون عندما نسف دماغه. ألم يكن هناك مذهب فكري - ربما في إنكلترا في القرون الوسطى - يقول إن أشباح المنتحرين تُجبَر على البقاء في الأماكن التي أنهوا فيها حياتهم؟

بدأ يسير نحو الكوخ وهو يُخبر نفسه (يوبِّخ نفسه) أنه كبير جداً في السنّ على قصص السهرات حول نار

المخيَّم عندما سمِع شيئاً يتخبَّط نحوه. وما خرج من بين أشجار الصنوبر التي تفصل بين فُسحة الكوخ والغدير لم يكن شبحاً أو طيف زومبي، بل موظاً فتيّاً يترنَّح على سيقان طويلة جداً ووصل إلى حدود حظيرة المعدّات الصغيرة التي بجانب المنزل، ثم رآه وتوقف. راحا يحدِّقان ببعضهما البعض، ودرُو يفكِّر في سرّه أن حيوان الموظ - سواء كان يافعاً أو كامل النمو - هو من أبشع المخلوقات وأبغضها، ولا أحد يدري بماذا كان الموظ الفتيّ يفكِّر في سرّه.

"لا مشكلة هنا يا عزيزي"، قال درُو بلطف، وانتصبت أذنا الموظ.

سمِع الآن المزيد من دَوس الأقدام وكان صوتها صاخباً أكثر بكثير، ثم ظهرت والدة الموظ الفتيّ من بين الأشجار. سقط غصنٌ على عنقها فهزَّت نفسها وأوقعته عنها، وراحت تحدِّق بدرُو، ثم أخفضت رأسها، ونبشت الأرض بحافرها، ومالت أذناها إلى الخلف والتصقت برأسها.

هذا يعني أنها ستنقضّ عليّ، فكَّر درُو في سرّه، *فهي تعتبرني تهديداً لطفلها*، وحركتها *تعني أنها ستنقضّ عليّ*.

فكَّر بأن يركض نحو السوبربان، لكنها قد تكون - ستكون على الأرجح - بعيدةً جداً. كما أن الركض، حتى بعيداً عن الموظ الفتيّ، قد يحفّز الوالدة على الانقضاض. لذا بقي واقفاً مكانه دون حراك في محاولةٍ لإرسال أفكار مهدئة للأعصاب إلى المخلوقة البالغ وزنها خمسمئة كيلوغرام والتي لا تبعُد عنه أكثر من ثلاثين متراً. *لا شيء يدعو للقلق هنا أيتها الوالدة، لستُ مؤذياً.*

بقيت تتمعّن فيه لخمس عشرة ثانية تقريباً، مُخفضةً رأسها ونابشةً الأرض بحافرها. بدت له المدة أطول بكثير، لكنها ذهَبت إلى طفلها (دون أن ترفع نظرها عن المتطفِّل أبداً) ووضعت نفسها بينه وبين درُو، ورمقته بنظرة طويلة أخرى وبدا جليّاً أنها تقرِّر خطوتها التالية، لذا بقي درُو يقف جامداً، وهو يشعر بخوف كبير، لكنه شَعَر بغبطة غريبة أيضاً. ثم راح يفكِّر في سرّه، *إذا انقضّت عليَّ من هذه المسافة، فإما سأموت أو سأُصاب إصابة خطرة بحيث أنني قد أموت على أي حال. وإذا لم تنقضّ عليَّ، سأقوم بعمل رائع هنا.*

عرَف أنها معادلة خاطئة حتى في هذه اللحظة، حيث حياته في خطر - بدا مثل ولد صغير يعتقد أنه سيحصل على درّاجة هوائية في ذكرى ولادته إذا حجبت سحابةٌ

الشمس عن الأنظار - لكنه شَعَر في الوقت نفسه أنها معادلة صحيحة تماماً.

لوَّحت والدة الموظ رأسها فجأة ونطحت ردفَي طفلها فأطلقَ صرخةً تشبه مأمأة الخروف ولا تشبه أبداً الصوت الأجش للصافرة القديمة التي كان أبوه يستخدمها لنداء حيوانات الموظ، وخَبَّ نحو الغابة. تبِعته والدته وتوقفت قليلاً لترمق درُو بنظرة أخيرة مُهلِكة: *اتبعني وستموت.*

زفرَ درُو نَفَساً لم يكن يعرف أنه يحبسه (عبارة مبتذلة قديمة في روايات التشويق تبيَّن له أنها صحيحة) وتوجَّه نحو الشرفة ويده التي تحمل المفاتيح ترتعش قليلاً، وراح يُخبر نفسه أنه لم يكن في أي خطر حقيقي؛ إذا لم تُزعج موظاً - حتى لو كان والدةً تحمي ابنها الصغير - فلن يزعجك.

بالإضافة إلى ذلك، كان يمكن أن يكون الوضع أسوأ بكثير. كان يمكن أن يكون دباً.

8

دخل الكوخ متوقعاً أن يجده في فوضى عارمة، لكنه وجده نظيفاً وأنيقاً. هذا بفضل العجوز بيل طبعاً، والذي

من الممكن حتى أن يكون قد رتّبه يوم انتحاره. لا تزال سجادة آغي لارسون القديمة الرثّة أطرافها مفروشةً في وسط الغرفة، وهناك موقد حطب موضوع على أحجار طوب ينتظر أن يُملأ خشباً، وزجاج نافذته نظيف كالأرضية. على يساره مطبخٌ بدائيّ، وعلى يمينه طاولة طعام من السنديان تُطلّ على الغابة التي تنحدر إلى الغدير، وفي الجهة البعيدة للغرفة أريكة ظهرها رهلٌ، وكرسيان، ومدفأة ارتاب درُو من إشعالها، فمَن يدري كم تجمَّع من كريوزوت في مدخنتها، ناهيك عن حيوانات برية: فئران، سناجب، وطاويط.

موقد الطبخ من ماركة هوتبوينت وكان جديداً على الأرجح في تلك الأيام التي كان فيها القمر هو الشيء الوحيد الذي يدور حول كوكب الأرض. وبجانبه برّادٌ غير موصول بالكهرباء ويقف جامداً كجثةٍ وفاتحاً بابه إلى رفوف فارغة ما عدا من علبة بيكربونات صوديوم. التلفزيون في غرفة الجلوس موضوعٌ على عربة ذات عجلات، وتذكَّر كيف كان أربعتهم يجلسون أمامه لمشاهدة الحلقات المُعادة لمسلسل M*A*S*H أثناء تناولهم العشاء.

هناك درج خشبي عند الجدار الغربي للكوخ حيث يوجد نوعٌ من المعارض المزدحم بخزائن كتب تحتوي في الأغلب على كتب ورقية الغلاف - ما كانت لوسي تسمّيه ركن القراءة في الأيام الماطرة، وخلف ذلك غرفتا النوم الصغيرتان التي نام درُو ولوسي في إحداهما ونام الولدان في الأخرى. هل توقفوا عن القدوم إلى هنا عندما بدأت ستايسي تتذمّر من حاجتها إلى الخصوصية؟ أم فقط أصبحوا مشغولين جداً لتمضية أسابيع الصيف في المخيَّم؟ لا يستطيع درُو أن يتذكَّر. كان مسروراً فحسب من وجوده هنا، ومسروراً أن أياً من المستأجرين لم يسرق سجادة أمه الرثّة... ولماذا سيسرقونها؟ صحيح أنها كانت رائعة جداً ذات يوم، لكنها غير ملائمة الآن إلا ليسير عليها أشخاص يرتدون أحذية موحلة من الغابة أو حُفاة أقدامهم رطبة من الخَوض في الغدير.

"يمكنني العمل هنا"، قال درُو وجفل من صوته الذي افترض أنه لا يزال متوتراً من المواجهة مع الموظ الأم، ثم ضحِك.

لم يحتج إلى فحص الكهرباء لأنه يمكنه رؤية الضوء الأحمر يومض على آلة الردّ على المكالمات الهاتفية

القديمة لوالده، لكنه ضغط زر ضوء السقف على أي حال لأن بعد الظهر بدأ يزول. ثم ذهب إلى آلة الردّ على المكالمات الهاتفية وضغط زر التشغيل.

"أنا لوسي يا درُو". بدا صوتها متذبذباً كما لو أنه قادم من أعماق البحر، وتذكَّر درُو أن آلة الردّ القديمة هذه تستخدم كاسيتاً، وشَعَر بالدهشة من أنها لا تزال تعمل حتى. "إنها الثالثة وعشر دقائق، وأنا قلِقة قليلاً. هل وصلتَ إلى هناك أم بعد؟ اتصل بي حالما تقدر".

شَعَر درُو بالمرح لكن بالانزعاج أيضاً فقد جاء إلى هنا ليتجنَّب الإلهاءات، وآخر شيء يحتاج إليه هو أن تراقبه لوسي طوال الأسابيع الثلاثة القادمة. ومع ذلك افترَض أن لديها أسباباً وجيهةً لكي تقلق، فمن الممكن أن يكون قد تعرَّض لحادثٍ في طريقه إلى هنا، أو تعطَّلت سيارته على طريق المرحاض، لكن لا يمكنها بالطبع أن تقلق من أنه يفقد صوابه على كتابٍ لم يبدأ حتى بتأليفه.

هذا التفكير ذكَّره بمحاضرةٍ عن حِرفة تأليف الروايات أقامها قسم الأدب الإنكليزي قبل خمس أو ست سنوات وألقاها جوناثن فرانزن أمام جمهور غفير قائلاً إن ذروة عملية تأليف الرواية تحلّ في الواقع قبل أن يبدأ الكاتب، بينما كل شيء لا يزال في خياله. "حتى أوضح

جزء مما كان في ذهنك يضلّ طريقه خلال التدوين"، قال فرانزن. وتذكَّر درُو كيف أنه قال لنفسه إنه من الأنانية أن يفترض ذلك الرجل أن خبرته هي الحالة العامة.

رَفَع درُو سمّاعة الهاتف (السوداء ذات شكل الثقّالة القديم، والثقيلة بشكل مدهش)، وسمِع طنيناً قوياً للخط واتصل بهاتف لوسي الخلوي، وقال، "لقد وصلتُ، ودون أي مشاكل".

"آه، جيد. كيف حال الطريق؟ وكيف حال الكوخ؟".

تكلّما لبرهةٍ، ثم تكلَّم مع ستايسي التي كانت قد وصلت للتو من المدرسة وطالَبت بالهاتف. عادت لوسي وذكَّرته أن يغيِّر رسالة آلة الردّ على المكالمات الهاتفية لأنها تسبّب لها القشعريرة.

"كل ما يمكنني أن أعدك به هو محاولة فعل ذلك، فهذه الآلة كانت على الأرجح أحدث تكنولوجيا في السبعينات، لكن هذا كان منذ نصف قرن".

"ابذل قُصارى جهدك. هل رأيتَ أي حيوانات برية؟".

تذكَّر الموظ الأم ورأسها المنخفض بينما تقرِّر ما إذا كانت ستنقضّ عليه وتواصل الدوس عليه حتى الموت أم لا.

"بضعة غربان فقط لا غير. إلى اللقاء يا لُوس لأنني أريد إدخال أغراضي قبل أن تغرب الشمس. سأتصل بك لاحقاً".

"حوالي السابعة والنصف سيكون جيداً. يمكنك التكلم مع براندون، فسيكون قد عاد وقتها. إنه يتناول العشاء في منزل راندي".

"عُلم".

"أي شيء آخر تريد أن تُخبرني إياه؟". ربما كان هناك قلق في صوتها، أو ربما ذلك من نسج خياله فحسب.

"لا. كل شيء هادئ على الجبهة الغربية. أحبّك".

"وأنا أحبّك أيضاً".

أعاد السمّاعة القديمة الطراز المضحكة إلى مكانها وكلَّم الكوخ الفارغ. "آه مهلاً، هناك شيء آخر يا حبيبتي. العجوز بيل فجّر رأسه أمام الكوخ مباشرة".

وصدم نفسه من أنه ضحِك.

9

حين انتهى من إدخال أمتعته ومؤنه، كانت الساعة قد تجاوزت السادسة وأصبح جائعاً. جرَّب حنفية المطبخ،

وبعد بضع قرقرات ودوّي في الأنابيب، بدأ يحصل على تدفّقات مياه غائمة أصبحت باردة وصافية ومنتظمة في نهاية المطاف، فملأ وعاءً، وأشعل الهوتبوينت (الهمهمة المنخفضة للحرّاق أعادت له ذكريات وجبات الطعام الأخرى هنا)، وانتظَر حتى يغلي الماء لكي يمكنه إضافة المعكرونة. لديه صلصة أيضاً، فقد وضعت له لوسي قارورة صلصة راغو في أحد صناديق المؤن. كان لينسى فعل ذلك.

فكَّر بتسخين علبة بازلاء، ثم عدل عن رأيه، فهو في مخيَّم وسيأكل مثلما يأكلون في المخيَّمات. لكن لا شراب؛ فلم يُحضِر معه أياً منه ولم يشتر أياً منه من متجر 90 الكبير. إن سارت عملية التأليف بشكل جيد مثلما يتوقَّع، فقد يكافئ نفسه ببعض عبوات شراب الشعير عندما يزور المتجر في المرة القادمة. حتى إنه قد يجد بعض أغراض السلطة هناك، رغم أنه شَعَر أنه عندما تتعلق المسألة بتخزين الخُضار فإن روي ديويت يحتفظ بكمية كبيرة من الفُشار وصلصة النقانق، ويعتبر ذلك كافياً، وقد يجد لديه قارورة واحدة فقط من مخلَّل الملفوف لأصحاب الذوق الغريب.

بينما انتظَر أن يغلي الماء وتجهَز الصلصة، شغَّل درُو التلفزيون دون أن يتوقع منه أن يعرض أي شيء. وما حصل عليه هو شاشة زرقاء ورسالة تقول *جاري الاتصال بدايركت تي ڤي*. شكّ درُو بذلك لكنه ترك التلفزيون وشأنه لكي يقوم بعمله، بافتراض أنه يفعل شيئاً فعلاً.

كان يفتّش في إحدى الخزائن السفلى عندما صدح صوت لسْتر هولت في الكوخ، مما أجفله لدرجة أنه أطلق صيحة وأفلت مصفاة الطهو التي عثر عليها للتو. عندما استدار، رأى لسْتر مذيع نشرة أخبار NBC بصورة واضحة يقرأ خبراً عن أحدث خزعبلات ترامب، وعندما انتقلت الكاميرا إلى تشاك تود ليُطلِع المشاهدين على التفاصيل القذرة، أمسَك درُو جهاز التحكم عن بُعد وأطفأ التلفزيون. من الجيد معرفة أنه يعمل، لكن لم تكن لديه نيّة بحشو ذهنه بأخبار عن ترامب أو الإرهاب أو الضرائب.

طبخَ علبة كاملة من المعكرونة وأكل معظمها وهو يتخيَّل لوسي تلوِّح له إصبعاً توبيخياً وتذكِّره - مرة أخرى - بقياس خصره المتزايد، فذكَّرها درُو أنه لم يتناول الغداء. غسَل أطباقه القليلة وهو يفكِّر بالموظ

الأم وعملية الانتحار. هل هناك أي مكان لأحدهما في بِتر ريڤر؟ الموظ الأم، لا أظن ذلك. عملية الانتحار، ربما.

افترَض أن فرانزن كان محقاً بشأن الوقت الذي يسبق بدء تأليف الرواية، فذلك الوقت جيدٌ *فعلاً*، لأن كل شيء تراه وتسمعه يشكِّل مادةً قيّمةً محتملةً لمطحنة الذهن. كل شيء طيِّع للمخيلة. يستطيع ذهنك أن يبني مدينةً، ويعيد تنظيمها، ثم يدمّرها تدميراً تاماً بينما تأخذ دُشاً أو تحلق ذقنك أو تبوِّل. لكن كل ذلك يتغيَّر بعدما تبدأ، فكل مشهد تكتبه، كل *كلمة* تكتبها، يحدّ من خياراتك قليلاً. وتصبح في نهاية المطاف مثل بقرةٍ تخبّ في منحدر ضيق لا مخرج له، تخبّ نحو -

"لا، لا، الأمر ليس هكذا أبداً"، قال وجفل من صوته مرة أخرى. "ليس هكذا أبداً".

10

حلّ الظلام بسرعة في الغابة العميقة، فراح درُو يُضيء المصابيح الواحد تلو الآخر (عددها أربعة، وكُمّة كل مصباح منها مريعة أكثر من الأخرى)، ثم انتقل إلى آلة الردّ على المكالمات الهاتفية. استمَع مرتين إلى رسالة أبيه المتوفى، أبيه العزيز الذي لم يقل أبداً، على حدّ

علمه، أي كلمة بذيئة أو يرفع يده على أبنائه (كانت الكلمات البذيئة والأيدي المرفوعة من اختصاص أمهم). بدا له أنه من الخطأ محوها، لكن بسبب عدم وجود كاسيت أخرى لآلة الردّ على المكالمات الهاتفية في مكتب والده، لم تترك له أوامر لوسي أي خيار آخر، سجّل رسالة مختصرة مفيدة: "هذا درُو. اتركوا رسالة رجاءً".

بعدما انتهى من هذه المهمة، ارتدى سترته الخفيفة وخرجَ ليجلس على الدرج وينظر إلى النجوم. لطالما أذهله العدد الكبير الذي يستطيع المرء رؤيته بعدما يبتعد عن التلوّث الضوئي حتى لبلدة صغيرة نسبياً مثل فالموث، ويشعر كما لو أن إبريق أضواء انسكب في السماء، والأبدية تكمن ما وراء ذلك الانسكاب، ولا يمكن تفسير سر هكذا واقع ممدّد. هبّت نسمةٌ جعلت أشجار الصنوبر تتنهّد بطريقتها الحزينة، وشَعَر درُو فجأة أنه لوحده وأنه صغير جداً. دبّت القشعريرة في جسمه وعاد إلى الداخل، وقرّر أنه سيُشعل ناراً اختباريةً صغيرةً في المدفأة، فقط ليتأكد أنها لن تملأ الكوخ بالدخان.

رأى قفصاً على كل جهة من جهتَي المدفأة، أحدهما يحتوي على مادة ملتهبة أحضَرها العجوز بيل على

الأرجح عندما خزّن حمولته الأخيرة من الحطب تحت الشرفة، والآخر يحتوي على ألعاب.

ركع درُو على ركبته وراح يفتِّش بينها، فعثر على صحن فريسبي بالكاد تذكَّره: هو ولوسي والولدان يلعبون أمام الكوخ، ويضحكون كلما رمى أحدهم صحن الفريسبي في الأجمّات ووَجب عليه أن يذهب ويُحضره. وعثر على دمية أرمسترونغ متمدِّدة كان متأكداً أنها لبراندون، وعلى دمية باربي (عارية الصدر بشكل غير لائق) لا شكّ أنها كانت لستايسي. لكنه عثر على أشياء أخرى إما لا يتذكَّرها أو لم يرها أبداً من قبل، مثل دبدوب أعور، ومجموعة بطاقات أونو، وكومة بطاقات بيسبول، ولعبة تدعى مرِّر الثيران، وبلبل مزخرف بدائرة قرود ترتدي قفازات بيسبول - عندما يفتله يبدأ بالدوران بشكل مترنّح على الأرض ويصفِّر لحن "خذني إلى المباراة الكُروية". لم يهتم بهذه اللعبة الأخيرة، فقد بدا له أن القرود تلوِّح قفازاتها إلى الأعلى والأسفل عندما يدور البلبل كما لو أنها تلتمس العون، ويبدأ اللحن يبدو شريراً قُبيل توقف البلبل عن الدوران.

نظَرَ إلى ساعته قبل بلوغه قعر القفص ورأى أنها الثامنة والربع، فعاود الاتصال بلوسي واعتذَر لها على

التأخير قائلاً إنه التهى بصندوق ألعاب. "أعتقد أنني عثرتُ على دمية أرمسترونغ المتمدِّد القديمة لبراندون - "

تأوهت لوسي وقالت، "يا إلهي كم كنتُ أكره تلك اللعبة فرائحتها *غريبة* جداً".

"أتذكَّر ذلك. وعثرت على بضعة أشياء أخرى أيضاً، لكن هناك أمور أُقسِم أنني لم أرها أبداً من قبل. مرِّر الثيران؟".

"مرِّر *ماذا*؟"، ردَّت وهي تضحك.

"إنها لعبة للأولاد. وماذا بشأن بلبل مزيَّن بقرود؟ يعزف لحن أغنية 'خذني إلى المباراة الكُروية'".

"لا... آه مهلاً لحظة. منذ ثلاث أو أربع سنوات، أجَّرنا الكوخ لعائلة بيرسون، هل تتذكَّر؟".

"بالكاد"، لكنه لا يتذكَّر أبداً لأن التأجير حصل منذ ثلاث سنوات وقد كان غارقاً تماماً في تأليف *القرية على التلة*... غارقاً ويختنق.

"كان لديهم فتى صغير في السادسة أو السابعة من عمره. لا شكّ أن بعض تلك الألعاب له".

"غريب أنه لم يفتقد لها"، قال درُو وهو يحدِّق بالدبدوب الذي بدت عليه دلالات أنه لعبة كان يتم عناقها كثيراً وبحرارة.

"هل تريد التكلّم مع براندون؟ إنه هنا".

"بالتأكيد".

"مرحبا يا بابا!"، قال براندون. "هل أنهيتَ كتابك؟".

"مضحك جداً. سأبدأ غداً".

"كيف الأحوال هناك؟ هل هي جيدة؟".

نظر درُو حوله، وبدت له الغرفة الكبيرة في الطابق السفلي شجيةً في ضوء السقف والمصابيح، وحتى الظلال الرهيبة بدت مقبولة، وإذا لم تكن مدخنة المدفأة مسدودةً فإن قليلاً من النار سيتولّى أمر البرد الخفيف.

"نعم"، قال. "إنها جيدة".

كانت جيدة فعلاً، وهو يشعر بالأمان. يشعر أنه حامل وجاهز للولادة. لم يكن لديه خوف من بدء تأليف الكتاب غداً، بل ترقُّب فحسب، وهو متيقّن أن الكلمات ستفيض منه فيضاً.

تبيَّن له أن المدفأة سليمة، فمدخنتها مفتوحة وعملية تصريف الدخان جيدة، وبينما تحوَّلت نارها الصغيرة إلى

جمرات، رتّب السرير في غرفة النوم الرئيسية (وهي أشبه بنكتة، فبالكاد حجمها كبير كفاية ليستدير فيها) بملاءات وبطانيات تعبق برائحة عفونة خفيفة. أوى إلى الفراش عند العاشرة وراح يتأمل الظلمة ويُنصت إلى تنهّدات الرياح حول طُنُف السقف، وفكّر بانتحار العجوز بيل في الفناء، لكن لفترة وجيزة فقط، وليس بخوف أو رعب. فما شعَر به عندما تخيَّل اللحظات الأخيرة للوكيل العجوز - دائرة الفولاذ تضغط على الجانب السفلي لذقنه، وآخر نظراته ونبضات قلبه وأفكاره - لم يكن مختلفاً كثيراً عما شعَر به وهو يتأمل التمدّد المعقّد والمُفرط لدرب اللبّانة. الواقع عميقٌ وبعيدٌ، ويختزن أسراراً عديدةً ويدوم إلى الأبد.

11

استيقظ باكراً في الصباح التالي، وتناول الفطور، ثم اتصل بلوسي. كانت تحضِّر الولدين للذهاب إلى المدرسة - توبِّخ ستايسي لأنها لم تُنهي واجباتها المدرسية، وتُخبر براندون أنه ترك حقيبة ظهره في غرفة الجلوس - لذا لم تطُل محادثتهما طويلاً. بعد الوداع، ارتدى درُو سترته ونزَل إلى الغدير، حيث وجد السماء زرقاء داكنة ورأى

أن الأشجار على الجانب البعيد قُطعَت في زمن ما مما وفَّر منظراً مذهلاً للغابة المتموِّجة في الأفق. بقي يقف هناك لعشر دقائق تقريباً وهو يستمتع بالجمال المتواضع للعالم الذي من حوله ويحاول تصفية ذهنه، يحاول جعله جاهزاً.

اعتاد كل فصل دراسي أن يعلِّم بعض الأدب الأميركي الحديث والبريطاني الحديث، لكن بما أنه نُشرت له بعض المؤلفات (وفي النيويوركر، وليس في أي صحيفة عادية) فقد كان عمله الرئيسي هو أن يعلِّم التأليف الإبداعي. لذا كان يبدأ كل حصة وندوة بالتكلم عن العملية الإبداعية، فيُخبر طلابه أنه تماماً مثلما أن معظم الأشخاص يتّبعون روتيناً معيّناً عندما يستعدون ليأووا إلى السرير، من المهم أن يتّبعوا روتيناً بينما يتحضَّرون لجلسة عملهم كل يوم. كان ذلك أشبه بسلسلة الخطوات التي يقوم بها المُمارس للتنويم المغنطيسي بينما يحضِّر الشخص الذي أمامه لبلوغ حالة الغيبوبة.

"لقد شُبِّهَت عملية تأليف الروايات أو الشِعر بالطريقة التي نحلم بها"، كان يُخبِر طلابه، "لكنني لا أعتقد أن هذا الأمر دقيق تماماً، بل أعتقد أنها تشبه عملية التنويم المغنطيسي أكثر. فكلما نجحتَ أكثر في جعل عملية

التحضير طقساً، كلما وجدتَ سهولة أكبر في دخول تلك الحالة".

كان يطبِّق ما يعظ به، لذا عندما عاد إلى الكوخ، أعدَّ بعض القهوة لكي يحتسي كوبَين من القهوة السوداء المركَّزة خلال صباحه. وبينما انتظَر أن تجهز القهوة، أخذ حبوب الفيتامين ونظّف أسنانه. ثم وجد أن أحد المستأجِرين دفَعَ مكتب أبيه القديم إلى تحت الدرج فقرَّر درُو أن يتركه هناك. قد يكون ذلك المكان غير مألوف للعمل، لكنه مريح بشكل غريب، وأشبه بالرحم تقريباً. تذكَّر أن آخر الطقوس التي يقوم بها في مكتبه في المنزل قبل أن يبدأ العمل هو ترتيب أوراقه في كومات منظّمة، تاركاً مساحةً على يسار طابعته ليضع فيها أحدث نسخة، لكن لا يوجد شيء على هذا المكتب ليرتّبه.

شغَّل حاسوبه المحمول وأنشأ مستنداً فارغاً، وافترَض أن ما يتبع ذلك هو جزءٌ من الطقوس أيضاً: تسمية المستند (بِتر ريڤر #1)، وتنسيق المستند، واختيار خط للمستند. لقد استخدَم الخط بُوك أنتيكوا بينما ألَّف *القرية*، لكنه لا ينوي أن يستخدمه في بِتر ريڤر فذلك سيكون طلسماً سيئاً بالفعل. وبما أنه يُدرك أن الكهرباء

قد تنقطع، مما سيُجبره على اللجوء إلى آلته الكاتبة، اختار الخط أميركان تايبرايتر.

هل هذا كل شيء؟ لا، هناك شيء واحد بعد فضغط زر الحفظ التلقائي. صحيح أنه من غير المحتمل أن يخسر مستنده حتى لو انقطعت الكهرباء، لأن الحاسوب المحمول يتضمن بطارية مشحونة بالكامل، لكن درهم وقاية خير من قنطار علاج.

أصبحت القهوة جاهزة، فصَبَّ كوباً وجلس.

هل تريد أن تفعل هذا حقاً؟ هل تنوي أن تفعل هذا حقاً؟

الجواب على السؤالين هو نعم، لذا وسَّط المؤشر الوامض وكتبَ

الفصل 1

ضغط مفتاح الإدخال وبقي يجلس بلا حراك للحظةٍ مفترضاً أنه على بُعد مئات الكيلومترات جنوبي هنا، تجلس لوسي مع كوب قهوتها أمام حاسوبها المحمول المفتوح، حيث تحتفظ بسجلات المحاسبة لعملائها الحاليين، وستدخل قريباً في غيبوبة نومها المغنطيسي - أرقام بدلاً من كلمات - لكنه متأكد تماماً أنها تفكِّر فيه الآن. تفكِّر فيه وتأمل، أو ربما حتى تصلّي، ألا... كيف

يعبِّر آل ستامبر عن هذه الحالة؟... ألا يفقد عجلات عربته الحمراء الصغيرة.

"لن يحصل ذلك"، قال. "بل سيكون الأمر أشبه بجلسة إصغاء وتدوين فحسب".

نظَرَ إلى المؤشر الوامض قليلاً أكثر، ثم كتبَ:

عندما صرخت الفتاة صوتاً حادّاً كفاية ليحطّم الزجاج، توقَف هيرك عن العزف على البيانو واستدار.

ثم تاهَ درُو.

12

كان قد رتَّب مواعيد حصص تعليمه بحيث تبدأ في وقت متأخر من اليوم لأنه عندما يعمل على تأليف قصةٍ، يفضِّل أن يبدأ بها باكراً عند الثامنة، كما يُجبر نفسه دائماً على العمل عليها حتى الحادية عشرة رغم أنه يجد نفسه في أيام كثيرة يكافِح بحلول العاشرة والنصف. وغالباً ما يتذكَّر خبراً - ملفّقاً على الأرجح - قرأه عن جايمس جويس يقول إن أحد أصدقاء الكاتب المشهور زاره في منزله ووجده في مكتبه واضعاً رأسه بين ذراعيه في وضعية يأس تام. عندما سأله الصديق ما الخطب، أخبَره جويس أنه توصَّل إلى سبع كلمات فقط

منذ الصباح. "لكن هذا جيد جداً يا جايمس"، قال الصديق، فردَّ عليه جويس، "ربما، لكنني لا أعرف في أي ترتيب أضعها!".

يستطيع درُو أن يتماهى مع هذا الخبر سواء كان ملفّقاً أم لا، فهذا هو الشعور الذي ينتابه عادة خلال نصف الساعة الأخيرة العصيبة تلك، عندما يحلّ عليه الخوف من فقدان كلماته، عِلماً أن هذا الشعور البغيض بقي مسيطراً عليه طوال الشهر الأخير من تأليفه *القرية على التلة*.

لكنه لم يشعر بأيٍ من ذلك الهُراء هذا الصباح، فهناك باب في ذهنه فُتح مباشرة إلى المقصف العابق بالدخان ورائحة الكاز والمعروف بـ نُزُل رأس الجاموس، ودخله واستطاع أن يرى كل تفصيل ويسمع كل كلمة. كان هناك ينظر عبر عينَي عازف البيانو هيركيمر بيلاسكو عندما وضع الفتى پريسكوت فوهة مسدّسه (ذي المقبض الفاخر المرصّع باللآلئ) تحت ذقن الراقصة اليافعة وبدأ يوبِّخها. غطى عازف الأكوردیون عينيه عندما ضغَط آندي پريسكوت الزناد، لكن هيركيمر أبقى عينيه شاخصتين ورأى درُو كل شيء: التفجُّر المفاجئ للشعر

والدم، وتحطُّم قارورة الشراب الاسكتلندي بفعل الرصاصة، وتشقّق المرآة خلف تلك القارورة.

لم تكن حالة التأليف هذه تشبه أي حالة مرَّ بها درُو في حياته من قبل، وعندما أخرجه الجوع أخيراً من غيبوبته (تألَّف فطوره من وعاء شوفان)، نظَرَ إلى شريط المعلومات في حاسوبه المحمول ورأى أن الساعة تكاد تصبح الثانية بعد الظهر. ظهره يؤلِمه وعيناه تحرقانه، لكنه يشعر بالغبطة، وحتى بالثمالة. طبَع عمله (ثماني عشرة صفحة، وهذه كمية لعينة لا تُصدَّق) لكنه تركه في دُرج الطابعة، فيستعرضه هذه الليلة ممسكاً قلمه - هذا جزء من روتينه أيضاً - لكنه عرَف من قبل أنه لن يجد الكثير ليصحِّحه. كلمة أو كلمتان نسي كتابتها، وتكرار عَرَضيّ غير مقصود، وربما تشبيه غير دقيق أو ملائم بما فيه الكفاية. ما عدا ذلك ستكون الصفحات جيدة. كان متأكداً من ذلك.

"أشبه بجلسة إصغاء وتدوين فحسب"، همَس ثم نهض ليُعدّ شطيرةً لنفسه.

دخل في روتين منتظِم خلال الأيام الثلاثة التالية كما لو أنه كان يعمل في الكوخ طوال حياته - الجزء الإبداعي منه، على أي حال - فيكتب من حوالي السابعة والنصف حتى الثانية تقريباً، ثم يأكل، ثم يأخذ قيلولة أو يتمشّى على الطريق وهو يعدّ أعمدة الكهرباء. وفي المساء، يُشعِل ناراً في موقد الحطب، ويسخِّن شيئاً في عبوةٍ على الهوتبوينت، ثم يتصل بالمنزل ليتكلّم مع لوسي والولدين. وبعدما تنتهي المكالمة، يحرِّر صفحاته، ثم يقرأ ما يختاره من الكتب الورقية الغلاف في خزانة كتب الطابق العلوي. وقبل أن ينام، يُخمِد النار في موقد الحطب ويخرج ليتأمل النجوم.

توالت القصة، وكبُرت كومة الصفحات الجالسة بجانب الطابعة، ولم تعد هناك رهبة بينما يُعدّ قهوته، أو يأخذ حبوب فيتاميناته، أو ينظّف أسنانه، بل مجرد ترقُّب، فالكلمات تأتيه حالما يجلس. وشَعَر أن كل يوم من تلك الأيام هو احتفال الشتاء ولديه هدايا جديدة ليفتحها. بالكاد لاحَظ أنه بدأ يعطس كثيراً في اليوم الثالث، أو بالكاد انتبه إلى الخشونة الخفيفة في حنجرته.

"ماذا كنتَ تأكل؟"، سألته لوسي عندما اتصل بها تلك الليلة. "كُن صادقاً يا سيد".

"عموماً الأشياء التي أحضَرتُها، لكنني -"

"درُو!"، لكنها مطّت إسمه بحيث بدا درُووو.

"لكنني سأشتري بعض الأشياء الطازجة غداً، بعد أن أنتهي من العمل".

"جيد. اذهب إلى السوق في سانت كريستوفر. ليس ذا شأن كبير، لكنه أفضل من ذلك المتجر الصغير البغيض في أسفل الطريق".

"حسناً"، قال رغم أنه لم تكن لديه النيّة باجتياز كل تلك المسافة حتى سانت كريستوفر، فالرحلة ذهاباً وإياباً ستكون حوالي مئة وخمسين كيلومتراً، ولن يعود إلى الكوخ قبل حلول الظلام تقريباً. لم ينتبه إلى أنه كذَب عليها إلا بعد أن أنهى المكالمة، وهذا شيء لم يفعله منذ الأسابيع القليلة الأخيرة من عمله على *القرية*، عندما بدأ كل شيء يسوء فيها، فيجلس أحياناً لعشرين دقيقة أمام نفس الحاسوب المحمول الذي يستخدمه الآن يجادل نفسه بشأن كتابة *بستان أشجار صفصاف* أو كتابة *أيكة أشجار*، فهاتين الجملتين بدتا له صحيحتين وغير صحيحتين في آن، لذا كان يبقى جالساً محدّباً هكذا فوق حاسوبه المحمول والعرق يكدّه ويقاوم الرغبة العارمة بأن يواصل طَرق جبهته إلى أن

يستحصل منها على الجملة المعبِّرة الصحيحة. وعندما كانت لوسي تسأله عن أحوال القصة - وعبوس القلق على وجهها - يردّ عليها بنفس هذه الكذبة البسيطة: بخير.

أخبَر نفسه ألا يهتمّ وهو يخلع ملابسه لينام، فإن كان ما قاله كذباً فقد كانت كذبة بيضاء، مجرد وسيلة لتجنّب نشوب جدالٍ قبل فوات الأوان. الأزواج والزوجات يفعلون ذلك طوال الوقت، فبهذه الطريقة تصمد الزيجات.

أوى إلى السرير، وأطفأ المصباح، وعطَس مرتين، وغفا.

14

في يوم عمله الرابع، استيقَظ درُو وجيوبه الأنفية مسدودة وحنجرته متقرِّحة قليلاً، لكنه لم يشعر بأي حمى. يمكنه أن يعمل وهو مُصاب بنزلة برد، وقد فعل ذلك مرات عديدة في مهنته كمدرِّس، وهو يفتخر في الواقع بقدرته على التحمّل بينما نخرة واحدة تدفع لوسي إلى أن تلازم سريرها وبجانبها علبة محارم ودواء سعال وبعض المجلات. لم يوبِّخها درُو بشأن ذلك أبداً،

رغم أن كلمة أمه لوصف هكذا سلوك - "خَسِعة" - تتبادر إلى ذهنه في أغلب الأحيان. كان بمقدور لوسي أن تدلِّل نفسها عندما تُصاب بنزلة برد مرتين أو ثلاثة في السنة لأنها محاسبة مستقلة وبالتالي هي مديرة نفسها. كان ذلك ينطبق عليه أيضاً في سنة إجازته... ما عدا أنه لم يكن ينطبق عليه، فقد قرأ في مجلة ذا باريس ريفيو تصريحاً لأحد الكتّاب - لا يمكنه أن يتذكّر إسمه - يقول فيه، "بينما تؤلّف، الكتاب هو المدير"، وكان محقّاً في ذلك. إذا أبطأتَ ستبدأ القصة تتلاشى، مثلما يتلاشى الحلم عند الاستيقاظ.

أمضى الصباح في بلدة بِتر ريڤر، لكن مع وضعه علبة محارم بالقرب منه. وعندما أنهى عمله لليوم (ثماني عشرة صفحة أخرى فقريحته الأدبية في أوجّها)، اندهش من رؤية أنه استخدَم نصف المحارم، وأن سلة المهملات التي بجانب مكتب أبيه القديم تفيض بها. لكن هناك جانب مُشرق في هذا، فبينما كان يكافِح مع *القرية*، كان معتاداً أن يملأ سلة المهملات التي بجانب مكتبه بصفحات مطبوعة مرمية: بستان أو أيكة؟ موظ أو دب؟ هل الشمس مشرقة أو ملتهِبة؟ كل ذلك الهُراء

غير موجود في بلدة بِتر ريڤر، وشَعَر بعدم استعدادٍ متزايدٍ ليغادرها.

لكن عليه أن يغادرها، فلم يبقَ لديه إلا بضع عبوات من لحم البقر المملَّح والمعكرونة باللحم، وقد نفد الحليب وكذلك عصير البرتقال. يحتاج إلى بيض وهمبرغر، وربما بعض قِطع الدجاج، وبالتأكيد إلى ست أطباق طعام مجلَّدة، كما شَعَر برغبة بإحضار بعض أقراص السعال وقارورة دواء للسعال، صديقة لوسي العزيزة. سيجد كل هذه الأشياء في متجر 90 الكبير على الأرجح، لكن إذا لم يجدها هناك، سيضطر إلى أن يعضّ على جرحه ويقود إلى سانت كريستوفر، فيحوِّل الكذبة البيضاء التي قالها للوسي إلى حقيقة.

قاد سيارته ببطء على طريق المرحاض الوعرة وصولاً إلى متجر 90 الكبير، وقد أصبح وقتها يسعل ويعطس أيضاً، وساءت حالة حنجرته قليلاً، وشَعَر أن إحدى أذنيه مسدودة، وأحسَّ أنه مُصاب بحمى خفيفة في النهاية، فدخل المتجر وهو يذكِّر نفسه بأن يضيف قارورة أليڤ أو تايلينول إلى مشترياته.

لم يجد روي ديويت خلف المنضدة فقد حلّت محله شابة هزيلة ذات شعر أرجواني وحلقة في الأنف، وما

بدا أنه مسمار من الكْروم في شفتها السفلى، وكانت تعلك. تخيَّلها درُو، الذي لا يزال ذهنه متوقِّداً من عمله ذلك الصباح (وربما من الحمى الخفيفة، مَن يدري)، تعود إلى مقطورتها المركونة على كتل أسمنتية حيث ينتظرها ولدان أو ثلاثة بوجوه قذرة وقصّات شعر منزلية، وأصغرهم طفل صغير يرتدي حفاضاً مترهِّلاً وقميصاً تائياً ملطّخاً بالطعام ومكتوباً عليه *وحش ماما الصغير*. هذه صورة ذهنية مقولبة خسيسة ومتعالية جداً من شخص نخبوي، لكن هذا لا يجعلها بالضرورة غير صحيحة.

أمسَك درُو سلة تسوّق وسألها، "هل لديكم لحوم أو خضار طازجة؟".

"همبرغر ونقانق في البرّاد، وربما بعض شرائح اللحم. ولدينا كرُنب".

حسناً، افترَض أن هذا مقبولٌ إلى حدّ ما. "وماذا بشأن الدجاج؟".

"لا، لكن لدينا بيض. قد تكون قادراً على تربية دجاجة أو دجاجتين منها إن أبقيتها في مكان دافئ"، قالت وضحِكت بسخرية كاشفةً أسناناً بنّيةً. إذاً فهي لم تكن لثةً في النهاية.

انتهى درُو بأن ملأ سلّتين. لم يجد دواء السعال الذي أراده، لكنه وجد شيئاً يدعى *علاج الطبيب كينغ للسعال ونزلات البرد*، بالإضافة إلى *أناسين* ومسحوق *غُودي للصُداع*. ثم أنهى فورة تسوّقه بأن أضاف إلى سلّته بضع عبوات حساء معكرونة بالدجاج (بنسلين اليهودي، مثلما كانت جدّته تقول)، ومرطبان سمن، ورغيفَي خبز من الصنف الأبيض الإسفنجي الصناعي جداً، لكن المتسوِّلين لا يحقّ لهم أن يتشرّطوا، فقد تخيَّل طبق حساء وشطيرة جبن محمَّصةً في مستقبله غير البعيد جداً. يا له من مذاق طيب لرجلٍ يعاني من تقرّح في الحنجرة.

احتسبت له شابّة المنضدة مجموع مشترياته وهي تمضغ، ووجد درُو نفسه مفتوناً بصعود وهبوط المسمار في شفتها. كم سيكون عمر وحش ماما الصغير عندما يقرِّر أنه سيضع هكذا شيء في فمه؟ خمس عشرة سنة؟ إحدى عشرة سنة ربما؟ أخبَر نفسه مرة أخرى أنه يفكِّر كنخبوي، كنخبوي حقير في الواقع، لكن ذهنه المحفَّز جداً بقي يفكِّر بهذا المنوال. أهلاً بكم يا متسوِّقي وولمارت. حفاضات بامبرز المستوحاة من الأطفال. أحبّ الرجل الذي يحمل علبة تبغ للمضغ. كل

يوم هو صفحة في دفتر يوميات أزيائك. اسجنها وأرسلها -

"مئة وسبعة وثمانون"، قالت قاطعةً له حبل أفكاره.

"يا للهول، حقاً؟".

ابتسمت كاشفةً عن أسنان كان يفضِّل عدم رؤيتها مرة أخرى. "تريد أن تتسوّق هنا في هذه البرّية الموحشة يا سيد... لارسون، أليس كذلك؟".

"نعم. درُو لارسون".

"تريد أن تتسوّق هنا في هذه البرّية الموحشة يا سيد لارسون، عليك أن تكون مستعداً لتدفع ثمن ذلك".

"أين روي اليوم؟".

قَلَبت عينيها. "أبوه في المستشفى في سانت كريستوفر. أُصيب بالإنفلونزا ورفض أن يزور الطبيب. أراد أن يواجه المرض بشجاعة فتحوَّل إلى التهاب رئوي. أختي تجالس أولادي لكي أستطيع أن أدير له متجره، وهي بصراحة غير سعيدة بذلك".

"يؤسفني سماع هذا"، لكنه لا يهتمّ البتّة بشأن روي ديويت في الواقع، فما يهمّه وما يفكّر فيه هو منديل

ديويت المتلبِّد بالمُخاط، وكيف أنه صافح اليد التي كانت تستخدمه.

"ليس بقدر ما يؤسفني شخصياً. سنكون مشغولين غداً بتلك العاصفة القادمة في نهاية الأسبوع"، ثم أشارت بإصبعين متباعدين إلى سلّتيه وقالت، "آمل أن تكون قادراً على دفع ثمن هذه نقداً لأن آلة بطاقات الإئتمان معطَّلة وأبي ينسى دائماً أن يُصلحها".

"يمكنني فعل ذلك. أي عاصفة؟".

"عاصفة شمالية، هذا ما يقولونه على ريفيير دُو لُو... إذاعة الكيبيك، مثلما تعرف". لفَظتها كوا-بيك. "تحمل الكثير من الرياح والأمطار، وتصل بعد غد. أنت هناك على طريق المرحاض، أليس كذلك؟".

"نعم".

"حسناً، إذا كنتَ لا تريد أن تبقى هناك لحوالي شهر كامل، من الأفضل لك أن توضِّب بقالتك وأمتعتك وتذهب جنوباً".

كان درُو معتاداً على هذا الموقف، فهناك في المخيَّم، لا يهمّ إذا كنتَ من سكان ماين المحليين أم لا، لأنك إذا كنتَ لا تأتي من مقاطعة أروستوك فسيتعبرونك شخصاً جاهلاً ضعيفاً لا يمكنه أن يميِّز بين التنّوب والصنوبر.

وإذا كنتَ تعيش جنوبي أوغستا، فأنت مجرد حقير آخر من ماساتشوستس.

"أعتقد أنني سأكون بخير"، قال وهو يُخرج محفظته. "أسكن على الساحل، وقد عشنا ما يكفي من أعاصير شمالية شرقية".

نظَرَت إليه بشفقة تقريباً. "أنا لا أتكلَّم عن إعصار شمالي شرقي يا سيد لارسون، بل أتكلَّم عن عاصفة شمالية قادمة مباشرة من القطب الشمالي عبر كندا ستُخفِض الحرارة بشكل كبير. وداعاً للثماني عشرة درجة وأهلاً بالثلاث درجات، ويمكن أن تنخفض الحرارة أكثر أيضاً. ثم هناك المطر المُثلِج الذي يتساقط أفقياً بسرعة خمسين كيلومتراً في الساعة. إذا علقتَ هناك على طريق المرحاض، تكون قد علقت حقاً".

"سأكون بخير"، قال درُو. "سيكون الأمر -"، وسكتَ. كان على وشك أن يقول سيكون *الأمر أشبه بجلسة إصغاء وتدوين فحسب*.

"ماذا؟".

"على ما يرام. سيكون الأمر على ما يرام".

"من الأفضل لك أن تأمل ذلك".

15

في طريق عودته إلى الكوخ - الشمس تُبهِر عينيه وتسبّب بدء صُداع إلى جانب عوارضه الأخرى - بقي درُو يفكّر بذلك المنديل المُخاطيّ، وكيف أن روي ديويت حاوَل أن يحارب مرضه وانتهى به الأمر في المستشفى.

ألقى نظرة سريعة على مرآة الرؤية الخلفية ليرى عينيه الحمراوين الدامِعتين. "*لن* أُصاب بالإنفلونزا اللعينة. ليس عندما تكون قريحتي الأدبية متوقِّدة". حسناً، لكن لماذا تغابى وصافحَ يد ذلك السافل في حين أنها كانت بلا شكّ تفيض بالجراثيم؟ بجراثيم كبيرة لدرجة أنك بالكاد ستحتاج إلى مِجهَر لرؤيتها؟ وبما أنه صافحها، لماذا لم يسأل أين الحمّام لكي يمكنه أن يغسلها؟ يا للهول، حتى *أولاده* يعرفون أن عليهم أن يغسلوا أيديهم، فقد علّمهم ذلك بنفسه.

"*لن* أُصاب بالإنفلونزا اللعينة"، كرّر ثم أنزلَ الواقية ليُبعد الشمس عن عينيه ويمنعها من أن تُبهِرهما.

تُبهِر أو تُجهِد؟ هل تُجهِد أفضل أم هذه مبالغة؟

راح يفكّر بهذا ملياً وهو يقود عائداً إلى الكوخ. وبينما أدخل بقالته إلى المطبخ، رأى أن ضوء الرسائل يومض.

إنها لوسي تطلب منه أن يعاود الاتصال بها في أسرع وقت ممكن، فشَعَر بذلك الإزعاج مرة أخرى كما لو أنها تراقب عمله من فوق كتفه، لكنه أدرَك عندها أن المسألة قد لا تكون عنه. ففي النهاية، ليس كل شيء يتعلق به. ربما مرِض أحد الولدين أو تعرَّض لحادث.

اتصل بها، وللمرة الأولى منذ وقت طويل - منذ *القرية على التلة*، على الأرجح - تجادلا. لم يكن جدالاً سيئاً مثل بعض الجدالات التي نشبت بينهما في السنوات الأولى من زواجهما عندما كان الولدان صغيرين والمال شحيح، لكنه جدال سيئ كفاية. فقد سمِعت أيضاً عن العاصفة (بالطبع سمِعت عنها فهي مدمنة على مشاهدة قناة الطقس)، وأرادته أن يوضِّب أمتعته ويعود إلى المنزل حالاً.

أخبَرها درُو أنها فكرة سيئة، فكرة فظيعة في الواقع، فقد اعتمد إيقاع عمل جيداً وهو يؤلّف أموراً رائعةً. وانقطاعٌ ليوم واحد في ذلك الإيقاع (وقد يصبح انقاطعين على الأرجح، أو حتى ثلاثة) قد لا يعرِّض الكتاب للخطر، لكن أي تغيير في بيئة تأليفه يمكن أن يعرِّضه للخطر. ظنَّ أنها فهِمت هشاشة عملية التأليف

الإبداعي - بالنسبة له على الأقل - بعد كل تلك السنوات، لكن بدا له أنها لم تفهمها.

"ما لا تفهمه هو مدى السوء الذي يُفترَض أن تكون عليه هذه العاصفة. ألم تشاهد نشرة الأخبار؟".

"لا". ثم أضاف وهو يكذب بلا أي سبب (إلا إذا كذَب لأنه شَعَر بالحقد تجاهها الآن): "ليس عندي أي إشارة استقبال. الطبق لا يعمل".

"حسناً، ستكون سيئة جداً، خاصة شمالاً في تلك البلدات النائية القريبة من الحدود. وأنتَ *هناك*، في حال لم تلاحظ. تشير التوقعات إلى انقطاع في الطاقة في مساحات واسعة بسبب الرياح -"

"من الجيد إذاً أنني أحضَرتُ آلة أبي الكاتـ -"

"هلاّ تركتني أُنهي جملتي يا درُو؟ هذه الجملة فقط؟".

صمَتَ وهو يشعر بنبضٍ في رأسه وألم في حنجرته، وأحسَّ أن زوجته لا تروق له كثيراً في تلك اللحظة. يحبّها بالتأكيد، وسيحبّها دائماً، لكنها لا تروق له. *ستقول الآن شكراً*، فكّر في سرّه.

"شكراً"، قالت. "*أعرف أنك أخذت آلة أبيك الكاتبة*، لكنك ستعيش على ضوء الشمعة وتأكل طعاماً بارداً لعدة أيامٍ، وربما أطول بكثير".

يمكنني أن أطبخ على موقد الحطب. كانت هذه الجملة على طرف لسانه، لكن إذا قاطعها مرة أخرى، سينحرف الجدال إلى موضوع جديد، إلى موضوع محدَّد هو كيف أنه لا يأخذها على محمل الجدّ، الخ الخ.

"أظن أنه يمكنك أن تطبخ على موقد الحطب"، قالت بنبرة معتدلة أكثر قليلاً، "لكن إذا كانت الرياح ستعصف هوجاء وعاتية مثلما يقولون فسيسقط الكثير من الأشجار وستعلق هناك".

لقد عزمتُ أن أتواجد هنا، على أي حال، فكَّر في سرّه، لكنه لزِمَ الصمت مرة أخرى.

"أعرف أنك كنت تعزم أن تتواجد هناك لأسبوعين أو ثلاثة أسابيع، على أي حال"، قالت، "لكن من الممكن أيضاً أن تُحدث شجرةٌ فجوةً في السقف وسينقطع خط الهاتف مع خط الكهرباء، وستنعزل عن العالم الخارجي! ماذا لو حصل شيء لك؟".

"لن يحصل شيء -"

"ربما لا، لكن ماذا لو حصل شيء *لنا*؟".

"عندها ستهتمّين بالأمر"، قال. "ما كنتُ لأذهب إلى أقاصي الأرض لو لم أثق أنه يمكنك تولّي الأمر. وأختك معك أيضاً. كما أنكِ تعرفين أنهم يبالغون بتقارير الأرصاد الجوية، فيحوِّلون مترين من الثلج إلى عاصفة القرن. كل شيء على التلفزيون يتمحور حول معدلات المشاهدة، وهذه الحالة مماثلة أيضاً. انتظري وسترين".

"شكراً لتفسيرك لي أنا الجاهلة"، قالت لوسي بنبرة باردة.

ها هما قد انتقلا الآن إلى ذلك المكان المؤلم الذي أملَ أن يتجنَّبه، خاصة وأن حنجرته تؤلمه وجيوبه الأنفية مسدودة وأذنه تنبض، ناهيك عن الصُداع الذي في رأسه. وإذا لم يكن ديبلوماسياً جداً، فقد يدخلان في الجدال القديم (أو هل *المشين* صفة دقيقة أكثر؟) حول مَن منهما أدرى من الآخر. ومن هناك يمكنهما - لا، يمكنها هي - الانتقال إلى أهوال المجتمع الذكوري، فهذا موضوعٌ تستطيع لوسي أن تُسهب فيه إلى ما لا نهاية.

"هل تريد أن تعرف رأيي يا درُو؟ أعتقد أنه عندما يقول الرجل 'كما أنكِ تعرفين'، والرجال يقولون هذا طوال الوقت، فإن ما يعنيه هو '*أنا* الذي يعرف، لكنكِ

مغفَّلة جداً لتعرفين ذلك، لذا عليَّ أن أفسِّر لك أيتها الجاهلة"".

تنهَّد، وعندما هدَّدته التنهيدة أن تتحوَّل إلى سعال، كبَتها. "حقاً؟ هل تريديننا أن نذهب إلى هناك؟".

"درُو... نحن *هناك*".

السأم الذي في نبرتها كما لو أنه ولد غبي لا يمكنه أن يستوعب حتى أبسط الدروس أحنَقه. "حسناً، إليكِ بعض التفسير الإضافي كأنكِ جاهلة يا لُوس. طوال حياتي الراشدة وأنا أحاول تأليف رواية. هل أعرف السبب؟ لا. كل ما أعرفه هو أنه الشيء الذي ينقصني في حياتي. *أحتاج إلى فعل ذلك*، وأنا أنجح في فعله. المسألة مهمة جداً بالنسبة لي، وها أنتِ تطلبين مني أن أخاطر بالقضاء على كل ذلك".

"هل المسألة بنفس أهميتي أنا والولدين؟".

"بالطبع لا، لكن هل يجب أن تكون المسألة اختياراً بين أمرين؟".

"أعتقد أنها مسألة اختيار، وقد اخترتَ للتو".

ضحِك وتحوَّلت الضحكة إلى سعال. "هذا كلام ميلودرامي جداً".

لم تعلّق على كلامه فهناك شيء آخر تريد أن تعلّق عليه. "هل أنت بخير يا درُو؟ لستَ مُصاباً بشيء ما، أليس كذلك؟".

سمِع في ذهنه الشابّة الهزيلة ذات المسمار في شفتها وهي تقول له *أراد أن يواجه المرض بشجاعة فتحوّل إلى التهاب رئوي*.

"لا"، قال. "مجرد حساسية".

"هل ستفكّر بالعودة؟ هلاّ فعلتَ ذلك على الأقل؟".

"نعم". كذبة أخرى، فقد فكّر بالأمر من قبل.

"اتصل الليلة، مفهوم؟ وكلّم الولدين".

"هل يمكنني أن أتكلّم معكِ أيضاً؟ إذا وعدتُكِ ألا أفسّر لكِ أي شيء كأنكِ جاهلة؟".

ضحِكت. صحيح أنها كانت مجرد ضحكة خافتة في الواقع، لكنها ومع ذلك علامة جيدة. "حسناً".

"أحبك يا لُوس".

"وأنا أحبك أيضاً"، قالت، وخطرت فكرة بباله وهو يُغلق السمّاعة - افترَض أن هذه حالةٌ يحبّ أساتذة الأدب الإنكليزي تسميتها *إدراكاً مفاجئاً* - أن مشاعرها على الأرجح لا تختلف كثيراً عن مشاعره. هو متأكد أنها

تحبّه، لكنه لا يروق لها كثيراً بعد ظهر هذا اليوم في أوائل أكتوبر.

كان متأكداً من ذلك أيضاً.

16

وفقاً للمُلصَق، ستة وعشرون بالمئة من *علاج الطبيب كينغ للسعال ونزلات البرد* هي شرابٌ، لكن بعد أن أخذ درُو رشفةً من القارورة جَعَلت عينيه تدمعان وسبَّبت له سعالاً حادّاً، شَعَر أن الصانع ربما خفَّض النسبة عن قصد لكي يُبقي منتجَه بعيداً عن رف الشراب في متجر 90 الكبير. لكن الرشفة فتحت له جيوبه الأنفية فعلاً، وعندما تكلَّم مع براندون تلك الليلة، لم يكتشف إبنه أي شيء غير عادي فيه، بل ستايسي هي التي سألته إن كان بخير، فأخبَرها أنها مجرد حساسية، وكرَّر نفس الكذبة للوسي عندما استعادت هاتفها منها. على الأقل لم ينشب جدال معها هذه الليلة، بل كانت هناك فقط البرودة القارسة في صوتها التي يعرفها جيداً.

كان الطقس في الخارج قارساً أيضاً، وبدا له أن الصيف الهندي انتهى. شَعَر درُو بسلسلة ارتعاشات فأشعل ناراً كبيرةً في موقد الحطب، وجلَس قربه على

كرسي أبيه الهزّاز، وأخذ رشفة أخرى من قارورة الطبيب كينغ، وقرأ إحدى روايات جون د. ماكدونالد. بدا له من صفحة المؤلفات السابقة في بداية الرواية أن ماكدونالد ألَّف ستين أو سبعين كتاباً. إذاً لا مشكلة لديه في إيجاد الكلمة أو الجملة الصحيحة، وحتى بَلَغ في نهاية حياته بعض المصداقية العالية. يا له من شخص محظوظ.

قرأ درُو فصلين، ثم أوى إلى السرير آملاً أن تتحسَّن حالة نزلة برده عند الصباح، وآملاً أيضاً ألا يجد نفسه مُصاباً بصُداع ما بعد الثمالة جرّاء تناوله دواء السعال. نام نوماً مضطرباً، وحلَم أحلاماً مزعجة لم يستطع أن يتذكَّر معظمها في الصباح التالي. تذكَّر فقط أنه كان في أحدها في رواق لا ينتهي تصطف فيه الأبواب على الجهتين، وقد شَعَر بيقين أن أحدها يقود إلى الخارج، لكنه لم يستطع تحديد أي باب عليه أن يجرِّب، وقبل أن يتمكَّن من اختيار بابٍ، استيقَظ إلى صباحٍ باردٍ صافٍ، ومثانةٍ ممتلئةٍ، ومفاصل متألمةٍ. شقَّ طريقه إلى الحمّام في نهاية الرواق وهو يشتم روي ديويت ومنديله الأحمق.

687

لا يزال مُصاباً بالحمى، لكن بدا أن حرارته انخفضت، وقد ساعدت تركيبة مسحوق غُودي للصُداع ودواء الطبيب كينغ مع عوارضه الأخرى. وسار عمله بشكل جيد جداً رغم أنه ألَّف عشر صفحات فقط بدلاً من ثماني عشرة صفحة، لكن هذه الكمية لا تزال مدهشة له. صحيح أنه كان عليه أن يتوقف بين الحين والآخر ليبحث عن الكلمة أو الجملة الصحيحة، لكنه عزا ذلك للعدوى التي في جسمه. وكانت تلك الكلمات والجمل تأتي إليه دائماً بعد بضع ثواني من التفكير المليّ فتجلس في مكانها بشكل أنيق.

بقيت أحداث القصة تسير بشكل جيد، وقد ألقى المأمور جيم أڤيريل القاتل في السجن، لكن بلطجيين أتوا مدجَّجين بأسلحتهم على متن قطار مفاجئ في رحلة خاصة عند منتصف الليل دفع تكاليفها والد آندي پريسكوت مربّي المواشي الغني، وفرضوا حصاراً على البلدة. خلافاً لـ *القرية*، كان هذا الكتاب يتمحور حول المؤامرة أكثر مما يتمحور حول الشخصيات والمواقف، وهذا أقلَق درُو قليلاً من البداية؛ فبصفته أستاذاً وقارئاً (هاتان الصفتان ليستا الشيء نفسه، لكنهما متماثلتان بالتأكيد)، لديه مَيل ليركّز على الموضوع واللغة

والرمزية بدلاً من تركيزه على القصة، لكن بدا له أيضاً أن مجريات الأحداث تجلس في مكانها المناسب تلقائياً تقريباً. وأفضل ما في الأمر هو بدء نشوء رابط غريب بين أڤيريل وآندي پريسكوت، مما أعطى قصته عمقاً غير متوقع تماماً مثل ذلك القطار الذي وصل عند منتصف الليل.

بدلاً من أن يذهب في نزهة بعد الظهر، شغَّل التلفزيون وعثر على قناة الطقس بعد بحثٍ مضنٍ في دليل دايركت تي ڤي المعروض على الشاشة. ربما كان توفُّر هذا العدد المذهِل من المحطات في هذا المكان النائي سيسلّيه في يوم آخر، لكن ليس في هذا اليوم بالذات، فجلوسه الطويل أمام الحاسوب تركه فارغاً، منضَّباً تقريباً، بدلاً من أن يتركه متوقِّداً نشطاً. لماذا تغابى وصافح يد ديوييت؟ بدافع التهذيب طبعاً وهذا مفهوم بالكامل، لكن لماذا استمرّ في تغابيه ولم يغسل يده بعد ذلك؟

لقد مررتُ بهذه التجربة من قبل، فكَّر في سرّه.

نعم، وها قد عادت تضايقه مرة أخرى، مما ذكَّره نوعاً ما بمحاولته الأخيرة المأساوية في تأليف رواية، عندما كان يبقى أرِقاً لفترة طويلة بعد أن تنام لوسي، ويبدأ

بتفكيك الفقرات القليلة التي تمكَّن من تأليفها في ذلك اليوم ثم يعيد تشييدها في ذهنه، ويبقى على هذا المنوال إلى أن ينزف العمل.

توقف. هذا كان في الماضي، وأنت الآن في الحاضر. شاهِد تقرير الأرصاد الجوية اللعين.

لكنه لم يكن تقريراً فقناة الطقس لن تكون ذات أفق محدود هكذا أبداً، وما شاهده بدا أشبه بأوبرا لعينة من الغمّ والكآبة. لم يستطع درُو أبداً أن يفهم عشق زوجته لقناة الطقس التي بدا أنها تعجّ فقط بالأشخاص المهووسين بالأرصاد الجوية. وكما لو أن ذلك لم يكفِهم فقد أصبحوا الآن يطلقون أسماءً حتى على العواصف التي ليست أعاصير، والعاصفة التي حذَّرته منها بائعة المتجر والتي قلِقت منها زوجته سُمِّيت بيار. لم يستطع درُو أن يتخيَّل إسماً أكثر غباءً من هذا لعاصفةٍ قادمةٍ من ساسكاتشوان في مسار شمالي شرقي (مما جعَل الشابّة ذات المسمار في الشفة مخبولةً، فهذا إعصار شمالي شرقي حقاً) وستصل إلى تر-90 إما بعد ظهر الغد أو عند المساء، وتُحضر معها رياحاً مستدامةً سرعتها خمسة وستين كيلومتراً بالساعة، مع هَبَّات تصل سرعتها إلى مئة كيلومتر بالساعة.

"قد تظنون أنها لا تبدو سيئة جداً"، قال مهووس الطقس الحالي، وهو شابّ ذو لحية رثّة أزعجت نظر درُو، وبدا كأنه شاعر في بلاط المدمِّر بيار رغم أنه لم يكن يتكلّم بأبيات يامبيّة خُماسية التفاعيل، لكن بشكل قريب بما فيه الكفاية. "لكن ما عليكم أن تتذكّروه هو أن درجات الحرارة ستنخفض *بشكل كبير* عندما تصل هذه الجبهة الجوية، ويمكن أن يتحوّل المطر إلى *مطر مُثلِج*، ولا يستطيع السائقون هناك في مناطق نيو إنغلاند الشمالية استبعاد ظهور *جليد أسود*".

ربما يجب أن أعود إلى المنزل، فكّر درُو في سرّه.

لكن الكتاب لم يعد الشيء الوحيد الذي يمنعه من فعل ذلك، ففكرة تلك القيادة الطويلة على طريق المرحاض وهو يشعر بهذا الاستنزاف الذي يشعر به اليوم جَعَلته مُتعَباً حتى أكثر. وعندما يصل أخيراً إلى شيء يشبه الحضارة، هل يُفترَض به أن يجتاز كل الطريق I-95 وهو يرشف من قارورة دواء نزلات البرد الممزوج بالشراب؟

"لكن أهم شيء"، تابع مهووس الطقس ذو اللحية الرثة يقول، "هو أن عاصفتنا العزيزة هذه ستصطدم *بجدار* من *الضغط العالي* القادم من الشرق - وهذه

ظاهرة *غير اعتيادية* أبداً. هذا يعني أن أصدقاءنا شمالي بوسطن يمكن أن يواجهوا ما يسمّيه اليانكيز القدامى *عاصفة تدوم ثلاثة أيام*".

ليعصف بك هذا، فكَّر درُو في سرّه وأمسك منفرج ساقيه.

لاحقاً وبعد محاولة فاشلة في أخذ قيلولة - كل ما فعله هو أنه بقي يتقلَّب على فراشه أرقاً - اتصلت به لوسي. "اسمعني يا سيد". آه كم يكره عندما تناديه هكذا، فيشعر كما لو أنها تجرّ أظافرها على سبّورةٍ. "التوقّعات تزداد سوءاً. عليك أن تعود إلى المنزل".

"إنها مجرد عاصفة يا لوسي، وما كان أبي ليسمّيه نسيماً مفاجئاً، وليست حرباً نوويةً".

"عليك أن تعود إلى المنزل بينما لا تزال قادراً على ذلك".

لقد ضاق ذرعاً بهذا، وضاق ذرعاً بها. "لا. أحتاج إلى أن أكون هنا".

"أنت مغفَّل"، قالت، ثم لأول مرة حسبما يتذكَّر، أغلَقت الخط بوجهه.

18

شغَّل درُو التلفزيون إلى قناة الطقس حالما نهض في الصباح التالي وهو يقول لنفسه، *كما يعود الكلب إلى قَيئه، هكذا يُعيد الجاهل حماقته.*

أملَ سماع أن العاصفة بيار غيَّرت مسارها، لكنها لم تفعل ذلك، ونزلة برده لم تغيِّر مسارها أيضاً. صحيح أنها لم تبدُ أسوأ، لكنها لم تبدُ أفضل أيضاً. اتصل بلوسي وأجابه بريدها الصوتي. ربما تُنهي بعض المأموريات، أو ربما لا تريد أن تكلّمه فحسب. لا بأس بالنسبة لدرُو في الحالتين، لأنها حانقة منه، لكنها ستتخطى ذلك الشعور، فلا أحد يخرّب خمس عشرة سنة من الزواج بسبب عاصفة، أليس كذلك؟ خاصة عاصفة تدعى بيار.

أعدَّ درُو بيضتين مخفوقتين واستطاع أن يأكل نصفها قبل أن تحذِّره معدته من أن حشوها بالمزيد قد يؤدي إلى قذف قسري، فرمى بقايا طبقه في سلة النفايات، وجلس أمام الحاسوب المحمول، وفتح المستند الحالي (بِتر ريفر #3). مرَّر إلى حيث كان قد توقف، ونظَرَ إلى المساحة البيضاء التي تحت المؤشر الوامض، وبدأ يملأها. استمر العمل على ما يرام طوال الساعة الأولى

تقريباً، ثم بدأت المتاعب بدءاً من الكراسي الهزّازة التي من المفترض أن يجلس عليها المأمور أڤيريل ومعاوِنوه الثلاثة خارج سجن بِتر ريڤر.

يجب أن يكونوا جالسين أمام السجن على مرأى من سكان البلدة وبلطجيي دِكْ پريسكوت لأن ذلك الموقع هو أساس الخطة الذكية التي رسمها أڤيريل ليُخرِج إبن پريسكوت من البلدة أمام أنظار الرجال الأشدّاء الذين يُفترَض بهم منع حصول ذلك. يجب أن يكون الجميع قادرين على رؤية رجال القانون، خاصة المعاوِن المدعو كال هانت الذي صدفَ أنه بنفس طول الفتى پريسكوت وبنيته الجسدية.

كان هانت يرتدي شالاً مكسيكياً غنياً بالألوان وقبعةً كبيرةً جداً مزخرفةً بزرد فضي ساعدت حافتها الكبيرة على حجب وجهه، وهذا أمر مهم. لم يكن الشال والقبعة للمعاوِن هانت، وقال إنه يشعر كمغفَّلٍ إن ارتدى قبعةً كهذه، لكن المأمور أڤيريل لم يكترث فقد أراد أن ينظر رجال پريسكوت إلى الملابس وليس إلى الرجل الذي بداخلها.

كل شيء على ما يرام في القصة، ثم حلّت المتاعب.

"حسناً"، قال المأمور أڤيريل لمعاوِنيه. "حان الوقت لنستمتع

بهواء الليل العليل، وليرانا أي شخص يريد أن ينظر إلينا. أحضِر ذلك الإبريق يا هانك فأنا أريد ضمان أن أولئك الفتيان على أسطح البيوت سيرون بوضوح المأمور المغفَّل يثمل مع معاونِيه الأغبى منه حتى".

"هل عليّ أن أرتدي هذه القبعة؟"، قال كال هانت متذمراً. "لن ينسى الآخرون منظري هذا مدى الحياة!".

"ما يجب أن يشغل بالك هو أن تبقى حياً حتى طلوع الضوء"، قال أڤيريل. "هيا الآن، دعنا نُخرِج هذه الكراسي الهزّازة و

هنا توقَف درُو عن الكتابة وقد أذهلته صورة احتواء مكتب مأمور بِتر ريڤر الصغير جداً على ثلاثة كراسي هزّازة. لا، *أربعة* كراسي هزّازة، لأن عليك أن تضيف كرسياً لأڤيريل نفسه. لكن هذا منافٍ للعقل أكثر بكثير من القبعة الكبيرة الحاجبة للوجه التي يرتديها كال هانت، وليس فقط لأن أربعة كراسي هزّازة ستملأ الغرفة اللعينة بأكملها، بل لأن فكرة وجود كراسي هزّازة بحد ذاتها تناقض مبدأ فرض القانون، حتى في بلدة صغيرة في الغرب الأميركي مثل بِتر ريڤر، وهذا أمر سيُضحك القراء. لذا حذَف درُو القسم الأكبر من الجملة وراح ينظر إلى ما بقي منها.

دعنا نُخرِج هذه

هذه ماذا؟ الكراسي؟ هل يحتوي مكتب المأمور على أربعة كراسي من الأصل؟ بدا له هذا الأمر غير محتمل. "فليست هناك صالة انتظار لعينة"، قال درُو ومسَح جبهته. "ليس حتى في -"، وفاجأته عطسةٌ قبل أن يتمكّن من أن يغطي فمه رَشّت شاشة الحاسوب المحمول بكمية كبيرة من اللعاب شوَّهت منظر كلماته.

"تباً! تباً *لعينةً*!".

مدَّ يده ليأخذ محرمةً ويمسح بها الشاشة، لكنه وجد علبة المحارم فارغة فأحضر منشفة أطباق بدلاً منها، وعندما انتهى من تنظيف الشاشة، فكّر كم أن منشفة الأطباق الرطبة تشبه منديل روي ديويت... منديله الأحمق.

دعنا نُخرِج هذه

هل ازدادت الحمى سوءاً؟ لم يرغب درُو أن يصدِّق ذلك بل أراد أن يصدِّق أن الحرارة المتزايدة التي يشعر بها (زائد النبض المتزايد في رأسه) ناتجة فقط عن ضغط محاولته حل مشكلة الكراسي الهزّازة السخيفة هذه لكي يتمكَّن من المضي قدماً، لكنها بدت فعلاً -

تمكَّن من أن يستدير هذه المرة قبل أن يعطس، لكن ليس عطسةً واحدةً فقط بل ست عطسات. شَعَر أن

جيوبه الأنفية متورِّمة كثيراً مثل عجلات نُفخَت أكثر من اللازم، وكانت حنجرته تنبض من الألم، وكذلك أذنه.

دعنا نُخرِج هذه

أتاه الحلّ عندها. مقعدٌ! يمكن أن يكون هناك مقعدٌ في مكتب المأمور يستطيع الناس الجلوس عليه بينما ينتظرون انتهاء أعمالهم التي أتوا من أجلها، فابتسم ورفع إبهامه لنفسه علامة الرضى لأن قِطع الأحجية لا تزال تسقط في مكانها سواء كان مريضاً أم لا. هل هذا مدهشٌ حقاً؟ لا، فالإبداع يبدو غالباً كأنه يعمل في عالم خاص به، بغض النظر عن علل الجسم، حيث أن فلانيري أوكونور كانت مُصابة بالذئبة، وستانلي إلكِن بتصلُّب الأنسجة المتعدد، وفيودور دوستويفسكي بالصَرَع، وعانت أوكتاڤيا باتلر من عُسر القراءة. وما أهمية نزلة برد رديئة، وربما حتى إنفلونزا، بالمقارنة مع تلك الأشياء؟ يمكنه أن يعمل بهذا المرض التافه، والمقعد برهانٌ عبقريٌ على ذلك.

"دعنا نُخرِج هذا المقعد ونحتسي بعض الشراب".

"لكننا لن نحتسي الشراب حقاً، أليس كذلك أيها المأمور؟"، سأل جپ ليونارد رغم أن الخطة شُرحَت له بعناية، لكن جپ لم يكن أسطع لمبة في

أسطع لمبة في الثريّا؟ بالطبع لا، فهذه مفارقة تاريخية. أوَليست كذلك؟ اللمبة مفارقة تاريخية بالتأكيد، فلم تكن هناك لمبات في ثمانينات القرن التاسع عشر، لكن كانت هناك ثريّات بكل تأكيد. وهناك ثريّا في المقصف! لو كان لديه اتصال بالانترنت لاستطاع أن ينظر إلى الكثير من الأمثلة القديمة عنها، لكن لم يكن لديه سوى مئتَي قناة تلفزيونية، ومعظمها تافهة تماماً.

من الأفضل استخدام مجاز مختلف. هذا إذا *كانت* الجملة مجازاً حتى، لأن درُو لم يكن متأكداً بالكامل. ربما هي مجرد مقارنة نسبية. لا، هي مجازٌ، وهو متأكد من ذلك... تقريباً.

لا تهتمّ فهذه ليست النقطة الرئيسية، وهذا ليس تمريناً في حصة تدريس، هذا كتابٌ، كتابه هو، لذا التزم بالتأليف ولا تستطرد... وركِّز على الجائزة.

ليس أنضج شمامة في السحّارة؟ ليس أسرع حصان في السباق؟ لا، فهذه تشبيهات مريعة، لكن -

ثم وجد الحلّ. يا لهذا العجب! فانحنى وكتبَ بسرعة.

رغم أن الخطة شُرحَت له بعناية، لكن جب لم يكن أذكى ولد في المدرسة.

نهض درُو راضياً (حسناً، راضياً نسبياً)، وأخذ رشفةً من قارورة الطبيب كينغ، ثم ألحقها بكوب ماء ليغسل المذاق من فمه: مذاق مزيج مقزِّز من المـُخاط ودواء نزلات البرد.

هذا يشبه ما حصل سابقاً. هذا يشبه ما حصل مع القرية.

يمكنه أن يُخبر نفسه أن هذا ليس صحيحاً، أن هذه المرة مختلفة كلياً، أن الدارة النظيفة في ذهنه ليست نظيفة تماماً في النهاية لأنه مُصاب بحمى، وهي حمى مرتفعة جداً حسبما يشعر، وأن كل ذلك لأنه لمسَ ذلك المنديل.

لا لم تلمس المنديل بل لمستَ يده. لمستَ اليد التي لمست المنديل.

"لمستُ اليد التي لمست المنديل، صحيح".

فتح حنفية الماء البارد ورشَّ ماءً على وجهه مما جَعَله يشعر بتحسّن طفيف، ومزَج مسحوق غُودي للصُداع مع بعض الماء وشرِبه، ثم ذهَب إلى الباب وفتحه. شَعَر بيقين أن الموظ الأم ستكون هناك، وكان يقينه قوياً لدرجة أنه اعتقَد للحظةٍ (بفضل الحمى) أنه

يراها هناك قرب حظيرة المعدّات، لكن ذلك كان مجرد ظلال تتحرَّك في نسيم خفيف.

أخذ عدة أنفاس عميقة. *سيدخل الهواء الجيد، وسيخرج الهواء السيئ*، ولا شك *أنني كنتُ مجنوناً عندما صافَحتُه*.

عاد درُو إلى الداخل وجلس أمام الحاسوب المحمول. شَعَر أن مواصلة التأليف فكرةٌ سيئةٌ، لكنه شَعَر أن عدم مواصلة التأليف فكرةٌ أسوأ حتى، لذا بدأ يكتب محاولاً استرداد الرياح التي غمرت أشرعته ودفعته إلى هذه المسافة البعيدة. بدا له أن محاولته تنجح في البدء، لكن مع حلول موعد استراحة الغداء (عِلماً أنه لم يكن لديه أي اهتمام بالطعام)، تراخت أشرعته الداخلية. على الأرجح لأنه مريض، لكن الوضع لا يزال مثل السابق إلى حد بعيد.

يبدو أنني أفقد كلماتي.

هذا كان ما قاله للوسي، وما قاله لآل ستامپر، لكنها لم تكن الحقيقة، بل فقط ما كان يمكنه إخبارهما إياه لكي يعتبرا أن ما حصل له هو رُهاب الكاتب، وهي حالةٌ سيخرج منها في نهاية المطاف، أو قد تتلاشى من تلقاء نفسها. لكن ما حصل في الواقع هو العكس تماماً، حيث

كان يأتيه عددٌ كبيرٌ من الكلمات. هل يكتب أيكةً أو بستاناً؟ مشرقةً أو ملتهِبةً؟ أو ربما صارخةً؟ هل عينا الشخصية غارقتان أو غائرتان؟

توقف عن العمل عند الساعة الواحدة بعد أن كتبَ صفحتين فقط، ولم يعد قادراً على تجاهل الشعور بأنه يعود إلى ذلك الرجل العصبي والعُصابي الذي كاد يحرق منزله بالكامل منذ ثلاث سنوات. يمكنه أن يُخبر نفسه أن يُقلع عن شغل باله بالأمور التافهة مثل كراسي هزّازة مقابل مقعد، وأن يدع القصة تسيِّره، لكن عندما نظَرَ إلى الشاشة، بدت له كل كلمة معروضة هناك خطأً، وشَعَر أن كل كلمة تُخفي وراءها كلمة أفضل منها.

هل يُعقَل أنه بدأ يُصاب بألزهايمر؟ هل يمكن أن يكون هذا هو السبب؟

"لا تكن مغفَّلاً"، قال وارتعب من الخنّة التي في صوته، وكذلك من المدى الذي بدا به صوته أجش، وشَعَر أنه سيفقد صوته كلياً قريباً جداً، ولو أنه لا يوجد أي شخص هنا ليتكلّم معه ما عدا نفسه.

عُد إلى منزلك أيها اللعين. لديك زوجة وولدان رائعان لتتكلّم معهم.

لكنه متيقّن أنه سيخسر الكتاب إن فعل ذلك، فبعد أربعة أو خمسة أيام من عودته إلى فالموث ومن تحسّن صحته، سيفتح مستندات بِتر ريڤر وسيبدو له النثر الذي يظهر أمامه كأن شخصاً آخر كتبه، كأنه قصة غريبة ليست لديه أي فكرة كيف يُنهيها. لذا فالمغادرة الآن ستكون أشبه برميه هديةً نفيسةً في سلة النفايات، هديةً قد لا يتلقاها مرة أخرى أبداً.

أراد أن يواجه المرض بشجاعة فتحوَّل إلى التهاب رئوي، قالت إبنة روي ديويت، وكان كلامها يحمل المعنى الضمني مجرد مغفَّل *لعين آخر*. وهل سيفعل الشيء نفسه؟

السيدة أو النمر. الكتاب أو حياتك. هل الخيار صارم وميلودرامي إلى هذا الحد حقاً؟ بالطبع لا، لكنه يبدو بكل تأكيد كأنه عشرة كيلوغرامات من البراز موضوعة في كيس يتّسع لخمسة كيلوغرامات، لا شكّ في ذلك.

قيلولة. أحتاج إلى قيلولة. وعندما أستيقظ، سأكون قادراً على أن أقرِّر.

لذا أخذ رشفةً أخرى من الإكسير العجيب للطبيب كينغ - أو مهما يكن اسم ذلك الدواء - وصعد الدرجات إلى غرفة النوم التي تشارَكها مع لوسي في الرحلات

الأخرى التي قام بها إلى هنا، ونام. عندما استيقَظ، وجد أن المطر والرياح وصلا وهكذا تم اتخاذ القرار عنه. عليه أن يتصل هاتفياً بينما لا يزال قادراً على فعل ذلك.

19

"مرحبا يا حبيبتي، هذا أنا. آسف أنني أغضبتُك. حقاً".

تجاهَلت ذلك بالكامل. "لا تبدو لي حساسيةً يا سيد، بل يبدو أنك مريض".

"إنها مجرد نزلة برد"، وتنحنح، أو حاوَل أن يفعل ذلك. "أظنها نزلة برد سيئة جداً".

التنحنُح حفَّز السعال، فغطّى سمّاعة الهاتف القديم الطراز، لكنه افترَض أنها سمِعته على أي حال. عصفت الرياح في الخارج، وخبطَ المطر على النوافذ، وارتعشت الأضواء.

"وماذا الآن؟ هل تختبئ فحسب؟".

"أعتقد أن عليّ فعل ذلك"، قال ثم أكمل بسرعة، "الكتاب ليس السبب، وكنتُ لأعود لو شعرتُ أن ذلك آمن، لكن العاصفة وصلت من قبل. لقد ارتعشت الأضواء للتو، وستنقطع الطاقة والهاتف قبل حلول الظلام بكل

تأكيد. سأسكت هنا لكي تتمكني من أن تقولي لي *لقد قلتُ لك ذلك*".

"لقد قلتُ لك ذلك"، قالت. "والآن وقد انتهينا من هذه النقطة، ما مدى سوء حالتك؟".

"ليست سيئة جداً"، قال وكانت هذه كذبة أكبر بكثير من إخبارها أن طبق الأقمار الاصطناعية لا يعمل. يظنّ أن حالته سيئة جداً بالفعل، لكن إن قال لها ذلك، من الصعب عليه أن يتوقَّع كيف ستكون ردّة فعلها. هل ستتصل بشرطة پِرَسك آيل وتطلب عملية إنقاذ؟ فحتى في حالته الحالية، ستبدو ردّة الفعل هذه مبالغاً فيها، ناهيك عن مُحرِجة.

"أكره هذا يا درُو، وأكرهك لوجودك هناك ومقطوعاً عن العالم. هل أنت متأكد أنه لا يمكنك أن تقود سيارتك وتعود؟".

"ربما كنتُ سأقدر على ذلك سابقاً، لكنني تناولتُ دواءً لنزلات البرد قبل أن آخذ قيلولة وأطلتُ في النوم، والآن لا أتجرّأ على المخاطرة، فلا تزال هناك تربة مجروفة وبرابخ مسدودة من فصل الشتاء الماضي، ومطرٌ غزيرٌ مثل هذا ميّال إلى إغراق مسافات طويلة من الطريق تحت الماء. قد تنجح السوبربان في العبور، لكن إذا لم

تفعل ذلك، سأجد نفسي عالقاً على بُعد عشرة كيلومترات عن الكوخ وخمسة عشر كيلومتراً عن متجر 90 الكبير".

ساد صمتٌ من جانبها، وتخيَّل درُو أنه يمكنه سماع أفكارها: *أردتَ أن تواجه الوضع بشجاعة، أليس كذلك؟* مجرد مغفَّل لعين آخر. لأن *لقد قلتُ لك ذلك* تكون أحياناً غير كافية فحسب.

عصفت الرياح وارتعشت الأضواء مرة أخرى (أو ربما تلعثمت)، وأصدرَ الهاتف أزيزاً ثم هدأ.

"درُو؟ هل لا تزال معي؟".

"أنا هنا".

"أصدرَ الهاتف صوتاً مضحكاً".

"لقد سمِعتُه".

"هل لديك طعام؟".

"الكثير"، رغم أنه لا يشعر برغبة بالأكل.

تنهَّدت. "انتبه لنفسك إذاً، واتصل بي هذه الليلة إذا كان الهاتف لا يزال يعمل".

"سأفعل ذلك. وعندما يصفو الجو، سأعود إلى المنزل".

"ليس إذا كانت هناك أشجار ساقطة على الطريق. ليس قبل أن يقرِّر أحدهم أن يأتي ويفتح الطريق".

"سأفتحه بنفسي"، قال درُو. "منشار أبي الجنزيري موجود في حظيرة المعدّات، إلا إذا كان أحد المستأجِرين قد قرَّر أن يأخذه. صحيح أن أي وقود في خزّانه سيكون قد تبخَّر، لكن يمكنني أن أشفط بعضاً من السوبربان".

"إذا لم تزداد حالة مرضك سوءاً".

"لن -"

"سأُخبِر الولدين أنك بخير"، قالت وهي تكلِّم نفسها أكثر مما تكلّمه الآن. "لا فائدة من جعلهما يقلقان عليك أيضاً".

"هذا جيد -"

"هذا مُقرف يا درُو". تكره عندما يقاطعها، لكنها لا تجد أي سوء عندما تقاطعه هي. "أريدك أن تعرف ذلك. فعندما تضع نفسك في هكذا موقف، تكون قد وَضَعتنا فيه نحن أيضاً".

"آسف".

"هل لا يزال الكتاب يسير بشكل جيد؟ من الأفضل له أن يكون كذلك. من الأفضل له أن يستحق كل هذا القلق".

"يسير بشكل ممتاز". لم يعد متأكداً من ذلك، لكن ماذا يمكنه أن يُخبِرها غير ذلك؟ *الهُراء عاد من جديد يا لوسي، والآن أنا مريض أيضاً؟* هل سيخفِّف ذلك من وطأة قلقها عليه؟

"حسناً". تنهَّدت. "أنت أحمق، لكنني أحبّك".

"وأنا أحبّك، و -"، هدرت الرياح، وفجأة أصبح الضوء الوحيد في الكوخ هو النور الخافت والرطب الذي يدخل عبر النوافذ. "لقد انقطعت الأضواء للتو يا لوسي". بدا هادئاً، وهذا أمر جيد.

"ابحث في حظيرة المعدّات"، قالت. "قد يكون هناك فانوس كولمان -"

أصدرَ الهاتف أزيزاً آخر، ثم ساد صمت مُطبَق، فأعاد سمّاعة الهاتف القديم الطراز إلى مكانها. لقد أصبح لوحده.

أخذ سترة قديمة بالية عن إحدى الشمّاعات التي قرب الباب وشقّ طريقه بصعوبة نحو حظيرة المعدّات في بقايا الضوء الخافت، رافعاً ذراعه مرةً ليصدّ غصناً تطاير نحوه. ربما كان ذلك بسبب مرضه، لكنه شَعَر أن الرياح تهبّ باردة جداً، فبحَث بارتباك بين المفاتيح وراح ماء بارد يسيل على الجهة الخلفية لعنقه رغم أن ياقة السترة مرفوعة، واضطر أن يجرِّب ثلاثة مفاتيح قبل أن يجد المفتاح الصحيح لقفل الباب. واضطر أن يحرّكه يميناً ويساراً مرة أخرى لكي يجعله يدور، وحين حصل ذلك كان قد أصبح مبلّلاً بالكامل ويسعل.

بدت الحظيرة مظلمة ومليئة بالظلال حتى والباب مفتوح على مصراعيه، لكن كان هناك ما يكفي من ضوء ليرى منشار أبيه الجنزيري جالساً على طاولة في الجهة الخلفية. كما رأى منشارين آخرين أحدهما ذا مقبضين، وهذا جيد على الأرجح لأن المنشار الجنزيري بدا عديم الجدوى، فطلاؤه الأصفر محجوب تقريباً بشحم قديم، وسلسلته صدئة جداً، ولا يمكنه أن يتخيَّل نفسه قادراً على تجميع القوة اللازمة ليشدّ حبل التشغيل بعنف، على أي حال.

كانت لوسي محقّة بشأن فانوس كولمان الذي يعمل على الوقود، لكنه عثر في الواقع على فانوسين من ذلك الصنف على رفٍ على يسار الباب، إلى جانب عبوة وقود، لكن من الواضح أن أحدهما عديم الجدوى، فزجاجه محطَّم ومقبضه غير موجود، أما الآخر بدا سليماً، فرتيننته الحريرية موصولة بمنفث الوقود، وهذا جيد لأنه يشكّ أنه كان سيتمكّن من وصلها بيديه المرتعشتين بقوة. *كان عليّ أن أفكّر بهذا قبل الآن*، قال موبِّخاً نفسه. *وبالطبع كان عليّ أن أعود إلى المنزل قبل الآن، عندما كنتُ لا أزال قادراً على ذلك.*

عندما قلبَ درُو عبوة الوقود في ضوء بعد الظهر الباهت، رأى خط أبيه المائل على شريط لاصق: *استخدم هذا وليس الوقود الخالي من الرصاص!* رجَّ العبوة ووجدها نصف ممتلئة. هذه ليست كمية ممتازة، لكنها تكفي على الأرجح لعاصفةٍ تدوم ثلاثة أيام إذا اقتصَد في استخدامه لها.

أخذ العبوة والفانوس غير المكسور إلى المنزل، وبدأ يضعهما على طاولة غرفة الطعام، ثم عدل عن رأيه لأن يديه ترتعشان ولا شكّ أنه سيسكب بعض الوقود على الأرض. لذا وَضَع الفانوس في المغسلة بدلاً من ذلك، ثم

خلع السترة المُبتَلة، لكن السعال عاد مرة أخرى قبل أن يبدأ بتعبئة الفانوس بالوقود، فارتمى على أحد كراسي غرفة الطعام، وراح يكحّ بشدّة إلى أن شَعَر أنه قد يُغمى عليه. كانت الرياح تعصف في الخارج، وارتطم شيءٌ بالسقف. بدا واضحاً من الصوت أنه غصن أكبر بكثير من ذلك الذي صدَّه عنه.

عندما توقف السعال، فَكَّ سدادة خزّان الفانوس وذهَب يبحث عن قِمع، وعندما لم يجد واحداً، مزَّق قطعةً من رقائق الألومنيوم وصنعَ قِمعاً بدائياً. أرادت سُحُب الدخان أن تسبِّب له موجة سعال جديدة، لكنه سيطر عليها إلى أن امتلأ الخزّان الصغير للفانوس. ثم أقفله عندها، وانحنى فوق المنضدة مُسنِداً جبهته الملتهبة على ذراعه، وراح يكحّ ويلهث ليلتقط أنفاسه.

مرَّت النوبة في نهاية المطاف، لكن الحمى كانت أسوأ من أي وقت مضى. *الأرجح أن التبلّل بالكامل لم يساعده*، فكّر في سرّه. وحالما ينجح في إشعال الفانوس - إذا نجح في ذلك - سيأخذ المزيد من الأسبرين، ويضيف عليها بعضاً من مسحوق الصُداع ورشفةً من قارورة الطبيب كينغ.

راح يضخّ المقبض الصغير الموجود على جانب الفانوس ليزيد الضغط، ثم فتح السدادة، وأشعل عود ثقاب، وأدخله في فجوة الإشعال. مرّت لحظة لم يحصل فيها شيء، لكن الرتينة أضاءت بعد ذلك، وبدا الضوء ساطعاً ومركَّزاً جداً لدرجة أنه جفل. أخذ الفانوس إلى الخزانة الوحيدة التي في الكوخ وراح يبحث عن مشعل كهربائي، فوجَد بعض الملابس هي عبارة عن سترات برتقالية لموسم الصيد، وحذاء قديم للتزلّج على الجليد (بالكاد تذكّر تزلّجه على الغدير مع أخيه في المرات القليلة التي جاءوا فيها إلى هنا في الشتاء)، كما عثر على قبعات وقفازات ومكنسة كهربائية قديمة ماركة إلكترولوكس بدت غير مفيدة مثل المنشار الجنزيري الصدئ في حظيرة المعدّات، لكنه لم يعثر على مشعل كهربائي.

ارتفع صوت الرياح إلى زعيق حول طُنُف السقف جعل رأسه يؤلمه، وراح المطر يطرق على النوافذ بعنف. استمرت بقايا ضوء النهار بالتلاشي، وشَعَر أن هذه الليلة ستكون طويلة جداً. صحيح أن بعثته إلى الحظيرة وكفاحه لإضاءة المصباح جعلا الوقت يمضي بسرعة، لكن بعد انتهائه من هذه الأعمال الروتينية الآن، أصبح

لديه الوقت ليشعر بالخوف، فهو عالق هنا بسبب كتاب بدأ ينهار (يمكنه أن يقرّ بذلك الآن) مثل بقية الكتب، وقد أصبح مريضاً، والظروف ملائمة لكي تزداد حالة مرضه سوءاً.

"يمكن أن أموت هنا"، قال بصوته الأجش الجديد. "هذا ممكن حقاً".

من الأفضل عدم التفكير بذلك، بل من الأفضل ملء موقد الحطب وإشعاله لأن الليل سيكون بارداً وطويلاً. *ستنخفض درجات الحرارة بشكل كبير عندما تصل هذه الجبهة الجوية*، أليس هذا ما قاله مهووس الطقس ذو اللحية الرثة؟ كما أن شابّة المتجر ذات المسمار في الشفة قالت الشيء نفسه.

ذكَّره هذا بالمعاوِن جيب الذي لم يكن أذكى ولد في المدرسة. حقاً؟ هل اعتقَد حقاً أن هذا سيفي بالغرض؟ إنه مجاز مستهجَن (هذا إذا *كان* مجازاً حتى)، وليس ضعيفاً فحسب بل ميتاً منذ البداية. شَعَر هو يملأ الموقد أن ذهنه المحموم فتح باباً سرياً وفكَّر في سرّه، *نزهة خالية من الشطائر*.

هذا أفضل.

كوب كله رغوة بلا أي شراب شعير.

هذا أفضل أكثر، بما أن القصة تدور في الغرب الأميركي.

أغبى من كيس مطارق. بنفس ذكاء صخرة. حادّ مثل بِلية -

"كفى"، قال لنفسه متوسِّلاً تقريباً. هذه هي المشكلة. الباب السري هو المشكلة، لأنه...

"ليس لديَّ أي سيطرة على الأمر"، قال بصوته الأجش، وفكَّر في سرّه، *مغفَّل مثل ضفدع مُصاب بتلفٍ في الدماغ*.

خبطَ درُو صدغه بكَعب يده، فلمع رأسه من الصُداع. أعاد الكرَّة مرتين أخريين، وعندما اكتفى من ذلك، حشا أوراقاً مجعَّدةً من مجلةٍ تحت مادةٍ ملتهبةٍ، وأشعل عود ثقاب على الجهة العليا للموقد، وأخذ يراقب ألسنة اللهب ترتفع.

نظَرَ إلى صفحات بِتر ريڤر المكدّسة بجانب الطابعة وهو لا يزال يُمسك عود الثقاب المشتعل، وفكَّر عما سيحصل إذا أشعلها، فقد تمكَّن من أن يحرق المنزل عندما أشعل *القرية على التلة*، وقد وصلت سيارات الإطفاء قبل أن تتمكَّن ألسنة اللهب من إحداث ضرر أكبر من مجرد حرق جدران مكتبه، لكن لن تأتي أي سيارات

إطفاء إلى هنا على طريق المرحاض، والعاصفة لن تُخمِد الحريق بعدما يستحكم بالكوخ، لأن الكوخ قديم وجاف. قديم كالتربة، جاف مثل وجه جَدّتك -

وصل اللهب الصادر عن عود الثقاب إلى أصابعه، فهزَّه درُو ورماه في الموقد الملتهِب، وأغلقَ بابه.

"هذا ليس كتاباً سيئاً ولن أموت هنا"، قال. "لن يحصل ذلك".

أطفأ الفانوس ليوفِّر الوقود، ثم جلس على الكرسي المجنَّح الذي كان يُمضي أمسياته عليه وهو يقرأ كتب جون د. ماكدونالد وإلمور ليونارد، لكن النور لم يكن كافياً للقراءة بعد إطفاء الفانوس، فالليل حلّ تقريباً، والضوء الوحيد في الكوخ هو تلك العين الحمراء المراوغة للنار التي يمكن رؤيتها عبر نافذة موقد الحطب. قرَّب درُو كرسيه إلى الموقد قليلاً ولفَّ ذراعيه حول نفسه ليوقف الارتعاشات. عليه أن يغيِّر قميصه وبنطلونه الرطبين فوراً إذا كان لا يريد أن يزداد مرضه سوءاً. كان لا يزال يفكِّر بهذا عندما غفا.

أيقظه صوت تشقّقٍ من الخارج، تبعه صوت تشقّقٍ ثانٍ بدا صاخباً أكثر، ثم صوت ارتطامٍ هزّ الأرض. لقد سقطت شجرة، ولا شكّ أنها ضخمة.

وجد أن النار في موقد الحطب انطفأت وتحوَّلت إلى كومة جمرات حمراء ساطعة. بالإضافة إلى صوت الرياح، يمكنه الآن سماع صوت خشخشة عند النوافذ، وفهِم أن الغرفة الكبيرة في الطابق السفلي للكوخ أصبحت دافئة جداً، في الوقت الحاضر على الأقل، لكن لا شكّ أن الحرارة في الخارج انخفضت (*بشكل كبير*) مثلما أشارت التوقعات، لأن المطر تحوَّل إلى مطر مُثلِج.

حاوَل درُو أن يتحقّق من الوقت، لكنه وجد مِعصَمه عارياً، وافترَض أنه ترك ساعته على الطاولة بجانب السرير، رغم أنه غير متأكد من ذلك. انتبه إلى أنه يمكنه أن يتحقَّق من الوقت والتاريخ على حاسوبه المحمول، لكن ما جدوى ذلك؟ فقد حلّ الليل في الغابات الشمالية، وهل يحتاج إلى أي معلومة أخرى؟

قرَّر أنه يحتاج إلى معرفة إن سقطت الشجرة على سيارته السوبربان الموثوقة وحطَّمتها كلياً أم لا. بالطبع *يحتاج* هي الكلمة الخطأ فهي تشير إلى شيء عليك معرفته وتحمل معنى ضمنياً أنك إن استطعتَ الحصول

عليه فقد تتمكَّن من تغيير الوضع الإجمالي نحو الأفضل، ولا شيء في هذا الوضع سيتغيَّر في الحالتين، وهل *الوضع* هي الكلمة الصحيحة أم هي كلمة عامة جداً؟ إنه *مأزق* أكثر مما هو وضع، و*المأزق* في هذا السياق لا يتطلّب حلاً بل -

"كفى"، قال. "هل تريد أن تدفع نفسك إلى حافة الجنون؟".

كان متأكداً تماماً أن جزءاً منه أراد حصول ذلك بالضبط، ففي مكان ما داخل رأسه، هناك ألواح تحكم يتطاير منها الدخان، وقواطع تيار تذوب، وعالِمٌ مجنونٌ يهزّ قبضتيه ابتهاجاً. يمكنه أن يُخبر نفسه أنها الحمى، لكنه كان في حالة ممتازة عندما ساءت *القرية*، وكذلك الأمر مع القصتين الأخريين، جسدياً، على الأقل.

نهض وجفل من الأوجاع التي بدا الآن أنها أصابت كل مفاصله، وذهَب إلى الباب محاولاً السير دون ترنّح، ووجد أن الرياح دفعته من مزلاجه وخبطته على الجدار، فأمسَكه بكل قوته وقد التصقت ملابسه بجسمه وتطاير شعره بعيداً عن جبهته. الليل حالك - حالك مثل حذاء الشيطان لركوب الخيل، حالك مثل قطة سوداء في منجم فحم، حالك مثل مؤخرة مرموط - لكنه

استطاع أن يلحظ طيف سيارته السوبربان و(ربما) أغصان شجرة تلوح فوقها في الجانب البعيد. ورغم أنه غير قادر على أن يجزم بذلك، إلا أنه يعتقد أن الشجرة رأفت بسيارته السوبربان وحطَّت على حظيرة المعدّات، ولا شكّ أنها سحقت السقف.

أغلق الباب مستعيناً بكتفه وأقفَل القفل رغم أنه لا يتوقع متطفّلين في هكذا ليلة عاصفة، لكنه لم يريده أن يُفتح بعد أن يأوي إلى السرير، وكان *سيأوي* إلى السرير. شقَّ طريقه إلى منضدة المطبخ في الضوء المتذبذب غير المأمون للجمرات وأضاء الفانوس فبدا الكوخ في وهجه سريالياً كأنه وقع أسير ضوء كاميرا لا ينطفئ بل يشعّ دون انقطاع. رفع الفانوس أمامه ومشى إلى الدرج، وسمِع في تلك اللحظة خَدشاً على الباب.

غصنٌ، أخبَر نفسه. *دفعته الرياح إلى هنا وعلِق بطريقة ما، ربما بممسحة الأحذية. هذا لا شيء. اذهب إلى سريرك.*

صدر الخَدش مرة أخرى، وكان خافتاً لدرجة أنه ما كان ليسمعه أبداً لو لم تقرِّر الرياح أن تهدأ خلال تلك اللحظات القليلة، ولم يبدُ صوت غصنٍ بل صوت شخصٍ، صوت يتيمٍ في العاصفة ضعيف جداً أو مُصاب

إصابة خطيرة بحيث لا يقدر أن يقرع الباب بل يخدشه فقط. لكن لا أحد في الخارج... أو ربما هناك أحدٌ؟ هل يمكنه أن يجزم بشأن ذلك؟ فالجو حالكٌ. حالكٌ مثل حذاء الشيطان لركوب الخيل.

ذهَب درُو إلى الباب، وفتح قفله، وفتحته، ثم رَفَع الفانوس لكنه لم ير أحداً. وبينما كان على وشك أن يعيد إغلاق الباب، أخفَض نظره ورأى جرذاً. إنه جرذ بني على الأرجح، ليس ضخماً لكنه كبير جداً، وكان ممدَّداً على ممسحة الأحذية الرثّة، وأحد كفوفه - زهري اللون، وبشري بشكل غريب مثل يد طفل - ممدود ولا يزال يخدش الهواء. كان فروه البنيّ الأسود مليئاً بنُتف أوراق أشجار وغُصَينات وبُقع دم، وعيناه السوداوان الناتئتان تنظران إليه. ارتفع جنبه، وأكملَ ذلك الكفّ الزهري يخدش الهواء، تماماً مثلما خَدَش الباب... بصوتٍ خافتٍ جداً.

لوسي تكره القوارض وتزعق ملء صوتها إن رأت ولو فأر حقل يهرول عند نعل الجدار، ولا فائدة من إخبارها أن الوحش الصغير الماكر مرتعبٌ بلا شكّ أكثر منها بكثير. درُو شخصياً لا يهتمّ للقوارض كثيراً، ويعلم أنها تنقل الأمراض - فيروس هانتا، حمى عضّة الجرذ،

وهذان المرضان هما الأكثر شيوعاً فحسب - لكنه لا يحمل أبداً بغض لوسي الغريزي تقريباً لها. وأغلب ما شَعَر به تجاه هذا الجرذ هو الشفقة، ربما بسبب ذلك الكفّ الزهري الصغير جداً الذي بقي يخدش الهواء، أو ربما بسبب انعكاس الضوء الأبيض للفانوس الذي رآه في عينيه الداكنتين وهو ممدَّد هناك يلهث وينظر إليه وقد غطى الدم فروه وشواربه. الأرجح أنه محطَّم من الداخل ويُحتضَر.

انحنى درُو واضعاً إحدى يديه على فخذه ومُخفِضاً الفانوس بالأخرى ليلقي نظرة أفضل. "كنتَ في حظيرة المعدّات، أليس كذلك؟".

لا شّك في ذلك، ثم سقطت الشجرة وحطَّمت السقف ودمَّرت المنزل السعيد للسيد جرذ. هل أصابه غصن شجرة أو قطعة من السقف بينما فرّ بحثاً عن الأمان؟ أو ربما دلو طلاء متجمِّد؟ هل وقع منشار أبي الجنزيري القديم العديم الجدوى عن الطاولة وسقط عليه؟ لا يهمّ، فمهما كان ذلك الشيء فقد هرسه وربما كسر له ظهره أيضاً، ولم يعد لديه إلا قليل من الوقود الكافي في خزّانه الصغيرة المهلهل لكي يزحف إلى هنا.

اشتدّت الرياح مرة أخرى ودفعت المطر المُثلِج نحو وجه درُو الحار، وارتطمت حُبيبات جليد بزجاج الفانوس فهسهسَت وذابت وسالت عليه. بقي الجرذ يلهث، وفكّر درُو في سرّه، *الجرذ على الممسحة يحتاج إلى مساعدة عاجلة*. ما عدا أن الجرذ الذي على الممسحة أصبح خارج نطاق المساعدة، وهذا أمر لا تحتاج إلى أن تكون عالِم ذرّة لكي تكتشفه.

ما عدا، بالطبع، أنه *قادر على* المساعدة.

سار درُو إلى المدفأة الميتة، وتوقف مرةً بسبب نوبة سعال، وانحنى فوق المنصة التي تحتوي على التشكيلة الصغيرة لأدوات المدفأة. فكّر بأن يستخدم قضيب تذكية النار، لكن فكرة طعن الجرذ به أجفلته، فأخذ مِجرفة الرماد بدلاً من ذلك. يجب أن تكون ضربة واحدة قوية منها كافية لتُخرجه من بؤسه، ثم يمكنه أن يستخدم المِجرفة ليرميه عن الشرفة. فإذا عاش حتى الصباح، لن يريد أن يبدأ نهاره بالدوس على جثة قارض ميت.

إليك شيئاً مثيراً للاهتمام، فكّر في سرّه. *عندما رأيتُه لأول مرة، تعاملتُ معه كأنه "شخص"، أما الآن وقد قرّرتُ قتله فقد أصبح "شيئاً"*.

كان الجرذ لا يزال على الممسحة، وقد بدأ المطر المُثلِج يتكدَّس على فروه، واستمر ذلك الكفّ الزهري (البشري جداً، البشري جداً) يخدش الهواء، رغم أنه أخذ يتباطأ الآن.

"سأريحك من عذابك"، قال درُو ورفع المِجرفة... وأبقاها عند مستوى كتفه استعداداً للضربة... ثم أخفضها. لماذا؟ هل بسبب الكفّ الذي يتلمَّس طريقه ببطء؟ أم بسبب العينين السوداوين الصغيرتين؟

لقد حطَّمت شجرةٌ منزل الجرذ وسحقته (*عاد إلى اعتباره شخصاً*)، وقد تمكَّن بطريقة ما من أن يجرّ نفسه إلى الكوخ، وهذا تطلَّب منه جهداً هائلاً، وهذه ستكون مكافأته؟ سحْقٌ آخر، سحْقٌ نهائيّ هذه المرة؟ درُو نفسه كان يشعر بالانسحاق هذه الأيام، وسواء كان هذا الموقف سخيفاً أم لا (كان سخيفاً على الأرجح)، فقد شَعَر ببعض التعاطف تجاه الجرذ.

في غضون ذلك، كانت الرياح تُثلِجه والمطر المُثلِج يصفع وجهه، وراح يرتعش من جديد. عليه أن يُغلق الباب لكنه لن يترك الجرذ يموت ببطء في هذه الظلمة، وعلى ممسحة أحذية لعينة.

وَضَع درُو الفانوس أرضاً، واستخدَم المِجرفة ليرفع الجرذ عن ممسحة الأرجل، وذهَب إلى الموقد وأمالَ المِجرفة لكي ينزلق الجرذ إلى الأرض وكفّه الزهري لا يزال يخدش الهواء. ثم وَضَع درُو يديه على رُكبتيه وسعَلَ سعالاً حادّاً إلى أن شَعَر أنه سيتقيأ وتراقصت بُقع أمام عينيه. عندما مرّت النوبة، أعاد الفانوس إلى كرسي قراءته وجلس.

"هيا مُت الآن"، قال. "على الأقل أصبحت بعيداً عن البرد ويمكنك أن تموت في مكان دافئ".

أطفأ الفانوس، ولم يعد هناك غير التوهُّج الأحمر الباهت للجمرات المُحتضَرة، وذكّرته طريقة تمايل نورها بالطريقة التي خَدَش بها ذاك الكفّ الزهري الصغير... وخَدَش... وخَدَش. ورأى أنه لا يزال يفعل ذلك.

يجب أن أغذّي النار قبل أن أنام، فكّر في سرّه، *فإن لم أفعل ذلك، سيصبح هذا المكان بارداً مثل قبر غرانت عند الصباح*.

لكن السعال الذي هَمَد مؤقتاً سيعاوده بلا شكّ إن نهض وبدأ تحريك البلغم في جسده. وكان مُتعَباً أيضاً.

كما أنك وَضَعت الجرذ على مسافة قريبة جداً من الموقد، وأعتقد أنك أدخلته لكي يموت ميتةً طبيعيةً

وليس لكي تشويه حيّاً، أليس كذلك؟ غذِّ النار في الصباح.

راحت الرياح تدندن برتابة حول الكوخ، وصوتها يرتفع من وقت لآخر إلى زعيق أنثوي، ثم يهمد إلى تلك الدندنة الرتيبة مرة أخرى، واستمرّ المطر المُثلِج يلطم النوافذ. شَعَر وهو يستمع إلى تلك الأصوات كأنها تندمج ببعضها، فأغمض عينيه ثم فتحتهما من جديد. هل مات الجرذ؟ اعتقَد ذلك في البدء، لكن ذلك الكفّ الصغير قام عندها بحركة بطيئة أخرى. إذاً لم يمت بعد.

أغمض درُو عينيه.

ونام.

22

استيقظ جافلاً عندما ارتطم غصن آخر بالسقف، ولم تكن لديه أي فكرة كم مرّ من وقت على نومه. يمكن أن يكون خمس عشرة دقيقة، ويمكن أن يكون ساعتين، لكنه متأكد من شيء واحد: لا يوجد جرذٌ أمام الموقد. يبدو أن السيد جرذ لم يكن مُصاباً إصابة خطيرة مثلما اعتقَد درُو، وقد استعاد وعيه وهو الآن معه في مكان

ما في الكوخ. لم يكترث كثيراً لهذه الفكرة، لكن الذنب ذنبه، فهو الذي دعاه إلى الداخل في النهاية.

عليك أن تدعوهم إلى الداخل، فكّر درُو في سرّه، *مصّاصي الدماء، الذئاب، الشيطان في حذائه الأسود لركوب الخيل. عليك أن تدعو -*

"درُو".

جفل بشدّة من ذلك الصوت لدرجة أنه كاد يركل الفانوس، وراح ينظر حوله ورأى الجرذ في ضوء النار المُحتضَرة في الموقد. كان على مكتب أبيه تحت الدرج، جالساً على كفَّيه الخلفيين بين الحاسوب المحمول والطابعة المحمولة. كان جالساً في الواقع على مخطوطة بِتر ريڤر.

حاوَل درُو أن يتكلّم، لكنه لم يستطع أن يُصدر أكثر من نقيق في البدء. فتنحنح - وهذا مؤلم - وحاوَل مرة أخرى. "اعتقَدتُ أنك قلت شيئاً للتو".

"صح". لم يتحرّك فم الجرذ، لكن الصوت قادم منه فعلاً، ولم يكن في ذهن درُو.

"هذا حلم"، قال درُو، "أو هذيان. وربما الاثنان معاً".

"لا، هذا حقيقي بما فيه الكفاية"، قال الجرذ. "أنت مستيقظ ولا تهذي. والحمى تزول منك. تحقّق بنفسك".

وَضَع درُو يده على جبهته وشَعَر أنها باردة أكثر، لكن هذا ليس عاملاً جديراً بالثقة كثيراً، أليس كذلك؟ فهو يتحدّث مع جرذٍ في النهاية. راح يبحث عن عيدان الثقاب التي تركها في جيبه، وأشعل واحداً وأضاء الفانوس، ورفعه متوقعاً أن يرى الجرذ قد اختفى، لكنه لا يزال هناك، جالساً على كفّيه الخلفيين وقد لفَّ ذيله حول وركَيه ووضع يديه الزهريتين الغريبتين على صدره.

"إذا كنتَ حقيقياً، انزل عن مخطوطتي"، قال درُو. "فقد بذلتُ جهداً كبيراً عليها لكي تخلِّف بعضاً من برازك على صفحة العنوان".

"لقد بذلتَ جهداً كبيراً فعلاً"، وافَقه الجرذ الرأي (لكن دون أن يُظهِر أي نيّة بتغيير مكانه)، وحكَّ خلف إحدى أذنيه، وقد بدا بكامل نشاطه الآن.

مهما يكن الشيء الذي سقط عليه فلا شكَّ أنه أفقده وعيه فقط، فكَّر درُو في سرّه. *هذا إن كان هنا فعلاً. إن كان هنا من الأصل.*

"لقد بذلتَ جهداً كبيراً وكنتَ تعمل بشكل جيد في البداية. كنتَ على الطريق السليم وتسير بكل سرعة وحيوية، ثم بدأت الأمور تسوء، أليس كذلك؟ مثلما حصل مع القصص الأخرى بالضبط. لا تحزن، فكل الروائيين الطامحين في كل أنحاء العالم يصطدمون بنفس الجدار. هل تعرف عدد الروايات نصف المُنجَزة المرمية في جوارير المكاتب أو خزائن الملفات؟ *ملايين*".

"المرض أثَّر عليَّ".

"تذكَّر بأمانة. بدأ الأمر يحصل قبل ذلك حتى".

لم يرغب درُو أن يتذكَّر.

"أنت تفقد إدراكك الانتقائي"، قال الجرذ. "وهذا يحصل لك كل مرة. عند تأليف روايات، على الأقل. ولا يحصل حالاً، لكن عندما ينمو الكتاب ويبدأ يتنفس، يزداد عدد الخيارات التي لديك ويتآكل إدراكك الانتقائي".

وقف الجرذ على قوائمه الأربعة، ثم خَبَّ إلى حافة مكتب الأب، واستوى جالساً مرة أخرى مثل كلب يتوسّل شيئاً لذيذاً.

"للكتّاب عادات وطرق مختلفة لدخول حالة المزاج الجيد، ويعملون بسرعات مختلفة، لكن لإنتاج عمل طويل، يجب أن تكون هناك دائماً فترات طويلة من السرد المركَّز".

لقد سمِعتُ هذا من قبل، فكَّر درُو في سرّه. *وحرفياً تقريباً، لكن أين؟*

"وفي كل لحظة خلال فترات السرد المركَّز تلك - *شطحات الخيال* تلك - يواجه الكاتب سبعة خيارات على الأقل لكل كلمة وتعبير وتفصيل. يختار الكتّاب الموهوبون الخيارات الصحيحة بشكل تلقائي تقريباً، ويمكن تشبيههم بلاعبي كرة قدم محترفين يسجّلون أهدافاً من كل أرجاء الملعب".

أين؟ مَن؟

"وتستمر عملية غربلة متواصلة يستند عليها ما نسمّيه التأليف الإبدا -"

"فرانزن!"، صاح درُو واستوى جالساً مما جعل رأسه يلمع من الألم. "هذا كان جزءاً من محاضرة فرانزن! حرفياً تقريباً!".

تجاهَل الجرذ هذه المقاطعة. "أنت قادر على عملية الغربلة تلك، لكن على دُفعات قصيرة فقط. وعندما

تحاول أن تؤلّف روايةً - وهذا يشبه الفرق بين سباق قصير سريع وبين سباق ماراثون - تنهار لديك تلك العملية دائماً. صحيح أنك ترى كل خيارات التعابير والتفاصيل، لكن الغربلة المطلوبة لها تبدأ بخذلك. أنتَ لا تفقد الكلمات، بل تفقد القدرة على اختيار *الصحيح* منها. فكل الكلمات تبدو لك جيدة، وكلها تبدو سيئة، وهذا أمر مؤسف جداً. أنت أشبه بسيارة ذات محرِّك قوي لكن جهاز نقل الحركة فيها معطَّل".

أغمض درُو عينيه بقوة كافية ليجعل بُقعاً تشعّ أمام ناظريه، ثم فتحهما بسرعة ورأى أن يتيم العاصفة لا يزال هناك.

"يمكنني مساعدتك"، أعلن الجرذ. "طبعاً إذا كنتَ تريدني أن أساعدك".

"ولماذا ستفعل ذلك؟".

أمالَ الجرذ رأسه كما لو أنه لا يستطيع أن يصدّق أن رجلاً يُفترض به أن يكون ذكياً - أستاذ أدب إنكليزي في الكلّية نُشرت مؤلفاته في النيويوركر! - يمكن أن يكون بهذا الغباء. "كنتَ ستقتلني بمِجرفة، ولما لا؟ فأنا مجرد جرذ حقير في النهاية. لكنك أويتني بدلاً من ذلك، وأنقذتني".

"لذا كمكافأة لي ستحقّق لي ثلاث أمنيات"، قال درُو مبتسماً، فهذا موضوع مألوف: هانس كريستيان أندرسن، ماري-كاثرين دولنوْي، الأخوان غْريم.

"أمنية واحدة فقط"، قال الجرذ. "وأمنية محدَّدة جداً. يمكنك أن تتمنّى إنهاء كتابك"، ورَفَع ذيله وخبطه على مخطوطة بِتر ريڤر للتشديد على كلامه. "لكن هناك شرط واحد".

"وما هو؟".

"على شخصٍ يهمّك أمره أن يموت".

موضوع مألوف أكثر. تبيَّن له أن هذا حلمٌ يستذكر فيه جداله مع لوسي الذي شرَح لها خلاله (ليس بشكل جيد جداً، لكنه بَذَل جهداً كبيراً) أنه *يحتاج* إلى تأليف الكتاب، وأن المسألة مهمة جداً له. وقد سألته إن كانت المسألة بنفس أهميتها والولدين، فأجابها لا، بالطبع لا، ثم سألها إن كان يجب أن تكون المسألة اختياراً بين أمرين.

أعتقد أنها مسألة اختيار، قالت، *وقد اخترتَ للتو*.

"المسألة ليست في الواقع أمنية عجيبة أبداً"، قال. "بل صفقة تجارية... أو صفقة فاوستية، وهي بالتأكيد لا تشبه أي قصة خرافية قرأتها في طفولتك".

حكّ الجرذ خلف أذنه، وتمكّن بطريقة ما من الحفاظ على توازنه بينما فعل ذلك. أمر جدير بالإعجاب. "كل الأمنيات في القصص الخرافية لها ثمن. ثم هناك 'كفّ القرد'. هل تتذكّر تلك القصة؟".

"حتى ولو في الأحلام"، قال درُو، "لن أقايض زوجتي أو أحد ولديَّ برواية خالية من أي طموح أدبي".

أدرَك والكلمات تخرج من فمه أن هذا هو السبب الذي جعله يتمسَّك بفكرة بِتر ريقر بلا تردد؛ أن روايته من الغرب الأميركي التي تسيِّرها حبكةٌ لن تُكدَّس أبداً بجانب روايات أتْوود أو شايبون، ناهيك عن روايات فرانزن.

"لن أطلب منك ذلك أبداً"، قال الجرذ. "في الواقع، كنتُ أفكِّر بمدير قسمك القديم آل ستامپر".

هذا أصمَتَ درُو وجعله ينظر إلى الجرذ فحسب، الذي بادله النظر بتلك العينين السوداوين الصغيرتين. بقيت الرياح تعصف حول الكوخ، وبقوة كافية أحياناً لتهزّ جدرانه، وبقي المطر المـُثلِج يطرق على النوافذ.

البنكرياس، قال آل عندما علّق درُو على الخسارة الصادمة في وزنه. ثم أضاف، لكن لا داعي لكي يبدأ أي

شخص بصياغة نعي لي بعد، *فقد اكتشفه الأطباء باكراً نسبياً، والآمال كبيرة.*

لكن النظر إليه - بشرة شاحبة، عينان غائرتان، شعر باهت - لم يجعل درُو يشعر بأي ثقة على الإطلاق. الكلمة الرئيسية في ما قاله آل كانت *نسبياً*، لأن سرطان البنكرياس خبيث ويختبئ جيداً، وأي تشخيص يكون حُكماً بالموت تقريباً دائماً. وإذا ماتَ؟ سيُقام عزاءٌ بالطبع، وستكون نادين ستامپر أول المشيِّعين - فهما متزوجان منذ حوالي خمس وأربعين سنة - وسيضع أعضاء قسم الأدب الإنكليزي طوقاً أسود حول أذرعتهم لحوالي شهر، وسيكون النعي طويلاً ليعدِّد إنجازات آل وجوائزه العديدة، وستُذكَر كتبه عن ديكنز وهاردي. لكنه في الثانية والسبعين على الأقل، وربما حتى في الرابعة والسبعين، ولن يقول أحدٌ أنه مات يافعاً أو دون أن يحقّق حلمه.

كان الجرذ ينظر إليه طوال ذلك الوقت وقد لفَّ كفَّيه الزهريين على صدره المكسو بالفراء.

تباً، فكَّر درُو في سرّه، *إنه مجرد سؤال فرضي، وسؤال داخل حلمٍ أيضاً.*

"أظن أنني سأقبل الاتفاق وأتمنى الأمنية"، قال درُو. لكن سواء كان هذا حلماً أم لا، وسواء كان سؤالاً فرضياً أم لا، فقد شَعَر بالانزعاج وهو يقول، "إنه يموت، على أي حال".

"أنهِ كتابك وسيموت ستامپر"، قال الجرذ كما لو أنه يريد أن يتأكد أن درُو فهِم الاتفاق.

ألقى درُو نظرةً جانبيةً ماكرةً نحو الجرذ. "هل سيُنشَر الكتاب؟".

"أنا مخوَّل بمنح الأمنية"، قال الجرذ، "لكنني *لستُ* مخوَّلاً أن أتوقَّع مستقبل مغامرتك الأدبية. وإن كنتُ سأتكهّن...، وأمالَ الجرذ رأسه، "أظن أنه سيُنشَر. فمثلما قلتُ، *أنتَ* موهوب".

"حسناً"، قال درُو. "أُنهي الكتاب ويموت آل. وبما أنه سيموت على أي حال فإن هذا يبدو جيداً بالنسبة لي". ما عدا أنه لم يبدُ له جيداً، ليس حقاً. "هل تعتقد أنه سيعيش طويلاً كفاية ليقرأه، على الأقل؟".

"لقد قلتُ لك للتو -"

رَفَع درُو يده. "لستَ مخوّلاً أن تتوقَّع مستقبل مغامرتي الأدبية، صح. هل انتهينا هنا؟".

"هناك شيء آخر أحتاج إليه".

"إذا كان توقيعي بالدم على عقدٍ، يمكنك نسيان الاتفاق بأكمله".

"ليس كل شيء يتعلق بك يا سيد"، قال الجرذ. "أنا جائع"، وقفَز إلى كرسي المكتب، ثم من الكرسي إلى الأرض، وأسرَع إلى طاولة المطبخ وأخذ رقاقة بسكويت هشّ لا شكّ أن درُو أسقطها يوم أعدَّ الجبن المشوي وحساء الطماطم. استوى الجرذ جالساً ممسكاً رقاقة البسكويت الهشّ بكفَّيه، وبدأ عمله، واختفت الرقاقة في ثوانٍ.

"سرّني التحدّث معك"، قال الجرذ واختفى بسرعة اختفاء رقاقة البسكويت الهشّ تقريباً، حيث اندفع على الأرض بلمح البصر وإلى المدفأة الصامتة.

"تباً"، قال درُو.

أغمض عينيه ثم فتحهما بسرعة ولم يشعر أنه حلمٌ، فأعاد إغماضهما وفتحتهما مرة أخرى. عندما أغمضهما للمرة الثالثة، بقيتا مغمضتين.

استيقظ على سريره دون أن يتذكَّر كيف وصل إليه... أو ربما كان عليه طوال الليل؟ هذا هو المرجَّح، إذا ما أخذ بعين الاعتبار كم كانت حالته سيئة بفضل روي ديوبت ومنديله المُخاطيّ. وبدا له اليوم السابق بأكمله مجرد حلم، وحديثه مع الجرذ هو فقط أوضح جزء فيه.

لا تزال الرياح تعصف بقوة ولا يزال المطر مُثلِجاً، لكنه شَعَر بتحسّن. لا شكّ أن الحمى إما تزول أو زالت كلياً. لا تزال مفاصله تؤلِمه ولا تزال حنجرته متقرّحة، لكن حالة كليهما لم تعد سيئة مثلما كانت ليلة أمس عندما أصبح جزءٌ منه مقتنعاً أنه سيموت هنا. *لقد تُوفِّي من التهاب رئوي على طريق المرحاض* - يا له من نعي رهيب.

رأى أنه لا يرتدي شيئاً غير سرواله الداخلي، وأن بقية ملابسه مكوَّمة على الأرض، لكنه لا يتذكَّر خلعه لها أيضاً. لذا أعاد ارتداءها ونزل إلى الطابق السفلي. خفقَ أربع بيضات وأكلها كلها هذه المرة، مطارداً كل لقمة برشفةٍ من عصير البرتقال. كان عصيراً مركّزاً، فهذا هو المتوفر في متجر 90 الكبير، لكنه كان بارداً ولذيذاً.

نظر عبر الغرفة إلى مكتب أبيه وفكَّر بمحاولة العمل، وربما يبدِّل من حاسوبه المحمول إلى الآلة الكاتبة ليوفِّر بطارية الحاسوب، لكن بعد أن وضع أطباقه في المغسلة،

صعد الدرجات بتثاقل وعاد إلى السرير حيث نام حتى منتصف بعد الظهر.

وجد أن العاصفة لا تزال قوية عندما نهض للمرة الثانية، لكنه لم يكترث لذلك فقد عاد يشعر أنه على طبيعته تقريباً. أراد شطيرةً - هناك نقانق وجبنة - ثم أراد أن يعمل، فالمأمور أڤيريل على وشك أن يخدع البلطجيين المدجَّجين بالأسلحة بحيلته الكبيرة، ولا يَسَع درُو أن ينتظر مواصلة الكتابة وقد أصبح يشعر بالراحة والنشاط الآن.

عند بلوغه منتصف الدرج أثناء نزوله إلى الطابق السفلي، لاحَظ أن صندوق الألعاب قرب المدفأة مُلقى على جانبه والألعاب التي كانت داخله مرمية على السجادة. قال درُو لنفسه إنه ركله بلا شكٍّ أثناء سيره نصف نائم إلى السرير ليلة أمس، لذا ذهب إليه وركَع بقصد أن يعيد الألعاب إلى الصندوق قبل أن يبدأ عمله. كان يُمسك صحن الفريسبي بيدٍ ودمية أرمسترونغ المتمدِّد القديمة باليد الأخرى عندما جمَد، فبالقرب من دمية باربي العارية الصدر هناك جرذ محشو مُلقى على جنبه.

شَعَر درُو بنبضاته تطرق رأسه بينما رَفَعه، لذا فهو على الأرجح لم يتعافَ كلياً في النهاية. ضغط الجرذ بحذر فأصدر صفرةً مُتعَبةً. آه، إنه مجرد لعبة، لكنه مقزّز نوعاً ما. مَن يعطي إبنه جرذاً محشواً لينام معه في حين أن هناك دبدوباً جيداً تماماً (صحيح أن له عيناً واحدةً، لكن وإن يكن) في نفس الصندوق؟

للناس فيما يعشقون مذاهب، فكّر في سرّه، وأنهى حكمة أمه القديمة بصوتٍ عالٍ: "قالت الخادمة العجوزة وهي تقبّل البقرة".

ربما رأى الجرذ المحشو في ذروة الحمى وهذا ما سبَّب ذلك الحلم. هذا هو المرجّح، بل هذا هو المؤكَّد. ولا يهمّ أنه لا يتذكَّر أنه بحث وصولاً إلى قعر صندوق الألعاب؛ تباً، فهو لا يتذكَّر حتى أنه خلع ملابسه وأوى إلى السرير.

أعاد تكويم الألعاب في الصندوق، وأعدَّ كوب شاي لنفسه، وبدأ يعمل. بقي مرتاباً في البدء، متردّداً، خائفاً قليلاً، لكن بعد بضع عثرات أولية، سيطر على الوضع وبقي يكتب إلى أن أصبح الجو مظلماً جداً لكي يرى من دون استخدام الفانوس. تسع صفحات، وشَعَر أنها جيدة.

جيدة جداً.

24

لم تكن عاصفةً لثلاثة أيام، بل دامت بيار أربعة أيام في الواقع كانت تخفّ خلالها حدّة الرياح والأمطار أحياناً ثم تعاود الاشتداد من جديد. كما كانت تسقط شجرةٌ بين الحين والآخر، لكن كلها لم تكن قريبة مثل تلك التي حطّمت الحظيرة، وذلك الجزء لم يكن حلماً فقد رآه بأمّ العين. ورغم أن الشجرة - شجرة صنوبر قديمة ضخمة - رأفت بسيارته السوبربان إلى حد كبير، إلا أنها سقطت على مسافة قريبة بما فيه الكفاية لكي تحطّم المرآة من جهة الراكب.

بالكاد لاحَظ درُو تلك الأشياء، فقد كان يؤلّف، ويأكل، وينام بعد الظهر، ثم يعاود التأليف. ويُصاب بنوبة عطش بين الحين والآخر، ويفكّر بلوسي والولدين بين الحين والآخر، وينتظر بقلق وصول أي خبر منهم، لكنه لم يكن يفكّر بهم في أغلب الأحيان. يعرف أن هذا التصرّف أناني لكنه لا يكترث، فهو يعيش في بِتر ريقر الآن.

كان يضطر إلى التوقف عن العمل بين الحين والآخر لكي تأتيه الكلمة الصحيحة (مثل الرسائل التي تعوم إلى

نافذة الكُرة 8 العجيبة التي كان يلعب بها في صغره)، ويضطر إلى النهوض بين الحين والآخر ليسير في الغرفة بينما يحاول التفكير بكيفية الانتقال من مشهد إلى آخر بشكل سلس، لكن دون أن يُصاب بأي ذعر، بأي إحباط. يعرف أن الكلمات ستأتي، وكانت تأتيه حقاً. كان يسدّد الكرة من كل أرجاء الملعب، ويسدّدها حتى من وسط المدينة. إنه يؤلّف مستخدماً آلة أبيه الكاتبة القديمة الآن، ويواصل ضغط المفاتيح بسرعة إلى أن تؤلمه أصابعه. لم يكترث لذلك أيضاً، فقد حملَ هذا الكتاب، هذه الفكرة التي خطرت بباله من العدم أثناء وقوفه على ناصية الشارع، والآن الكتاب هو الذي يحمله.

يا لها من نزهة رائعة.

25

جلسوا في القبو الشديد الرطوبة، جيم أڤيريل على جهةٍ وآندي بريسكوت على الأخرى، ولم يكن هناك ضوء غير نور فانوس الكاز الذي عثر عليه المأمور في الطابق العلوي. في الضوء البرتقالي المحمرّ للفانوس، بالكاد بدا الولد في الرابعة عشرة من عمره، وبالطبع لم يبدُ مثل ذلك اليافع الصارم نصف الثمل ونصف المجنون الذي فجّر رأس تلك الفتاة. شَعَر أڤيريل أن الشر شيءٌ غريبٌ جداً، شيءٌ غريبٌ وخبيثٌ، ويجد طريقه إلى ذهن المرء

مثلما يجد الجرذ طريقه إلى داخل المنزل فيأكل أي شيء كنتَ غبياً أو كسولاً جداً لتخبّئه، وعندما ينتهي من الأكل، يختفي وبطنه ممتلئ. وماذا بقي عندما غادر الجرذ القاتل ذهن پريسكوت؟ هذا. مجرد فتى خائف قال إنه لا يتذكَّر ماذا فعل، وأڤيريل يصدِّقه. لكنه سيُشنَق لفعلته تلك في جميع الأحوال.

"كم الساعة الآن؟"، سأل پريسكوت.

استشار أڤيريل ساعة جيبه وقال، "أوشكت أن تصبح السادسة. مرَّت خمس دقائق فقط من آخر مرة سألتني فيها".

"والعربة عند الثامنة؟".

"نعم. عندما تصبح على بُعد كيلومترين تقريباً من البلدة، سيقوم أحد معاوِنيّ

توقَف درُو وراح يحدِّق بالصفحة الموجودة في الآلة الكاتبة فقد أصابها شعاع شمس. نهض وذهَب إلى النافذة ووجد بعض السماء زرقاء هناك. ما يكفي فقط لصنع رداء سروالي، حسبما كان أبوه ليقول، لكن البقعة تنمو. كما سمِع شيئاً خافتاً لكن جليّاً: هدير منشار جنزيري.

ارتدى السترة البالية وخرجَ، ووجد أن الصوت لا يزال بعيداً قليلاً، فاجتاز الفناء الذي كان مليئاً بالأغصان إلى أطلال حظيرة المعدّات، ورأى منشار أبيه اليدوي تحت جزء من جدار ساقط، وتمكّن من إخراجه من هناك. كان منشاراً بمقبضين، لكنه سيتمكن من استخدامه طالما أن

أي شجرة ساقطة تظهر أمامه لم تكن سميكة جداً. *وخذ الأمور ببساطة*، أخبَر نفسه، *إلا إذا كنت تريد أن تنتكس صحتك*.

فكَّر للحظةٍ بمجرد العودة إلى الداخل واستئناف عمله بدلاً من محاولة أن يلتقي أياً يكن على الطريق هناك يشقّ مساراً عبر مخلّفات العاصفة، وهو كان ليفعل ذلك بالضبط قبل يوم أو يومين، لكن الأوضاع تغيَّرت. تراءت له صورةٌ في ذهنه (أصبحت تتراءى له صور طوال الوقت الآن)، صورةٌ جعلته يبتسم: مُراهِن يخسر باستمرار ويشتم موزِّع ورق اللعب ليُسرِع ويوزِّع تلك الأوراق اللعينة. لحسن حظه أنه لم يعد ذلك الرجل بعد الآن، وسيكون الكتاب بانتظاره عندما يعود. سواء استأنَف تأليفه هنا في الغابة أو عاد إلى فالموث، سيكون بانتظاره.

رمى المنشار في الصندوق الخلفي للسوبربان وبدأ يقود ببطء على طريق المرحاض، متوقفاً بين الحين والآخر ليُبعِد غصناً سقط أرضاً قبل أن يتابع طريقه. اجتاز حوالي كيلومترين قبل أن يصل إلى أول شجرة سقطت على الطريق، لكنها شجرة بتولا، واستطاع أن ينتهي منها بسرعة.

أصبح هدير المنشار الجنزيري صاخباً جداً الآن، وكلما توقَّف، يسمع درُو صوت محرِّك كبير كلما اقترب منقِذه منه، ثم يبدأ المنشار عمله من جديد. كان درُو يحاول أن يشقّ طريقه عبر شجرة كبيرة جداً والحظ لا يحالفه في ذلك عندما ظهر جيب شيفروليه رُباعي الدفع مخصَّص للعمل في الغابات عند المنعطف التالي.

توقف السائق وخرَج، وبدا رجلاً ضخماً ذا بطن أضخم حتى، وكان يرتدي رداءً سروالياً أخضر ومعطفاً تمويهياً أخضر وبنيّاً يرفرف حول رُكبتَيه، والمنشار الجنزيري الذي يحمله من الحجم الصناعي، لكنه بدا أشبه بلعبة في يده المكسوة بقفّاز. عرَفه درُو حالاً، فالشبه واضح جداً، وكذلك عطر أولد سبايس الذي امتزج بروائح نشارة الخشب وبنزين المنشار الجنزيري. "مرحباً! لا شكّ أنك إبن العجوز بيل".

ابتسم الرجل الضخم. "نعم. ولا شكّ أنك إبن بازي لارسون".

"هذا صحيح". لم يُدرك درُو كم كان بحاجة ليرى إنساناً آخر قبل هذه اللحظة، وبدا ذلك أشبه بعدم إدراكك مدى عطشك إلى أن يقدِّم لك أحدهم كوب ماء بارد. مدَّ درُو يده وتصافحا فوق الشجرة الساقطة.

"إسمك جوني، صح؟ جوني كولسون".

"ليس تماماً. إسمي جاكي. تراجَعْ إلى الخلف ودعني أقصّ لك هذه الشجرة يا سيد لارسون. ستحتاج إلى اليوم كله بهذا المنشار اليدوي الذي معك".

وَقَف درُو جانباً وراقَب جاكي يشغِّل منشاره الجنزيري ويمرِّره عبر الشجرة، مخلِّفاً كومةً أنيقةً من نشارة الخشب على الطريق المكسو بالأوراق والأغصان. ثم تعاونا لإبعاد النصف الأصغر من الشجرة نحو الخندق.

"كيف حال باقي الطريق؟"، سأل درُو وهو يلهث قليلاً.

"ليس فظيعاً، لكن التربة مجروفة بشكل سيئ في أحد الأماكن"، ثم حوَلَ عيناً على السوبربان ليقيِّم حالها بعينه الأخرى. "قد تمكّنك هذه من العبور فهي عالية جداً عن الأرض، لكن إذا لم تتمكَّن من العبور، يمكنني أن أقطرك، رغم أن ذلك قد يسبّب انبعاجاً في نظام العادم لديك".

"كيف عرفت لكي تأتي إلى هنا؟".

"زوجتك محتفظة برقم أبي في دفتر عناوينها القديم، فكلَّمت أمي، وأمي اتصلت بي. زوجتك قلِقة قليلاً عليك".

"نعم، أفترض ذلك. وتظن أنني مغفَّل لعين".

هذه المرة حَوَل إبن العجوز بيل - سيسمّيه جاكي اليافع - عينه بأشجار الصنوبر الطويلة الواقفة عند أحد جانبَي الطريق ولم يقل شيئاً، فسكان الشمال لا يعلِّقون على المواقف الزوجية للآخرين.

"حسناً"، قال درُو، "ما رأيك لو تتبعني إلى كوخ أبي؟ هل لديك وقت لذلك؟".

"نعم، لديَّ اليوم بأكمله".

"سأوضِّب أغراضي - لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً - ويمكننا العودة إلى المتجر خلف بعضنا البعض. لن تكون هناك تغطية خلوية، لكن يمكنني استخدام الهاتف العمومي، هذا إذا لم تقطع العاصفة خطه".

"لا، إنه سليم، فقد اتصلتُ بأمي من هناك. الأرجح أنك لا تعرف عن ديويت، أليس كذلك؟".

"فقط أنه مريض".

"لم يعد مريضاً"، قال جاكي، "بل مات". ثم تنخَّع وبصَق ونظَرَ إلى السماء. "يبدو أن يوماً لطيفاً جداً سيفوتني. اركب شاحنتك يا سيد لارسون، واتبعني

مسافة كيلومتر حتى شارع پاترسون. يمكنك أن تستدير هناك".

26

وجَد درُو أن اللافتة والصورة في نافذة متجر 90 الكبير حزينتان ومضحكتان في آن. صحيح أن الضحك شعور مستهجَن نوعاً ما في هكذا ظروف، لكن الأخطاء اللغوية تكون أحياناً - أو غالباً حتى - مستهجَنةً نوعاً ما. *مُغلق للعفن*، قالت اللافتة، والصورة هي لروي ديويت بجانب حوض بلاستيكي في فناء خارجي مرتدياً نطّاطات وشورت برمودا انخفض طرفه العلوي تحت بطنه الكبير، وكان يحمل عبوة شراب شعير بيده، وبدا أن الكاميرا قبضت عليه سراً وهو يرقص.

"كان روي يحبّ البرغر وشراب الشعير"، علّق جاكي كولسون. "هل ستكون بخير من هنا يا سيد لارسون؟".

"بالتأكيد. وشكراً"، قال درُو ومدّ يده. صافحه جاكي كولسون، وركب سيارته الرُباعية الدفع، وابتعد.

صعَد درُو إلى الشرفة، ووضع بعض قِطع الفكّة على الحافة تحت الهاتف العمومي، واتصل بالمنزل، فردّت عليه لوسي.

"مرحبا"، قال درُو. "أنا في المتجر وعائد إلى المنزل. هل لا تزالين غاضبة؟".

"تعال إلى هنا واكتشف بنفسك". ثم أضافت: "تبدو حالتك أفضل".

"نعم، أصبحتُ أفضل".

"هل يمكنك أن تصل هذه الليلة؟".

نظَرَ درُو إلى مِعصَمه وأدرك أنه أحضَر المخطوطة معه (بالطبع!)، لكنه ترك ساعته في غرفة النوم في الكوخ، حيث يجب أن تبقى إلى السنة القادمة. عاينَ الشمس وقال، "لستُ متأكداً من ذلك".

"إذا شعرتَ بالتعب، لا تحاول. فقط توقف في آيلند فولز أو دِيري. يمكننا أن ننتظر ليلة أخرى".

"حسناً، لكن إذا سمعتِ شخصاً يدخل حوالي منتصف الليل، لا تُطلقي النار".

"لن أفعل ذلك. هل أنجزتَ أي عمل؟"، قالت له واستطاع أن يسمع تردّداً في صوتها. "أقصد خلال مرضك؟".

"نعم أنجزتُ عملي، وأعتقد أنه جيد".

"لا مشاكل مع... تعرف..."

"الكلمات؟ لا. لا مشاكل". على الأقل ليس بعد ذلك الحلم الغريب. "أعتقد أن هذا الكتاب يستحق كل ذلك العناء. أحبك يا لُوس".

بدا الصمت التي تلى قوله ذلك طويلاً جداً. ثم تنهَّدت وقالت، "وأنا أحبك أيضاً".

لم تعجبه التنهيدة لكنه سيقبل ردّها هذا، فقد اعترض مطبٌ طريقهما في الحياة - ليس الأول ولن يكون الأخير - لكنهما تجاوزاه، وهذا جيد. أغلق سمّاعة الهاتف وعاود الانطلاق.

مع اقتراب اليوم من نهايته (يوم لطيف جداً، تماماً مثلما توقَّع جاكي كولسون)، بدأ يرى لافتات نُزُل آيلند فولز، وشَعَر بالأغراء أن يتوقف فيه، لكنه قرَّر أن يواصل طريقه، فالسوبربان تسير بشكل جيد - بدا له أن بعض الحفر والمطبّات على طريق المرحاض أعادت الواجهة الأمامية للسيارة إلى طبيعتها في الواقع - وإذا تخطى السرعة القانونية قليلاً ولم يُوقفه أي شرطي، فقد يتمكن من الوصول إلى المنزل عند الحادية عشرة، وينام على سريره.

ويعمل في الصباح التالي أيضاً.

27

دخل غرفة نومهما بُعيد الحادية عشرة والنصف، وكان قد خلع حذاءه الموحِل في الطابق السفلي ويحاول ألا يُحدِث أي ضجة، لكنه سمِع حفيف أغطية السرير في الظلمة وعرَف أنها استيقظت.

"تعال إلى هنا يا سيد".

لمرة واحدة لم تلسعه تلك الكلمة، وشَعَر بالسرور من وجوده في المنزل، وحتى أسعد من وجوده معها. حالما استلقى على السرير بجانبها، وَضَعت ذراعيها حوله وعانقته (عناقاً وجيزاً لكن قوياً)، ثم استدارت وعادت إلى نومها. وبينما كان درُو يدنو من حافة النوم هو أيضاً - تلك اللحظات الفاصلة التي يصبح الذهن عندها ليّناً - خطرت فكرة غريبة بباله.

ماذا لو كان الجرذ قد تبِعه؟ ماذا لو كان تحت السرير الآن؟

لم يكن هناك جرذٌ، فكَّر في سرّه، ونام.

28

"رائع"، قال براندون بنبرة محترَمة ومرتعبة قليلاً بينما كان وأخته في الممر الخاص للمنزل ينتظران

الحافلة حاملَين حقيبتَيهما.

"ماذا فعلتَ بها يا بابا؟"، سألت ستايسي.

كانا ينظران إلى السوبربان التي تلطَّخت كلها بوحل جاف وصولاً حتى مسكات الأبواب، وأصبح زجاجها الأمامي كامداً ما عدا من الفسحتين الهلاليّتَي الشكل اللتين أحدثتهما المسّاحات، وهناك بالطبع المرآة المفقودة من جهة الراكب.

"جاءت عاصفةٌ"، قال درُو وهو لا يزال يرتدي البيجامة وخُفَّي غرفة النوم وقميصاً تائياً لكلّية بوسطن، "وذلك الطريق هناك ليس في حال جيدة أبداً".

"طريق المرحاض"، قالت ستايسي وبدا الاستمتاع واضحاً عليها.

خرجت لوسي أيضاً، ووقفت تنظر إلى السوبربان البائسة واضعةً يديها على وركَيها. "يا للهول".

"سأغسلها بعد ظهر اليوم"، قال درُو.

"يعجبني شكلها هذا"، قال براندون. "إنه جميل. لا شكّ أنك قمت ببعض القيادة المجنونة يا بابا".

"آه، إنه مجنون بكل تأكيد"، قالت لوسي. "لا شكّ أن أبوك مجنون".

ظهرت حافلة المدرسة عندها وأعفته من أن يردّ على هذا التهكّم.

"هيا إلى الداخل"، قالت لوسي بعد أن راقبا الولدين يبتعدان في الحافلة. "سأُعدّ لك بعض الفطائر أو شيء ما. يبدو أنك فقدتَ بعض الوزن".

أمسك يدها وهي تهمّ بالانصراف. "هل سمِعتِ أي شيء عن آل ستامپر؟ وربما تكلَّمتِ مع نادين؟".

"كلَّمتُها يوم مغادرتك إلى الكوخ لأنك أخبَرتني أنه مريض بالبنكرياس. يا له من مرض مريع. قالت إن حالته جيدة".

"ولم تكلّميها منذ ذلك الوقت؟".

عبست لوسي وقالت، "لا، ولماذا سأفعل ذلك؟".

"لا سبب"، قال، وهذا كان صحيحاً. الأحلام مجرد أحلام، والجرذ الوحيد الذي رآه في الكوخ كان الجرذ المحشو في صندوق الألعاب. "أنا قلق عليه فحسب".

"اتصل به بنفسك إذاً، ولا داعي لوسيطٍ بينكما. والآن، هل تريد بعض الفطائر أم لا؟".

ما أراده هو أن يعمل على كتابه، لكن الفطائر أولاً، ولتبقى الأمور هادئة على جبهة المنزل.

29

بعد الفطائر، صعد إلى مكتبه الصغير في الطابق العلوي، وأوصل حاسوبه المحمول بالكهرباء، ونظَرَ إلى الأوراق التي ألّفها على آلة أبيه الكاتبة. هل يبدأ بإدخالها في الحاسوب أم يواصل تأليف الكتاب؟ اختار الخيار الثاني، فمن الأفضل أن يعرف فوراً إن كانت القريحة الأدبية الغزيرة التي حامت فوق بِتر ريڤر لا تزال موجودة أم اختفت عندما ترَكَ الكوخ.

لا تزال موجودة، فبعد عشر دقائق على وجوده في مكتبه في الطابق العلوي، بالكاد أصبح مُدركاً لموسيقى الريغي في الطابق السفلي التي تعني أن لوسي في مكتبها تتصارع مع بعض الأرقام، ثم تلاشت الموسيقى كلياً، واختفت الجدران، وشعَّ ضوء القمر على طريق ديويت المحفَّر الذي يمتدّ بين بِتر ريڤر ومقرّ المقاطعة. هناك مركبة جياد آتية، وسيرفع لها المأمور أڤيريل شارته ويلوِّح لها لكي تقف ويركبها مع آندي پريسكوت. لدى هذا الفتى موعدٌ في محكمة المقاطعة، وبُعيد ذلك موعدٌ مع الجلاّد.

توقف درُو عن العمل عند الظهر واتصل بآل ستامپر. لم يكن هناك داعٍ لأن يكون خائفاً، وقد أخبَر نفسه أنه ليس خائفاً، لكنه لم يستطع أن ينكر أن معدل نبضات قلبه ارتفع قليلاً.

"مرحبا يا درُو"، قال آل بنبرته الاعتيادية، بنبرته القوية. "كيف جرت الأمور في البريّة؟".

"بشكل رائع. لقد ألَّفتُ حوالي تسعين صفحة قبل أن تهبّ عاصفة -"

"بيار"، قال آل بنفورٍ واضحٍ هدّأ رَوع درُو. "تسعون صفحة، حقاً؟ *أنت؟*".

"أعرف أنه من الصعب تصديق ذلك، وعشر صفحات أخرى هذا الصباح، لكن لا تهتمّ بذلك. ما أريد معرفته حقاً هو حالتك الصحية".

"صحتي اللعينة جيدة جداً"، قال آل. "ما عدا أن لديّ هذا الجرذ اللعين لأكافحه".

كان درُو يجلس على أحد كراسي المطبخ، لكنه قفز الآن إلى قدمَيه، وشَعَر فجأة بالغثيان مرة أخرى، بالحمى. "*ماذا؟*".

"آه، لا تقلق"، قال آل. "إنه دواء جديد وصفه لي الأطباء ويُفترَض أن تكون له تأثيرات جانبية عديدة، لكن التأثير الجانبي الوحيد الذي أصابني، حتى الآن على الأقل، هو طفح جلدي لعين على كل ظهري وجانبيَّ. أقسَمَت نادين أنه داء الحصباء، فأجريتُ اختباراً وتبيَّن أنه مجرد طفح جلدي. لكنه يسبّب لي حُكاكاً رهيباً".

"مجرد طفح جلدي"، ردَّد درُو ومسَح فمه بيده. *مُغلق للعفن*، فكَّر في سرّه. "حسناً، هذا ليس أمراً سيئاً جداً. اعتنِ بنفسك يا آل".

"سأفعل. وأريد رؤية الكتاب عندما تُنهيه". سكت قليلاً ثم أضاف، "لاحظ أنني قلتُ عندما *تُنهيه* ولم أقل *إذا أنهيتَه*".

"ستكون أول مَن يراه بعد لوسي"، قال درُو وأغلق السمّاعة. خبر جيد. كلها أخبار جيدة. بدا آل قوياً على غرار عادته دائماً، وكل شيء على ما يرام، ما عدا ذلك الجرذ اللعين.

وجَد درُو أنه يمكنه السخرية من ذلك.

مرَّ نوفمبر بارداً وكثير الثلوج، لكن درُو لارسون بالكاد لاحَظ ذلك. وفي اليوم الأخير من الشهر، راقَب (من خلال عينَي المأمور جيم أﭬيريل) آندي پريسكوت يصعد الدرج إلى المشنقة في مقرّ المقاطعة. شَعَر درُو بالفضول كي يعرف كيف سيتعامل الفتى مع الأمر، وتبيَّن له - مع *انسكاب* الكلمات على الصفحة من تلقاء نفسها - أنه كان هادئاً. لقد نضج. والمأساة (عرَف أﭬيريل ذلك) هي أن الولد لن يهرم أبداً. وليلة واحدة من الثمالة وبعض الغيرة على راقصة وضعت حدّاً لكل شيء كان يمكن أن يصبح عليه.

في الأول من ديسمبر، سلَّم جيم أﭬيريل شارته إلى قاضي المحكمة المتنقّلة الذي حضرَ إلى البلدة ليشهد على عملية الإعدام، ثم عاد إلى بِتر ريڤر حيث سيوضِّب أغراضه القليلة (ستكفيه حقيبة واحدة) ويودِّع معاوِنيه الذين أدّوا عملاً رائعاً عند اللزوم. نعم، حتى جِپ ليونارد الذي كان بنفس ذكاء صخرةٍ. أو بنفس ذكاء بِليةٍ، اختر ما يعجبك بين الاثنين.

وفي الثاني من ديسمبر، ربط المأمور حصانه بعربة خفيفة، ورمى حقيبته وسرجه في المؤخرة، وتوجّه غرباً وهو ينوي أن يجرّب حظه في كاليفورنيا رغم أن فورة

الذهب قد انتهت، لكنه يتوق إلى رؤية المحيط الهادئ. لم يكن مُدركاً أن والد آندي پريسكوت الكئيب يختبئ خلف صخرة على بُعد ثلاثة كيلومترات من البلدة ويحمل بندقية شاربس خمسينية كبيرة، وهي البندقية التي أصبحت تُعرَف بـ "البندقية التي غيَّرت تاريخ الغرب".

ها قد أتت عربة خفيفة، والجالس على مقعدها العلوي مُسنداً رَجليه على مِصَدّ الوحول هو الرجل المسؤول عن حزنه وآماله الضائعة، الرجل الذي قتل إبنه. ليس القاضي، ولا هيئة المحلّفين، ولا الجلاّد، لا، بل الرجل الجالس هناك. فلولا جيم أڤيريل، لكان إبنه في المكسيك الآن، وكل حياته المديدة - وصولاً إلى القرن الجديد! - أمامه.

شدَّ پريسكوت قادح البندقية إلى الخلف، وصوَّب نحو الرجل الجالس على العربة. تردّد قليلاً وإصبعه يستريح على الفولاذ البارد الهلاليّ الشكل للزناد، وراح يفكِّر ماذا سيفعل خلال الثواني الأربعين تقريباً قبل أن تصعد العربة التلة التالية وتختفي عن الأنظار. هل يُطلق النار؟ أم يدعه يذهب في سبيله؟

خطر ببال درُو أن يضيف جملة أخرى - لقد قرَّر - لكنه لم يُضفها لأن ذلك سيجعل بعض القرّاء، وربما الكثيرين منهم، يعتقدون أن پريسكوت قرَّر أن يُطلق النار، ودرُو أراد أن يترك تلك المسألة عالقة، لذا ضغط مفتاح الفراغ مرتين بدلاً من ذلك وكتبَ

النهاية

بقي ينظر إلى هذه الكلمة لفترة طويلة، ثم نظَرَ إلى كومة أوراق المخطوطة بين حاسوبه المحمول وطابعته، والتي سيصل عددها، بعد إضافة نتاج هذه الجلسة الأخيرة، إلى ما دون ثلاثمئة صفحة بقليل.

لقد نجحتُ. ربما ستُنشَر الرواية وربما لن تُنشَر، ربما سأؤلِّف واحدة أخرى وربما لن أفعل ذلك، لا يهمّ. فقد نجحتُ.

غطى وجهه بيديه.

31

قلبت لوسي الصفحة الأخيرة بعد ليلتين ونظَرَت إليه بطريقة لم يرها منذ وقت طويل جداً، وربما منذ أول سنة أو سنتين من زواجهما، قبل ولادة الولدين.

"إنها مدهشة يا درُو".

ابتسم. "حقاً؟ لا تقولين هذا لمجرد أنها من تأليف زوجك؟".

هزَّت رأسها بعنف. "لا، إنها مدهشة. رواية من الغرب الأميركي! ما كنتُ لأتكهَّن ذلك أبداً. كيف خطرت ببالك هذه الفكرة؟".

هزَّ كتفيه. "خطرت ببالي فجأة".

"هل أطلقَ مربّي المواشي الرهيب ذاك النار على جيم أڤيريل؟".

"لا أعرف"، قال درُو.

"حسناً، قد يريدك الناشر أن تكتب ذلك".

"عندها سيجد الناشر - إن تواجد ناشرٌ من الأصل - أن رغبته لن تتحقَّق. وهل أنتِ متأكدة أنها جيدة؟ هل أنتِ جدّية؟".

"أفضل بكثير من جيدة. هل ستعرضها على آل؟".

"نعم. سآخذ له نسخة غداً".

"هل يعرف أنها رواية من الغرب الأميركي؟".

"لا، وحتى لا أعرف إن كان يحبّ ذلك الصنف أم لا".

"ستعجبه هذه الرواية". سكتت قليلاً ثم أمسكت يده وقالت، "كنتُ حانقةً جداً منك لعدم عودتك عندما كانت

تلك العاصفة في طريقها إليك. لكنني كنتُ مخطئةً وكنتَ جرذاً".

سحب يده منها وهو يشعر بالحمى مرة أخرى. "ماذا قلتِ؟".

"أنني كنتُ مخطئةً وأنك كنتَ محقّاً. ما الأمر يا درُو؟".

"لا شيء"، قال. "لا شيء على الإطلاق".

32

"إذاً؟"، سأل درُو بعد ثلاثة أيام. "ما رأيك؟".

كانا في مكتب رئيس قسمه القديم والمخطوطة موضوعة على مكتب آل، وكان درُو متوتّراً من ردّة فعل لوسي على روايته، لكنه كان متوتّراً حتى أكثر من ردّة فعل آل، لأن ستامپر قارئ نَهِم أمضى كل حياته المهنية في تحليل أعمال نثرية، وهو الشخص الوحيد الذي يعرف درُو أنه تجرّأ على تدريس روايتَي *تحت البركان* و*مزحة لامتناهية* في نفس الفصل الدراسي.

"أعتقد أنها جيدة جداً". لم يبدُ آل على طبيعته القديمة فحسب هذه الأيام، بل عاد لونه وازداد وزنه بضعة كيلوغرامات أيضاً. صحيح أن العلاج الكيميائي

أخذ له شعره، لكن قبعة ريد سوكس التي يرتديها غطّت رأسه الذي أصبح أصلع. "الحبكة جيدة، لكن العلاقة بين المأمور وأسيره اليافع تعطي القصة عمقاً رائعاً جداً. ليست بنفس جودة *حادث قوس الثور* أو *أهلاً بكم في الأوقات الصعبة* -"

"أعرف"، قال درُو... الذي كان يظنّ أنها بنفس جودتها. "لم أدَّعِ ذلك أبداً".

"لكنني أعتقد أنها بنفس مستوى رواية أوكلي هول *وورلوك*، والتي تقف خلف هاتين الروايتين مباشرة. كان لديك شيء لتقوله يا درُو، وقد قلتَه بشكل جيد جداً. والكتاب لا يُرهق القارئ بهموم الفكرة الرئيسية، وأظن أن الناس سيقرأونه للقيم السردية القوية التي فيه - أجواء الترقّب لمعرفة ماذا سيحدث - لكن تلك العناصر المتعلقة بالفكرة الرئيسية موجودة بكل تأكيد".

"هل تعتقد أن الناس *سيقرأونه*؟".

"بالتأكيد"، ردَّ آل وهو يلوِّح بيده سخافة السؤال. "إذا لم يتبيَّن أن وكيلك مغفَّل فسيبيع لك هذه الرواية بسهولة، وربما حتى يحقّق إيرادات جيدة". ثم حدَّق بدرُو وأضاف، "رغم أنني أظن أن المال كان أمراً ثانوياً بالنسبة لك، هذا إن فكَّرتَ به من الأصل. كنتَ فقط تريد

تأليف روايةٍ، هل أنا على حق؟ كنتَ تريد أن تقفز عن اللوح المرتفع في حوض سباحة النادي ولو لمرة واحدة دون أن تفقد شجاعتك وتتراجع نزولاً على السُلَّم".

"أصبتَ"، قال درُو. "وأنت... تبدو بصحة ممتازة يا آل".

"أشعر أن صحتي ممتازة"، قال. "وكاد الأطباء يعتبرون حالتي أعجوبةً طبيةً، وسأعود لإجراء بعض الاختبارات كل ثلاثة أسابيع طوال السنة الأولى، لكن موعدي الأخير مع العلاج الكيميائي اللعين هو بعد ظهر اليوم. واعتباراً من الجرذ الآن فإن نتائج كل الاختبارات تُظهِر أنني خالٍ من السرطان".

لم يجفل درُو هذه المرة، ولم يتكبَّد عناء الطلب منه أن يكرِّر جملته، فهو يعرف ما قاله رئيس قسمه القديم في الواقع، تماماً مثلما يعرف أن جزءاً منه سيواصل سماع تلك الكلمة من وقت لآخر. لقد أصبحت تلك الكلمة مثل شظيةٍ مستقرّةٍ في ذهنه وليس تحت بشرته، ومعظم الشظايا تُنتزَع من دون أن تسبِّب التهاباً، وهو متأكد تماماً أن هذا ما سيحصل مع هذه الشظية أيضاً. في النهاية، آل بصحة جيدة، والجرذ العاقد للصفقات

في الكوخ كان حلماً، أو لعبةً محشوةً، أو كلاماً فارغاً بالكامل.

اختر ما يحلو لك.

33

إلى: drew1981@gmail.com

وكالة إليز ديلدن

19 يناير 2019

عزيزي درُو - سرّني جداً تلقي رسالة منك فقد ظننتُ أنك مُتَّ ولم أستلم نعيك! (أمزح! ☺). روايةٌ بعد كل هذه السنوات، كم هذا مشوِّقٌ. أرسلها بأقصى سرعة يا عزيزي وسنرى ما يمكننا فعله. رغم أنه عليّ أن أحذِّرك أن السوق بالكاد صامد هذه الأيام إلا إذا كان كتاباً عن ترامب وجماعته.

مع محبتي،

إيليه

مُرسَلة من سوار العبد الإلكتروني الذي أرتديه

إلى: drew1981@gmail.com

وكالة إليز ديلدن

1 فبراير 2019

درُو! لقد أنهيتُ القراءة ليلة أمس! الكتاب مذهل! آمل أنك لا تحلم أن تصبح فاحش الثراء منه، لكنني متأكدة أنه سيُنشَر، وأشعر أنه يمكنني الحصول على دفعة مسبقة محترمة، وربما أكثر من محترمة. وإقامة مزاد علني ليست فكرة غير واردة على الإطلاق. كما أنني أشعر أن هذا الكتاب يستطيع (ويجب عليه) أن يحقّق لك سُمعة طيبة. أعتقد أنه عندما يُنشَر، ستكون التعليقات عليه إيجابية حقاً. شكراً لهذه الزيارة المدهشة إلى الغرب القديم!

مع محبتي،

إيليه

ملحوظة: ترَكتني محتارة! هل مربّي المواشي الجرذ ذاك أطلق النار على جيم أڤيريل أم لا؟؟؟؟

!

مُرسَلة من سوار العبد الإلكتروني الذي أرتديه

34

أُقيم مزاد علني لرواية بِتر ريفر فعلاً في 15 مارس، وهو اليوم نفسه الذي ضربت فيه آخر عاصفة لهذه السنة نيو إنغلاند (العاصفة الشتوية تانيا، وفق قناة الطقس)، وشارك فيه ثلاثة من أكبر خمسة ناشرين في نيويورك، وفاز فيه پوتنام. بلغت الدفعة المسبقة $350,000. لا توازي دفعات دان براون أو جون غريشام المسبقة، لكنها تكفي لإدخال براندون وستايسي إلى الكلّية، على حدّ قول لوسي وهي تعانقه، ثم فتحت قارورة شراب بالفقاقيع كانت تحتفظ بها (من باب التفاؤل). حصل ذلك عند الساعة الثالثة، بينما كانوا لا يزالون يشعرون برغبة بالاحتفال.

شربا نَخب الكتاب، ومؤلف الكتاب، وزوجة مؤلف الكتاب، والولدين الرائعين اللذين نبّتا من أحشاء مؤلف الكتاب وزوجة مؤلف الكتاب، وكانا ثملين نوعاً ما عندما رنَّ الهاتف عند الساعة الرابعة. إنها كيلي فونتاين، المساعِدة الإدارية في قسم الأدب الإنكليزي منذ أمدٍ بعيدٍ، وكانت تبكي لأن آل ونادين ستامپر تُوفِّيا.

كان لدى آل موعدٌ ليُجري اختبارات في مستشفى ماين ذلك اليوم (*اختبارات كل ثلاثة أسابيع طوال*

السنة الأولى، تذكَّره درُو يقول له). "كان يمكنه أن يؤجِّل الموعد"، قالت كيلي، "لكنك تعرف آل، ونادين مثله في هكذا أمور، ولن يوقفهما تساقط بعض الثلج".

وقع الحادث على الطريق 295، قبل أقل من كيلومتر من مستشفى ماين، عندما انزلقت شاحنة على الجليد وصدمت سيارة نادين ستامپر البريوس الصغيرة وجعلتها تتشقلب وتحط على سقفها.

"يا إلهي"، قالت لوسي. "الاثنان معاً. كم هذا رهيب؟ وعندما كانت صحته تتحسَّن!".

"نعم"، قال درُو وقد شَعَر بالخدر. "كانت تتحسَّن، أليس كذلك؟". ما عدا أنه كان لديه ذلك الجرذ اللعين ليكافحه، قال لنفسه.

"من الأفضل أن تجلس"، قالت لوسي. "فقد أصبح لونك شاحباً".

لكن الجلوس لم يكن ما يحتاج إليه درُو، على الأقل ليس في البدء، فقد أسرع إلى مغسلة المطبخ وتقيأ الشراب بالفقاقيع. وبينما وقف هناك وهو لا يزال يضغط ليتقيأ وبالكاد يلاحظ أن لوسي تفرك له ظهره، فكَّر في سرّه، *تقول إيليه إن الكتاب سيُنشَر في فبراير القادم. وحتى ذلك الوقت سأفعل أي شيء يطلبه مني المحرِّر،*

وكل الحملات الدعائية التي يريدونها بعدما ينزل الكتاب إلى الأسواق. سأجاريهم في لعبتهم كرمى للوسي والولدين، لكنني لن أؤلِّف أي كتاب آخر أبداً.

"أبداً"، قال.

"ماذا قلتَ يا حبيبي؟"، وكانت لا تزال تفرك له ظهره.

"البنكرياس. ظننتُ أنه سيقضي عليه فهو يقضي على كل شخص تقريباً، لكنني لم أتوقع أي شيء كهذا أبداً". شطَف فمه من الحنفية وبصَق. "أبداً".

35

أُقيمت مراسم الدفن - التي بقيت تذكِّر درُو بلافتة *مُغلق للعفن* - بعد أربعة أيام على الحادث، وطلبَ الأخ الأصغر لآل أن يُلقي درُو كلمةً في الجنازة، لكن درُو رفَض قائلاً إنه لا يزال مصدوماً جداً لكي يتكلَّم بفصاحة. لا شكّ أنه كان مصدوماً، لكن خوفه الحقيقي هو أن تغدره الكلمات مثلما فعلت في *القرية* وفي الكتابين اللذين أوقفهما قبله. كان يخشى - حقاً وفعلاً - أنه إذا وَقَف على المنصة في دار العبادة أمام حشد كبير من الأنسباء والأصدقاء والزملاء والطلاب الحزينين، فإن

ما قد يخرج من فمه هو *الجرذ! الجرذ اللعين هو السبب! وقد أطلقتُ سراحه!*

بقيت لوسي تبكي طوال الجنازة، وبكت ستايسي معها، ليس لأنها عرَفت عائلة ستامپر جيداً بل تعاطفاً مع أمها. وبقي درُو يجلس صامتاً وواضعاً ذراعه على كتفَي براندون، ولم ينظر إلى التابوتين بل إلى شرفة الجوقة. كان متأكداً أنه سيرى جرذاً يركض لفّة النصر على درابزين الماهوجني المصقول هناك في الأعلى، لكنه لم ير ذلك. بالطبع لن يرى ذلك، فليس هناك أي جرذ. عند انتهاء المراسم، أدرَك أنه كان غبياً ليظنّ أنه قد يكون هناك جرذٌ، فهو يعرف أين الجرذ، وذلك المكان يبُعد أميالاً من هنا.

36

في أغسطس (وكان شهراً حاراً جداً)، قرَّرت لوسي أخذ الولدين إلى ليتل كومبتون في رود آيلند لتمضية أسبوعين على البحر مع والديها وعائلة أختها، تاركةً لدرُو منزلاً هادئاً يمكنه أن يعمل فيه على مخطوطة بِتر ريڤر المحرَّرة. قال إنه سيقسِّم العمل إلى جزءين، ويخصِّص يوماً بينهما ليذهب فيه إلى كوخ أبيه حيث

سيُمضي الليلة ويعود في اليوم التالي ليستأنف العمل على المخطوطة. كانوا قد وظّفوا جاك كولسون - جاكي اليافع - ليرفع بقايا الحظيرة المحطّمة؛ وجاكي بدوره وظّف أمه لتنظّف الكوخ. قال درُو إنه يريد رؤية نوع العمل الذي أدّياه، ويريد أن يستعيد ساعته.

"هل أنت متأكد أنك لا تريد بدء كتاب جديد هناك؟"، سألته لوسي مبتسمةً. "لن أمانِع ذلك، فقد تبيَّن أن الكتاب الأخير جيد جداً".

هزَّ درُو رأسه. "لا شيء من هذا القبيل، وكنت أفكِّر أنه علينا بيع المكان يا عزيزتي، وأنا ذاهب إلى هناك لأودِّعه حقاً".

37

لا تزال اللافتات على مضخّة الوقود في متجر 90 الكبير هي نفسها: *نقداً فقط* و*عادي فقط* و"*الفارّون دون دفع" سيُطارَدون* و*ليبارِك الله أميركا*. ولا تزال الشابة الهزيلة الجالسة خلف المنضدة هي نفسها تقريباً، فقد اختفى مسمار الكْروم لكن حلقة الأنف لا تزال هناك، وأصبحت شقراء، ربما لأن الشقراوات يستمتعن بوقتهن أكثر.

"أنت من جديد"، قالت. "لكن يبدو أنك غيّرت سيارتك فحسب. ألم تكن لديك سوبربان؟".

ألقى درُو نظرة سريعة على الشيفروليه إكينوكس - التي اشتراها دون تقسيط وقد سارت أقل من 100,000 كيلومتر حتى الآن - الواقفة عند المضخّة الصدئة الوحيدة، وقال، "لم تعد السوبربان مثلما كانت أبداً بعد رحلتي الأخيرة إلى هنا". *وأنا أيضاً في الواقع*.

"هل ستبقى هنا لفترة طويلة؟".

"لا، ليس هذه المرة. لقد حزنتُ عند سماعي ما حصل لروي".

"كان عليه أن يذهب إلى الطبيب. ليكن هذا درساً لك. هل تحتاج إلى أي شيء آخر؟".

اشترى درُو بعض الخبز، وبعض قِطع اللحم للشطائر، وصندوق شراب شعير سداسي العبوات.

38

أُبعدت كل مخلّفات العاصفة عن الفناء، وزالت حظيرة المعدّات كما لو أنها لم تتواجد أبداً من الأصل، وقد حرثَ جاكي اليافع الأرض وبدأ عشب جديد ينمو هناك، وبعض الزهور الفرِحة أيضاً، كما تم إصلاح درجات

الشرفة الملتوية ووُضع كرسيان جديدان من الصنف الرخيص من متجر وولمارت الذي في پرَسك آيل على الأرجح، لكن منظرهما ليس سيئاً.

وفي الداخل، بدا الكوخ مرتّباً وأنيقاً، فقد تم تنظيف نافذة موقد الحطب من السُخام وأصبح الموقد نفسه يلمَع، وكذلك النوافذ، وطاولة الطعام، وألواح الأرض الخشبية التي بدت كما لو أنها دُهنَت بالزيت أيضاً ونُظِّفَت. وفُصلت الكهرباء عن البرّاد من جديد وتُرك بابه مفتوحاً، وبدا فارغاً مرة أخرى ما عدا من علبة بيكربونات صوديوم. علبة جديدة على الأرجح. كان واضحاً أن أرملة العجوز بيل قامت بعمل ممتاز.

فقط المنضدة التي بجانب المغسلة أظهرت دلالات على مكوثه هنا في أكتوبر الماضي: الفانوس مع علبة وقوده، وكيس حبّات هولز للسعال، وعدة رُزم من مسحوق غُودي للصُداع، وقارورة الطبيب كينغ للسعال ونزلات البرد نصف فارغة، وساعة مِعصَمه.

لقد نُظِّفَت المدفأة من الرماد ومُلأت بقِطع سنديان جديدة، لذا افترَض درُو أن جاكي اليافع إما جعل أحدهم يكنِّس المدخنة أو فعل ذلك بنفسه. أمر مفيد جداً، لكن لن تكون هناك أي حاجة لنارٍ في حرّ أغسطس

هذا. فذهَب إلى المدفأة، وركَع، وفتلَ رأسه لينظر إلى أعلى الحلق الأسود للمدخنة.

"هل أنت هناك؟" نادى... ودون أن خجل أبداً. "إذا كنتَ فوق، انزل لأنني أريد أن أتكلّم معك".

لا ردّ بالطبع، فذكَّر نفسه مرة أخرى أنه لا يوجد جرذٌ، أنه لم يكن هناك جرذٌ أبداً، ما عدا أنه كان هناك جرذٌ. لن تخرج الشظية، فالجرذ في ذهنه. ما عدا أن هذا أيضاً ليس صحيحاً بالكامل، أليس كذلك؟

لا يزال هناك قفصان يطوِّقان المدفأة النظيفة، يحتوي أحدهما على مادة ملتهبة لإضرام النار، والآخر على ألعاب - الألعاب التي تركها ولداه هنا والتي تركها أولاد تلك العائلة التي أجّرتها لوسي الكوخ في السنوات القليلة الماضية، فأمسَك القفص وأفرغه. لم يعتقد في البدء أنه سيجد الجرذ المحشو بينها، وشَعَر ببعض الذعر غير المنطقي لكن الحقيقي. ثم رأى أنه تدحرج إلى تحت الموقد، ولا شيء ظاهر منه سوى مؤخرته وذيله. يا لها من لعبة بشعة!

"ظننتَ أنه يمكنك أن تختبئ، أليس كذلك؟"، سأله.
"لم تنجح يا سيد".

أخذه إلى المغسلة ورماه فيها. "هل لديك أي شيء لتقوله؟ أي شرح؟ وربما اعتذار؟ لا؟ ماذا بشأن أي كلمات أخيرة؟ كنتَ ثرثاراً جداً سابقاً".

لم يكن لدى الجرذ المحشو أي شيء ليقوله، لذا غمره درُو بوقود الفانوس وأشعَل فيه النار. وعندما لم يبقَ منه شيء سوى خَبَث يتصاعد منه دخان كريه الرائحة، فتح الحنفية وغمر تلك البقايا بالماء. ثم عثر على بضعة أكياس ورقية تحت المغسلة، فاستخدَم درُو مِلوَقاً ليكشط البقايا إلى أحدها، وأخذ الكيس إلى غدير غودفري، ورماه فيه، وراح يراقبه يعوم بعيداً. ثم جلس على الضفة وراح يتأمل النهار الفاتن والحار والعديم الرياح.

عند بدء غروب الشمس، عاد إلى الكوخ وأعدَّ شطيرتَي نقانق. وجدهما جافتين نوعاً ما - كان عليه أن يتذكَّر إحضار بعض الخردل أو المايونيز - لكن لديه شراب الشعير ليشطف به حلقه، فشرِب ثلاث عبوات وهو جالس على إحدى الأرائك القديمة ويقرأ رواية إد ماكباين عن الدائرة السابعة والثمانين.

فكَّر درُو بأن يشرب عبوة شراب شعير رابعة لكنه عدل عن رأيه فقد شَعَر أن ذلك سيسبِّب له صُداعاً ما

بعد الثمالة، وهو يريد أن ينطلق في الصباح الباكر. لقد اكتفى من هذا المكان، واكتفى من تأليف الروايات، وليس لديه سوى ذلك المولود الذي ينتظره أن يُنهيه، تلك الرواية التي كلَّفته حياة صديقه وزوجة صديقه.

"لا يمكنني أن أصدِّق"، قال وهو يصعد الدرج إلى الطابق العلوي، وعندما وصل إلى أعلاه راح يجول بنظره في الغرفة الرئيسية الكبيرة حيث بدأ كتابه وحيث ظنَّ - لبعض الوقت، على أي حال - أنه سيموت. "ما عدا أنني أظنّ ذلك. أظنّ ذلك حقاً".

خلع ملابسه وأوى إلى السرير، وجعله شراب الشعير يغفو بسرعة.

39

استيقظ درُو عند منتصف الليل، ووجد أن بدر أغسطس قد غمر غرفة النوم بلون فضي، كما رأى الجرذ جالساً على صدره ويحدِّق به بتلك العينين الناتئتين السوداوين الصغيرتين.

"مرحبا يا درُو". لم ير فم الجرذ يتحرَّك، لكن الصوت صادر عنه بكل تأكيد، فرغم أن درُو كان محموماً

ومريضاً عندما تحدَّثا في المرة الأخيرة، إلا أنه يتذكَّر ذلك الصوت بشكل جيد جداً.

"انزل عني"، همَس درُو، وأراد أن يضربه ليُبعده عنه، لكن بدا له أنه لا يملك أي قوة في ذراعيه.

"مهلاً، مهلاً، لا تكن هكذا. أنتَ ناديتني وقد أتيتُ. أليست هذه هي الطريقة التي تحصل فيها الأمور في القصص؟ كيف يمكنني أن أساعدك الآن؟".

"أريد أن أعرف لماذا فعلتَ ذلك".

استوى الجرذ جالساً، وأسند كفَّيه الزهريين الصغيرين على صدره المكسو بالفراء. "لأنك أردتني أن أفعل ذلك. هذه كانت أمنيتك، ألا تتذكَّر؟".

"كانت صفقةً".

"آه منكم يا جماعة الكلّيات ومن تلاعبكم بالألفاظ".

"كانت الصفقة تقتصر على *آل*"، ردَّ درُو بإصرار. "وفقط *آل*. بما أنه كان سيموت من سرطان البنكرياس على أي حال".

"لا أتذكَّر أن موضوع سرطان البنكرياس ذُكر تحديداً"، قال الجرذ. "هل أنا مخطئ في ذلك؟".

"لا، لكنني افترَضتُ..."

قام الجرذ بحركة غسل الوجه بكفَّيه، واستدار حول نفسه مرتين - كان ملمس تلك القوائم مُقرِفاً حتى عبر اللحاف - ثم نظرَ إلى درُو مرة أخرى. "هذا ما يحصل دائماً مع الأمنيات العجيبة"، قال. "فهي مخادعة، وتتضمن الكثير من النص المكتوب بحجم صغير جداً. كل القصص الخرافية الجيدة توضِّح هذا الأمر جيداً، واعتقَدتُ أننا نناقشنا ذلك".

"حسناً، لكن نادين ستامپر لم تكن أبداً جزءاً من الصفقة! لم تكن أبداً جزءاً من... اتفاقيتنا!".

"لم تكن أبداً *ليست* جزءاً منها"، ردَّ الجرذ وبسخط تقريباً.

هذا حلم، فكَّر درُو في سرّه. *لا شكّ أنه حلم آخر، فالمرء لا يستطيع في أي نسخة من الواقع أن يتجادل* مع *قارضٍ*.

شَعَر درُو أنه يستعيد قوته، لكنه لم يقُم بأي حركة، فالوقت لم يحن بعد لذلك، لأن حركته يجب أن تكون مفاجئة، ولن تكون *لصفع الجرذ*، بل *للقبض على الجرذ* وعصر *الجرذ*. سيتلوّى بين يديه، وسيزعق، وسيعضّ بكل تأكيد، لكن درُو سيعصره إلى أن يبقر له بطنه ويُخرج له أحشاءه من فمه ومؤخرته.

"حسناً، ربما لديك وجهة نظر، لكنني لا أفهم، فالكتاب كان كل ما أردتُه، وقد أفسدتَه".

"آه لا تبكي"، قال الجرذ وغسل وجهه بكفَّيه مرة أخرى، وكاد درُو ينقضّ عليه وقتها، لكنه تمنَّع. ليس بعد. عليه أن يعرف.

"تباً لتهكُّمك. كان يمكنني أن أقتلك بتلك المِجرفة، لكنني لم أفعل ذلك، وكان يمكنني أن أتركك في العاصفة، لكنني لم أفعل ذلك، بل أدخلتُك ووضعتُك قرب الموقد، لذا لماذا تكافئني بأن تقتل شخصين بريئين وتسرق المتعة التي شَعَرتُ بها عند إنهائي الكتاب الوحيد الذي سأؤلِّفه في حياتي كلها؟".

راح الجرذ يفكِّر ملياً ثم قال أخيراً، "حسناً، إذا سمحتَ لي أن أغيِّر نكتة قديمة وأقول لك إنك كنتَ تعرف أنني جرذٌ [حقير] عندما أويتني".

انقضَّ عليه درُو بسرعة فائقة، لكن يديه أطبقتا على الهواء فحسب، فقد قفز الجرذ وهروَل على الأرض، ثم قبل أن يصل إلى الجدار، استدار إلى درُو وبدا له أنه يبتسم في ضوء القمر.

"على فكرة، أنتَ لم تُنهِه. أنتَ لم يكن بإمكانك أن تُنهه أبداً، بل أنا مَن أنهاه".

كانت هناك فجوة في نعل الجدار دخل فيها الجرذ، وبقي درُو قادراً على رؤية ذيله للحظةٍ ثم اختفى.

بقي درُو ممدَّداً على السرير وينظر إلى السقف. *سأُخبِر نفسي في الصباح أنه كان مجرد حلم*، فكَّر في سرّه، وهذا بالضبط ما فعله في الصباح. فالجرذان لا تتكلَّم ولا تحقِّق الأمنيات، وآل احتال على السرطان ليموت في حادث سيارة فحسب. أمر يدعو إلى السخرية بشكل مُرعِب لكنه ليس أمراً لم يسمع به أحد من قبل. من المؤسف أن زوجته ماتت معه، لكن هذا أيضاً ليس أمراً لم يسمع به أحد من قبل.

عاد إلى منزله الهادئ بشكل غير طبيعي أبداً، وصعد إلى مكتبه في الطابق العلوي، وفتَح المجلد الذي يحتوي على مخطوطة بِتر ريقر المحرَّرة واستعدّ ليعمل عليها. لقد حدثت أمورٌ، بعضها في العالم الحقيقي وبعضها في ذهنه، ولا يمكن تغيير تلك الأمور، والأمر الذي عليه أن يتذكّره هو أنه بقي على قيد الحياة. لذا سيحبّ زوجته وولديه بقدر ما يستطيع، وسيدرِّس بأفضل ما يستطيع، وسيعيش بأفضل ما يستطيع، وسينضمّ بكل سرور إلى قافلة الكتّاب الذين ألّفوا كتاباً واحداً فقط. وعندما يفكِّر

بالمسألة ملياً، سيجد حقاً أنه ليس لديه أي شيء ليشكو منه.

حقاً، عندما يفكِّر بالمسألة ملياً، سيجد أن كل شيء جرذٌ [حقير].

كلمة من المؤلف

عندما يصدف أن ترى أمي أو إحدى عمّاتي الأربعة سيدةً تدفع عربة طفل، تكون ميّالة إلى إنشاد شيء تعلَّمته من أمها على الأرجح: "من أين جئتَ أيها الطفل العزيز؟ من العدم وإلى هنا". أتذكّر بيت الشعر الركيك هذا أحياناً عندما أُسأل من أين أتتني فكرة هذه القصة أو تلك، فأنا لا أعرف الجواب في أغلب الأحيان، وهذا يجعلني أشعر بالحرَج والخجل قليلاً (لا شكّ أن عقدةً ما من الطفولة تؤثّر عليّ في تلك الأوقات). أُعطي أحياناً جواباً صادقاً ("لا أدري!")، لكنني أخترع بعض الكلام الفارغ فحسب في حالات أخرى لكي أُرضي سائلي بشرح شبه منطقي لنظرية السببية. لكنني سأحاول أن أكون صريحاً هنا (هذا ما أُدّعيه بالطبع، أليس كذلك؟)

لا شكّ أنني شاهدتُ فيلماً ما عندما كنتُ صغيراً - على الأرجح أحد أفلام الرعب إنتاج شركة أميريكان إنترناشونال التي كنتُ وصديقي كريس تشَسلي ننتقل

مجاناً في سيارات الآخرين لنشاهدها في سينما ريتز في لويستون - عن شابّ يخشى كثيراً أن يُدفَن حيّاً لدرجة أنه ركَّب هاتفاً في سردابه، أو ربما كانت إحدى حلقات مسلسل *ألفرد هيتشكوك يقدِّم*. على أي حال، رسخت الفكرة في ذهني الطفولي المفرط في الخيال: فكرة هاتف يرنّ في عالم الموتى. بعد سنوات على تلك الحادثة، وبعد الوفاة المفاجئة لصديق مقرّب لي، اتصلتُ بهاتفه الخلوي لأسمع صوته مرة أخرى فحسب، لكن تلك الخطوة جعلت بدني يقشعرّ بدلاً من أن تريحني، ولم أكرِّرها مرة أخرى أبداً، لكن ذلك الاتصال، بالإضافة إلى ذكرى ذلك الفيلم أو المسلسل التلفزيوني، شكَّل بذرة قصة "هاتف السيد هاريغان".

تذهب القصص إلى حيث تريد أن تذهب هي، والمتعة الحقيقية من هذه القصة - بالنسبة لي - هي العودة إلى زمن كانت فيه الهواتف الخلوية بشكل عام والآيفون بشكل خاص ابتكاراً جديداً، ولم يكن أحدٌ بعد يُدرك كل عواقبها. وخلال أبحاثي عن هذا الموضوع، اشترى مستشاري في أمور تكنولوجيا المعلومات جايك لوكْوود هاتف آيفون من الجيل الأول عبر موقع إيباي وجعله يعمل (عليّ أن أُبقيه موصولاً بالكهرباء لأن مالكه السابق

أوقعه أرضاً وحطَّم زر تشغيله/إيقاف تشغيله). يمكنني تصفّح الانترنت وتلقي تقارير البورصة والطقس عليه، لكن لا يمكنني إجراء مكالمات عبره لأنه بتقنية G2، وهذه التقنية اندثرت على غرار أشرطة البيتاماكس.

ليست لديَّ أي فكرة من أين جاءت فكرة قصة "حياة تشاك"، وكل ما أعرفه هو أنني تخيَّلتُ ذات يوم لوحة إعلانات عليها تلك الجملة "شكراً يا تشاك!"، إلى جانب صورة فوتوغرافية لرجلٍ وجملة "39 سنة رائعة". أعتقد أنني كتَبتُ القصة لأعرف الغاية من لوحة الإعلانات تلك، لكنني لستُ متأكداً من ذلك حتى، بل ما يمكنني قوله هو أنني لطالما شعرتُ أن كل واحد منا - من الملوك والأمراء إلى الرجال الذين يغسلون الأطباق في المطاعم والنساء اللواتي يغيِّرن أغطية الأسرّة في الفنادق - يحتوي على العالم بأكمله.

وأثناء إقامتي في بوسطن، صدفَ أن رأيتُ شابّاً يعزف على طبولٍ في شارع بوْيلستون، والناس يمرّون أمامه وبالكاد يعيرونه أي انتباه، والسلة أمامه (لم تكن قبعة عجيبة) تحتوي على مبلغ زهيد. تساءلتُ ماذا سيحصل لو توقف شخصٌ، سيد من صنف رجال الأعمال مثلاً، وبدأ يرقص بطريقة تشبه طريقة رقص

كريستوفر والكن في ذلك الفيديو الرائع لأغنية فاتبوي سْليم "السلاح المفضَّل". كانت الصلة بين ذاك العازف وتشاك كرانتز - سيدٌ من صنف رجال الأعمال إذا كان هناك هكذا صنف من رجال الأعمال من الأصل - طبيعية، فوضعتُه في القصة وجعلتُه يرقص. أنا أحبّ الرقص، والطريقة التي يحرِّر بها قلب الشخص وروحه، وقد استمتعتُ بكتابة القصة.

بعد أن كتبتُ قصتين عن تشاك، أردتُ كتابة قصة ثالثة تربط كل القصص الثلاثة في سرد موحَّد، لذا كتبتُ "أحتوي على حشودٍ" بعد سنة على كتابتي القصتين الأولين. ومسألة نجاح الفصول الثلاثة - التي قدَّمتُها في ترتيب عكسي مثل فيلم يُعرَض بالمقلوب - أم لا هي أمر يحدِّده القرّاء.

دعني أنتقل مباشرة إلى قصة "الجرذ" لأقول لك إنه ليست لديَّ أي فكرة على الإطلاق من أين جاءت فكرتها، وكل ما أعرفه هو أنها بدت لي قصةً خرافيةً خبيثةً، وأعطتني فرصةً لأكتب قليلاً عن أسرار عالم الخيال، وكيف تُترجَم على الورق. ويجب أن أضيف أن محاضرة جوناثن فرانزن التي يشير إليها درُو خرافية.

أخيراً وليس آخراً: "إن كان ينزف". بقيت أساسات هذه القصة في ذهني لعشر سنوات على الأقل، فقد بدأتُ ألاحظ أن بعض مراسلي نشرات أخبار التلفزيون يتواجدون دائماً في أماكن المآسي المروِّعة: تحطّم الطائرات، حوادث إطلاق النار الجماعي، الهجمات الإرهابية، وفيات المشاهير، وأن تلك القصص تتصدَّر نشرات الأخبار المحلية والوطنية تقريباً دائماً؛ وجميع العاملين في عالم الإعلام يعرفون المبدأ البديهي "إن كان ينزف، سيقود إلى المقترف". بقيت القصة غير مكتوبة لأنه كان على أحدهم أن يلتقط خيط المخلوق الخارق الذي يتنكّر بهيئة مراسل أخبار تلفزيون ويعيش على دماء الأبرياء، ولم أستطع أن أحدِّد مَن يمكن أن يكون ذلك الشخص. ثم أدركتُ في نوفمبر 2018 أن الجواب كان أمامي طوال الوقت: هولي غيبني، بالطبع.

الأمر ببساطة هو أنني أحبّ هولي، وكان يُفترَض بها أن تكون شخصية ثانوية في رواية *السيد مرسيدس*، لكنها سرَقت لي قلبي (وكادت تسرق الكتاب)، ويغمرني فضول دائم لمعرفة ماذا تفعل وكيف أحوالها. عندما أعود إليها، أفرح من إيجاد أنها لا تزال تأخذ دواءها المضاد للاكتئاب ولا تزال لا تدخِّن. وبصراحة كنتُ

فضولياً أيضاً بشأن الظروف التي جعلتها على ما هي عليه، وفكَّرتُ أنه يمكنني أن أستكشفها قليلاً أكثر... طالما أن ذلك يضيف إلى القصة طبعاً. هذه أول مغامرة لهولي منفردةً، وآمل أن أكون قد أوفيتها حقها. وأودّ أن أوجِّه شكري الخاص إلى خبير المصاعد آلان ويلسون الذي فسَّر لي طريقة عمل المصاعد المحَوسَبة العصرية، والمشاكل التي يمكن أن تطرأ عليها. من الواضح أنني أخذتُ معلوماته ونمّقتُها (إحِمْ)، لذا إذا كنتَ تعرف هذه الأمور وتظن أنني أخطأتُ في فهمها، القِ اللوم عليَّ - وعلى ضروريات قصتي - وليس عليه.

لقد عاونني الراحل رَسّ دورّ على قصة "هاتف السيد هاريغان"، وكان ذلك تعاوننا الأخير، وأنا أفتقده كثيراً. كما أودّ أن أشكر وكيلي تشاك ڤيريل (الذي استمتع كثيراً بقصة "الجرذ")، وكامل فريق عملي لدى سكريبنر، وعلى سبيل الذكر (لا الحصر) نان غراهام، سوزان مولدو، روز ليپل، كايتي ريزو، جايا ميسيلي، كاثرين موناهان، وكارولين ريدي. وأودّ أن أشكر أيضاً وكيل حقوقي الأجنبية كريس لوتّس، وكذلك راند هولستون من وكالة بارادايم في لوس أنجلوس الذي يهتمّ بأمور السينما والتلفزيون. وأخيراً أودّ أن أوجِّه شكري الخاص

- وحُبي الكبير - إلى أولادي وأحفادي وزوجتي تَبيثا. أحبك يا حبيبتي.

أخيراً وليس آخراً، أودّ أن أشكرك أيها القارئ الوفيّ لمرافقتك لي في رحلة أخرى.

ستيفن كينغ
13 مارس 2019